سلسلة "كتب فلسطينية" - ١٠

يوميات هرتزل

إعداد : أنيس صايغ
ترجمة : هلدا شعبان صايغ

مركز الأبحاث
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت - لبنان

يَومِيَّات هِرتْزِل

صدر في بيروت

في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨



من

مر... يّة

٦٠٦ شارع السادات - شقة رقم ٢٢ - بيروت - لبنان

سلسلة "كتب فلسطينية" — ١٠

يوميات هرتزل

إعداد : أنيس صايغ
ترجمة : هلدا شعبان صايغ

مركز الأبحاث
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت - لبنان

محتويات الكتاب

مقدمة

ثيودور هرتزل هو مؤسس الحركة الصهيونية، ومؤسس عدد من أجهزة هذه الحركة التي لا يزال بعضها يعمل إلى الآن ، وأول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية وللمؤتمرات الصهيونية العالمية الستة الأولى ؛ وهو ، بالتالي ، « أبو دولة إسرائيل » الروحي كما يحلو لعديد من الصهيونيين أن يسموه .

ولد الرجل في مدينة بودابست (عاصمة المجر حالياً) في العام ١٨٦٠ . درس في فينه (عاصمة النمسه حالياً) بين ١٨٧٨ و ١٨٨٤ . اشتغل بالكتابة ، الأدبية والسياسية ، ١٨٨٥ – ١٨٩١ ، دون أن يلتحق بمؤسسة معينة . وفي ١٨٩١ عُين مراسلاً « للجريدة الحرة الجديدة » ، التي كانت تصدر في فينه ، في باريس. وظل في وظيفته هذه إلى١٨٩٥.وقد رافق خلالها الضجة التي قامت في فرنسه آنذاك حول قضية الضابط اليهودي دريفوس المتهم بالخيانة ، وأخذ يتخلى ، بالتدريج ، ومنذ ١٨٩٤ ، عن آرائه السابقة بوجوب اندماج اليهود مع الشعوب التي يقيمون بينها ، وأخذ يدعو ، في الوقت نفسه ، إلى إنشاء دولة

لليهود مستقلة . فلما عاد إلى فينه ، وعين محرراً أدبياً « للجريدة الحرة الجديدة » ١٨٩٦ ، أخذ يتصل بغيره من اليهود لينظم الدعوة إلى محاربة الإندماج وإنشاء الدولة اليهودية ، وهي الدعوة التي نشرها في كتيب له بعنوان « الدولة اليهودية » في ١٨٩٦ . وقد نجح في آب (أغسطس) ١٨٩٧ بعقد المؤتمر الصهيوني الأول ، في بازل ، الذي انبثق عنه كل من ميثاق الحركة الصهيونية والمنظمة الصهيونية العالمية . ثم عقد خمسة مؤتمرات أخرى في السنوات السبع التي تلت ذلك التاريخ وتمكن، من خلال هذه المؤتمرات، أن يؤسس الصندوق الإستعماري اليهودي ، وعددا من المؤسسات التي سهلت عملية استعمار فلسطين على الصهيونيين في خمسين السنة التي تلت تأسيس الحركة . وقد مات هرتزل في الثالث من تموز (يوليو) ١٩٠٤ . ودفن في فينه إلى ١٩٤٩ حينما نقل رفاته إلى « جبل هرتزل » في جوار القدس المحتلة .

وضع هرتزل عدداً من الكتابات التي عبرت عن أفكاره ، بينها عشرات الأقاصيص والمسرحيات والروايات ، ومئات المقالات والمذكرات . لكن أهمها هو، بلا شك ، يومياته . وكان قد بدأ يسجل يومياته منذ أيار (مايو) ١٨٩٥ . واستمر يفعل ذلك إلى الشهر نفسه من العام ١٩٠٤ . وقد غطت هذه اليوميات أهم ما حصل له واهم ما فكر به أو كتبه أو دعا إليه ، آخر تسع سنوات من حياته – وهي ، في الواقع ، أهم سني حياته ، إذ وضع خلالها أساس الحركة الصهيونية .

نشرت اليوميات لأول مرة ، وباللغة الأصلية لها ، في مطلع العقد العشريني من هذا القرن . لكنها كانت ناقصة من نواح كثيرة ، فقد تعمد ناشروها

آنذاك ، من اليهود الصهيونيين ، حجب الكثير من المعلومات ومن آراء هرتزل بالناس والدول والحركات ، خوفاً من إثارة النقمة على الحركة الصهيونية . ومع أن أكثر من ترجمة إلى اللغة الإنجليزية ظهرت في فترة ثلث قرن من ذلك التاريخ ، لم تكن أية منها ترجمة كاملة ولا حتى شبه كاملة . بل إنه لم يكن بينها ما ترجم ثلث المادة . فقد حرص المترجمون أن يحجبوا الكثير من الحقائق الواردة في الكتاب في الأصل . فقط في العام ١٩٦٠ ظهرت أول طبعة كاملة لليوميات ، بأي لغة إطلاقاً — وهي الإنجليزية . وقد قام بالترجمة ، عن الألمانية ، الأستاذ الجامعي الأميركي اليهودي هاري زون ، وقام بالتحرير زميله رفائيل باتاي . وقد نشرت الترجمة بخمسة أجزاء ، مجموعها ١٩٦١ صفحة (منها أربعة أجزاء في ١٦٢١ صفحة للمادة الأصلية والجزء الخامس للحواشي والملاحظات) وذلك عن مطبعة هرتزل وتوماس يوسلوف ، في الولايات المتحدة . والعنوان الكامل لها هو « اليوميات الكاملة لثيودور هرتزل » .

عن هذه الترجمة الإنجليزية الكاملة لليوميات قمنا بترجمة مقاطع معينة من اليوميات إلى اللغة العربية . وهي أول ترجمة عربية لها .

وقبل أن نتوسع في تبيان العوامل التي حدت بمركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية أن يترجم قسماً كبيراً من هذه اليوميات وأن يتولى طبعه ونشره ، يجدر بنا أن نشير إلى أن هذه الترجمة ليست كاملة أبداً ، بل هي تغطي نصف اليوميات تقريباً فقط ، من حيث الكمية . لكنها ، في الوقت نفسه ، تغطي كل ما نعتقد أنه مهم ، من هذه اليوميات ، وأنه ضروري لتكوين صورة واضحة للقارىء العربي عن هرتزل وأفكاره وأعماله وكتاباته . ذلك أن

اليوميات تحفل بالترداد ، الذي يصل أحيانا إلى حد الترداد الحرفي ، مما يضطرنا إلى أن نحذف عشرات الصفحات دون أن نكون قد أنقصنا شيئاً من المعلومات الجديدة أو المفيدة عن القارىء .

إلا أننا تعمدنا ، ونحن نختار بين ما يجب ترجمته وما يجب حذفه من الترجمة ، أن نكون أمينين في الإختيار والترجمة والنقل قدر الإمكان . فلم نضف كلمة واحدة إلى الأصل . ولم ننسب إلى هرتزل كلمة واحدة لم يكتبها هو . إن كل ما يرد في هذا الكتاب ، بالحرف الباهت (غير الغامق كأحرف هذه المقدمة) إنما هو من كلام هرتزل ، حسبما ورد في الترجمة الإنجليزية ليومياته الألمانية . أما كلامنا نحن ، وتعليقنا وملاحظاتنا (وهي أسطر قليلة في الصفحة الواحدة) فقد طبعناه بالحرف الأسود الغامق (الذي استعملناه في طبع هذه المقدمة) ، ليسهل على القارىء التميز بين كلام هرتزل و كلام المحرر .

وكما أن هذا الكتاب العربي ليس ترجمة كاملة ليوميات هرتزل (وإن كان هو يترجم كل ما هو مهم في اليوميات) فهو كذلك ليس تأريخاً لهرتزل ولا للحركة الصهيونية ، ولا حتى لعمل هرتزل في الحركة الصهيونية في السنوات الأخيرة من حياته والسنوات الأولى من حياة الحركة . إذ أن تاريخ كل من هرتزل ومن الحركة الصهيونية ، وحتى تاريخ عمله فيها ، إنما هو أوسع وأشمل مما تقدمه هذه الصفحات الخمسمئة.ومن المؤسف ألا يكون في المكتبة العربية بعد دراسة كاملة واحدة عن هذا الرجل ، ولا عن هذه الحركة ، ولا عن دوره هو في إنشائها . ولعل موسوعة القضية الفلسطينية ، التي يعمل مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية على إعدادها حالياً (ونأمل أن تكون جاهزة في

١٩٦٩) ، تضع أساساً صالحاً لمثل هذه الدراسات في المستقبل .

يوميات هرتزل ، بترجمتها العربية المختارة أو بترجمتها الإنجليزية الكاملة ، هي جوانب فقط من تاريخ هرتزل وحركته الصهيونية . هي صفحات سجلها صاحبها ، مقتطفات متقطعة فقط من القصة الكاملة . ولا بد أنه تعمد أن يحجب الكثير . ولا شك أنه زيف الكثير . لذلك فيومياته مادة أساسية ، لا غنى عنها ، لكل باحث في الحركة الصهيونية وفي مؤسسها ، لكنها تكون مادة مضللة إذا اعتمد الباحث عليها وحدها وتجاهل مصادر الدرس الأخرى ، وهي بالعشرات إذا لم نقل بالمئات . وهذا ما يجعلنا نؤكد على القارىء العربي لهذه اليوميات أن يبحث عن مصادر أخرى عن هرتزل والصهيونية إن كان يريد رؤية صورتيهما واضحة وكاملة ومن جميع جوانبها . فنحن لا ننقل هنا إلا كلام رجل واحد ، هو صاحب القضية ومؤسس الحركة .

ليس من اجل تأريخ الحركة الصهيونية ، وهرتزل ، إذن ، قمنا بترجمة اليوميات ونشرها . التأريخ الصحيح ، الذي نريده ونحتاج له ، لا نأخذه عن لسان داعية القضية ومؤسس الحركة . بل ، وعلى العكس من ذلك ، نأخذه من المصادر الصحيحة التي تكذب هرتزل وتفضحه وتفضح حركته .

إن ما حدا بنا أن نتحمل مشقة الترجمة والنشر هو شيء آخر مختلف عن ذلك كل الإختلاف .

إن قلة الدراسات العلمية الدقيقة عن الحركة الصهيونية باللغة العربية ، وضآلة المعرفة العربية الواسعة الصحيحة للعدو ، تحمل الكثير من كتّابنا ، مع الأسف ، إلى البحث عن جذور الآثام الصهيونية إما في كتب قديمة وغامضة

يكون الإعتماد عليهاعملاً خطراً قد يأتي على الحجة العربية بالمضرّة ، أو في كتب معاصرة جداً يكون الإقتباس عنها أو الإستشهاد بها قصير الجذور . بينما تشكل يوميات هرتزل (وهو مؤسس الحركة وأبو « دولة إسرائيل » الذي لا سبيل للصهيونيين لأن يتهربوا من مسؤولية كلامه ؛ وهي ، أي يومياته ، أصدق سجل لأقواله وأفكاره ونياته وآرائه) أصلح أساس موجود حتى الآن ، وفي مئة السنة الأخيرة ، لآرائه الصهيونية ، ، عقيدة وسلوكاً . فالذي لديه هذه اليوميات ، التي يمكن اعتبارها بحق « إنجيل » الحركة الصهيونية ، لا يحتاج لبرهان نظري أقوى مما يستمده من يوميات هرتزل في إدانة الصهيونية إدانة نظرية .

يمكن استخلاص أربعة أحكام رئيسية عامة على الحركة الصهيونية من يوميات هرتزل ، حيث يجد الباحث عشرات الإثباتات على كل حكم من هذه الأحكام — وهي :

أولاً ، إن الحركة الصهيونية حركة استعمارية ، وانها ولدت في حضن الإستعمار ، وانها كانت تعتمد على مساندة الإستعمار .

ثانياً ، إن الوسائل التي اتبعها الصهيونيون ، أو دعوا إلى اتباعها ، لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين العربية ، إنما هي وسائل لا أخلاقية — كالرشوة ، والكذب ، والعنف ، والإنتهازية .

ثالثاً ، إن الحركة الصهيونية ، من أساسها ، حركة يمينية تقاوم الإشتراكية وتتآمر عليها وتحاربها .

رابعاً ، إن ما قاله أعداء اليهود وأعداء الصهيونيين في اليهود وفي الصهيونيين ، في مئة السنة الأخيرة ، لم يكن بأعنف ولا بأسوأ مما قاله هرتزل نفسه في اليهود وفي الصهيونيين .

هذه هي القواعد الأربع التي تتجمع خيوطها من يوميات هرتزل صفحة بعد أخرى ، بشكل أقوى وأصرح وأعنف ، وأبعد أثراً ، مما تتجمع من أي مصدر يهودي صهيوني آخر . وهو ما يدعونا ، في هذا الكتاب وفي مقدمته بشكل خاص ، إلى لفت نظر القارىء العربي (وخاصة الذي يعمل في الحقل الإعلامي ، محلياً وعالمياً) إلى أهمية وإلى ضرورة الإعتماد على يوميات هرتزل كمصدر رئيسي في فضح الحركة الصهيونية ورجالها ووسائلها ، بدل الكثير من المصادر التي جرت العادة أن يعتمد دعاتنا وإعلاميونا عليها ، على الرغم من محاذير ذلك الإعتماد وأخطاره أحياناً . وأنا اقصد هنا ، وبالذات ، كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ، واسع الصيت والإنتشار في العالم وبين العرب .

إن الكتاب المذكور يدين الصهيونية ويفضح الكثير من وسائلها ومخططاتها ، مثلما تفعل يوميات هرتزل ، وبإسلوب أصرح من اسلوب اليوميات في حالات كثيرة . لكنه كتاب غير واضح الإصول وضوح أصول يوميات هرتزل . وبقدر ما لا يشوب أصل هذه اليوميات وصحتها وصحة علاقتها بصاحبها أي التباس ، تتراكم حول مصدر كتاب البروتوكولات وأصله وصحة علاقته بالكاتب الذي تنسب إليه الشكوك والإتهامات . وسواء كان كاتب البروتوكولات قد تكلم الصدق أو لم يكن ، وسواء كان اجتماع « حكماء صهيون » قد حصل أو لم يحصل ، وسواء كانت المقررات قد صدرت بالفعل ، وبالشكل الشائع ، أو لم تصدر ، فإن أهم من ذلك كله أن الرأي العام كله

تقريباً في العالم قد أصبح مقتنعاً بأن كاتب البروتوكولات لم يتكلم الصدق ، وأنه لم يكن هناك مؤتمر لحكماء صهيون ولا مقررات . وأكثر من ذلك ، أصبح الرأي العام العالمي ، كله تقريباً ، مقتنعاً أن هذه البروتوكولات إنما هي من صنع مخطط لاساميّ ، عاطفي متعصب ، يريد أن يوقع الشر باليهود عن طريق التزوير . وبالتالي فإن هذا الرأي العام العالمي أصبح ينفر من أي ذكر للبروتوكولات وأي اقتباس عنها واستناد لها . مما يعني أن الدعاية العربية في الخارج تخسر الجولة بمجرد أن تثير قصة هذه البروتوكولات أو تستند إليها أو تقتبس عنها . كما يعني أن الصهيونيين ، بدهائهم المعروف ، يشيعون في العالم اعتماد بعض العرب على هذه البروتوكولات ونشرهم لها محلياً ، ليؤلبوا الرأي العام العالمي ضد العرب ما دام هو قد حكم ، مسبقاً ، بأن هذه البروتوكولات مزيفة وانها سلاح لا أخلاقي ضد اليهود . وتكون النتيجة أننا نؤذي أنفسنا كلما اهتممنا بالبروتوكولات المذكورة ، وكلما أبرزناها في معركتنا الإعلامية ضد الصهيونية فننفر قطاعاً واسعاً من الأجانب ، دون أن نكسب شيئاً .

كل هذه المحاذير والعراقيل والأخطار تزداد إذا كنا نعتمد ، في سعينا لفضح الصهيونية ، على مصادر أخرى لم يذع بعد ، ولم يشع بين الناس ، أنها مزورة وأنها فخ لا ساميّ ، بل ولا يمكن أن يذاع ذلك عنها ولا أن يشيع هذا الإتهام ضدها ـ مصادر من نوع مذكرات هرتزل ، أبو الحركة الصهيونية السياسية ومؤسسها ورئيسها ، في يومياته التي كان الصهيونيون أنفسهم هم الذين جمعوها وترجموها وطبعوها ونشروها ، وذلك قبل أن يفطنوا إلى ضررها عليهم فيسحبوا معظم نسخها من الأسواق بحيث لم يعد بالإمكان حالياً الحصول على نسخة واحدة منها من المكتبات العامة . ولعل حرص الصهيونيين على

إخفاء اليوميات ، وما أدّى إليه ذلك الإخفاء من إجهال العالم بحقيقتها (فمثلاً لا يوجد في الوطن العربي بأكمله غير نسخ معدودة جداً من اليوميات ، لا تزيد على العشر نسخ بأي حال) كان مما يزيد في حرص مركز الأبحاث ، من جهة ثانية ، على نشر اليوميات : ليعرف القارىء العربي ما لا يعرفه حتى الآن من الحقائق التي تعبر عنها اليوميات ، وليكشف عما يحاول الصهيونيون حجبه قدر الإمكان . وبقدر ما فوّت علينا تشويه سمعة كتاب بروتوكولات حكماء صهيون في الغرب (وهو تشويه صهيوني في الأساس ، بلا شك) فرصة الإعتماد على الكتاب المذكور أو الإفادة منه (ما لم يقم بيننا من يستطيع أن يثبت صحة هذا الكتاب للعالم بأسلوب وبحجج يقبلها العالم) يؤمّن لنا كتاب يوميات هرتزل فرصة ممتازة للإعتماد على مصدر صادق ورئيسي لا يشوبه أي شك أو اتهام . وقد تركنا كلمات هرتزل كما هي ، وترجمناها بدون أدنى تحريف. ولكن ما كتبه هرتزل، قبل سبعين سنة تقريباً ، هو نفسه ما حصل في السنوات الأخيرة ، وهو نفسه ما نفذته الحركة الصهيونية ، لدرجة أن قراءتنا لليوميات تجعلنا أحياناً نتصور أنفسنا وكأننا نشاهد صوراً من واقع الحال المعاصر . وبإمكان الباحث العربي أن يستفيد من هذه المذكرات في عشرات النواحي ، عن طريق تتبع جذور الشرور الصهيونية في كتابات وأفكار وأعمال معلمها الأول قبل عدة عقود من الزمان . وإنه لجدير بنا أن توحي هذه الكتابات والأفكار والآراء لنا بعدة دروس وعبر بمثلما أوحت هي به للصهيونيين وكانت حافزاً لهم على المضي في مساعيهم لسلب فلسطين .

انيس صايغ

الفصل الاول

هرتزل والاستعمار

لا يجد القارىء موضوعاً يتردد في يوميات هرتزل بتكرار وتشديد مثل موضوع إرتباطاته ، وارتباطات الفكرة التي يدعو إليها ، مع دول أوروبة البارزة في ذلك الحين ، أي في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين . وسنجد في الصفحات التالية ، حيث سننشر مقتبسات مما كتبه هرتزل في هذا الموضوع ، ان الرجل كان يعي إستحالة تحقيق هدفه ، بإنشاء دولة صهيونية على أرض فلسطين ، بدون أن يمهد لذلك الإنشاء ، وبدون أن يدعم ذلك الإنشاء ويحميه بعد قيامه ، بتعاون وثيق بين حركته الصهيونية الناشئة وبين بعض دول أوروبة ، وهو تعاون يمكّن الصهيونيين من تحقيق غرضهم وحماية دولتهم مثلما يمكّن هذه الدولة الأوروبية أو تلك من تحقيق مصالحها وخدمة أهدافها الإستعمارية ، السياسية أو الثقافية أو الإقتصادية ، في منطقة مهمة من العالم .

بدأ هرتزل ، منذ أيام تخيله الأولى للدولة اليهودية ، ومن قبل أن يقـرر فلسطين مكاناً لهذه الدولة، يفكر بوجوب الإتصال مع الدول الكبرى . كتب في ٧ ــ ٦ ــ ١٨٩٥ :

« حالما يتم الإتفاق على الأراضي ،وتوضع إتفاقية أولى مع الحاكم الموجود، سوف نبدأ مباحثاتنا الدبلوماسية مع الدول الكبرى » (صفحة ٤٠) .

ولذلك قرر التفاوض مع كبار حكام أوروبة آنذاك . بدأ أولاً بقيصري روسية وألمانية . كتب في ٦ – ٦ – ١٨٩٥ :

« سأتفاوض أولاً مع القيصر [الروسي] ، الذي سيقدمني إليه نصيرنا أمير ويلز ، بخصوص السماح لليهود الروس بترك البلاد . سيعطيني إرادة سنية لأنشرها في الجريدة الرسمية ، وهو يظن أني أستطيع أن أخرج بضع مئـــات فقط . ثم أتفاوض مع قيصر ألمانيه ، ثم مع النمسه ، ثم مع فرنسه بخصوص يهود الجزائر ، ثم ، حسب ما يقتضي الحال . ولكي يكون لي إعتبار في البلاطات الأوروبية ، يجب أن أحصل على أعلى الأوسمة . الإنجليز أولاً .» (ص ٥٢) .

بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك في تخيّل التعاون مع دول أوروبة . كتب في ١١ – ٦ – ١٨٩٥ :

« سأقبل طلبات جماهير صغار اليهود للهجرة إذا طلبت حكوماتهم ذلك ، وإذا تعهدت هذه الحكومات بمد يد المساعدة المستحقة ، وإذا تكفلت بحفظ النظام والهدوء اللازمين لهذا العمل العظيم ، مقابل ان أتكفل أنا لهم بهجرة لا تؤدي إلى أزمة إقتصادية » (ص ٧٢) .

وقد استعمل هرتزل هذا الأمل بالتعاون مع الإستعمار حجةً حاول بها كسب ودّ آل روتشيلد في رسائله إليهم أواسط شهر حزيران (يونيو) ١٨٩٥. قال في إحدى تلك الرسائل :

« سنضمن الأمان لمن يخرج معنا ، لأننا سنأخذ على عاتقنا إيجاد ضمانات لهم من الحكومات وسنحميهم بواسطة الدول والرأي العام ... قد لا تكتفي الدول هناك بالفوائد التي ستعود عليها عن طريق غير مباشر . وقد تطلب دفعاً مباشراً . وهنا يجب أن نساعد الحكومات والبرلمانات . ولعل أشرف ما في هذه الخطة هو أنها تعمل على إغناء الأمم عن أن تضطر إلى وضع قوانين غير مشرفة

بشأن شعب سيء الحظ . وحتى لا نفسح مجالاً للحكومات لتضع ضرائب على الهجرة ستتولى الجمعية [الصهيونية] هذا الأمر . ستكون رئاستنا في لندن ، لأننا يجب أن نكون في الحقوق المدنية تحت حماية دولة كبيرة غير لاسامية في الوقت الحاضر . » (ص ١٤١ ، ١٤٤) .

وهو يفكّر بتبادل المصالح مع الدول الأوروبية في دولته العتيدة . سيستورد منها بضائعها . وسيصدر لها المواد الخام .

« بما أننا سنعتمد هناك على البضائع الأوروبية لمدة طويلة أصبح من اللازم أن نستوردها » (ص ١٣٤) . « في البدء قد لا نستطيع الإفادة من الشحن في السفن الراجعة من الرحلات ... سنبحث عن مواد خام ونرسلها إلى أوروبة.» (ص ١٤٦) .

أما أول إتصال رسمي بين هرتزل ومسؤولي أوروبة فقد بدأ مع بسمارك . كتب له رسالة في ١٩ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ يوضح فيها مطالبه . وقد إختاره بالذات لأن بسمارك ، كما كتب هرتزل في ٢٠ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ ، « هو الآن المحكّ وحجر الزاوية في هذا المشروع » (ص ١٢٦) .

كذلك رجا الخير من قيصر ألمانية . لأنه هو « الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفهم خطتي » (ص ١٨٧) .

لذلك كان الإتصال الأول مع ألمانية دون غيرها من سائر دول أوروبة . عهد، في ٢٥ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ ، إلى صديقه فورث ، اليهودي المتنصر ، تدبير موعد له مع القيصر .

لكنه لم يكن يقنع ببلد واحد . فبعد أقل من خمسة أشهر ، في ١٩ـ١١ ١٨٩٥ ، كتب في مذكراته :

« لقد تحول مركز الثقل في هذه الحملة إلى لندن » (ص ٢٧٦) .

وانتقل هو نفسه ، في اليوم التالي ، إلى لندن .

وبعد ثلاثة أشهر تقريباً بدأ يحاول الإتصال بمسؤولي دولة ثالثة ، النمسة . كتب إلى رئيس حكومتها ، باديني ، في ١٨ – ٢ – ١٨٩٦ ، يطلب مساعدته ويعده أن يُدخله التاريخ إن فعل ذلك :

« إن السياسي المسيحي الذي يتبنى القضية سيدخل في تاريخ العالم من الباب نفسه الذي أُحاول أن أفتحه أمام جماهير اليهود المساكين . هذا دون أن أُشدد الآن على الفوائد السياسية السريعة التي ستأتي أيضاً عن نجاح هذا المشروع .» (ص ٣٠٣) .

لكن صديقاً له ، قسيساً بريطانياً إسمه هكلر ، شجعه في ١٠ – ٣–١٨٩٦ على التركيز على ألمانية وعلى طلب العون من رجال الدولة فيها . ذلك لأن هكلر :

« كان معلماً في بلاط دوق بادن الكبير . وهو يعرف قيصر ألمانية ويظن أن بإمكانه أن يرتب لي موعداً للمقابلة » (ص ٣١٠) .

هذا ما شجع هرتزل على أن يقرر محاولة طرق باب قيصر ألمانية أولاً ، في جلسته مع القسيس المذكور .

« أتينا فيما بعد إلى صلب الموضوع . أخبرته أنه يجب علي أن أقوم باتصال ما ، مع سياسي مسؤول أو غير مسؤول ، مع وزير دولة مثلاً أو مع أمير . سيُنظر إلى هذا الإتصال من الخارج . وسيصدقني اليهود ويتبعونني . قيصر ألمانيه هو الشخص الأفضل لهذا الأمر . إنما لا بد من مساعدة لتحقيق هــذه المهمة . فحتى الآن لم أُواجه إلا العقبات التي استنفذت الكثير من قواي . فأبدى هكلر إستعداده حالاً لأن يذهب إلى برلين ويتوسط لي مع قسيس البلاط ومع الأمير جنثر والأمير هنريك إذا أعطيته تكاليف السفر . طبعاً وعدته بدفع التكاليف ، مع أن ذلك تضحية مني ليست صغيرة . إنما أنا مستعد أن أُغامر بهذا من أجل مطمع التكلم مع القيصر . » (ص ٣١٢) .

وعلى هذا الأساس بدأ هرتزل يعتمد على هكلر في تدبير أمر اتصاله

بالقيصر الألماني في ١٣ ـ ٤ ـ ١٨٩٦ . وبعد عشرة أيام كان هكلر قد رتب له موعداً مع دوق بادن الكبير . فقد قال هكلر لهذا الدوق :

« كنت يا صاحب السمو أول أمير ألماني دعا في فرساي لتنصيب الملك وليم إمبراطوراً . فما رأيك بأن تلعب دوراً في إنشاء عظيم لدولة تقوم في هذا القرن أيضاً ، لأن اليهود سيكونون أمةً عظيمة ؟ » (ص ٣٢٩) .

وكان نتيجة ذلك أنْ :

« لقد أرسل الدوق الكبير ورائي . وفي هذا العمل برهان على أنه ، والقيصر أيضاً بالطبع ، مهتمان بالقضية جدياً . وهو أمر عظيم لا يكاد يُصدَّق . وإذا صح سينزل على العالم نزول الصاعقة » (ص ٣٢٧) .

وقد سجل هرتزل تفاصيل مقابلته مع الدوق الكبير ، خاصة ما كـــان يتعلق بمطاليب هرتزل منه ، وهي :

« إن مهمتي هذا المساء هو أن أُقنع الدوق الكبير ، بأن يحصل لي على مقابلة مع القيصر وأيضاً أن يتكلم عني وعن قضيتي عند دوق هس الكبير حمي قيصر روسية ، إذ لا بد من أن يتكلم دوق هس الكبير في سانت بيترزبرغ عندما يحضر تتويج قيصر روسية . » (ص ٣٣٠) .

« لقد اهتم دوق بادن الكبير باقتراحي بأن تقـــوم دولة منذ البدء . وكان الشيء الوحيد الذي يخشاه من مساندة القضية هو أن يُساء فهم هذه المساندة وينظر إليها كعمل لاسامي . فطمنته أن الذين سيذهبون من اليهود هم فقط الفئة التي تريد الذهاب . فاليهود مثلاً الذين في بادن راضون عن حكمه ولن يهاجروا ولهم حق في ذلك . وكنت أثناء حديثي معه أعود بين الوقت والآخر إلى موضوع صداقته لليهود لأقنعه بأنه إذا ساعد قضيتنا ، لن يبدو ذلك معادياً لليهود أبداً ، وإنه من واجبنا نحن زعماء اليهود أن نقنع الشعب أن تأسيس دولة يهودية هو من صالح اليهود وليس إضطهاداً لهم . وأضفت : إذا انتشر

خبر معاملتك الحسنة لليهود فسوف ينهال على دوقية سموّكم عدد كبير منهم مما قد لا تحمد عقباه » . (ص ٣٣٤) .

« تطرق الدوق الكبير إلى ما ذكرته الصحف عن سوء حال اليهود الذين هاجروا إلى لندن . فقلت : لهذا بالضبط يتوجب إيجاد قوة تراقب الأمور ، ولهذا لا يمكن الإستغناء أبداً عن إعتراف الدول الكبيرة بنا منذ البدء . أجاب الدوق الكبير ، إن ألمانية لن تبادر إلى الأخذ بمثل هذا العمل ، أولاً لأنها لا تهتم بالمسألة إلى القدر الذي تهتم به النمسة التي فيها المشاكل اللاسامية بسبب لويجير . إن اليهود في ألمانية ليسوا كثيرين ، ولن يؤثر تركهم حتى ولا في الحالة الإقتصادية ، أو يحسّنهـا . وهنا عدت إلى القول بأن الفائض من اليهود فقط سيترك . وشرحت له أن الممتلكات التي يمكن نقلها لن تكون لاصقة بالبلد التي هي فيه بالضرورة ، وكيف أنه بعد إيجاد حلّ للمسألة اليهودية سترجع إلى أكثر ما كانت عليه . كذلك أتيت على ذكر الخطر الذي سيكون في البلاد بسبب كثرة رؤوس الأموال ، ذلك أنها سوف تشجع الصناعة في البلاد البعيدة وبيد عاملة أرخص . لن يحتاج الصينيون أن يأتوا إلى أوروبة لأن المصانع أصبحت تقام لهم هناك . وهكذا بعد أن هددت أميركه الزراعة ، أخذ الشرق الأقصى يهدد الصناعة . ولمنع هذا فأنا أدعو إلى حركة تعمل على جبهتين : تصفية الفائض من اليهود العمال ، وحفظ رؤوس الأموال الدولية تحت المراقبة. سيضطر اليهود الألمان أن يرحبوا بهذه الحركة ، لأنها ستحول عنهم إنهيال يهود شرق أوروبه . وكان الدوق الكبير يعلق طيلة الوقت على كلامي بقوله : حبذا لو حصل ذلك . ثم التفت إلى هكلر وقال : أظن أنه لا أمل من التعاون بين إنجلتره وألمانيه ، لأن العلاقات بين البلدين سيئة الآن . أتظن أن إنجلتره ستسير في المشروع ؟ فقلت : يجب أن يفكر يهودنا الإنجليز بالأمر . فقـال الدوق الكبير بشيء من الإستياء : إذا استطاعوا ذلك ... قلت : إن القضية ستكون أقوى وقعاً إذا أُذيع أن دوق بادن الكبير مهتم بها . فصاح : هذا ليس صحيحاً ، ليست لي كل هذه السلطة . حبذا لو ساند القضية قيصر ألمانيه أو

ملك بلجيكه . ولكني عدت إلى التشديد عليه قائلاً : ولكن دوقاً مجرّباً مثلك ، أنت الذي ساعدت في صنع الأمبراطورية الألمانية ، أنت الذي يستشيرك قيصر ألمانية ، إذا أنت سندت المشروع فسوف تثبته . إن سموك هو مستشار القيصر » (ص ٣٣٦ – ٣٣٧) .

« ثم سألني الدوق الكبير ما إذا كنت عملت شيئاً بخصوص السلطان . وهنا أخذت أشرح له الفوائد التي ستعود على الشرق من هذا المشروع . إذا تم تقسيم تركية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين دولة حاجزاً . هذا ونستطيع أن نلعب دوراً كبيراً في المحافظة على تركية . نستطيع أن نسند السلطان سنداً قوياً بالمال ، إذا هو تخلّى لنا عن قطعة أرض لا قيمة كبيرة لها عنده .

وتساءل الدوق الكبير ما إذا كان من الأفضل أن يذهب بضع مئات الآلاف من اليهود أولاً إلى فلسطين ومن ثم تثار القضية . فقلت بحزم : أنا ضد هذا لأنه يعني إدخالهم بالسر ، مما يعني أن هؤلاء اليهود سيجابهون السلطان كمتمردين . أريد أن أقوم بكل شيء علانية ، أريد أن أعمل ضمن القانون . أذهله كلامي الحازم هذا أولاً ولكنه ما لبث أن وافقني . ثم توسعت في موضوع الفوائد العامّة التي ستجنيها أوروبه من هذا المشروع . سنرجع الصحة إلى مركز الوباء في الشرق . سنبني سكك حديد في آسيه – ونشق الطريق للأمم المتحضرة ، وهذه الطريق لن تكون في يد دولة كبيرة واحدة بل للجميع . قال الدوق الكبير : إن هذا سيحل المسألة المصرية . تتمسك إنجلترة بمصر فقط للمحافظة على طريقها للهند ، ولكن مصر تكلفها أكثر مما تساوي .

وسأل هكلر ، هل لروسية مخططات في فلسطين ؟ أجاب الدوق الكبير : لا أظن ذلك لأن روسية ستبقى بعد مدة طويلة مشغولة بالشرق الأقصى .

وسألته : هل يظن سموك أنه باستطاعتي أن أحظى بمقابلة قيصر روسية ؟ قال : إن التقارير الأخيرة تقول بأن القيصر لا يقابل أحداً ، إنه لا يقابل إلا

وزراءه عند الضرورة ولا أحد غيرهم . على أنه يمكن المحاولة مع هس فربما استطاع أن يضع كتابك بين يديه . » (ص ٣٣٨) .

مع أن هرتزل بدأ امام دوقبادن الكبير ، الألماني ، بمظهر الصديق الحميم لألمانية الساعي وراءَ مصلحتها ، كان في الواقع يفكر بالإتصال بمعظم دول أوروبة ومسؤوليها ، وكان على استعداد لعرض خدماته على كل واحد منهم ، زاعماً أمام كلٍ منهم أن مخططه الصهيوني لن يخدم إلا مصالح تلك الدولة الّتي ينتمي محدّثه إليها . ففي الوقت الذي كان فيه يباحث دوق بادن الكبير ، كان يجري إتصالات أُخرى مع غيره . كتب في ٢٣ ــ ٤ ــ ١٨٩٦ :

« أخبرت هكلر أن القاصد الرسولي في فينّه أجلياردي أرسل إلي (بواسطة مونز) أنه يريد أن يتحدث معي . أخبرته هذا حتى أجعله يقنع السفير الإنجليزي مونسن لأن يتكلم . لكن هكلر حذرني من أجلياردي ومن رومة . أما أنا فلم يسئني ذلك وقلت في نفسي : لتقم الغيرة بينهم ، بين الإنجليز وبين الروس ، بين البروتستانت والكاثوليك . وليتخاصموا من أجلي ، هذا كفيل بأن ينشر قضيتنا . » (ص ٣٣٢) .

وكان هرتزل في الواقع قد حاول الإتصال بالبابا وفشل لأن الظروف لعبت ضـــده :

« أرسل إليّ القاصد الرسولي أجلياردي بواسطة زميلي مونز منذ وقت أنه مستعد أن يستقبلني ، ولسوء الحظ لم أذهب حالما بعث إلي بالخبر . إنـــه اليوم في رومه ، طلبه البابا إلى هناك ليفوضه بتمثيله في احتفالات تتويج القيصر [الروسي] . لو كنت تكلمت مع القاصد الرسولي لكان الأمر وصل إلى البابا وإلى قيصر روسية ، إذ أن قبولهما ضروري من أجل كنيسة القيامة » . (ص ٣٢٢) .

لكنه نجح في ١٩ ــ ٥ ــ ١٨٩٦ بمقابلة القاصد الرسولي في فينّه ، وطلب

منه مساعدة البابا للمشروع الصهيوني :

« قلت : لا نريد مملكة ، وإنما نريد جمهورية أرستقراطية . نريد فقط مصادقة الدول الكبرى وخصوصاً مصادقة قداسة البابا ، وعندها نركز أنفسنا ، وتكون القدس خارج حدود الدولة . وسنصلح أُمور السلطان المالية . فابتسم أجلياردي وقال : سيكون مسروراً بهذا . أيعني أنكم ستتركون القدس وبيت لحم والناصرة وتقيمون العاصمة في الشمال ؟ أجبت : نعم . وهنا قال إنــه يشك في أن تقبل الدول الكبرى وخصوصاً روسية بهذا . كذلك قال إنه لا يؤمن بأن هذا هو الحل للمسألة اليهودية » . (ص ٣٥٣) .

وكان هرتزل ، في الوقت نفسه ، يبذل جهداً كبيراً للإتصال بمسؤولي الحكومة البريطانية أيضاً بعد فشل مساعيه السابقة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥ . وبعد مساعٍ طويلةنجح في الحصول على رسالة من جلادستون رئيس الحكومة البريطانية ، إلى صموئيل مونتاجو ، اليهودي وعضو مجلس العموم البريطاني، في مدح كتيب هرتزل « الدولة اليهودية » الذي بعث مونتاجو بــه إلى الرئيس البريطاني ، في حزيران (يونيو) ١٨٩٦ .

« إن موضوع الكتيب الذي تفضلت بإرساله إليّ شيق للغاية ، ومن الصعب على الغريب عن الموضوع بأن يتوصل إلى حكم بخصوصه وأن يتمكن من إبداء أي حكم . ولكني دهشت جداً لمدى الكدر الذي استولى على اليهود . وأنا بالطبع أعارض اللاسامية معارضة شديدةً .» (ص ٣٦٠) .

كما نجح هيرتزل في كسب تأييد المطران الأنجليكاني البريطاني ولكنسن الذي كتب هرتزل عنه أنه :

« إعتبر الأمر عملياً ، وحتى لو كانت بدايته بداية عمل مصلحي إلا أنه قد يصبح عملاً عظيماً . وبعد ، ألمْ تقم إمبراطورية إنجلتره في الهند بطريقة عفوية . وفي النهاية باركني وطلب بركة الله على هذا المشروع » . « ص ٣٦٤)

كانت محاولات هرتزل هذه ، مع المسؤولين في ألمانية والنمسة وروسية ورومه وإنجلتره ، هي في الواقع تمهيدات للإتصال بالسلطان العثماني ، عبد الحميد ، الذي كانت فلسطين تقع ضمن ممتلكاته الأسيوية . وكان صديقه الصهيوني لاندو قد أوحى له ، منذ ٢١ – ٢ – ١٨٩٦ ، بفكرة وصفها هرتزل بأنها « جيدة » (ص ٣٠٥). وهي أن يوسط مع السلطان صديقه نيولنسكي ، ناشر « بريد الشرق » . كما أن صديقاً آخر لهرتزل ، صموئيل مونتاجو ، أوحى له بفكرة أخرى من خلال مقال كتبه هذا السياسي البريطاني في نقد لكتيب « الدولة اليهودية » في جريدة « الديلي كرونكل » في الأسبوع الأخير من شباط (فبراير) ١٨٩٦ – وهي فكرة رشوة السلطان بمليوني جنيه مقابل الحصول على فلسطين (ص ٣٠٦).

هاتان الفكرتان وقفتا وراء مساعي هرتزل ، منذ أوائل أيار (مايو) ١٨٩٦ ، للإتصال بالسلطان العثماني . كتب في ٣ – ٥ – ١٨٩٦ :

« زارني ديونس روزنفيلد رئيس تحرير « البريد العثماني » في القسطنطينية : وقد عرض علي خدماته بالتوسط . يقول إنه على علاقة طيبة مع عزت بك الرجل المقرب من السلطان . أخبرته بكلمات قليلة عن القضية وقلت له إننا سندفع لتركية كثيراً وسنقدم عطايا كبيرة لمن يتوسط لنا ، إن نحن حصلنا على فلسطين ، ونحن لا نرضى بأقل من التنازل عنها كبلد مستقل ، ومقابل هذا نحن مستعدون أن نسوّي أوضاع تركية المالية . سنأخذ الأراضي التي يمتلكها السلطان ضمن القانون المدني ، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية وبين الممتلكات الخاصة . يقول روزنفيلد إن الوقت في صالحنا الآن ، لأن تركية في مأزق مالي . ولكنه يؤمن بأن الملكية لن يتخلّى عنها – وأحسن ما ستؤول إليه هو حالة مثل بلغارية . هذا رفضته أنا حالاً .

يريد روزنفيلد أن يذهب إلى بلده حالاً ، ويؤكد لي أن باستطاعته أن يؤمن لي موعداً مع السلطان في آخر أيار (مايو) . ولكني صارحته بأني لن

آتي إلى القسطنطينية إلا إذا أكّد لي عزت بك موعداً مع السلطان » (ص٣٤٤).

وحتى يبرهن هرتزل للسلطان العثماني على فائدة اليهود له إن هو تعاون معهم ، قبل أن يخوض قضية الخلاف الشديد الذي كان ناشباً آنذاك بين الحكومة التركية وبين العناصر الأرمنية الإستقلالية التحررية ، وأن يقف إلى جانب الحكومة ضد إرادة الشعب الأرمني . كتب في ٧ ــ ٥ ــ ١٨٩٦ :

« جاء نيولنسكي ليزورني وكنت قد اتصلت به تليفونياً . وأطلعته باختصار على تطورات القضية ، أخبرني أنه قرأ كراستي قبل ذهابه إلى القسطنطينية وتحدث عنها مع السلطان ، وأن السلطان قال إنه لن يتخلى أبداً عن القدس. يجب أن يبقى جامع عمر بيد المسلمين دائماً . قلت له ، سندبر هذا الأمر . سنجعل القدس خارج حدود الدولة ، وبهذا لا تكون لأحد وحده وتكون للجميع في الوقت نفسه ــ المكان المقدس الذي يمتلكه كل المؤمنين ، بلد الثقافة والأخلاق المشتركة . وكان نيولنسكي يعتقد أن السلطان يفضل أن يعطينا أناضوليه لأن المال لا يعني شيئاً له ، وهذا شأن كثير من الحكام . ولكن هناك طريقة أخرى يمكن أن تؤثر على السلطان بها ، وهي مساندته في قضية الأرمن . ونيولنسكي الآن يقوم بمهمة سرية للسلطان، أرسله السلطان إلى اللجان[الأرمنية] في بروكسل وباريس ولندن ، ليحملهم على الإذعان له ، فإذا ما قبلوا فسوف يمنحهم السلطان عن طيب خاطر الإصلاحات التي رفض أن يعطيهم إياها تحت ضغط القوى الكبيرة . لذلك طلب مني نيولنسكي أن أؤمن مساعدة اليهود للسلطان في مسألة الأرمن ، حتى ينقل للسلطان هذا الخبر الذي سيرضي السلطان ويحرز تقديره . وجدت الفكرة هذه ممتازة ، ولكني أخبرته أننا لن نعطي هذه المساعدة مجاناً ، سنعطيها فقط بدلا عن خدمات مؤكدة لقضية اليهود . وهنا أشار نيولنسكي أن ما يطلب منا هو أن نساعد على الحصول على هدنة من الأرمن . كانت اللجان الأرمنية قد قررت القيام بإضراب في تموز ، يجب أن نقنعهم بالإنتظار شهراً ، وخلال هذه المدة نقوم

بمفاوضات مع السلطان ، وبما أن نيولنسكي أصبح مهتماً بقضية اليهود ، يريد أن يماطل في مسألة الأرمن ليستفيد من ذلك ، لأنه يرى في ذلك أن قضية تسند أخرى . وقد قلت له : إنك ستستفيد من قضية اليهود أكثر من قضية الأرمن ، أنا نفسي لا أستطيع أن أعدك بمال ولكني سأوصي بك رجالنا الأثرياء . ونيولنسكي الذي هو على علاقات طيبة مع السلطان يؤكد بأن بهذه الخطوة تستطيع أن تنجح ولكنه يجب أن لا تتدخل أي الأوساط السياسية ، بل بالعكس ربما كان من الأفضل أن تعاكسنا هذه الأوساط وعندها نحصل على ما نريد من السلطان الذي سيفعل ذلك ليكيدهم .

وفي المساء شرح لي ابن عم زوجتي حالة تركية الإقتصادية . ولذا فأنا أرى الآن أن الخطة المالية التي يجب أن نسير عليها هي أن نضع نهاية لبعثة الحماية الأوروبية ونحمل على عاتقنا مهمة التحويل فنكون بهذا قد خلصنا السلطان من خضوعه للحماية بحيث يستطيع أن يأخذ ما يريد من الديون الجديدة.»(ص٣٤٥).

أخذ هرتزل ، بعد ذلك ، يتدخل في القضية الأرمنية بالفعل ، لينال رضى الحكومة التركية . كتب في ١١ – ٥ – ١٨٩٦ :

« أنا أكتب لنوردو عن الأرمن لأطلب مساندته . وقد تكلمت مع هكلر وطلبت منه أن يخبر السفير مونسن أن عميلاً للسلطان قد ذهب إلى بروكسل ولندن ليصالح الأرمن . يجب أن يخبر مونسن سولزبري ، لأن سولزبري سيجد في هذا نجاحاً سياسياً عظيماً » . (ص ٣٤٨) .

وكتب في اليوم التالي :

« كان هكلر هنا . لقد سر الحبر مونسن كثيراً ، لأن إنجلتره تريد السلام في أرمينية . وقد اقترحت أن يحمل سولزبري على تجديد التصريحات التي أدلى بها من أجل المصالحة » . (ص ٣٤٨) .

وكتب الرسالة التالية إلى نيولنسكي في لندن :

« لقد بدأت بالعمل لك وآمل أن ترى النتائج ، خاصة أني اتصلت

بسولزبري ويظهر أنه يمكننا أن ننتظر منه موقفاً حسناً في هذا الأمر . أما بالنسبة لأبناء ديني فقد أقنعتهم ، وهم الآن يعملون في باريس وفي لندن ، ولكن هناك عدداً من أصدقائي ممن يقدمون إعتراضاً على جانب من الخطورة . إننا نجازف بالقيام بعمل ملك بروسية وإنه متى توصّل إلى المصالحة فسوف تنسى قضيتنا حالاً . ويعتقد أحد أصدقائنا وهو صاحب نفوذ قوي أنه يجب ألا نقوم بهذا التوسط لأن إزالة هذه القوة الكبيرة سيكون أكثر فائدة لنا .

على أني ، كما أخبرتك من قبل ، لا أوافق على هذا وأعتقد أنه من صالحنا أن نسير في العمل الذي أشرت إليه . أريد أن أحافظ على القوى الحاضرة وأقويها حتى تعرف أنها تتعامل مع أصدقاء » . (ص ٣٤٨) .

وكتب هرتزل في مذكراته ليوم ١٤ ــ ٥ ــ ١٨٩٦ :

« كان س . كلاتشكو الذي يقوم بالترجمة الروسية هنا . لما أخبرني أثناء الحديث أنه كان نهلياً (من جماعة النهلست) ، سألته ما إذا كان يعرف اللجان الأرمنية . قال إنه يعرفها ، إن الزعيم في تفليس ، الأويردوف ، هو خطيب فتاة تعيش في بيت كلاتشكو وهذا له إتصالات بالرئيس في لندن ، نكولادز ، بواسطة الروسي زاكوسكي . فطلبت منه أن يكتب لزاكوسكي أنني قد عرفت برغبة السلطان بالمصالحة وأنني قد أرسلت من يقوم بالمفاوضة لهذه الغاية وهو رجل يستطيع الأرمن أن يتعاملوا معه ويأتمنوه . وأنا أعتبر عرض الصلح هذا مخلصاً ، على أنني لا أقدر بالطبع إلا بقدر ما أخبرني به المفاوض . ولكن لن يخسر الأرمن شيئاً إن حاولوا . فإذا حدث بعد إذعانهم الشريف للمصالحة أن رفض السلطان أن يعطيهم الإصلاحات المطلوبة في الوقت المعين لها ، عندها يستطيعون أن يعلنوا على الناس أنهم خدعوا ويقدموا تفاصيل مفاوضاتهم كلها علانية . وقد وعدني كلاتشكو أن يكتب بهذا إلى لندن حالاً .» (ص ٣٤٩) .

وأسرع هرتزل بعد هذا وأرسل إلى نيولنسكي في لندن يبلغه بما حصل ، في ١٥ ــ ٥ ــ ١٨٩٦ . ولعله أراد من قوله « اللجان الروسية » أن يقول

« اللجان الأرمنية في روسية » :

« هيأت الأمور لك مع اللورد س ، وطلبت من أصدقائي أن يتصلوا بزعماء الحركة الأرمنية ، وفي لندن أعتقد أن نكولادز هو الرجل الذي يجب أن يُتكلم معه ، وقد تبرع أحد أصدقائي أن يقوم ببعض العمل مع زعيم اللجان الروسية في تفليس . يجب أن تتغلب على عدم ثقة الأرمن ، لأن زعماءهم سيظنون أننا نطلب لهم التسوية بإذعان لا فائدة منه بل بالعكس ربما خرّب عليهم الحركة كلها » . (ص ٣٥١) .

وبعد تلك الرسالة بساعات كان هرتزل يكتب إلى نيولنسكي رسالة ثانية يصحح خطأً في الرسالة الأولى :

« ان رئيس الحركة في لندن هو افتيس نزار بلك » . (ص٣٥١).

بعد هذه المقدمات ، في شهر أيار (مايو) ١٨٩٦ ، حصر هرتزل في شهر حزيران (يونيو) تفكيره في معظم الوقت في تدبير أمر لقائه مع السلطان العثماني . فوسط نيولنسكي رسمياً في ٩ – ٦ – ١٨٩٦ :

« وصف لي نيولنسكي إنطباعاته عن الإنجليز ، قال : إن الناس هنالك ينتظرون سقوط تركية الذي هو وشيك في نظرهم . ولا يجرؤ أي رئيس للحكومة أن يعلن مساندته للسلطان لأنه بذلك يثير الرأي العام ضده . هناك فكرة لإعلان الأمير البلغاري فردناند ولياً للعهد في تركية . ويظن نيولنسكي أن خلاص السلطان لا يكون إلا باتفاقه مع حزب تركية الفتاة لأنه ذو علاقات طيبة مع المسدونيين والكريتيين والأرمن وغيرهم – وبعد ذلك يستطيع أن ينفذ الإصلاحات بمساعدة هذا الحزب . وقال إنه قدم تقريراً للسلطان يتضمن هذه النصيحة . فقلت له إنه الآن يجب أن يزيد هذه الحقيقة على البرنامج الذي قدمه للسلطان وهي أن يساعد السلطان اليهود ، يعطيهم قطعة الأرض التي يريدون وهم بدورهم يصلحون أمره في البلاد ويثبتون ماليته ويؤثرون على الرأي العام العالمي ليقف إلى جانبه . » (ص ٣٦٢) .

وقد قدّر هرتزل ثمن فلسطين ، لنيولنسكي، في ١٥ – ٦ – ١٨٩٦ ، بمبلغ عشرين مليون ليرة – بينما كان مونتاجو قد فكّر بعُشر المبلغ فقط . (ص ٣٦٥) . سيصرف المبلغ هكذا :

« نصرف عشرين مليون ليرة تركية لنصلح الأوضاع المالية في تركية ، ندفع من هذا المبلغ مليونين بدل فلسطين. وهذه الكمية تستند على تحويل رأس مال من مدخول الحكومة الحاضر الذي هو ثمانون ألف ليرة تركية في السنة . وبالثمانية عشر مليوناً تحرر تركية من بعثة الحماية الأوروبية . أما أصحاب الأسهم من الفئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة فسوف نحملهم على الرضى بإزالة البعثة وذلك بإعطائهم إمتيازات خاصة – فوائد أعلى وتمديداً لملكية الأرض الخ . » (ص ٣٦٥) .

أراد هرتزل من نيولنسكي أن ينقل خبر هذه العشرين مليون ليرة إلى السلطان قبل أن يذهب هو بنفسه إلى القسطنطينية . وقد ذهب إليها بالفعل في ١٨ – ٦ – ١٨٩٦ . وكانت هي زيارته الاولى لعاصمة العثمانيين . هناك أجرى أول إتصال له ، رسمي ومباشر ، مع المسؤولين الأتراك : مع ابن الصدر الأعظم ، جاويد بك ، أولاً :

« كانت معارضاته ما يلي : مصير الاماكن المقدسة . قال إن القدس يجب أن تظل تحت الإدارة التركية ، لأن أي تغيير في ذلك سيسيء إلى مشاعر الناس الدينية . فوعدته أن تبقى القدس خارج حدود الدولة ، لأن الأماكن المقدسة التي تخص العالم المتمدن يجب أن تكون للجميع وليس لأحد بالذات وفي النهاية لا بد أن نقدر على إبقاء القدس على حالتها الراهنة . وسأل جاويد بك عن العلاقة التي ستكون بين الدولة اليهودية وبين تركية ، وهو سؤال يشبه تماماً ما سأله زياد عن تبعية فلسطين لا إستقلالها . قلت إنني أرى النجاح لا يتم إلا بالإستقلال ، ولكننا على أي حال سنتحدث في نوع من الحكم مثل ذلك الذي في مصر أو في بلغاريه ، أي علاقة فرعية . وأخيراً سأل جاويد عن نوع الحكم

الذي سيكون لهذه الدولة . أجبت : جمهورية أرستقراطية . فاحتج جاويد بشدة قائلاً : إياك أن تذكر كلمة « جمهورية » للسلطان . إن الناس هنا يخافون منها خوفهم من الموت . إنهم يخافون أن تنتقل عدوى هذا النوع من الحكم الثوري إلى كل مقاطعة . فأخبرته أن ما أفكر به أنا هو نوع من الحكم يشبه الحكم الموجود في البندقية . هذا وتوسلت إليه أن يكون موجوداً في المقابلة التي رتبت لي مع أبيه الصدر الأعظم خليل رفعت باشا . وقد وعدني بذلك » . (ص ٣٧١) .

وحتى يفرض على السلطان جواً معيناً قبل أن يقابله ، إتصل هرتزل بترجمان السفارة الروسية لعلها تضغط على السلطان ليقبل مشروع هرتزل ، في ١٩ ــ ٦ ــ ١٨٩٦ :

« أخبرته باختصار عن الغاية من زيارتي ، ولكي لا يفاجأ تكلمت أولاً بحذر عن الإستعمار . ولفت إنتباهه إلى أني سأتصل بالسفارة الروسية قبل أن أتكلم مع الحكومة التركية . وقلت له إنني أنوي وآمل أن أجتمع بقيصر روسية بواسطة قريب له (وكنت أفكر بأمير ويلز ولكني لم أسمه) .

... ثم انتقلت إلى التعمق في الحديث عن مخططي فقلت إنه لن يكون إستعمار على نطاق ضيق بل على نطاق واسع . نريد البلاد لحكم ذاتي . » (ص ٣٧٣) .

في ١٩ ــ ٦ ــ ١٨٩٦ قابل هرتزل الصدر الأعظم في القسطنطينية :

« إستمع إليّ الصدر الأعظم بكل هدوء . وسأل بعض الأسئلة . منها : فلسطين كبيرة ، في أي جزء منها تفكرون ؟ فنقل المترجم إليه جوابي : إن ذلك يعتمد على مدى ما نقدمه نحن من منافع . سنضحي بكمية أكبر لجزء أكبر من البلاد » . (ص ٣٧٥) .

وقابل أحد رجال وزارة الخارجية ، نوري بك :

« أخبرته ما كنت قد أخبرت الصدر الأعظم به من قبل ، إننا نريد أن

نحرر تركية من بعثة حماية الديون ، وبعدها يمكن السير في إعادة التنظيم كله . وقد اغتبط نوري بهذا ولكنه أبدى اهتمامه بالأماكن المقدسة ، من سيتعهدها ؟ فطمأنته قائلاً : سندبر هذا الأمر ، عليك أن تتذكر أننا المشترون الوحيدون لشيء لا قيمة له أبداً ولا يرجى منه نفع لغيرنا — ومشترون بأسعار مرتفعة » . (ص ٣٧٧) .

كما قابل رفيقه في الرحلة ، نيولنسكي، السلطان عبد الحميد. وقد أخبر نيولنسكي هرتزل بما حصل له في المقابلة :

«قال السلطان لي: « إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر . لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد ، لأنها ليست لي بل لشعبي . لقد حصل شعبي على هذه الأمبراطورية بإراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا . لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سورية وفي فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في بلفنه لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم ، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال . الإمبراطورية التركية ليست لي وإنما للشعب التركي ، لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها . ليحتفظ اليهود ببلايينهم ، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل . إنما لن تُقسم إلا جثتنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان » . (ص ٣٧٨) .

إزاء هذا الفشل الذريع قرر هرتزل أن يستعمل وسيلتين أخريين للتعويض وللإستمالة — أن يستميل السلطان بواسطة خدمته في القضية الأرمنية ، وأن يقدم له جزيرة قبرص مع مبلغ من المال !

« كانت نصيحة عزت بك أن يشتري اليهود أي مقاطعة أخرى ويقدمونها لتركية كبديل لفلسطين مع مزيد من المال . ففكرت رأساً بقبرص . إن فكرة عزت جيدة ، وتبين أن الرجل يفكر بنا ومن أجلنا » . (ص ٣٨٣) .

« طلب مني السلطان أن أقوم بخدمة له ، وهي أن أؤثر على الصحف الأوروبية (في لندن وباريس وبرلين وفينّه) أن تتحدث عن المسألة الأرمنية بلهجة أقل عداء للأتراك ، كذلك طلب أن أقنع زعماء الأرمن بالإذعان لـه مباشرة وبعدها يصبح هو مستعداً لأن يعطيهم ما يطلبون ... أخبرت نيولنسكي حالاً أني مستعد أن أقوم بهذه الحملة . ولكن عليهم أن يعطوني فكرة وافية عن الوضع الأرمني : من هم الأشخاص ، في لندن ، الذين يجب أن أقنعهم بما يريدون وأي الجرائد يجب أن نستميلها لجهتنا وغير ذلك ... طبعاً جهودي تكون ميسّرة أكثر لو قبل السلطان أن أقابله . » (ص ٣٨٧) .

بدأت هذه السياسة تنتج قليلاً . أو هذا ما اعتقده هرتزل حسبما سجله من أخبار وملاحظات في ٢٥ – ٦ و ٢٧ – ٦ – ١٨٩٦ . و« لطفي اغا »الذي يذكره هرتزل في المقطع الاخير هو في الحقيقة لطفي اغا وقـد اخطأ هرتزل في تهجئة اسمه عدة مرات :

« عزت (الذي هو لسان حال السلطان) أو السلطان (الذي هو لسان حال عزت) مستعد أن يسمح بفلسطين شرط أن توجد الصيغة المناسبة لإنجاز ذلك . والسبب لأن الأمور تزداد سوءاً معهم لذلك يجب أن لا يبيعوا أي قطعة مـن البلاد . هذا ما قاله نيولنسكي وهو يقول إن فكرتي سائرة في طريق النجاح . » (ص ٣٩٣) .

« يعتقد نيولنسكي أن الأتراك راغبون في إعطائنا فلسطين . يقول إن الوضع هو كما يحصل للرجل عندما يحس أن المرأة مستعدة أن تستسلم له – في وضع كهذا لا يستطيع المرء أن يقول عمّا يكوّن تكهـّنه . ثم قال : إنها عاهرة لا أدري لماذا ولكني متأكد بشعوري من ذلك . » (ص ٣٩٤) .

« ثم تطرق [السلطان] إلى فلسطين ، وهنا بدأ بتأنيب نيولنسكي لأنه عالج الموضوع بدون تفكير ، ولأن نيولنسكي مطلع على الحالة فقد وجب عليه أن يعرف أن فلسطين لا يمكن أن تعطى بيعاً ، ثم قال إنه سمع من أصدقاء لهرتزل أن هناك مجالاً للمبادلة . يظهر أن فكرة المبادلة هذه التي اقترحها عزت

بك قد وصلت إلى السلطان كأنها إقتراح منا . وقد كان عزت المترجم اليوم عند إجتماع نيولنسكي مع السلطان .

لم يعرف نيولنسكي ماذا يجيب على هذا . لذلك قال للسلطان إن مثل هذا الإقتراح يعرف عنه هرتزل وإنني أتوق جداً إلى مقابلته . فأجاب السلطان : لا بأس ، وعلى كل حال فسوف أرى هرتزل إن عاجلاً أو آجلاً . ولفت نيولنسكي إنتباه السلطان إلى أنه يجب أن أكون في لندن لمقابلة هامة في أوائل تموز .. وعلى هذا رد السلطان ، بأنه سينظر في هذا . إذن ، فسوف أقابل السلطان بعد هذا الإنتظار . وقد كشف السلطان فيما بعد عن أمر هام ، وهو أن دولة كبرى قد تهتم بموقفه من اقتراحي . ولكن نيولنسكي لم يتمكن من سؤاله عن هذه الدولة الكبرى . وهنا يجب أن أزيد ملاحظة لي : لقد حققت حتى الآن أمراً أو أمرين ، إذا كانت خطتي التي سماها البعض جنوناً هي الآن موضوع الأوساط الديبلوماسية في الدول الكبرى . ثم سأل السلطان ، هل اليهود مصممون على أخذ فلسطين بأي ثمن ؟ ألا يمكن أن يعيشوا في بلد آخر . أجاب نيولنسكي : فلسطين مهدهم ، إليها يريدون أن يرجعوا. فعقب السلطان على ذلك قائلاً : ولكن فلسطين مهد الأديان الأخرى كذلك . » وعلى هذا أجاب نيولنسكي : إذا لم يستطع اليهود أخذ فلسطين فسوف يذهبون إلى الأرجنتين . » (ص ٣٩٤) .

« أخبرني نيولنسكي حكايات عن قصر يلدز ، أن الأحلام تلعب دوراً كبيراً فيه . فهناك لفطي آغا ياور السلطان الذي يحلم كثيراً ، ويظل لفطي آغا هذا مع السلطان دائماً ويخدمه شخصياً ويؤثر عليه كثيراً . إذ قال لفطي آغا إنه رأى في منام كذا وكذا يؤثر على السلطان ، فإذا قال لطفي آغا إنه حلم بأن اليهود قادمون إلى فلسطين فإن هذا أحسن من أي خطوة تقوم بها الأوساط السياسية كلها . » (ص ٣٩٦) .

إلا أن هذه التفاؤلات لم تسعف هرتزل . غادر تركية في ٢٨ – ٦–١٨٩٦

دون أن يمثل أمام السلطان . وبالطبع كان غاضباً لذلك . وأدرك أن عليه ، إلى جانب تحقيق وعوده للسلطان في خدمته في القضية الأرمنية ، أن يلجأ إلى بسمارك من جـــديد .

لذلك ، وبناءً على طلب السلطان ، أخذ منذ عودته يسعى لحل القضيـــة الأرمنية لصالح السلطان . كتب في ٧ ـ ٧ ـ ١٨٩٦ :

« أمس ، بدأت التحدث في القضية الأرمنية مع لوسيان وولف . طلبت منه أن يبدأ حملة صحفية صغيرة لتهدئة المشاعر في المسألة الأرمنية.» (ص٤١١).

أما بسمارك ففكر به وهو بعد في القطار بين تركية وبلغارية :

« كنا في طريقنا إلى صوفيه عندما أخذنا نتحدث في الخطى التي ستتلو .. يجب أن نحمل بسمارك على الإهتمام بقضيتنا . إن نيولنسكي على علاقات معه كما هو على علاقات مع مجلس الحكم البابوي الروماني الذي لا بد أيضاً من الإتصال به » . (ص ٤٠١) .

« قدم نيولنسكي الفكرة التالية : يجب أن يقترح على السلطان أن يتولى هو أمر الحركة الصهيونية ويعلن لليهود بأنه سيقدم لهم فلسطين كولاية تحت سيادته التامّة بحيث يكون لها قوانينها الخاصة وجيشها الخ ... ومقابل هذا يترتب على اليهود أن يدفعوا جزية تساوي حوالى مليون جنيه سنوياً . وهذه الجزية تكون رهناً لدين (نجمعه نحن) . إن هذه فكرة ممتازة ، وقد فكرت بمثلهـــا وأنا في القسطنطينية ، ولكني لم أتكلم عنها ، لأن هذا عرض مقبول وحتى الآن لم يسمح لي إلا بتقديم عروض غير مقبولة ، لأني غير متأكد من أن اللندنيين لا يتركوني في مأزق عند آخر لحظة . سآخذ الآن هذا العرض إلى لندن حيث ينتظرون بنفاد الصبر .

وأشار نيولنسكي أيضاً أن نثير اهتمام بسمارك بواسطة صديقه سيدني ويتمان . نستدعي ويتمان من لندن ليقابل نيولنسكي في كارلزباد ومن هناك

يذهب إلى فريدرخرخ . ويكون كل هذا على حسابي . سيقوم ويتمان بهذا من أجل صداقته مع نيولنسكي ولكن يجب أن نعوض عليه التكاليف بسخاء . وبعدها يكتب بسمارك إلى السلطان مقدماً له هذا العرض الذي اقترحه نيولنسكي وهو في القطار ، وعندها يستدعيني السلطان ، ويعلن النداء إلى اليهود ، فأنشر أنا هذا النداء في جميع أنحاء العالم . ويتم الأمر . يقول نيولنسكي : إذا نجحت في تهدئة الأرمن ، وإذا استطعت أن تقدم قرضاً بمليوني جنيه وإذا حصلنا على كتاب من بسمارك سننهي الأمر في أسبوع ! » (ص ٤٠٣) .

غير أن صموئيل مونتاجو حذره من أن يخدعه السلطان .

« إن أول وأهم ما يشك فيه مونتاجو هو السلطان ، إذا تم دفع جزية القرض له فإنه سيرمي بالمهاجرين اليهود جانباً .» (ص ٤١١).

وسريعاً ما وجد هرتزل الحل لذلك :

« سنقبل بجزية مليون جنيه ، ليقوم عليها جمع قرض بعشرين مليون ، ندفع الجزية والقرض على اقساط . » (ص ٤١١) .

وفي الوقت نفسه ، أعاد إتصالاته مع الحكومة البريطانية . وكعادته ، حاول إقناع المسؤولين فيها بأنه يعمل من أجلهم ولمصلحة بلادهم . كتب في ٩ ـ ٧ ـ ١٨٩٦ :

« تكلمت مع ألفرد كوهين وطلبت منه أن يحصل لي على مقابلة مع سولزبري بواسطة اللورد روتشيلد . قلت إنني أقوم بعمل في صالح سياسة اللورد سولزبري لأني أعمل على تسوية المسألة الأرمنية وبهذا أعيد السلطة الإنجليزية الضائعة إلى القسطنطينية . » (ص ٤١٣) .

إننا نجد في أخبار أشهر تموز وآب وأيلول (يوليو وأغسطس وسبتمبر) ١٨٩٦ نشاطاً واسعاً بذله هرتزل للإتصال بعدد من الجهات الأوروبية الرسمية. فهو يتصل بالأرمن لإرضاء السلطان ، وبالسلطات الإنجليزية والألمانية والبلغارية

والبابوية والنمساوية ، في آن واحد تقريباً .

إتصل بزعماء الأرمن أثناء زيارته لبريطانية في شهر تموز (يوليو) من تلك السنة :

« جاءني رابوبورت الصحفي الروسي ليأخذ مني حديثاً ، وفيما كنا نتحدث تبين لي أنه على علاقة مع اللجان الأرمنية وخاصة مع نزار بك . ولقد أوضح لي رابوبورت أن الحكومة الإنجليزية تسند الثوار الأرمن بالمال . طلبت منه أن يجمعني بنزار بك . أريد أن أُوضح لهذا الثائر أن الأرمن يجب أن يتصالحوا مع السلطان الآن ، بدون تعصب لمطاليبهم الأخيرة عند تقسيم تركية». (ص ٤١٤) .

وقد تم اللقاءُ مع نزار بك بالفعل في ١٣ – ٧ – ١٨٩٦ .

« وعدته بأن أجعل السلطان يوقف المذابح والإعتقالات الجديدة ، ولكنه لن يعفو عن السجناء مسبقاً كما يريد نزار بك ، وعبثاً حاولت أن أُفهمه أن الثوار يستطيعون أن يراقبوا مفاوضات الصلح بدون أن يتخلوا عن سلاحهم ، يستطيعون ان يظلوا متهيئين للحرب » . (ص ٤١٨) .

أما إتصالاته مع المسؤولين البريطانيين فقد نشطت في ذلك الشهر نفسه. مهّد لها بأن وسّط كبار أصدقائه من يهود بريطانية بتدابير مواعيد مع كبار رجال الدولة البريطانية .

« طلبت من جولدسمد أن يقدمني لأرثر كوهين ، مستشار الملكة لأنه صديق لدوق أرجيل الذي هو عضو هام في اللجنة الأرمنية . كذلك طلبت منه أن يحمل أمير ويلز أن يدبر لي مقابلة مع القيصر . » (ص ٤١٤) .

وأخبر هرتزل جولدسمد هذا بأنه يسعى لحمل بسمارك على أن يتوسط له مع السلطان ليقبل الأتراك بفكرة إنشاء دولة تابعة . (ص ٤١٥) . كما أنه كتب إلى دوق بادن الكبير يطلب موعداً لمقابلته (ص ٤١٧) . لكن بسمارك

لم يحقق رغباتـــه :

« ذهبت مشواراً مع نيولنسكي بعد الظهر . وتحدثنا في خطوتنا المقبلة . لا يمكن الإعتماد على تعاون بسمارك في الوقت الحاضر . لقد أخبر بسمارك سيدني ويتمان أنه يعرف كتابي ، فقد أخبره سكرتيره ، كرساندر ، بمحتوياته. وهو يعتبر المسودّة التي وضعتها كخيال كئيب . بعد ذاك ذهب ويتمان إلى هربرت بسمارك وطلب منه التأثير في الأمير الكبير ، فوعده هربرت بذلك . قرأ نيولنسكي لي أيضاً الرسالة التي بعث بسمارك بها إلى السلطان حول الحوادث الكريتية والأرمنية والسورية . تثير الإهتمام جداً . ينصحه بسمارك بألاّ يخاف من إنجلتره ، ذات القوة المشتتة في كل العالم ، وبأن يعمل مع روسية ، التي تنحصر مطالبها بحق المرور لسفنها في البوسفور . ويعتبر بسمارك وضع السلطان الحالي غير خطر ، ويتكلم عن الكريتيين بامتهان كثير .

وإذ أننا لا نستطيع الإعتماد على بسمارك في الوقت الحاضر ، يجب أن نجعل الإقتراح إلى السلطان بدعوة اليهود يأتيه من مصدر آخر . » (ص ٤٣٧) .

حاول هرتزل أن يكون الأمير فردناند البلغاري هو هذا «المصدر الآخر ». فقابله في ٢٢ ــ ٧ ــ ١٨٩٦ وطلب مساعدته ، وخاصة بتدبير موعد مـــع القيصر الروسي . فوعده الأمير خيراً . وكان هرتزل راضياً جداً عن اجتماعه به (ص ٤٣٦ ــ ٤٣٧) .

وبإشارة من فردناند البلغاري بدأ هرتزل يفكر بالإتصال بالبابا في رومه . كتب في أوائل آب (أغسطس) ١٨٩٦ :

« زرت نيولنسكي بعد الظهر . لقد تكلم أيضاً ، في كارلزباد ، مع الملك ميلان . يعتقد ميلان أني أتجاهل المتاعب التي قد تصطنعها فرنسة . فإن فرنسة تريد أن يكون لها محميتها السورية وإمبراطورية عربية (طريف أن يتفق هذا مع معلومات جلاسر) . ويدعي نيولنسكي أن ميلان كان قد استلم كتابي في

باريس من الدكتور ملسفلك وتباحث به ، بالتفصيل ، مع السياسيين الفرنسيين .

ومرة أخرى تحدث نيولنسكي في كارلزباد مع الأمير فردناند الذي يقال أنه أعلن نفسه نصيراً لفكرتي . وهو ، مثل بسمارك ، يعتقد أن رومه هي التي يجب أن تناصر المسألة .

كان نيولنسكي سريعاً في ربط هذه الأمور بخيالاته الطريفة : رحلة إلى رومه في تشرين الأول ، خمسة عشر كاردينالا — كسب تأييد المجمع المقدس كله . وسوف يستقبلني البابا ، وربما يصدر منشوراً عاماً عن مشروعي . على الكنيسة الكاثوليكية أن تأخذ المسألة تحت حمايتها العالمية . وسوف يقبل السلطان نصيحة البابا أكثر من نصيحة القيصر [الروسي] . » (ص ٤٥٠) .

وبعد أيـــام كان يمهد إلى ذلك فعلاً :

« سألني إذا كان عليه أن يكتب إلى الكردينال رامبولا في رومه ليشرع بالعمل مع البابا . وبالطبع أوافق على ذلك كل الموافقة . » (ص ٤٥٣) .

وفي ٢٤ ـ ٩ ـ ١٨٩٦ بدأ مساعيه بكسب تأييد باديني رئيس الحكومة النمساويـــة .

« قلت : يجب أن يساند الكونت باديني الصهيونية .
يعتقد كوزميان أنه يستطيع أن يتعهد بذلك . سوف يشجع باديني الإستعمار اليهودي . لقد تحققت الأمنية التي تنبأت بها في رسالتي إلى باديني حينما ظهر كتيبي . » (ص ٤٧٠) .

بل إن هرتزل عمل أكثر من ذلك ، أخذ في أول تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٦ يعدّ العدّة لتأسيس جريدة تخدم مصالح رئيس حكومة النمسة الرجعي ، باديني .

« أبلغت الكونت باديني بواسطة نيولنسكي وكوزميان بأني أنوي إصدار

جريدة كبيرة لتعبر عن أفكاري . إن الحالة السياسية الداخلية تجعل من إصدار هذه الجريدة امراً في مصلحة باديني أيضاً . » (ص ٤٧٣) .

أما قصده من ذلك فواضح في هذا الجواب :

« سألني كوزميان ماذا أطلب مقابل « تأييد الحكومة » . أجبت أني لا أستطيع أن أقبل أي إعانة مالية من أي نوع كان ، لكني أحب أن أقوم بخدمة وزارة باديني مقابل خدمته لسياستي الصهيونية . وبدا على كوزميان أنه لم يفهم تماماً كيف يمكن أن يقوم إنسان بعمل كهذا مجاناً . » (ص ٤٧٣) .

وقد يتساءل القارىء بعد هذا الإستعراض الطويل نسبياً لمساعي هرتزل مع البابا ومع المسؤولين الإنجليز والألمان والنمساويين والبلغاريين والروس ، عما كان يقصد من وراء ذلك . إنه يجيب على هذا التساؤل في رسالة بعث بها في ١ ـ ٨ ـ ١٨٩٦ إلى دوق بادن الكبير :

« لا يمكن توجيه الخروج التدريجي لليهود ، بنظام ، حسب مخططي ، إلا من فوق . هذا ما يدعوني أتمسك بالأمل بأن يمنح حكام أوروبة رفيعو المعرفة القضية حمايتهم السامية . وعند ذاك نستطيع أن نقفز فوق رفض أثرياء اليهود . وإذا أذن جلالة القيصر الألماني لي بعرض خطتي عليه تكون فائدة عمله على مستقبل حركتنا لا تحصى . كما اتخذت بعض الإجراءات ليستقبلني جلالة إمبراطور روسية . » (ص ٤٤٥) .

فإن رحلة هرتزل الأولى إلى القسطنطينية الفاشلة ، كما رأينا سابقاً ، لم تقض على الأمل في نفس هرتزل بسبب وعود المسؤولين الأتراك بخدمته . وقد أوضح هرتزل ذلك في رسالة بعث بها إلى صادوق خان في ٢٦ ــ ٧ ــ ١٨٩٦ :

« هذه هي الحقائق ، باختصار وثقة تامة : كنت في القسطنطينية ، حيث حصلت على نتائج أذهلتني أنا أيضاً . أخذ السلطان علماً بمشروعي « فلسطين لليهود » . ومع أنه يعارض فكرة البيع عاملني بامتياز من عدة نواحٍ وجعلني

أفهم أنه يمكن عقد الصفقة إذا وجدنا الصيغة المناسبة . إنها مسألة حفظ مـــاء الوجه . وقد قُدّم العرض التالي من حاشية السلطان : يدعو السلطان اليهود ، بحفاوة ، للعودة إلى وطنهم التاريخي ، وليستقرّوا هناك بحكم ذاتي مستقلين إدارياً وتابعين للإمبراطورية التركية ، ومقابل ذلك يدفعون له ضريبة .

ذهبت بهذه النتيجة إلى لندن حيث وعدني السير ص . مونتاجو وغيره بمساعدتهم إذا تحققت هذه الشروط : موافقة الدول الكبرى ، إشتراك صندوق هيرش ، إشتراك إدموند روتشيلد . وإني آمل تحقق الشرط الأول لأنـــه سبق لأميرين أن وعداني بالتأييد. فذهبت إلى باريس وتكلمت مع إدموند روتشيلد. أخبرته بالأمر ورجوته أن ينضم إلى القضية بشروطه – أي أن لا يشترك بها إلا بعد أن يوقّع عليها ، وتُختم ، وتُسلّم . وقلت له أن لا ضرورة له لأن يظهر وإني أرتب كل شيء مع السلطان والحكومات الأخرى . ولكن ما أن توضع الخطة موضع التنفيذ حتى يستلم المقاليد مني ، هو ومونتاجو ، والآخرون . وبذلك لا يبقى مجال للشك بأني أريد أن أوحّد قوانا فقط لأستولي على الزعامة . إني أعد بأن أنسحب تماماً بمجرد أن تتأسس لجنة للعمل . مقابل كلمة شرف هؤلاء السادة بأن يجعلوا هدفي هدفهم أريد أن أُعطيهم كلمة شرفي بأن لا أتـــدخل بأمر . عند ذاك يستطيعون أن يوجّهوا الحركـــة حسب معرفتهـــم وضمائرهم ما دامت لي الثقة بأصدقاء صهيون إلى اليوم . وبإمكانهم ، فوق ذلك ، أن يعملوا في السر ، ولا يعلنوا في الوقت المناسب إلا ما يرونه ضرورياً » (ص ٤٣٩) .

هذا الأمل هو الذي حدا بهرتزل أن يرسل إلى السلطان عبد الحميد في ٢٥ – ٨ – ١٨٩٦ ملحقاً لمشروعه الذي يريد من السلطان أن يوافق عليه :

« ترغب جماعتنا في عرض قرض متدرج من عشرين مليون جنيه استرليني يقوم على الضريبة التي يدفعها اليهود المستعمرون في فلسطين إلى جلالته . تبلغ هذه الضريبة التي تضمنها جماعتنا مئة ألف جنيه استرليني في السنة الأولى

وتزداد إلى مليون جنيه استرليني سنوياً . ويتعلق هذا النمو التدريجي في الضريبة على هجرة اليهود التدريجية إلى فلسطين . أما سير العمل المفصل فيتم وضعه في إجتماعات شخصية تعقد في القسطنطينية .

مقابل ذلك يهب جلالته الإمتيازات التالية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي ليس فقط تكون غير محددة بل أيضاً تشجعها الحكومة السلطانية بكل وسيلة ممكنة . ويعطى المهاجرون اليهود الإستقلال الذاتي ، المضمون في القانون الدولي ، في الدستور والحكومة وإدارة العدل في الأرض التي تُقرَّر لهم . (فلسطين كدولة شبه مستقلة) .

ويجب أن يقرَّر ، في مفاوضات القسطنطينية ، الشكل المفصَّل الذي ستمارس به حماية السلطان في فلسطين اليهودية وكيف سيحفظ اليهود أنفسهم النظام والقانون بواسطة قوات الأمن الخاصة بهم .

قد يأخذ الإتفاق الشكل التالي : يصدر جلالته دعوة كريمة إلى اليهود للعودة إلى أرض آبائهم . سيكون لهذه الدعوة قوة القانون وتُبلّغ الدول بها مسبقاً . » (ص ٤٥٧) .

وقد عبر هرتزل عن مخططه « الإنعاشي » لتركية في حديث مع السفير العثماني في فينّه ، محمود نديم باشا ، في ١٤ ــ ١٠ ــ ١٨٩٦ :

« أعطيته رأيي بصراحة . قلت إن هناك حلاً وحيداً لتركية : عقد إتفاق مع اليهود حول فلسطين . بهذه الطريقة تسوّى الشؤون المالية ، وتنفذ الإصلاحات ، وبعد ذلك يمنع أي تدخل أجنبي منعاً باتاً . كل التدابير المالية الاخرى هي معالجات وقتية ولا تؤدي إلا إلى ملء جيوب القليلين من المضاربين . » (ص ٤٨٢) .

وعندما استلم هرتزل براءة الوسام الذي منحه إياه السلطان ، كتب إليه شاكراً في ٢٢ ــ ١٠ ــ ١٨٩٦ :

« حينما يسر جلالتكم أن تقبلوا خدمات اليهود سيسعدهم أن يضعوا قواهم تحت تصرف ملك عظيم مثلكم . » (ص ٤٨٥) .

مقابل هذه العواطف كان هرتزل ، في السر ، يتآمر على تركية وحكوماتها وسلطانها بالذات .

كان ، أولاً ، يستغل الفرص : يتحين ضعف السلطان ليفرض عليه مطالبه . في ٢٩ – ٨ – ١٨٩٦ قرر أن الوقت مناسب للإتصال بالسلطان لأن بلاده كانت تتعرض آنذاك لمتاعب كثيرة بسبب قيام الأرمن بحوادث شغب في القسطنطينية :

« الوقت مناسب جداً للتفاوض مع السلطان . فهو اليوم ضعيف الأمل بالحصول على مال من أي إنسان . » (ص ٤٦٠) .

إن ما كتبه هرتزل في ١٢ – ٩ – ١٨٩٦ يفضح نياته في بقاء تركية ضعيفة ليسهل عليه استغلالها :

« جاء من لندن أخبار عن تفكير الدول بخلع عبد الحميد . إذا تحقق ذلك ماتت الفكرة الصهيونية مدة طويلة من الوقت . فإن السلطان الجديد سيجد المال ولن يحتاج لنا . » (ص ٤٦٥) .

إن هرتزل يدعو إلى إبقاء تركية ضعيفة في كل مناسبة . دعا إلى ذلك بصراحة في أول خطاب ألقاه في فينّه ٧ – ١١ – ١٨٩٦ ، إذ كتب عن خطابه :

« تكلمت بشكل خاص معارضاً التدبير الروسي – الفرنسي المقترح للإقتصاد التركي ، لأنه سيقطع طريقنا إلى فلسطين – وسوف أرسل هذا المقطع من خطابي إلى دهاس في لندن . الجملة الرئيسية فيه : « إن رجال المصارف اليهود الكبار الذين سيشتركون بهذا المشروع ، دون أن يراعوا آلام فقراء اليهود ودون أن يغتنموا الفرصة ليسهموا في حل المسألة اليهودية ، سوف

يتعرضون لمسؤولية خطيرة جداً . وفي الوقت نفسه أدعو دهاس ليقوم بحملة ضد المشروع في إنجلترة وأميركة . ويجب أن يدعو إلى إجتماع جماهيري إحتجاجي في الطرف الشرقي [من لندن] . كما أني أدعو إلى تأسيس صندوق قومي يحقق استقلالنا عن المصرفيّين الكبار . » (ص ٤٩٣) .

وكتب أكثر من رسالة بهذا الموضوع . قال في إحداها :

« يهدد الصهيونية حالياً خطر جسيم . أنت تعلم أن هناك إعداداً لتدبير روسي – فرنسي للمالية التركية . إذا تحقق ذلك دفنّا كل آمالنا بالحصول على فلسطين . لذلك على كبار المصرفيين اليهود ألاّ يساعدوا في تحقيق ذلك . وقد تكلمت أمس في الموضوع في « الإتحاد المحلي » . وأوعزت إلى لجنّتي في إنجلتره بالشروع بحملة ضد القرض . كل ما تستطيع أن تفعله في جلاسيه هو أن تخبر الجماهير بما هو حاصل » . (ص ٤٩٤) .

وحينما سمع ، في ٢٦–١–١٨٩٧ ، أن الدول الأوروبية أقرضت تركية بعض المال غضب كثيراً . ووصف الخبر بأنه سيء :

« تلقت الجريدة الحرة الجديدة هذا الصباح خبر إتمام التدابير المالية مع تركية « تحت ضمانة الدول كلها » . لم أُصدق الخبر في البدء وتلفنت لنيولنسكي الذي اكتفى بالتأكيد : « إنه امرسيء لنا » . (ص ٥٠٩) .

أما سبب غضبه فهو لأن القرض :

« سيُعطى الأتراك أربعة ملايين جنيه . سيساعدهم هذا المبلغ على الطفو فوق سطح الماء . إلا أن هناك أمراً جيداً في هذا التحول الرديء للأحوال . تعني التدابير المذكورة زيادة أُخرى في الدين العام ، وهو ، على وضعه الحالي ، شوكة في جسم السلطان وأجسام جميع الباشاوات . ستجعل هذه التدابير الدين العام مكروهاً أكثر من السابق . وعلى كل حال ، لقد لفتت الأنظار من قبل إلى النقود التي يأخذها الأتراك . لذلك لن تدوم طويلاً . وسريعاً ما يعود

الإستجداء إلى سابق عهده . » (ص ٥٠٩) .

وأخذ هرتزل يمني نفسه بفشل القرض :

« أرجو ألاّ يوافق السلطان على ذلك ، وأن يذكّره الباشوات ، الذين لم ينلهم أي بخشيش ، بما يهدد كرامته كخليفة . » (ص ٥١١) .

ثم إن هرتزل الذي كان يبدو أمام العثمانيين بمظهر الصديق الذي لا يريد لهم إلا الخير ولا يريد من مشروعه إلا خدمتهم هم وخدمة اليهود ، كان في الواقع يعترف بأنه يخدم الإستعمار الأوروبي . اعترف بنفسه في تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٦ أنه هو صاحب فكرة جعل فلسطين ممراً إستعمارياً إلى الشرق :

« جاء في رسالة صحفية من القسطنطينية بتاريخ اليوم أن وزير الخارجية ، توفيق باشا ، قال إن تركية ترغب في مد خط حديدي في فلسطين وفي بناء ممر إلى الهند . إنه اقتراحي أنا . » (ص ٤٨١) .

وسواء اعترف هرتزل بذلك أم لم يعترف ، كانت مخططاته تأخذ هذه الحقيقة بعين الإعتبار دائماً : حقيقة عجزه عن تحقيق أمنيته بإنشاء كيان قومي لليهود في فلسطين بدون تفاهم مسبق مع إحدى الجهات الإستعمارية ، على الأقل . ولعل هذه الحقيقة هي أكثر ما جعله لا ييأس في محاولاته المستمرة لجعل تلك الجهات تقف إلى جانبه وتتدخل في مفاوضاته العقيمة مع السلطات العثمانية . وقد وصل هذا الإصرار عنده إلى حد اللعب على الدول المختلفة ، متضاربة المصالح ، من وراء ظهرها وعلى حساب بعضها بعضاً. في ٢٤ــ ١٠ــ ١٨٩٦ أعاد المحاولات مع بسمارك (ص ٤٩٢) . وبعد عشرين يوماً ، في ١٤ ــ ١١ ــ ١٨٩٦ ، كتب أول رسالة رسمية إلى سلطات روسية ، إلى الدوق الكبير فلاديمير ، يطلب مساعدته (ص ٤٩٧) في تقبل هذا المشروع الصهيوني :

« بإمكان اليهود أن يتقدموا لمساعدة مالية تركية المحطمة . وسيساعد هذا في إجراء الإصلاحات التي لا بد منها لإغاثة المسيحيين المساكين في السلطنة العثمانية . أما حيث الناس يحبون منذ قرون رؤية اليهود يخرجون فإن ذلك سيكون إنفراجاً كبيراً . وإما الجماهير اليهودية فإن لدي البراهين على أنها تقبل الفكرة بحماس . وهكذا فإن العالم كله تقريباً سيكون راضياً . هذا هو الحل إذن . » (ص ٤٩٨) .

وبعد ثلاثة أيام فقط ، أي في ١٧ – ١١ – ١٨٩٦ ، كان هرتزل يكتب إلى دوق بادن الكبير ، الألماني ، متهجماً على روسية ! :

« إنه من مصلحة الدول التي ترغب في المحافظة على التوازن الدولي وفي تنقية الأوضاع في تركية أن لا تتحقق الإجراءات الروسية – الفرنسية المقترحة لتصحيح المالية التركية . فإن ذلك سيكون ضماً روسياً لتركية ، مشابهاً للحماية التي تمكنت روسية من فرضها على الصين بواسطة التدخل المالي بعد الحرب اليابانية. وسوف يؤدي هذا التصحيح إلى أن تغنم فرنسة (في مصر بعد الجلاء عنها) وروسية المكاسب السياسية كلها وأن يغنم بعض الماليين المكاسب المالية بينما يظل الأمر على حاله في تركية .

مقابل ذلك تعني التدابير اليهودية الوطنية بعثاً أصيلاً لتركية. إن عودة اليهود حماية لمسيحيي الشرق . لست أملك يا سمو الأمير غير الكلمات لأؤثر في سيد الأرض . ولعلي اليوم ضربت على الوتر الحساس . فإذا نصح المستشار الحكيم للقيصر الألماني بأن يستمع إلي استدعاني جلالته إلى برلين لاجتماع سري لا شك أن الكثير يُكسب من إجتماع كهذا . » (ص ٤٩٩) .

وأخذ هرتزل ، بعد أيام قليلة أيضاً ، يجرب حظه مع منافس ألمانية وروسية اللدود ، بريطانية . كتب في مطلع كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٦ ، إلى اللورد سولزبرى يعرض خدماته على مصلحة بريطانية الإستعمارية في الشرق :

« هذا عامل يجدر بالسياسة الإنجليزية في الشرق أن تقدّره حق قدره ،

عامل جديد بكل تأكيد . بإمكان اللورد سولزبري أن يضرب بواسطته ضربة معلم . إن تقسيم تركية في الوضع العالمي الحاضر ، الذي يسيطر عليه الحلف الروسي – الفرنسي ، قد يضع إنجلترة في مأزق خطير . إن تقسيماً كهذا ، الآن ، لا بد أن يكون خسارة بالنسبة لإنجلترة . ولذلك عليها أن تسعى نحو التوازن الدولي الذي لا يحافظ عليه إلا إذا صُحّحت مالية تركية . وهذا ما دعا روسية ان تحبط التدابير الحالية المقترحة.فإنها تبغي إنحلال تركية وانقسامها. إلا أن هناك طريقة لتصحيح المالية التركية وبالتالي المحافظة على التوازن الدولي لمدة أطول ولإيجاد طريق جديد إلى الهند في الوقت ذاته – وهو الطريق الأقصر بالنسبة إلى إنجلترة . يجري هذا كله دون أن تخسر إنجلترة قرشاً واحداً ودون أن تلزم نفسها علناً بأي شيء .

أقصد بهذه الطريقة إنشاء دولة يهودية في فلسطين لها إستقلال ذاتي ، مثل مصر ، تحت سيادة السلطان . وكما تعلم ، مهّدت الجو لهذا المشروع في زيارتي للقسطنطينية في الصيف الماضي . والأمر ممكن إذا توافر لنا دعم دولة كبرى – أكرر هنا انه دعم مخفي . وما دام السلطان لا يزال هو السيد غير المنازع ، ما من قوة تستطيع أن تمنعه من دعوة اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين . وسوف نحصل له، مقابل عمله هذا ، على قرض كبير على الضريبة التي سيؤديها اليهود له والتي ستكون مؤمنة مسبقاً .

وسيكون من مصلحة إنجلتره بناء خط حديدي ، رأساً ، عبر فلسطين من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي ، أو ربط هذا الخط بما أصبح ضرورياً ، بفضل حاجات المواصلات الحديثة ، من خط عبر فارس وبلوخستان (وربما الأفغان) إلى الهند. ستجني إنجلترة هذه المكاسب بدون مصاريف وبدون أن يعلم العالم شيئاً عن دورها . إذ بينما تعدّ روسية خطاً حديدياً إلى آسية ، في الشمال ، سيكون لبريطانية ، في الجنوب ، طريق إحتياطي حيادي إلى الهند ، في حال قيام مصاعب في قناة السويس . إذا أراد اللورد سولزبري تفحص هذه

الفكرة عن كثب أكون تحت تصرف سفيره ، أو تحت تصرفه شخصياً في لندن إن استدعاني . » (ص ٥٠٠) .

والواقع أن اتصالات هرتزل هذه مع القوى الإستعمارية الكبرى آنذاك لم تبق في طي الكتمان طويلا . بل شاع بين الناس أنه عميل لبريطانية . كتب هرتزل في ١ – ١٢ – ١٨٩٦ :

« أخبرني الدكتور روثفلد من بست عن إشاعة رائجة بأني قبضت مكافأة ضخمة ، من إحدى شركات الأراضي الإنجليزية التي تسعى للعمل في فلسطين ، على نشر « الدولة اليهودية » . يدل هذا على كم هو مستحيل ، عند اليهود ، أن يكتب إنسان ما شيئاً بدافع إيمانه فحسب . » (ص ٥٠٠) .

وقد كان شائعاً بين اليهود امر العلاقة التي قامت بين هرتزل وبين بعض الشخصيات البريطانية ، وعلى رأسها القس هكلر الذي ورد ذكره وذكر مساعداته لهرتزل كثيراً فيما مضى . وقد روى هرتزل مرة أن هكلر هذا

« كتب رسالة إلى القيصر [الألماني] بالإنجليزية على ورق السفارة في فيّنه ، عن عودة اليهود . وقد أضفى الطابع الرسمي البريطاني على الموضوع صفة رسمية . » (ص ٤٦٢) .

لكن يبدو أن أمله الأكبر كان في شخص القيصر الألماني حينما سمع أنه ينوي القيام بزيارة رسمية إلى السلطنة في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٦ . كتب في ١٢ – ١٢ – ١٨٩٦ :

« أحضر هكلر معه قصاصة من صحيفة بأن القيصر الألماني سيذهب إلى فلسطين في الخريف القادم . إتفقنا على أن أكتب إليه (إلى هكلر) رسالة ترفع إلى القيصر . » (ص ٥٠٢) .

ومع أن الحديث عن الزيارة كان سابقاً لأوانه ، أنعش الآمال في نفس هرتزل فأعاد محاولاته الجدية للإتصال بالسلطان العثماني بعد فشل المرحلة

الأولى التي انتهت بمغادرته تركية دون أن يسمح له السلطان بالمثول أمامه . وكان مما أنعش آماله الجديدة أيضاً ما سمعه من صديقه نيولنسكي عن حاجة السلطان إلى المال من جديد ، في آذار (مارس) ١٨٩٧ :

« تناول نيولنسكي طعام الإفطار معي هذا الصباح . ومرة أخرى روى لي كل أنواع القصص عن الأتراك . أكثرها بعثاً للضحك قصة كنز الحرب : كان وزير المال قد كوّن ، بعد الحرب الروسية التركية ، صندوق مال خاص من الحرب بالسر ومن الغرابة أنه لم يُسرق . وكان وزير المال الحالي مطلعاً على السر . فلما نشبت أزمة كريت أبلغ السلطان بوجود أربعة عشر مليون فرنك . فمنح السلطان الرجل وسام الإفتخار . وسرق الصندوق . فدُفعت الرواتب المتأخرة . واختلس بعض المال . ورأى السفراء المال ثانية ، ونال نيولنسكي بعض المـــال .

إلا أن نيولنسكي يعتقد أنهم سريعاً ما سيحتاجون إلى النقود . لماذا لا يقرضهم اليهود ؟ قلت إنه لا يمكن تقديم قرض بدون سبب وجيه . وهنـــا تذكرت قصة بامبس عن شراء الأراضي . فقلت : إذا أراد السلطان بيع أراضي فلسطين ، مع إذن بإسكان ألفي عائلة فيها ، أصبح من الممكن فعل شيء ما . واتفقنا على أن أكتب إلى برلين وباريس ولندن لوضع عرض غير رسمي للشراء . فإذا قدّم مدراء جمعية الإستعمار اليهودية مبلغاً ما للهكتار الواحد ، أبرق نيولنسكي بالأمر إلى السلطان واستفهم إذا كان يريد العرض رسمياً .

وللحال كتبت رسائل متماثلة تقريباً إلى بامبس وصادوق خان والدكتور جاستر . قلت إن شراء الأراضي بهذا الشكل يعارض آرائي في التسلل . إلا أني أعتبره ، بالرغم من ذلك ، خطوة أساسية نحو هدفنا الأبعد . » (ص ٥٢٢) .

بعد عشرة أيام من تلك الجلسة مع صديقه ، أي في ٢٤ ــ ٣ ــ ١٨٩٧ ، كان هرتزل يجتمع بمحمود نديم ، السفير العثماني في عاصمة النمسة ، ويعلن تبرعه بمساعدة السلطنة إن كان السلطان يريد ذلك ، ويمدحها .

« ثم امتدحت من حيوية تركية ، وهي البلد الذي سيرى أمجاداً عظيمة إذا ارتأى قبول الهجرة اليهودية . » (ص ٥٢٨) .

ثم كتب إلى نديم ، بعد شهر ، رسالة يعرض فيها خدماته من جديد ، ويُظهر نفسه كأنه الصديق الوحيد لتركية في العالم (ص ٥٤١) . وقد استغل حرب الدولة في اليونان ، وتعهد بتقديم تبرعات سنرى فيما بعد أنها كانت وهمية إلى حد بعيد . ويمكن تلخيص موقف هرتزل من حرب السلطنة ضد اليونان هكذا : وقف أولاً ضد تحرير اليونان لجزيرة كريت ، شباط (فبراير) ١٨٩٧ . وذلك لأنه يهدد تركية ، وبالتالي يضعف أمل اليهود بالتسلل لأن روسية ، وهي ضدهم ، ستخرج من الساحة منتصرة . (ص ٥١٧) . لكنه كان يخشى ، في الوقت نفسه ، أن تخرج تركية من الحرب منتصرة ، وبالتالي تستغني عن وعود اليهود لها ، كما كتب في ٢١ ـ ٤ ـ ١٨٩٧ :

« قد تترك الحرب اليونانية التركية ، التي تحولت في الأيام الأخيرة من حرب باردة إلى حرب ساخنة ، آثاراً على قضيتنا أيضاً ، في المجرى البعيد لهذه الحرب . كيف ؟ إذا قام عن هذه الحرب مؤتمر سلام لحل المشكلة فإننا سنقدم مطالبينا للمؤتمر الذي تعقده الدول . أما إذا انتصرت تركية (وهو أمر محتمل) وإذا أخذت تعويضات نقدية من اليونان غير المستقرة إقتصادياً الآن (وهو أمر غير محتمل) فإن احتياج الأتراك للمساعدة اليهودية سيقل . » (ص ٥٣٧) .

مع هذا وجد هرتزل الحرب فرصة مناسبة للتقرب من السلطات العثمانية. كتب في ٢٣ ـ ٤ ـ ١٨٩٧ :

« عند بودنهايمر من كولون فكرة رائعة : لمّ التبرعات للجنود الجرحى الأتراك ، للتعبير عن مشاعر اليهود للسلطان . تبنيت الفكرة حالاً ونشرتها بين اليهود في المدينة ، ومن بينهم غير الصهيونيين .

جاء شالت ، من « كاديمة » ، وطلب أن أعطيه توصية إلى السفير التركي .

ينوي الذهاب إلى ساحة الحرب ومعه عدد من طلاب الطب كاطباء متبرعين . فكتبت رسالة إلى محمود نديم أخبره عن هؤلاء الأطباء المتبرعين وعن جمع التبرعات للجرحى من الجنود . » (ص ٥٣٧) .

ومع أن مساعدة اليهود كانت قليلة جداً ، أرسل هرتزل إلى الأتراك يبالغ في وصفهـــا :

« أخبار الحرب تجعل المرء يتوقع هدنة وسلاماً بين تركية واليونان في الأيام القليلة التالية . مما يعني أن تبرعاتنا للجنود الجرحى تذهب هباء . إلاّ أنني سأحاول الوصول إلى حل . سأكتب إلى سيدني ويتمان في القسطنطينية بـــأن يخبرهم في يلدز بأننا شرعنا في جمع التبرعات . » (ص ٥٤٤) .

أرفق هرتزل هذه الإدعاءات بحملة جديدة للإتصال بالسلطان ، خاصة بعد أن تلقى رسالة من أحد وكلائه في العاصمة التركية :

« رسالة أُخرى من سيدني ويتمان. لقد أثار اهتمام أحمد مدحت أفندي ، محسوب السلطان ، في المسألة . يعتقد أحمد مدحت أننا يجب أن نعمل ببطء وأن لا نطلب الكثير ، حتى لا يقول السلطان لا رأساً . وبشكل خاص يجب ألا نستعمل لفظة « إستقلال » لأنها سبق أن جرت تركية إلى عدة حروب . » (ص ٥٤٩) .

كتب إلى سيدني ويتمان يعرض خدماته على السلطان في جريدته الجديدة التي قرر إصدارها في ٤ ــ ٦ ــ ١٨٩٧ .

« أكتب إليك على ورق مراسلات جريدة جديدة ، أُسبوعية ، ذات مستوى رفيع ، سنصدرها لسد حاجات القضية . ستصدر « دي ولت » في الرابع من حزيران ١٨٩٧ . نريد أن نقدم فيها ، إلى تركية ، أصدق مشاعرنا العميقة . بإمكانك أن تبلّغ أحمد مدحت أفندي أننا سننشر فيها ، بسرور

وبحياد أكيد ، المراسلات والأنباء التي قد تكون في صالح حكومة السلطان . وهذا الحل هو خطوة نحو تكريس الصحافة اليهودية لمصلحة تركية . إننا سوف نتبعها بخطوات أخرى إن شجعتم جهودنا بمشاعركم نحو القضية اليهودية .

إن أحد هذه الجهود ، قمت به حسب إقتراحكم بمساعدة الجنود الجرحى جاء متأخراً جداً — ولا أريد أن أقول « لسوء الحظ » . فإن انتصارات القوات التركية جعلت من هذه التبرعات لا ضرورة لها . وإذ أن الوضع السياسي في إنجلترة وفرنسة لا يسمح ليهود هذين البلدين بالتعبير عن مشاعرهم ، الموجودة فعلاً ، تجاه الأتراك في هذه القضية ، اضطررنا أن نحصر أنفسنا بلجان أسسناها فقط في ألمانيه والنمسه وهنغاريه ، طالبين من أصحابنا في البلاد الأخرى بتقديم مساعداتهم بالطريقة التي يرتأون . » (ص ٥٤٩) .

تمتاز تلك الرسالة بما فيها من كذب وادّعاء يناقض واقع الحال . كتب هرتزل فيهـــا :

« صحيح إن ما نريد إنما هو في صالح الشعب اليهودي ، لكنه سوف يخدم في تجديد القوى الفعالة في الإمبراطورية العثمانية وفي تمديدها .

بادىء ذي بدء ، يجب ألا يؤخذ كتابي « الدولة اليهودية » كشكل حاسم للمشروع . إني أول من يعترف أن فيه الكثير من العقائديات . وقد نشرت الفكرة ، وكنت آنذاك مجرد كاتب بسيط ، دون أن أعلم كيف يستقبلها الشعب اليهودي . وأفضل برهان على ذلك هو أنني اقترحت الإقامة إما في الأرجنتين أو في فلسطين . لكن الحركة اليهودية الجديدة أخذت ، منذ آنذاك ، شكلاً مختلفاً بالمرة . وأصبحت عملية وممكنة . إننا نراعي الظروف ، ونريد أن نعمل عملاً سياسياً جيداً ، وعملاً مخلصاً وقديراً .

فيما يلي تلخيص للحالة : إذا منحنا صاحب الجلالة السلطان الظروف الضرورية لإسكان شعبنا في فلسطين ، نؤمّن للإقتصاد التركي النظام والإزدهار

بالتدريج . حالما يقبل الطرفان هذا المبدأ ينصرفان إلى التفاصيل .

إن من السهل أن نرى أن الراغبين في إضعاف الإمبراطورية العثمانية وتفتيتها هم أعداء خطتنا . وأعداؤنا أيضاً هم الذين يريدون امتصاص دماء تركية بقروضهم الشرهة . ذلك لأن الحكومة بواسطتنا ، سوف تستعيد سيطرتها على موارد البلاد . وسوف تبعث البلاد من جديد .

ليس كلامي هذا ألفاظاً فارغة . سوف تتاح لجلالة السلطان الفرصة للإقتناع بذلك إذا شرّفنا بإرسال ممثل عنه إلى المؤتمر الصهيوني الذي سينعقد في ميونخ من الخامس والعشرين إلى السابع والعشرين من آب ١٨٩٧ . بإمكان ممثل صاحب الجلالة أن يحضر إجتماعاتنا كلها ، وفي هذه الإجتماعات وحدها نستطيع أن نبرهن له البرهان الساطع على طاعتنا .

غير أننا ـ وهذه نقطة يجب التشديد عليها ـ لا نريد أن نعمل على تهجير شعبنا إلى فلسطين قبل أن ننجز أولاً الإجراءات مع الحكومة التركية . صحيح أن شعبنا تعيس في عدة دول . إلا أن ذلك لا يبدل في الوضع . لا نريد أن نستبدل حالة البؤس الحاضرة بحالة أخرى قبل التأكد منها . يجب أن تكون الحالة الجديدة حرة وواضحة ...

يصبح المهاجرون اليهود إلى فلسطين رعايا لصاحب الجلالة السلطان على شرط حصولهم على حق مطلق بحماية أنفسهم بأنفسهم .

ويُعطوا حق شراء الأراضي بدون أي قيد . ولا يمكن أن تكون مسألة « إغتصاب » أحد أبداً . فالملكية حق خاص لا يمكن التنكر له . أما ممتلكات السلطان الخاصة فيدفع ثمنها نقداً حسب قيمتها ، إذا شاء بيعها .

أما من حيث مسألة « حقوق الشعب » في الإجراءات فإن تقدمات اليهود ستصبح ضريبة سنوية تدفع لصاحب الجلالة . سنبدأ بضريبة مئة ألف جنيه ، مثلاً ، تزداد نسبياً ، أي بنسبة الهجرة ، إلى أن تصل مليون جنيه سنوياً .

واستناداً على هذه الضريبة نستطيع أن نضمن قرضاً . وسوف تضمن هذه الضريبة الكميات الضخمة المودعة التي حدثتك عنها سابقاً ، عدة مرات ، ولا أريد هنا أن أعيد ما قلته قبلاً ، يا صديقي العزيز ، أكثر من مرة : وهو أن حل المسألة اليهودية إنما يتضمن تقوية تركية . إن نشاط اليهود وأهميتهم ، تجارياً ومالياً ، معروفان جداً . إنه نهر من الذهب ، والتقدم ، والحيوية ، يحوّله السلطان نحو تركية حينما يسمح بدخول اليهود ، الذين هم أصدقاء تركية منذ القرون الوسطى . ومع تصحيح الشؤون المالية ، يتوقف تدخل الدول المتستر بحجج مزورة ، وينتهي « الدين العام » وينقطع « مص الدم » . (ص ٥٥٠) .

أما التبرعات اليهودية التي سبق الكلام فيها فقد اقتصرت على ألف فرنك . لكنها ، على قلّتها ، كانت كافية لأن يحاول هرتزل شراء رضى السلطان بها :

« استلمت شكاً من صادوق خان بمبلغ ألف فرنك للجرحى الأتراك . سأرسله إلى السفير محمود نديم ، وسأرسل رسالة صادوق إلى سيدني ويتمان في القسطنطينية . وفي الوقت نفسه سأطلب من سيدني أن يخبر السلطان أني مستعد للحضور إلى القسطنطينية بعد عيد الحصاد . » (ص ٥٥٥) .

« تلقى طلاب الطب الشبان ، الذين تبرعوا بالذهاب إلى ساحة القتال برئاسة شالت ، الإذن بالذهاب في رسالة من السفير محمود نديم . ثم ظهر أنهم وعدوا أكثر مما يستطيعون ، إذ أنهم غير قادرين على الذهاب ، لأن لا مال لديهم . من الجهة الأخرى لم تجمع لجنة الجمع التركية الإسرائيلية للجرحى من الجنود إلا مبلغاً مضحكاً ، ثمان مئة جيلدر ، وهو مبلغ خجلوا من تسليمه . عند ذاك فكّرت بتقديم مبلغ ثمان مئة جيلدر للأطباء . « سترسل اللجنة بعثة طبية على حسابها » . هكذا تصبح المسألة معقولة . » (ص ٥٥٥) .

أما الجريدة التي وعد الأتراك بأن يخدمهم على صفحاتها فهي جريدة « دي ولت » . كتب إلى أحمد مدحت أفندي ، الذي سمع هرتزل أنه قد

يصبح صدراً أعظم ، في ١٥ ــ ٦ ــ ١٨٩٧ .

« إني مقتنع تماماً أن العمل اليهودي سيسهم في معالجة تركية ، وفي تحريرها مالياً ، وفي استعادتها لقواها الحيوية .

وإني أسمح لنفسي بإرسال جريدة « دي ولت » لك ، وهي الجريدة التي نريد أن نخدمكم بواسطتها . إني أضع هذه المؤسسة تحت تصرفكم ، وبالطبع في شكل متحرر من أي مصلحة خاصة . وإني لأرجو أن يعلم جلالة السلطان بذلك . » (ص ٥٦٣) .

امل أن تؤدي هذه الخدمات ، والتبرعات التي كان يرسلها من حين إلى آخر إلى القسطنطينية ، مثل « قطعة فضة » أرسلها في آب (أغسطس) ١٨٩٧ لتباع في المزاد العلني من أجل الجرحى من الجنود الأتراك (ص ٥٧٥) ، إلى تبديل موقف السلطان منه ، خاصة بعد أن وصلته أخبار مشجعة من تركية :

« وأخيراً وصلت رسالة لطيفة من زيشيني باشا من القسطنطينية . أن قصر يلدز يتباحث في مشروعي من جديد . وهو أمر ، بحد ذاته ، يستحق الكثير . » (ص ٥٧٣) .

في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٧ قرّر الإعتماد على جمعية الإستعمار اليهودي في إنشاء المشاريع المالية اليهودية في تركية ، كسبيل مثالي لإنشاء « الوطن القومي » ، كما يبدو من رسالة كتبها في ٢٩ ــ ١١ ــ ١٨٩٧ (أي قبل خمسين سنة تماماً ، قبل أن تصوت مجموعة من الدول الاعضاء في الأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية في قسم منها).

« صديقي العزيز :

وصلتني رسالة مساء اليوم حملتني على أن أكتب لك ثانية اليوم . إن قضية القرض التركي قضية مهمّة جداً ، والرسالة التي استلمتها اليوم تعطيني فكرة عن مصدر إيجاد هذا المال . إن جمعية الإستعمار اليهودي (صندوق

توفير هيرش) ستجتمع في باريس خلال بضعة أيام وسيكون الجميع موجودين. وأنا أطلب منك أن تقدم إقتراحاتي التالية لصادوق خان ، فهو الوسيط الملائم حسب ما أعتقد، وهو عضو من أعضاء جمعية الإستعمار اليهودي المهمين. وستقوم الجمعية بالمهمة كما يلي : تؤسس بنك الإستعمار اليهودي حالاً بمليوني جنيه إسترليني . هيئة الإدارة : أعضاء جمعية الإستعمار اليهودي . أما الأسهم فيمكن تقريرها بسهولة وأظن أنني أستطيع أن أفعل هذا بالجهاز الحاضر عندي الآن . إذا كانت الجمعية هي السند ، فكل ما يبقى هو سهل ، وبعد هذا يستطيع البنك أن يقوم بتقديم القرض الذي ذكرته لي بخصوص الحكومة التركية . ستشترك الجمعية بهذا بصورة تُعيّن فيما بعد ، وستأخذ ضمانة عن القرض الذي تقدمه للبنك ، الأراضي التي ستأخذها من الحكومة . هذا باختصار هو هيكل العمل .

وبدلاً عن هذا نقدم الخدمات التالية : سنضع كل جهاز الدعاية الذي عندنا في متناول الجمعية ونفتح باب الإكتتاب على أوسع ما يمكن.وأنا أقسم بشرفي أن أنسحب تماماً من أمام إتجاه القضايا الصهيونية . وهذا العمل الأخير يجب أن يقنع السادة بأنني لست سياسياً ولا صاحب رؤوس أموال وليس عندي أية غاية أستفيد منها في المستقبل من هذه الإقتراحات . » (ص ٦٠٢) .

في ٤ – ٢ – ١٨٩٨ اجتمع هرتزل بالسفير العثماني في ألمانية ، أحمد توفيق ، مع أنه كان لم يحل بعد مسألة تدبير الأموال اللازمة للقروض التي يريد إستمالة السلطان بها :

« إجتمعت معه مرتين خلال الأسابيع الأربعة الماضية وتحدثنا طويلاً . إنه رجل قريب إلى النفس على درجة متوسطة من الذكاء وهو مع القضية إلى حد ولكن بطريقة لا فائدة لنا منها . إنه يحب أن يجذب اليهود إلى تركية ، ولكن بدون أن يكون لهم مقاطعة خاصة بهم ، وبدون أن يكون لهم حكم ذاتي . إنه يقدم بدلاً لمساعدتنا المادية لتركية إستقبالاً حسناً لنا . فأخبرته أن هذا لا

يشكل حلاً وليس له فائدة طويلة . سيكون مثل توطين الأرمن الجدد في تركية . وبالمناسبة فقد قال إنه مستعد أن يقدم إلى السلطان مذكرة أعدها .

رجعت إلى فينّه وأخبرت نيولنسكي أن أحمد توفيق لم يكن بعد متهيئاً للقضية . لا بد لنا أن ننتظر مدّة أطول حتى تصبح الحالة أكثر سوءاً في تركية . وربما كان شعور توفيق هو هذا الشعور نفسه ، نحن في تركية يجب أن ننتظر حتى تزداد حالة اليهود سوءاً . طبعاً أنا أرحب بهذا التأخير ، لأني لم أنته من التمويل بعد . إن البنك يجابه صعوبات كثيرة وأصحاب البنوك متخوفون وباردون تجاه الأمر . » (ص ٦٠٩) .

وقد توالت اجتماعات هرتزل مع احمد توفيق بعد ذلك . ويبدو من وصف هذه المقابلات اسلوب هرتزل في خدع الناس الذين يتعامل معهم :

« إلتقيت بأحمد توفيق أمس مرة ثانية هنا في الفندق . وجلسنا معاً . لقد أعاد ما قاله لي منذ أربعة أسابيع ، لماذا لا نطالب بقطعة أرض في آسية الصغرى. هذا يكون أضمن لنا . ورفضت هذا ...

كنت مع أحمد توفيق على العشاء أمس . كان على وشك أن يغادر غرفة الطعام عندما دخلتها فرجع وجلس معي ، تحدثنا مدة تزيد على الساعة ، وأظن أنني كسبته اليوم . بنيت أمام عينيه صورة للقسطنطينية ولتركية كما ستكونان في المستقبل . عندما تصبح الوزير الأكبر يا صاحب السعادة أُدعُني أن آتي إلى القسطنطينية وسوف أبني المدينة لك ثانية – أي أني سأقوم بالتخطيطات لك . وبدا عليه الحماس .

إن نيولنسكي على حق ، يجب أن يعيش الإنسان مع هؤلاء الأتراك ويقدم لهم خدمات يحوز على رضاهم وامتنانهم بها وبالتدريج يعمل على تحبيبهم به .

أراد توفيق أن يحضر اليوم إفتتاح روايتي «المعسكر» . وقد حجزت لـه مقصورة وطلبت أن تستعمل كلمة أُخرى بدل « الخليفة » في السطر « السلطان

قد لوى رجله » . غير أن السفير اعتذر عن القدوم بسبب حفلة دبلوماسية . أما أنا فقد أردت أن يحضر السفير الحفلة لسبب واحد وهو أن تكتب الجرائد عن حضوره ، فإن مثل هذا الخبر يفيد قضيتنا . » (ص ٦١١) .

لكن هرتزل لم يحصر اتصالاته بالمسؤولين الاتراك . لم يمر اسبوع واحد لم يسعَ هرتزل فيه الى متابعة اتصالاته بهذا المسؤول او ذاك من رجالات اوروبة. في ١١ ـ ٦ ـ ١٨٩٧ ارسل مندوباً عنه لمقابلة رئيس وزراء رومانية في بخارست

« عند مروره في بخارست ، تكلم سيدني ويتمان مع رئيس الوزراء ستوردزه حول الصهيونية . ستظهر المحادثة في جريدة « نيويورك هرالد » . مرة أخرى عبّر ستوردزه عن تأييده لفكرتنا . » (ص ٥٦٣) .

وفي ٤ ـ ٩ ـ ١٨٩٧ فكّربالاتصال بالبابا :

« تقول الصحف الايطالية والفرنسية ان الفاتيكان اصدر رسالة دوريـــة يحتج فيها ، باسم المسيحية ، على مشروع احتلال اليهود للاماكن المقدسة . يوماً ما سأطلب من القاصد الرسولي في فينّه موعداً سرياً » (ص ٥٨٧) .

تقول « الديلي نيوز » من رومه إن المنسنيور بونتي ، القاصد الرسولي في القسطنطينية ، حمل إلى البابا رسالة خطية من السلطان يعبر فيها عن رضاه من معاهدة الصلح . ويقال إن البابا استدعى المنسنيور إلى رومه ليتشاور معه في التدابير الواجبأخذها ضد الحركة الصهيونية . ويقال أن البابا اتجه نحو فرنسه للموضوع نفسه ، إذ هي حامية المسيحيين في المشرق (؟) . بل من قبل ذلك التاريخ كانت الصحف الإيطالية قد نقلت عن «الأوبزرفاتور رومانو» أخبار عزم الفاتيكان على الإحتجاج على إحتلال اليهود لفلسطين . لذلك كتبت الرسالة التالية إلى المنسنيور أمجيديوس تالياني ، رئيس أساقفة سيباست ، القاصد الرسولي :

لي الشرف أن ألتمس منكم موعداً للمثول أمامكم والتحدث إليكم عن

الصهيونية ، وهي حركة عقدت مؤخراً مؤتمرها في بازل برئاستي . وقد حصلت في السنة الماضية على شرف التحدث مطولاً مع سلفكم العظيم ، المونسنيور أجلياردي ، في الموضوع نفسه . إلا أن أحداثاً مهمة حصلت منذ ذلك الحين . إني أعتقد ، بكل تواضع ، أن من المهم أن يُبلّغ قداسة البابا ببعض المعلومات الدقيقة عن حركتنا . ويسرني أن أبلغكم بها ، بصراحة متناهية ، على أمل إبهاج قداسته بها . إن معظم أنباء الصحف قلب للحقائق قد يؤدي إلى أحكام مؤسفة وإلى قرارات ميؤوس منها . إن لدي أصدقاء في رومه . لكن لا يمكن شرح كل شيء بالكتابة . وأعتقد أنه يجدر الإستماع إلي قبل أن تقول رومه كلمتها . وإن لدي كل سبب للإعتقاد أن قادة الكنيسة المتنورين لن يندموا من الإستماع إلي . وحتى الآن لم أخن ثقة الأمراء والسياسيين الذين شرفوني بوضع ثقتهم فيّ . فاسمح لي أن أؤكد لك ، مسبقاً ، بحفظي للسر .» (ص٥٨٩).

بل ان هرتزل كان احياناً يحاول استغلال بعض السياسيين من الشرقيين . كمصطفى كامل ، زعيم الحركة الوطنية في مصر في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن ، وكاغاخان ، الزعيم الاسماعيلي المعروف . كتب عن اولهما في ٢٤ ــ ٣ ــ ١٨٩٧ .

« الموفد المصري ، مصطفى كامل ، الذي كان قد زارني من قبل ، زارني ثانية . إنه في رحلة أُخرى لجمع المشاعر المؤيدة لقضية الشعب المصري الذي يسعى للخلاص من السيطرة البريطانية . إن هذا الشاب المشرقي يُعطي إنطباعاً ممتازاً . وهو مثقف وراق وذكي وبليغ . وقد دوّنته في ذاكرتي ، لأنه قد يلعب يوماً ما دوراً في سياسة المشرق ، حيث قد نلتقي ثانية . إن سليل مضطهدينا في مصرايم [مصر] يتنهد اليوم من عذاب الرق ، وتقوده طريقه إلي ، أنا اليهودي ، طالباً مساعدتي الصحفية ... أشعر ، مع أني لم أُخبره بذلك ، بأنه لمما يفيد قضيتنا أن يضطر الإنجليز إلى مغادرة مصر . فإنهم سيضطرون آنذاك أن يبحثوا عن طريق آخر إلى الهند بدل قناة السويس ، التي ستضيع منهم

أو على الأقل تصبح غير مأمونة . آنذاك تصبح فلسطين اليهودية الحديثة مناسبة لهم ــ الطريق من يافا إلى الخليج الفارسي . » (ص ٥٢٧) .

ونقل خبراً عن ثانيهما ، اغاخان ، في ٢٩ ــ ٤ ــ ١٨٩٨ :

« أخبر هافكن من بومبي صادوقاً أن الأمير الهندي آغا خان هو صهيوني وهو مستعد أن يتكلم في الأمر مع السلطان » (ص ٦٣١) .

الا ان الاعتماد الاكبر كان ، في تلك الفترة ، لا يزال على المانية . كتب في ١٧ ــ ١٠ ــ ١٨٩٧ رسالة الى قيصر المانية يطلب مساعدته ، ويعرض عليه خدمات الصهيونيين للحكومة الألمانية على حساب الحركات الثورية في البلاد. قال له في رسالته :

« ظهر قبل أيام إقتراح في الصحف البريطانية بعقد مؤتمر أوروبي لبحث وحل هذه المشكلة القائمة منذ قرون عديدة . ولقد اتفقت الصحف على إختلاف إتجاهاتها ــ من « البول مول جازيت » المحافظة إلى « الديلي كرونكل » الراديكالية ــ على ضرورة عقد مثل هذا المؤتمر . وبالإضافة إلى أن حل المشكلة اليهودية يعني أيضاً حل قسم من مسألة الشرق الأدنى ، يكوّن إرسال اليهود غير المندمجين مع غيرهم تخلّصاً لمعظم الدول ، التي يهلك اليهود في بعضها من الضيق الإقتصادي ، أو يضطر يهود بعضها الآخر إلى الإرتماء في أحضان الأحزاب الثورية بسبب نبذهم إجتماعياً ، أو يسيطر يهود بعضها الآخر على الشؤون المالية بطريقة نأسف لها نحن اليهود غير المتمولين . إذا سمحتم لي بالمثول بين أيديكم سأتمكن من تزويدكم بالمعلومات في كل المواضيع . إن على حركتنا ، التي انتشرت إنتشاراً واسعاً في كل مكان ، أن تخوض حرباً ضارية مع الأحزاب الثورية التي تجد في حركتنا ، ولها الحق بذلك ، خصماً لها . » (ص ٥٩٦) .

لقد بنى هرتزل آمالا كبيرة على القيصر الألماني. كتب في ٢٧ــ١٠ــ١٨٩٧

« ما ان امثل امام القيصر حتى نكسب الشيء الكثير ». (ص ٥٩٨) .

وكتب في ٢٥ — ٥ — ١٨٩٨ :

« ذهب هكلر إلى برلين ، وسيحاول أن يحصل لي على موعد مع القيصر . أنا محتاج إلى هذه المقابلة ، لأن بعدها يمكن قطع هذه الحلقة الشريرة . » (ص ٦٣٨) .

لكن هكلر فشل في مهمته كما نفهم من أخبار اليوم التالي :

« عاد هكلر ليخبرني أن دوق بادن الكبير تكلم عني وعن [جريدة] دي ولت بشيء من الرضى . وأن دوق بادن نصح هكلر أن يحاول أن يكسب اويلنبرج ، السفير هنا ، إلى القضية ، ويقول إن القيصر يسمع لاويلنبرج . يجب على هكلر أن يخبر اويلنبرج على لسان الدوق الكبير ، أن هذا الأخير يعتقد أن في القضية شيئاً مهماً بالنسبة لسياسة ألمانية في الشرق . » (ص ٦٣٩) .

فكتب هرتزل إلى دوق بادن الكبير رسالة قال فيها :

« أليس غريباً هذا التطور في الحوادث الذي حدث في الشرق منذ حظيت من سنتين بالسماح لي أن أقدم الحركة الصهيونية في كارلسروه . لقد تحولت سياسة ألمانية في اتجاه شرقي ، ورحلة القيصر إلى القدس ترمز إلى أكثر من معنى . ولهذا فأنا متأكد أكثر من أي وقت آخر أن حركتنا ستنال مساعدة . ولذلك كنت أنتظر هذه المساعدة بصبر طيلة السنتين الماضيتين . وإنه لواضح الآن أن تقرير أقصر طريق إلى آسية من قبل عنصر قومي محايد ، له قيمة خاصة بالنسبة لسياسة ألمانية في الشرق . ولكن ما هو هذا العنصر ، هو ذلك الذي يكون عن حاجة ، وهو الذي يندفع في كل مكان تقريباً إلى أحضان الأحزاب الثوريـــة . » (ص ٦٣٩) .

ثم كتب إلى القيصر نفسه ، يعده ويبجلّه ويتزلف له :

« دعني أوضح نقطة واحدة من بين الكثير من الأسباب التي تدعم فكرة

الصهيونية : وهي أن العنصر الحضاري الذي يمكنه أن يحتل فلسطين هو اليهود . إن البلاد أفقر من أن تجذب غيرهم ، أما بالنسبة لنا فإنها غنيّة بالذكريات وبالآمال ، وفلسطين يجب أن تحتل لأنها الطريق إلى أوفير وإلى كياشو . وإذا حصل ما هو مستحيل، أن بدت البلاد جيّدة في أعين غير اليهود، فإن الغيرة ستدب بين الأمم . وإني أرى أن أوروبة هي مستعدة أن تشجع اليهود علـى الإحتلال أكثر من غيرهم ، وربما كان هذا التشجيع ليس لأن لهم الحق التاريخي الذي يضمنه لهم أقدس كتب البشرية ، وإنما بسبب الشعور السائد في كل مكان ، شعور العمل على إخراج اليهود .

ستذهب ياصاحب الجلالة إلى فلسطين ، وسيكون لموكبكم عظمة رمزية ، وستذهل هذه الرحلة أهل الشرق وتقلق بال أهل الغرب ، غير أننا إذا نظرنا ملياً في الأمر نجد أن هذه الرحلة الإمبراطورية الجديدة إلى صهيون ستترك أثراً لا يمحى في التاريخ إذا كان لها علاقات مع الحركة الصهيونية الجديدة .

منذ وقت وأنا أشعر أن المساعدة ستأتينا من جلالتكم . يستطيع جلالتكم أن يأمرني متى أراد ، وليكن ذلك قريباً .

إن من صالح القضية أن أعرف بقبولك طلبي قبل ذهابك إلى فلسطين وقبل إنعقاد المؤتمر الثاني في بازل . على أن الإنسان أمام مشاريع كهذه يجب أن يكون صاحب صبر وطول أناة . » (ص ٦٤٢) .

وفي الوقت نفسه كان يتآمر على القيصر ويحرض فرنسة وإنجلترة ضده .

« سأكتب لنوردو ولجاستر (في ترانسيلفانية) ليحاولا أن يثيرا الصحف الفرنسية والإنجليزية على رحلة وليم الثاني إلى صهيون . يجب أن يحقد عليها الكل وبهذا ننال ما نريد . » (ص ٦٤٤) .

« أدليت بحديث صحفي لمراسل جريدة بول مول عن رحلة القيصر إلى

فلسطين ، حاولت فيه أن أثير اهتمام وغيرة سائر الدول الكبيرة ، وقلت إن لنا أكبر الأمل في أن نعتبر المرجع الأخير . لن تستطيع أية قوة أن تعطي فلسطين لغيرنا . وقد قصدت أن أغضب القيصر أيضاً بهذا القول . » (ص ٦٤٥) .

« بعد هذا عمدت إلى التحدث في القضية كقضية دولية ، وقلت إن فرنسة وروسية لن تسمحا للقيصر بأن يضع له قدماً في فلسطين ، الأمر الذي يريده القيصر ، وأننا نحن الصهيونيين سنكون المرجع الأخير لأوروبة . » (ص ٦٤٦) .

لكن هرتزل أخذ ، في تلك الفترة بالذات ، يفكر بتأجيل المساعي للحصول على فلسطين كغاية نهائية للحركة الصهيونية والعمل من أجل الحصول على بلد أسهل منالاً يكون خطوة نحوفلسطين ويستطيع الصهيونيون ان يقفزوا منه إلى فلسطين – وقد إختار قبرص لذلك . فكتب في ١ – ٧ – ١٨٩٨ :

« إني أفكر في إعطاء الحركة هدفاً إقليمياً أضيق، وأترك صهيون ليكون الهدف النهائي . إن الجماهير المسكينة تحتاج إلى مساعدة سريعة ، وتركية ليست بعد يائسة إلى درجة أن تقبل بطلباتنا . قد تقوم تظاهرات ضدنا في تركية في المستقبل القريب ، سيقولون إنهم لا ينوون أبداً إعطاءنا فلسطين . لذلك يجب أن نهيء أنفسنا للحصول على هدف في أقرب وقت ممكن تحت راية صهيونية ونحتفظ بجميع مطالبينا التاريخية .

ربما استطعنا أن نطالب إنجلتره بقبرص ونفكر في جنوب إفريقيه وأميركه – حتى تنحل تركية . على أن هذا يجب أن يبحث فيه أكثر . تحدث فيه مع نوردو وأمام المؤتمر ...

لقد عرفت منذ وقت عدم الثقة بالأتراك، وتوقعتها. لهذا كنت دائماً ضد التسلل . على كل حال ليس هذا قصر نظر مني . أستطيع أن أطالب بدولة

يهودية في فلسطين بمحاربة إستعمارية على نطاق صغير فقط . ولكن هذا حمق — لأن اللحظة الحرجة التي « لاحظت » فيها تركية نية إقامة دولة عند المتسللين ستجد المستعمرين مهاجرين بدون حماية . أما حسب خطتي فالمفاوضات تقوم قبل إجتياز الحدود ، وهذه طريقة أفضل لنا بكثير .. » (ص ٦٤٤) .

يقودنا هذا الى الحديث عن وضع فلسطين في مخطط هرتزل الإستعماري . فمن المعلوم أن هرتزل لم يقل ، في بادىء الأمر ، أن فلسطين هي البلد الذي يجب أن تقوم فيه الدولة الصهيونية التي دعا اليها . ومن المعلوم أيضا أنه ذكر الأرجنتين وأمكنة أخرى كامكانات لإقامة الدولة الصهيونية فيها . وأنه ، بعد ذلك بسنوات ، وبعد تأسيس الدولة الصهيونية وعقد عدد من المؤتمرات السنوية كان هرتزل لا يزال يرحب بإنشاء الدولة اليهودية العتيدة في أي مكان، حتى وإن لم يكن ذلك المكان في فلسطين ، وحتى لو كان في شرق إفريقية . لكن هذا الكلام كله لا ينفي أن هرتزل فكّر بفلسطين منذ أن فكر بانشاء الدولة ، فكر فيها أول الأمر كاحدى الإمكانات ، ثم كأحسن الإمكانات ، الى أن أصبحت ، في عهد خلفائه بعد وفاته ، الإمكان الوحيد ، وأخذوا على هذا الأساس يرفضون أي مشروع آخر لا يسمح لهم بأخذ فلسطين ، منذ أكثر من ستين سنة . وسنحاول أن نرى الآن كيف تطور وضع فلسطين في مخطط هرتزل في السنوات الثلاث الأولى من عمله الصهيوني (١٨٩٥ — ١٨٩٨) .

كتب هرتزل في ٩ — ٦ — ١٨٩٥ في تقييم فلسطين كأرض للدولة العتيدة :

« هناك بعض الأمور التي ليست في صالح فلسطين ، مثل قربها من روسيه وأوروبه ، وضيق مجال التوسع فيها ، وطقسها الذي لم نعد معتادين عليه . » (ص ٦٥) .

ويظهر أن البعد الجغرافي عن أوروبة كان يهمه كثيرا . كتب في ١١ — ٦ — ١٨٩٥ .

« إذا ذهبنا إلى أميركة الجنوبية ، التي لها حسناتها بسبب بعدها عن أوروبه

العسكرية المريضة ، فسوف تكون أوائل معاهداتنا مع الجمهوريات في أميركه الجنوبية . » (ص ٦٩) .

لذلك لما حدد أرض الميعاد في ١٤ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ لم يذكر فلسطين فقط :

« أرض الميعاد ، حيث لا بأس أن تكون لنا أنوف معقوفة أو أرجل معوجة ومن غير أن نحتقر من أجل هذه الأمور فقط. حيث، أخيراً ، نستطيع أن نعيش أحراراً على أرضنا ونموت بسلام في وطننا . حيث يمكن أن ننال نحن أيضاً مكافآت على الأعمال العظيمة . حيث نستطيع أن نعيش مسالمين لكل العالم ، العالم الذي سيُصبح حراً بتحريرنا ، غنياً بغنانا ، وعظيماً بعظمتنا . بحيث يمكن أن تتحول صرخة الإستهزاء « يهودي » إلى لقب مشرف مثل « ألماني » « إنجليزي » « فرنسي » ـ وبكلمة نصبح مثل سائر الأمم المتحضرة . نستطيع أن تكون لنا دولة يتعلم فيها شعبنا ليقوم بمهام تتجاوز مدى أفقنا الحاضر . إذ أن الله لم يحفظ شعبنا هذه المدة الطويلة لو لم يكن له دور آخر يقوم به من أجل تاريخ البشرية . » (ص ١٠١) .

وقد نشر ذلك في رسالته الطويلة الشهيرة الى آل روتشيلد :

« حالما تتألف الجمعية اليهودية سندعو إلى مؤتمر يشمل عدداً من الجغرافيين اليهود ليقرروا ، لأنه بمساعدة هؤلاء العلماء الذين يخلصون لنا بحكم يهوديتهم يتم تقرير المكان الذي سنهاجر إليه . لأني سأخبركم الآن كل شيء عن « أرض الميعاد » إلا عن مكانها . هذه مسألة علمية صرفة ، لأننا يجب أن نأخذ بعين الإعتبار العوامل الجيولوجية والطقس وغيرها من العوامل الطبيعية التي توصل إليها أحدث البحوث .

ومتى قررنا على القارة والبلد فسوف نبدأ بالخطوات الديبلوماسية ونسير فيها بغاية اللباقة ، حتى لا يكون عملنا قائماً على تصورات مبهمة . سآخذ الأرجنتين كمثل . لقد فكرت أولاً بفلسطين ، التي لها مزية أنها مركز شعبنا

وأجدادنا الذي لا ينسى ، وهذه حقيقة تستجذب العامة من الناس ، ولكن معظم اليهود لم يبقوا بعد شرقيين، وقد تعودوا على مناطق مختلفة كل الإختلاف. وكذلك فإنه من الصعب جداً إنجاز خطتي في النقل إلى هناك ، الخطة التي ستجيء فيما بعد . وكذلك أيضاً تظل أوروبه قريبة بينما نحتاج في ربع القرن الأول من وجودنا إلى الإبتعاد عن أوروبه ومشاكلها العسكرية والإشتراكية ، إذا كنا نريد أن ننجح . ولكني مبدئياً لست ضد فلسطين ولا مع الأرجنتين . علينا فقط أن نجد طقساً منوعاً يلائم اليهود الذين هم متعودون على البرد أو هؤلاء المتعودون على طقس أدفأ .

وبخصوص تجارتنا في المستقبل مع العالم ، علينا أن نكون على البحر ، ومن أجل زراعتنا التجارية واسعة النطاق نحتاج إلى مساحات واسعة . سنترك للعلماء مجال التفكير لإعطائنا المعلومات اللازمة ، أما القرار فسوف يكون لمجلسنا الإداري . » (ص ١٣٣) .

أي أن هرتزل لم يشأ باديء الأمر أن يبين مكان دولته العتيدة مع أنه فصّل الموضوع من نواح أخرى كثيرة وعيّن، مثلا، وسائل تحقيق هذه الدولة، كما نرى في الرسالة آنفة الذكر نفسها :

« وعندما نقرر البلد الذي سنحتله سنرسل رأساً من نأتمنهم ونعتمد عليهم للمفاوضة وإنجاز المعاهدات مع المسؤولين في البلد نفسه وفي البلدان المجاورة بخصوص إستقبالنا ومرورنا والتعهدات من أجل السلم الداخلي والخارجي . ولأفرض أننا ذاهبون إلى الأرجنتين ، في هذه الحالة ستكون مفاوضاتنا مع جمهوريات أميركه الجنوبية .

والآن سأخبركم بأهم مظاهر سياستنا . إن هدفنا يجب أن يكون إحراز الإستقلال حالما نحتل البلاد ونعلن دولتنا . ومن أجل هذه الغاية قد نحتاج إلى إعطاء منح مالية للدولة التي تقبلنا ، على أنه يجب أن لا تكون هذه المنح جزية علينا ، لأن هذا لا يليق بمركزنا في المستقبل ، ولأن أي قطع لهذه المنح قد

يسبب لنا حرباً نحن في غنى عنها . وعلى أي حال فإن مثل هذا العمل قد يسيء إلى سمعتنا في نظر العالم ونحن نريد أن نسيِّر أمورنا بشرعية ونكون خير الجيران للجميع ، إذا تركونا في سلام . على أن هذه العطاءات المالية التي سنقدمها للأميركيين الجنوبيين ليس من الضروري أن تكون نقداً ، يمكن أن تكـــون أقساطاً تدفع بشروط مناسبة. وهذا كفيل بأن يجعلهم شاكرين متقبّلين لأن يعطوا عطاءً كثيراً . وقد تكون هذه إستثمارات مفيدة لنا نحول بها ثرواتنا إلى أميركة الجنوبية. وستفيد الدول المجاورة كثيراً مباشرة وبطريقة غير مباشرة وسيكون لأميركة الجنوبية بسببنا ومعنا نهضة تجارية لم يسبق لها مثيل . وستغنى البلدان المجاورة لنا لا محالة . هذا طبعاً يجب أن يشرح لهم بوضوح أثناء المفاوضات . » (ص ١٣٤) .

لكن إنحلال السلطنة العثمانية وضعفها الشديد اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، وطمع دول أوروبة المختلفة باراضيها وخيراتها ، أسهم مع عوامل أخرى كثيرة في صرف نظر هرتزل عن أميركة الجنوبية وتوجيهه نحو أرض فلسطين . كتب في ١٠ ــ ١١ ــ ١٨٩٥ :

« إن الأمور تتأزم في تركيه ، إذا ازداد هذا التأزم بخصوص المسألـــة الشرقية وانتهى إلى حد يقضي بتقسيم تركية في المؤتمر الأوروبي ، فقد نتمكن من أخذ قطعة أرض محايدة (مثل بلجيكه أو سويسرة) لأنفسنا .»(ص٢٦٩).

من أكثر ما أثر في تركيز فكر هرتزل على فلسطين الصهيونيون أنفسهم ، أصدقاء هرتزل ومحدثوه وزائروه ، ممن استغربوا تردده في أمر فلسطين وأخذوا يؤكدون له أن الدولة يجب أن تكون في فلسطين . أكثر ما لمس هرتزل هذا الإصرار في زيارته لبريطانية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥ . ففي ٢٤ ــ ١١ ــ ١٨٩٥ تغذى عند النائب اليهودي البريطاني السير صموئيل مونتاجو الذي كان يدعو الى « فلسطين كبرى » .

« قال إنه مستعد أن يسكن في فلسطين مع جميع عائلته . هو يفكر بفلسطين

أكبر من تلك القديمة . ولم يرد أن يسمع أي شيء بخصوص الأرجنتين . »
(ص ٢٨٠) .

كذلك كان جولد سمد الذي قابله هرتزل في اليوم التالي :

« ولأنه عمل لهيرش في الأرجنتين ، ويعرف الحالة الراهنة يُستحسن أخذ نصيحته بعين الإعتبار وهي أن فلسطين فقط يمكن التفكير بها . سيساعدنا الأنجليز المسيحيون المتدينون إن ذهبنا إلى فلسطين ، لأنهم ينتظرون مجيء المسيح بعد رجوع اليهود إلى بلادهم ... وهو مثل مونتاجو يفكر بفلسطين كبرى . » (ص ٢٨٢) .

وهذا ما جعل هرتزل يقول :

« لن يريد اليهود الذهاب إلى الأرجنتين ولكن يريدون الذهاب إلى فلسطين . » (ص ٢٨٣) .

وهكذا ، وفي أقل من سنة من بدء الدعوة رسميا ، تركّز نظر هرتزل على فلسطين — حتى أن الذين قرأوا كتيبه « الدولة اليهودية » في شباط (فبراير) ١٨٩٦ أخذوا يتنبأون عن موعد « عودة » اليهود إلى فلسطين :

« زارني القس وليم هـ. هكلر ، راعي السفارة الإنجليزية في فينّه . إنه رجل لطيف مرهف ذو لحية تضفي عليه شكل الأنبياء . لقد تحمس لمشروعي كثيراً ، هو أيضاً يعتقد أن الحركة هي « قضية نبوية » » قضية تنبأ هو بها قبل سنتين ، لأنه قام بحساب تاريخ يستند على نبوءة جاءت في عهد عمر (٦٣٧ — ٦٣٨) إنه بعد إثنين وأربعين شهراً تنبؤياً أي في سنة ١٢٦٠ ستعود فلسطين لليهود وهذا التاريخ يوافق ١٨٩٧ — ١٨٩٨ . » (ص ٣١٠) .

« أراني هكلر الكنز التوراتي الذي عنده ، ثم فتح أمامي ، الرسم البياني للتاريخ المقارن ، وأخيراً أراني خريطة لفلسطين . هي خريطة كبيرة معدة

لضباط الحربية ، في أربع صحائف غطت كل أرض الغرفة لما فتحت . وقال هكلر باعتزاز : « لقد هيأنا الأساس لك » .

أراني ، أين ، بحسب تخطيطه ، سيكون معبدنا الجديد، في وسط البلاد. كذلك أراني نماذج للمعبد القديم . لقد هيأنا الأساس لك . » (ص ٣١١) .

« يعتقد هكلر أن ذهابنا إلى القدس أمر مهم جداً وقد أراني جيب معطفه الذي سيضع فيها خريطة فلسطين الكبيرة ليحملها معه أثناء رحلتنا في الأرض المقدسة . كانت هذه أذكى آرائه وأكثرها إقناعاً . » (ص ٣١٣) .

إلا أن أكثر أصدقاء هرتزل نجاحا في التنبؤ بموعد إنشاء دولة الصهيونيين في فلسطين كان واحد يدعى دسّور ، تنبأ في ٦ – ٢ – ١٨٩٦ بأنها ستقوم في مدى خمسين سنة – وقد تمكن الصهيونيون من تحقيق مخططهم الإستعماري في فلسطين في مدى اثنتين وخمسين سنة !

« يعتقد دسّور أنه من المعقول أن تولد الدولة اليهودية في حياتنا ولكن لن تترسخ إلا بعد عقود من موتنا . وهو يعتقد أنها ستقوم في مدى خمسين سنة . » (ص ٢٩٦) .

بل أن هرتزل لم يكن يفكر بفلسطين كأرض لدولته ، فحسب ، بل كان يفكر بها كفلسطين كبرى ، أي انه لم يعد يقنع بفلسطين بحدودها التقليدية بل أرادها الى أوسع مدى ! هذا ما اعترف به بعد أن أجرى أول إجتماع ناجح مع دوق بادن الكبير في ٢٣ – ٤ – ١٨٩٦ :

« كانت رحلتنا مريحة . فتح هكلر خرائط فلسطين التي كانت معه وأخذ يشرح ساعات . يجب أن تكون الحدود الشمالية الجبال التي تقابل كبادوكية ، أما الجنوبية فقنال السويس. وسيكون شعارنا فلسطين داود وسليمان! » (ص ٣٤٢) .

وهكذا أخذ هرتزل ، بعد سنة واحدة فقط من بدء دعوته ، يسلط نظره على فلسطين بشكل خاص :

« يصادف غداً تمام مرور السنة على بدئي الحركة بزيارتي لهيرش . إذا قدّر لي أن أتقدم في هذا المشروع حتى السنة القادمة بالنسبة نفسها التي حققت فيها ما حققت منذ بدأت حتى اليوم، إذن نكون في القدس السنة القادمة .» (ص ٣٥٤) .

وقد صرّح بذلك ، بصراحة تامة، لزياد باشا ، السياسي التركي ، وهما في طريقهما الى العاصمة التركية ــ وكان هرتزل يزورها للمرة الأولى ، في ١٧ ــ ٦ ــ ١٨٩٦ .

« صرحت له أننا نريد أن نحصل على فلسطين كدولة مستقلة تماماً ، وإذا لم نتمكن من أخذها هكذا فسوف نذهب إلى الأرجنتين . قال زياد : نعم لك أن تبدي رأيك ، ولكن يجب أن أخبرك لن تجد حتى من هو مستعد للتفاوض معك إن أنت طالبتنا بفلسطين مستقلة . إن الفوائد المالية والصحفية التي سنجنيها من مساعدتكم عظيمة وأستطيع أن أقول إن اقتراحكم مناسب جداً . إنما نحن لا نؤمن عن عقيدة بمبدأ بيع أية مقاطعة .

أجبت : لقد حصل مثل هذا مراراً في التاريخ . وقاطعني نيولنسكي ليقول إن إنجلترة تخلت مؤخراً عن هيلجولاند لإلمانية . وأصر زياد قائلا : « لن تكون لكم فلسطين مستقلة بأي شكل من الأشكال ولكن ربما تكون لكم كدولة تابعة . » قلت : سيكون هذا رياء منذ البدء ، لأن كل الدول التابعة لا تفكر في شيء إلا في كيفية الوصول إلى الإستقلال في أقرب وقت ممكن . » (ص ٣٦٧) .

ويظهر أن حماس هرتزل لفلسطين لم يكن كافياً لمناصريه في بريطانية . كتب هيرتزل في ١٢ ــ ٧ ــ ١٨٩٦ :

« لن يكون اسم اللجنة « جمعية اليهود »ــ إذ أن المحترم سنجر يرى أن

هذه التسمية « لا لون لها » يجب أن يكون في الإسم ما يمت بصلة إلى فلسطين . »
(ص ٤١٦) .

ولذلك حرص على إدخال اسم فلسطين في أول جمعية أشرف على إنشائها بعد أيام قليلة ، في ١٦ – ٧ – ١٨٩٦ :

« جاء أمس أش كشور ليعرض علي أن أؤسس منظمة تختارني رئيساً ، سينضم إلى هذه المنظمة مئة رجل من « شرق لندن » وهؤلاء يعملون على كسب أعضاء من جميع البلدان ليسيروا في حركة العمل للدولة اليهودية . ولقد قبلت هذا العرض ولما جاء دهاس الذي يريد أن يكون « سكرتير شرف » لي ، إقترحت عليه أن تسمى هذه المنظمة « فرسان فلسطين » ، على أني قلت إني سأضطر أن أظل أنا خارج الرتب ، لأنه يجب ألا أنتمي إلى مؤسسة دعائية . »
(ص ٤٢٢) .

ولا شك أن يهود فلسطين أسهموا كثيرا في تركيز نظره على فلسطين . ونستطيع أن نختار هذا الخبر ، في ٢٠ – ٤ – ١٨٩٧ ، كمثال على ذلك :

« جاء الدكتور دأربيلا أمس من القدس لزيارتي . إنه مدير مستشفيات روتشيلد ... أخبرني أخباراً عظيمة عن فلسطين ، التي يقال إنها بلاد رائعة ، وعن يهودنا الأسيويين ... لا يرى المرء في فلسطين يهوداً عمالاً زراعيين وعمالا يوميين من كل الحرف ، فحسب ، بل أيضا يهود المرتفعات محبي القتال . اننا ذو شعبية بين العرب والأتراك . كثيرا ما يذهب المتنازعون العرب الى قاض يهودي بدلا من القاضي التركي ليحل مشاكلهم . .

فلسطين كلها تتحدث عن مخططنا القومي فنحن ، في واقع الأمر ، الأسياد الوارثون للأراضي . وقوات الإحتلال التركية في القدس ضعيفة في الوقت الحاضر – حوالي ستمئة رجل . واليهود منذ الآن يشكلون غالبية سكان القدس . ... والطقس ممتاز ، والأرض غير قاحلة ، والطبقة الرغامية فقط جرفت إلى

الوديان من الجبال حيث كانت في الماضي جلالي خصبة . ان البرتقال مزهر حالياً في فلسطين . كل شيء يمكن فعله في تلك البلاد . » (ص ٥١٦ — ٥١٧).

وللحال أخذ يهتم بأخبار شراء اليهود أراضي فلسطين العربية . كتب في ١٠ — ٣ — ١٨٩٧ .

« تتفاوض جمعية الإستعمار اليهودية حاليا مع عائلة رومية اسمها سرسق على ما أظن من أجل شراء سبعة وتسعين قرية في فلسطين . يعيش هؤلاء الروم في باريس . وقد خسروا أموالهم في القمار . وهم يريدون بيع ممتلكاتهم (وهي ثلاثة في المئة من مساحة فلسطين ، حسب قول بامبس) بسبعة ملايين فرنك .لقد تحولت جمعية الإستعماز اليهودية عن الأرجنتين ولم تعد تستثمر أموالها إلا في فلسطين . » (ص ٥١٩)

وكان هرتزل يهتم كثيراً بأي مشروع لاستغلال أرض فلسطين .

« حديث طويل مع المهندس الكهربائي كريمنزكي . انه صهيوني جيد ذو أفكار حديثة . يمكن إنشاء صناعات كيماوية عظيمة على شواطىء البحر الميت كثير الملوحة . ويجب تحويل مجاري المياه النقية التي تصب فيه الآن واستعمالها كمياه للشرب . يجب استبدال الروافد بقناة في البحر المتوسط لا بد لها أن تمر في نفق في جزء من طريقها بسبب الجبال . أما الفرق في المستوى بين البحرين فيستعمل لأدارة الآلات . قوتها عدة آلاف من الأحصنة .

وفي أماكن أخرى من فلسطين ، أيضاً، يوجد الكثير من المياه المولدة للقوة التي يمكن تحويلها إلى كهرباء . . » (ص ٤٥٦) .

والواقع أن تخيلات هرتزل لاستغلال أراضي البلد الذي سيختاره « أرضا للميعاد » بدأت منذ الصفحات الأولى من يومياته ، منذ ٥— ٦ — ١٨٩٥ :

« ان ما سنخسره هكذا بسبب انخفاض قيمة الأشياء التي لا تنقل والتي ستؤخذ منا سنعوض عنها بالمدخول الكبير الذي سوف يكون لنا عن طريق

تخطيط التحسين الذي سنقوم به في الأرض الرخيصة هناك» (ص ٣١) .

إنه يدعو إلى استغلال الأرض التي سيستولي عليها بكل الوسائل استغلالا يتنكر لأبسط الحقوق والقيم . كتب بصراحة في ١٢ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« عندما نحتل البلاد ، سنعمل سريعاً على إفادة الدولة التي ستأخذنا ، ويجب ان نستخلص ملكية الارض التي ستعطى لنا ولكن باللطف والتدريج . سنحاول ان نشجع فقراء السكان على النزوح الى البلدان المجاورة وذلك بتأمين اشغال لهم هناك ، ورفض اعطائهم اي عمل في بلدنا . اما اصحاب الاملاك فسيكونون بجانبنا . على اننا يجب ان نقوم بكلا العمليتين ، استخلاص الأرض وابعاد الفقراء بتعقل وحذر . يجب ان نعمل على ايهام اصحاب الاملاك التي لا تنقل على انهم يخدعوننا ببيعهم الاشياء باكثر مما تساوي . واما نحن فلن نبيعهم شيئاً . سيكون استخلاص الأملاك عن طيب خاطر ، مهمة عملائنا السريين . ستدفع الشركة اثماناً باهظة . عندها سنبيع فقط لليهود ، وستكون المتاجرة بالعقارات بين اليهود فقط . طبعاً لن نستطيع ان نصرح بهذا ونعلن بان اي بيع آخر ليس قانونياً ، وحتى لو كان هذا العمل مشروعاً لدى الرأي العام العالمي ، لن نكون قادرين على فرضه .

لذلك يجب ان نحافظ على كل ما يباع من ممتلكات عن طريق فتح مجال للشركة ان تشتريه ثانية ، اي انه اذا اراد المالك ان يبيع ما يملك يكون لنا حق شرائه بالثمن الأول الذي وضعنا له ، الا اننا سنُعطي تعويضاً تقرره لجنة خبراء لكل تحسين قد ادخل على الممتلك . يقترح المالك خبيراً ونحضر نحن خبيراً ، وإذا لم يتفق هذان الاثنان يختاران ثالثاً حيادياً يقدم القرار . إن هذا الحق في الشراء ثانية هو امتياز لا يمكن استرجاعه بالرهن .

ان هذا الاستخلاص الذي هو عن طيب خاطر يجب ان يتم على ايدي موظفين لا يعرفون ان استخدامهم هذا هو من قبل عميل سري يأخذ هو بدوره الأوامر من الوكالة المركزية لشراء الممتلكات. وهذه المبيعات السّرية

يجب ان تكون فورية تجري بسرعة الضغط على مفتاح كهربائي ، وعملاؤنا السريون الذين ينبثون هنالك وكأنهم يريدون الشراء لانفسهم يستلمون الاشارة « سيروا » .

يجب ان يتم الشراء كله في مدى اسبوع وإلا ارتفعت الاسعار واصبحت باهظة . بالطبع يجب ان يسبق كل هذا تدقيق في سجلات الاراضي (أينما كانت) يشمل دراسة اوضاعها الخاصة . اما الملاكون المتمسكون بارضهم بسبب التقدم بالسن او العادة او غيرها ، فليعرض عليهم نقل الملكية الى اي مكان آخر يريدون ، مثل ما حصل مع شعبنا . هذا العرض يقدم فقط عندما ترفض كل العروض الأخرى .

اما اذا لم تنفع هذه الوسيلة ايضاً فلا بأس من تركهم لأن هؤلاء الذين يتعلقون عادة بالارض هم صغار الملاّك ، إن كبار الملاك يشترون بالاسعار . فاذا ما كان هنالك كثيرون من الذين لا يريدون ان يتركوا بقعة ما ، نبقيهم ونحوّل اهتمامنا وتطور تجارتنا الى بقعة اخرى نمتلكها جميعها .

لن يكون المشترون السريون احراراً ، يجب ان يكونوا تابعين لنا . إن اي عمل مباشر او غير مباشر يقومون به للمضاربة او التجارة يؤدي بهم الى ضررهم مع خسارة السمعة . ولكن لهؤلاء وسائر موظفينا امتيازات خاصة في حق اختيار المكان الذي يريدون ان تكون بيوتهم فيه ، وسنبني لهم هذه البيوت بتكاليف معتدلة ونخصم ثمنها من رواتبهم كدين يوفى على اقساط .»(ص ٨٨ — ٨٩) .

أما أصحاب البلاد الشرعيون فهذا ما يريده هرتزل لهم ، حسبما كتب في ١٢ — ٦ — ١٨٩٥ .

« اذا رحلنا الى منطقة فيها من الحيوانات البرية ما ليس اليهود متعودين عليه مثل الأفاعي الكبيرة وغيرها ، سأستخدم اهل البلاد — قبل ان اعطيهم

اعمالاً في البلدان المجاورة – ليقضوا على مثل هذه الحيوانات . جوائز كبيرة لمن يأتي بجلود الافاعي وبيضها ، الخ . »(ص ٩٨) .

وكتب عنهم في ٢٣ – ٧ – ١٨٩٥ :

«وليكن السير في مناطق الاوبئة سريعاً، وفي مثل هذه المناطق يجب ان يكون العمال على السكك الحديدية والطرق من اهالي البلاد وكذلك عند تجفيف المستنقعات فيما بعد ، لأن اهل البلاد متعودون على هذا الطقس ، وإلا كثرت نسبة الموت بيننا مما يُسيء الى معنويات الشعب الذي يكون على اية حال خائفاً من الأمر المجهول . » (ص ٢٠٨) .

ولما زار فلسطين في تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٨ ، وعلم أن المرض يفتك باليهود المهاجرين اليها ، قرر أن يعهد بالأعمال التي تعرض أصحابها للخطر إلى العرب :

« سيكون تكاليف هذا بلايين ، ولكن هذه ستؤدي إلى خلق بلايين من الثروة الجديدة . يمكن إستخدام العرب الذين لهم المناعة ضد هذه الحمى للعمل . » (ص ٧٤١) .

هرتزل نفسه الذي يكتب هذه الكلمات في الكشف عن نواياه لعرب فلسطين سكانها الأصليين وأصحاب حقها وأرضها ، يعتبر أن عمله هذا سيكون عملا عظيما ليس لليهود فقط بل للعالم كله ، عمل سلام . كتب :

« أرض الميعاد ، حيث لا بأس أن تكون لنا أنوف معقوفة ولحى حمراء أو سوداء وأرجل معوجة من غير أن نحتقر من أجل هذه الأمور فقط ، حيث أخيراً نستطيع أن نعيش أحراراً على أرضنا ونموت بسلام في وطننا ، حيث يمكن أن ننال نحن إيضاً مكافآت على الأعمال العظيمة ، حيث نستطيع أن نعيش مسالمين لكل العالم ، العالم الذي سيصبح حراً بتحررنا ، غنياً بغنانا ، وعظيماً بعظمتنا . » (ص ١٨١) .

« سأضع نهاية اللاسامية في العالم وهذا هو بدء السلام ... السلام لليهود ، والنصر لغير اليهود . يجب أن نلجأ إلى السلم لأننا لا نستطيع بعد أن نحارب ، ولأننا قد نضطر فيما بعد أن نستسلم تحت ظروف أسوأ ... سيصل اللاساميون الى ما كانوا دوماً يريدون، فليكن لهم ما أرادوا وليسعدوا به لأننا نحن أيضاً سنكون سعداء . سيبدو لهم أنهم على حق لأنهم بالفعل على حق . ما كانوا ليسمحوا لنا أن نغلبهم في الجيش أو في الحكومة أو التجارة فيكون ذلك جزاءهم على إخراجنا من المعسكرات . لنتذكر هذا العمل العظيم لهذه الأمم المتمدنـــة .

إذا حررناهم منا نجعلهم أيضاً يتحررون من الإرتداد إلى أعباء القرون الوسطى التي ما زالوا يرزحون تحتها بخصوص المسألة اليهودية من غير أن يشعروا . إنهم لا يلامون على ما اقترفه آباؤهم .

الصفح والسلام والمصالحة للعالم بأسره ، ويتبع هذا الخلاص مباشرة . أما الطبقة الوسطى فيجب أن يتم بسرعة تصفية الفائض فيها من ذوي الإمكانات العقلية المتوسطة الذين سيكوّنون أول مؤسساتنا ويكونون أول قوادنا وموظفينا وقضاتنا وأطبائنا والفنيين المختلفين عندنا .

وهكذا تسير الأمور بسرعة ولكن بدون فوضى ، سيصلى من أجل نجاح مشروعنا في كنائس اليهود ، وأيضاً في كنائس المسيحيين .

ستساعدنا الحكومات وتقف بجانبنا لأننا سنخلصهم من ثورة يبدأهـــا اليهود ولا يعلم أين تنتهي » . (ص ١٨٢) .

وقد أوضح هرتزل ، في رسائله إلى آل روتشيلد في ١٣ و١٤و١٥–٦– ١٨٩٥ الطريقة التي سيستولي بها على أراضي البلاد التي سيذهب اليها :

« لقد تركنا مفاوضينا الدبلوماسيين في أميركة الجنوبية ، يتممون معاهدات الاحتلال مع الدول هناك . لقد انتهت هذه المعاهدات الآن ، ونحن متأكدون

من البلاد التي سنحتلها .

ليس هناك شك من أن هذه العملية شرعية ولكنها ليست خالية من الوساوس ، نحن نعرف أن الثمن يزداد ازدياداً لا يدري به البائع في البدء ، ولهذا السبب وبعد أن تم معاملات البيع والشراء نعطي البائع حق الإختيار بين أن يقبض الثمن نقداً أو يأخذه أسهماً حسب القيمة الإسمية . أما إذا ظن بأن الأمر كله خديعة فإنه بذلك يسيء إلى نفسه أكثر . وعلى كل حال فلن يكون علينا لوم في شيء . » (ص ١٣٦) .

« إن أرض اليهود الجديدة يجب أن تستكشف وتستخدم بجميع الوسائل الحديثة . عندما يقرر علماؤنا الجغرافيون البقعة التي سنأخذها وبعد أن تم معاملات الشراء وعقوده الدولية والخاصة ، ستسير سفينة إلى ذلك المكان لتستلم الأرض . ستحمل هذه السفينة موظفين إداريين وفنيين مختلفين ومندوبين من الجماعات المحلية .

سيكون عمل هؤلاء الرواد مقسماً في ثلاثة أمور :

أولاً : دراسة خصائص البلاد الطبيعية درساً دقيقاً .

ثانياً : تأسيس إدارة مركزية محكمة .

ثالثاً : توزيع الأراضي .

وهذه الأعمال الثلاثة تتلاحم معاً ، ولا بد من توسيعها بحكمة لتتناسب وغايتنا التي هي معلومة لدى الجميع .

هناك أمر واحد لم نوضحه بعد ، وهو طريقة توزيع السكان على المناطق المختلفة بالنسبة للجماعات المحلية . شرط مهم هنا أن نفكر بالطقس ونعطي لكل فئة ما يشبه الطقس الذي هم متعودون عليه في مكان إقامتهم الأولى ، بعد هذا التقسيم العام تأتي الإعتبارات الأخرى الخاصة ...

وسيكون كل شيء منظماً منذ البدء ، وحتى على السفينة التي ستسير لإحتلال البلاد سيعرف كل واحد مهمته واضحة ، العلماء ، والفنيون ، والرؤساء والموظفون وأخيراً وأهم الجميع الممثلون المعتمدون للجماعات المحلية.

وعندما تبدو بلادنا الجديدة من بعيد سيرتفع علمنا على سارية . » (ص ١٧٤ – ١٧٥) .

وهو ينوي إعلان الدولة اليهودية حالما يستقر المهاجرون في فلسطين . كتب في ١٨ – ١٠ – ١٨٩٥ :

« إن تسرّب اليهود التدريجي – إلى أي مكان كان – لا بد أن ينتهي إلى إثارة الشعور اللاسامي ، ويأتي وقت تمنع فيه الهجرة ويصير عملنا كله إلى الزوال . على أن الأمر يكون غير ذلك إذا أعلنّا إستقلالنا منذ البدء لأن ازدياد اليهود فيما بعد سيكون مقبولاً لدى البلدان المجاورة التي ستستحسّن تجارتها عن طريقنا . » (ص ٢٤٥) .

وبعد سنة تماما من بدء دعوته ، أي في ايار (مايو) ١٨٩٦ ، كتب ضد التسلل التدريجي لليهود الى فلسطين :

« إني ضد التسلل . وإذا سُمح به إرتفعت أسعار الأراضي وصعب علينا شراؤها أكثر فأكثر . وفكرة إعلان الإستقلال حينما نصبح أقوياء كفاية أعتبرها فكرة غير عملية ، لأن الدول الكبرى لن تعترف بها ، حتى ولو كانت السلطة قد ضعفت كفاية . برنامجي هو ، من الجهة الأخرى ، إيقاف التسلل وتركيز كل قوانا على الحصول على فلسطين في ظل القانون الدولي . يتطلب ذلك مفاوضات دبلوماسية بدأت بها ، وحملة دعاوة على أوسع نطاق . » (ص ٣٥٥) .

ظل هرتزل يقف ضد الهجرة المتقطعة مدة طويلة . وهذا ما جعله في ٩ – ٤ – ١٩٠٠ يعارض الصهيوني نوردو .

« أرسل نوردو « رسالة مفتوحة » إلى يهود رومانية للنشر في مجلة ولت . إنه ينصح ببساطة ووضوح بالهجرة على دفعات (كل دفعة من مئة شخص) وبالتدريج بدون تفويض وبدون موارد . ملاحظة جيدة لكنها تؤدي إلى كارثة . لن أطبع الرسالة في الوقت الحاضر . » (ص ٩٢٤) .

وسنرى في صفحات لاحقة أن هرتزل كان يفكر أحيانا ، عندما يخبو أمله بفلسطين في ذلك الحين بالذات ، بأماكن أخرى يذهب باليهود اليها ليقفزوا منها ، فيما بعد ، إلى فلسطين . أي أن فلسطين كانت هي المرحلة الأخيرة لمسيرة اليهود في مشاريع هرتزل المختلفة . والأمثلة على ذلك كثيرة . فبعد أن فشل في اقناع القيصر الألماني في فلسطين ، تحدث عن القدس وكأنها قدس اليهود ، في ٥ ــ ١٠ ــ ١٩٠٠ .

« أعظم أخطائي حتى الآن أني لم أنتظر القيصر على بوابة دخول اليهود . كنت آنذاك أعتقد أنه من الأفضل ألا أفعل ذلك حتى لا يعتبر الإحتفال هو الإحتفال الذي سيستقبل به الوفد الصهيوني ، وكنت أريد إستقبالاً رصيناً خاصاً لنا . إلا أنه كان يجدر بي (أنا الذي اعتبرني رئيس اليهود كلهم) أن أنتظره على عتبة مدينتنا القدس وأن أحييه هناك ، وهو الذي يحب الأفعال الرمزية . » (ص ٩٨١) .

إن صورة فلسطين لا تغيب عن مخيلته . حتى وهو جالس في مكان في أوروبة ، ومشاريعه تتعقد أمام رفض السلطات المستمر لمنحه فلسطين ، كان يفكر في فلسطين وكأنها في متناول اليد . كتب في ٢٣ ــ ٩ ــ ١٩٠١ .

« جلست اليوم قرب البحيرة ، وكانت جميلة . وفكّرت كيف سيكون الحال إذا جلست في الربيع القادم قرب بحيرة طبرية . » (ص ١١٧٩) .

ومرة أخرى ، حينما لم يجد سبيلا مباشرا الى فلسطين في مطلع ١٩٠٣ واستعاض عن هذا السبيل مبدئيا بسبيل غير مباشر ، عبر سيناء ، كانت حدود دولته في فلسطين تصل في جهة الجنوب الى خليج العقبة (ص ١٤٠٤) . وفي

صيف تلك السنة (في ٨ ـ ٨ ـ ١٩٠٣) قال لوزير الداخلية الروسي مرتين أن فلسطين هي المكان الوحيد للهجرة اليهودية :

« وفي عرض الحديث وفيما أنا أبيّن لبليفيه الحاجة إلى توسط روسيه مع السلطان ، لأن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يجذبنا ، أضفت أن هناك أيضاً صعوبات تقف دون قبولنا في أي بلد آخر ، حتى في إنجلتره وأميركه ... فلسطين هي الإمكانية الوحيدة . » (ص ١٥٢٨) .

ومع أننا سنمر في هذا الكتاب بمشاريع كثيرة قدمها هرتزل في خلال مساعيه الدبلوماسية للحصول على فلسطين ، سنكتفي حاليا بأكثر هذه المشاريع أهمية ، وهو مخططه الإقتصادي ـ السياسي للحصول على فلسطين كما كتبه في ٢٠ ـ ١ ـ ١٩٠٢ . « وكوهين » الذي سيرد ذكره في الرسالة هو السلطان .

« إنها مسألة عملية مالية كثيراً ما تكتب الصحف عنها ، مثل حية البحر . رؤيت آخر مرة في المياه الفرنسية . ويقال إن وزير المال السابق ، روفيير ، إصطادها أو يصطادها . تعرف العملية باسم تصفية الدين التركي .

ستجد طيه جدولاً بالدين كما كان في آذار ١٩٠١ . وقد حصلت تعديلات مختلفة ، منذ ذلك الحين ، في نسبة التحويل . لن نخوض هذا الموضوع ، شأن سائر التفاصيل ، إلا بعد القبول مبدئياً .

يرغب كوهين كثيراً في وضع الدين تحت سيطرته. فإن «ادارة الدين» هي مصدر أعظم أحزانه وتعاساته . إن مصاريفها عالية بشكل جنوني ، ومع هذا فهو ليس سيد بيته . وقد وعدني بكل ما أريد إذا حررته منها .

تبلغ قيمة الدين الإسمية حوالي خمسة وثمانين مليون جنيه استرليني . ولنفرض أن قيمة التحويل تبلغ اثنين وعشرين مليون جنيه استرليني . تصلح هذه الأرقام لأن تكون أساساً للبحث ، مع أنها تتبدل بالفعل بين يوم وآخر . وأرجو أن تلاحظوا أن خبيراً سيضع لنا الحسابات المفصلة ـ السيد بنو

ريتلنجر، من باريس، وهو يملك عدة ملايين الفرنكات، وصهيوني جيد متفان لي.

سأقسم الخطة إلى ثلاثة أقسام لتوضيحها: الحصول على الدين، والحصول على الميثاق، والتعويض للجماعة.

اولاً: الحصول على الدين: يتطلب ذلك تكوين جماعة مالية قوية تبلغ حساباتها لما بين ٢٢ ــ ٢٥ مليون جنيه استرليني، دون ان تحتاج لوضع كل هذا المبلغ ... يضع المرء مبلغا صغيرا من المال على الطاولة. ولا يحتاج لدفع المبالغ الكبيرة. يكفيه ان يحوّلها فقط. انما عليه بالطبع، ان يملكها ــ ان يكون قادراً عليها.

يستطيع ريتلنجر ان يدبر الامر دون ان يحرك اصبعا ولا ان يدفع قرشاً. انه يملك قسماً من الدين من خلال البيوتات المشتركة معه. اما القسم الثاني وهو بيد جماعة منظمة فيستطيع ريتلنجر الحصول عليه بواسطة الخيار. ويستطيع شراء القسم الثالث في البورصة سراً. ورجال سيسل يستطيعون ان يفعلوا ذلك ايضا. انما بصعوبة ــ اي باكثر مصاريف، واكثر انفضاحاً، وابطأ.

لكن اقصى الصعوبات ستكون امام جماعة مثل تلك التي تفكّرون بتأسيسها. ستكون الصعوبة، في الدرجة الاولى، هي انه كلما كبرت الجماعة (أي كلما نقص حجم حصة الفرد) ازدادت قيمة النقد. ثم ان خطر اذاعة السر وافساد الامور يزداد بازدياد المساهمين.

حسب تقديرات الخبير لديّ، اقدّر ان يكون الاستثمار النقدي للجماعة حوالي عشرة في المئة، اي ما بين مليونين ومئتي الف ومليونين ونصف المليون من الجنيهات الاسترلينية. ما ان توجد هذه الكمية حتى يبدأ الشراء ... وسوف يؤيد كوهين هذه العملية بكل طريقة. بل اني اظن انه سيأخذ حصة. فمن المعروف انه يملك ثروة ضخمة. واذا تذكرنا قوة صلاتي معه قد استطيع ان

اقنعه على الاشتراك معنا ، بعد ان نبدأ العمل ... وبعد ان تسير العجلة ، يصبح الدين في حوزة الجماعة . عندها ندخل المرحلة الثانية .

ثانيا : الحصول على الميثاق : سوف نتسلم الميثاق بمجرد اعلان الجماعة عن تملكها للدين . ولا ابني كلامي على وعد كوهين لوحده (لست ساذجاً لهذه الدرجة) ولكن على مصالحه الحيوية . سيضطر ان يمنحنا الميثاق اذا لم يشأ ان يظل في وضعه الحاضر ، اي على طريق الافلاس .

سيعينّ اصحاب الدين الموظفين الاداريين . ان كوهين يريدهم ان يخضعوا له ، ويعملوا بدون نفقات باهظة ، ويراقبوا ادارة موارده كلها . لكن يجب الا يكونوا اعداء له ولا اجانب ، بل من شعبه . لذلك سوف نسلّمه الادارة (لمدة معينة) مقابل تسليمنا الميثاق .

كيف يتم استثمار الميثاق الذي سيُمنح الى الصندوق الاستعماري اليهودي؟ يؤسس الصندوق شركة اراضٍ رأسمالها خمسة ملايين جنيه استرليني . وهي تكمّل العملية التي تشرع الجماعة بها . فهي تأخذ الدين من الجماعة .

ثالثاً : التعويض للجماعة : كما ترى لا تشتري الجماعة الدين للاحتفاظ به ، بل لتبيعه ثانية وبربح . لكن يجب تحديد هذا الربح مسبقاً في خيار للصندوق الاستعماري اليهودي لتأخذ السندات بسعر معين زائد عن سعر الشراء . وهكذا تدبر الجماعة امر المشتري .

السؤال هو الآن ما اذا كانت شركة الاراضي ، التي لم تنشأ بعد، ستريح الجماعة بالفعل من الدين . نعم . لا بد لشركة الاراضي من الحصول على الدين . تحتاجها لدرجة انها تدفع اي سعر ثمناً لها . وهكذا ستتحدد ارباح الجماعة مسبقاً . ستكون الشركة قوية كفاية لان تأخذ الدين من الجماعة ، ما دام رأسمالها خمسة ملايين جنيه استرليني وتملك الميثاق (الذي يضم اراضي الدولة) وكعميل في فلسطين وسورية اللتين ستزدادان قيمة بفضل السكنى الجماعية فيهما .

لكن ماذا يحصل لو ان شركة الاراضي لم تتحقق ؟ انذاك اما تصفّي الجماعة نفسها . او انها تعرض السندات على دولة كبيرة للبيع : انجلترة وفرنسة والمانيه وروسية . ولذلك من غير المحتمل ان يضيع قرش واحد . وعلى العكس ستجني الجماعة ارباحا حتى في هذه الحالة .

هذه ايها الاصدقاء هي الخطة بخطوطها العريضة . واظن ان على زانجويل ان يبدأ باعطاء الخطة مفصلة الى اللورد سفيلد وان يسعى بواسطته لكسب روتشيلد. ولعل سفيلد ، اومطران ربون ، يقنع الملك لاقناع روتشيلد . لأنه ما من شك ان من مصلحة انجلترة ان تكسب منطقة النفوذ المهمة هذه بالطريقة المذكورة ، بدون حرب ولا مصاريف . على روتشيلد ان يساعد لا كيهودي ولكن كأنجليزي .

واترك لكم تقرير مدى وضع النفوذ على سيسل بواسطة جيمس ، وليس بواسطة مكسيم . سؤال اخر هو الى اي مدى يجب ادخال كسلر (المهندس الجنوب افريقي ، عضو لجنة العمل من ترانسفال) بالموضوع وقد عرض كسلر ان يستميل كبار ماليي جنوب افريقية ، والسير فرانسس مونتفيوري .

في هذه الحالة ، كما في انشاء جماعة تضم لبتون وغيره ، يجب الحذر الشديد . يجب تناول الخطة وكأنها لوحة فوتوغرافية . يجب تظهيرها في الضوء الاحمر فقط . والضوء الاحمر هو فطنة اصحاب الشرف . كل من يطلع على السر ثم لايتعاون معنا يصبح خطراً . لانه ،خلال العملية، يستطيع ان يقامر ضد الجماعة في البورصة ، او يحمل الآخرين على ذلك (ص ١١٩٦) .

وسيسل الذي يذكره هو سيسل رودس . وقد أجرى هرتزل اتصالات مع هذا الإستعماري البريطاني منذ مطلع ١٩٠٢ . كتب في ١٠ - ١ - ١٩٠٢ :

« يقول كون انه يعمل جهده ، مرة اخرى ، لتدبير امر اجتماع مع سيسل رودس . تاجر المطاط الدكتور جيمسن هو حلقة الصلة مع رودس . الا انني ، بسبب ممولي الذين قد يغضبون ، لا استطيع ان اغامر برحلة جديدة

لا تعد بنتائج حاسمة . لذلك ابرقت له انني اذهب فقط اذا كان رودس مهتما جدا بالأمر . » (ص ١١٩٣) .

وكتب هرتزل إلى رودس رسالة يفسر اهتمامه به :

« كيف حدث ، اذن ، ان اتجهت نحوك ، ما دام الامر خارج طريقك ؟ لأنه امر استعماري ، ولأنه يقوم على فكرة تنمية تستغرق عشرين او ثلاثين سنة . هناك خياليون ينظرون عبر ابعاد طويلة من الوقت لكن ينقصهم الوعي العملي . وهناك عمليون لا يتمتعون بخيال سياسي . لكنك انت ، يا سيد رودس ، سياسي خيالي ، او خيالي عملي . وقد برهنت على هذا . ما اريده منك ليس ان تعطيني او تقرضني قبضة من الجنيهات ، بل ان تصدّق على المخطط الصهيوني وان تعلن التصريح التالي امام عدد من الناس : انا ، رودس ، قمت بفحص هذا المخطط ووجدته صحيحا وعملياً . انه مخطط مملوء بالحضارة ممتاز بالنسبة الى الشعب الذي يتوجه المخطط نحوه ، لا يعيق تقدم البشرية العام ، مفيد جداً لانجلترة ، ولبريطانية العظمى . اما اذا قدمت انت وزملاؤك العون المالي المطلوب لهذا المخطط ، فانك ستحظى ، بالاضافة الى الرضى الذاتي العام ، بالربح الجيد . فالمال هو المطلوب .

ما هو المخطط ؟ اسكان فلسطين بالشعب اليهودي العائد .

عندما شرعت بالعمل قبل ست سنوات ، كانوا يسخرون مني بقسوة . فازدريت بالساخرين ومضيت قدماً . وفي خلال هذه السنوات الست اهتز اليهود في كل انحاء العالم . ونتج عن خمسة مؤتمرات منظمة فيها الاف الاعضاء من العالم بأسره . ان الصهيونيين يلبّون الاوامر من منشورية الى الارجنتين . ومن كنده الى رأس الرجاء ونيوزلنده . اما التجمع الاكبر لمؤيدينا فهو في اوروبة الشرقية . واكيد ان اربعة ملايين ، من بين الخمسة ملايين يهودي في في روسية ، يقسمون يمين الولاء لبرنامجنا . ولدينا فروع لحزبنا في كل الجهات المتمدنة . لا يمضي يوم واحد دون ان ينعقد اجتماع عام لشعبنا في هذا المكان

او ذاك . ومع هذا صيغت مطاليبنا بحيث لم تعارضها بعد حكومة واحدة ، حتى ولا الحكومة الروسية . ومنذ ١٨٩٨ كسبت القيصر الالماني نفسه الى صف قضيتنا . فاستقبلني في اجتماع مطوّل في قصر يلدز في القسطنطينية بحضور بولو . وبعد ذاك استقبلني رسمياً في القدس ، ومعي اربعة من زملائي . كممثلين عن الصهيونية . كما بعثت بمذكرة الى القيصر [الروسي] عبر حاكم آخر ، ولذلك منحنا فضل حياده التام . وفي ايار الماضي عرضت الامر امام السلطان في اجتماع مطول ، ومنحني بركته . ولنا في انجلتره عدد لا يحصى من الاصدقاء المسيحيين ، في الكنيسة وفي الصحافة ، كما ان سبعة وثلاثين عضوا في مجلس العموم وعدوا بمساعدة الصهيونية. » (ص ١١٩٤) .

لكن سيسل رودس مات قبل ان يجتمع الرجلان ، في أذار (مارس) ١٩٠٢ :

« مات سيسل رودس . كنت افكّر به لجمع النقود . لكني عجزت عن تدبير اجتماع معه (ص ١٢٦٥) .

نعود إلى موضوع فلسطين في مخطط هرتزل . كان لمشروعه الفلسطيني امتدادات . كتب في ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٨٩٩ :

« ينشر تريتش دعاوة ناجحة في رومانيه لمشروعه القبرصي الذي اراه معقولاً جدا ، مع اني يجب الاّ اصرح بحماسي له مراعاة لجمعية احبة صهيون » (ص ٨٨٢) .

وكتب في ٢٥ ـ ١ ـ ١٩٠٢ عن أطماعه في مصر :

« قرأت امس خلاصة مقال اوبنهايمر « المستعمرات الصهيونية » في « الولت » . وقد اثار انتباهي النداء الختامي ، المقارنة بين تجربة رهالين [مقاطعة في ايرلندة جرت فيها تجربة ناجحة عام ١٨٣٠ ـ ١٨٣٢ باعطاء العمال حصة في الارباح] وبين خط حديد برلين ـ زوسن الكهربائي التجريبي .

وقررت للحال تنفيذ تجربة اوبنهايمر .فكتبت له رأسا ، لكني طلبت منه الصمت في الوقت الحاضر . علي اولا ان امهد الطريق – لجنة العمل والبنك . ثم جمعية الاستعمار الصهيوني ، بمواردها الكبيرة ، تسبقني عليها.فانهم لن يقوموا بذلك لمصلحتهم بل من اجل تحطيمي وازاحتي عن منافستهم . وكمسرح للعمل اقترحت القطاع المصري من فلسطين لاوبنهايمر ، الجانب الاخر من « وادي مصر » ، لأني ساتعامل هناك مع الحكومة البريطانية وبالتالي لا اواجه صعوبات . الطقس من الامور التي يجب اختبارها – وهو امر يهمله اوبنهايمر . لم اقرر بعد اذا كنت ساجعل من الموضوع مسألة قومية – اي ان استعملها لاغراض الدعاوة الصهيونية ، مما له نقطة سيئة (جعل السكان للعرض) ونقطة حسنة (نظهر كأننا عملنا شيئا) او ان ابدأ بالعمل سرا » (ص ١٢٠٣) .

في ٢٩ – ٨ – ١٨٩٧ عقد هرتزل المؤتمر الأول للحركة الصهيونية ، مؤتمر بازل الشهير . وضع فيه الحجر الأساسي للدولة الصهيونية . وقد قال في ذلك :

« لو طلب مني تلخيص مؤتمر بازل في كلمة – وعليّ ان احرص عدم تلفظها بصوت عال – لكانت هي : في بازل اسست الدولة اليهودية . لو قلت ذلك بصوت عالٍ لضحك الجميع مني . لكن ربما في خمس سنوات ، وبالتأكيد في خمسين سنة ، سيعلم كل واحد بالامر . ان تأسيس دولة ليكمن في ارادة الشعب بانشاء دولة ، بل يكمن ايضا في ارادة فرد قوي قوة كافية ... الارض هي فقط الاساس المادي . والدولة ، حتى حينما نملك الارض ، هي دائما شيء معنوي . ان دولة الكنيسة تقوم بدونها ، والا لما كان البابا صاحب سيادة .

في بازل ، اذن ، انشأت هذا الكيان المعنوي الذي لا تراه ، كما هو ، اغلبية الناس الساحقة . انشأته بوسائل قليلة جدا . وبالتدريج وضعت الناس في جو مناسب للدولة وجعلتهم يشعرون انهم هيئة وطنية . » (ص ٥٨١) .

« لقد شكّل هذا المؤتمر اليهودي الذي انتخبني رئيسا ، برنامج الصهيونية : تأسيس وطن ، محمي قانونياً وعلنياً ، لليهود الذين لا يريدون ، او لا يستطيعون ، الاندماج في اماكن اقامتهم الحاضرة . » (ص ٥٩٥) .

كان مخططه ، بعد إنعقاد المؤتمر وقيام ذلك « الكيان المعنوي » للدولة اليهودية في فلسطين ، إنشاء الجهاز الذي يتولى شراء أراضي فلسطين . كتب أثر انتهاء المؤتمر :

« ساعمل الشركة اليهودية . لقد قصد مؤتمر بازل انشاء « جمعية اليهود » كخطوة نحو الدولة اليهودية . امـــا عمل السنة القادمة فسيكون تأسيـــس « الشركة اليهودية » المسماة اصلاً البنك اليهودي الاستعماري . » (ص٥٩٣).

« ستثير فكرة البنك في الاشهر القادمة شهوات اسرائيل الدنيا تماما مثلما اخافت فكرة المؤتمر الشهوات العليا » . (ص ٥٩٤)

وعمل هرتزل جاداً لإنشاء البنك لشراء الأراضي وخطط له في رسالة إلى نوردو في ١١ ــ ١٢ ــ ١٨٩٧ . وهي رسالة طويلة ومهمة وقد طعن فيها بأخصامه من اليهود . وقد جاء فيها :

« توصلنا إلى نقطة حازمة في عملنا مع البنك.سأتكلم باختصار . لقد كان في زيارتي ليومين أغنى رجل في بولونية الروسية ج .ك. بوزنانسكي من لودز ، هذا الرجل متحمس جداً للقضية . انه يعتقد ان البنك اليهودي يجب أن يكون فيه أكثر من مليونين ، خمسة أوعشرة ملايين جنيه كرأس مال مساهم . ويجب أن يشترك في النقابة التي ستكون مهمتها ان تؤمن الإشتراك . متى اشترك هذا الرجل فان بقية أصحاب الملايين الروس سينضمون . هذا يؤمن لمشروع البنك قفزة كبيرة للنجاح . لن أطيل عليك في وصف الخطوات التي سأتبعها لهذه الغاية في أوروبة الشرقية . في لندن بدأ جاستر الاعداد للعمل مع سليجمان المتمول . يجب أن تستعرض النقابة أسماء من جميع البلدان التي لها تأثير في

العالم المتمول . وهنا تبرز إلى الوجود قضية روتشيلد . أن بوزنانسكي – الذي هو مستعد أن يسير في الأمر بدون آل روتشيلد وحتى معارضا لهم – يريدنا أولا أن نتوصل إلى علاقة صداقة معهم أو على الأقل ان تكون لهم تجاه البنك مشاعر حيادية لا تخلو من العطف . وهذا عمل صعب جداً ولكني لا أراه مستحيلاً اذا قامت به زعامة قديرة . وطبعاً يجب الا يكون الإتصال بآل روتشيلد مباشرة أو بالكتابة ، إنهم في أثناء الحملة سيستخدمون ضدنا كل محاولة تقدم أو رفض ، وسيكون ذلك بالطبع بطريقة المتمولين المتخلّين الذين يسمون أنفسهم برجال الصحف الذين يطعنون من الخلف .

منذ بضعة أسابيع كتبت مقالين في الديلي كرونكل أشرح فيهما امكان قيام يهود الطبقة الوسطى بمقاطعة مالية ضد أقطاب الأموال في المستقبل . يجب أن يعرف آل روتشيلد الآن أن البنك اليهودي الذي نفكر فيه قد يساعد على مثل هذه المقاطعة ويستفيد منها في الوقت نفسه . إذا علم آل روتشيلد أن البنك سيتأسس مهما كلف الأمر فانهم لن يظلوا ينظرون إلى الأمر ببرود ارستقراطي .

إن توسيع رأس المال الذي يخطط له الآن سيجعل من البنك اليهودي عاملا له أهميته في العالم المالي . وكل ما في الأمر هو أن يكون لهؤلاء الناس مخيلة تمكنهم من رؤية ما سيكون خلال ثلاثة أو أربعة أشهر من الآن ، أو أي شيء آخر تسمح لهم مخيلتهم النائمة على أكياس المال أن يروه . في هذا يستطيع صادوق خان أن يساعدنا كثيراً . يجب أن نعرض الأمر على آل روتشيلد جدياً. ولكن ماذا عساهم يتأملون من هذا البنك اليهودي . أو ماذا يخافون ؟ اذا حاولوا إثارة الرأي أو رفضونا بشكل مضر فسوف أثير ضدهم حرب عصابات خاصة إذا عرفت أنك تقف إلى جانبي في هذا ، سننتقم متى جاء الوقت .

ولكن ربما لا يأتي مثل هذا الوقت الذي به يرفضوننا وأنا أفضل أن لا يأتي لاسباب سياسية ، مع أني أعتبرهم طفيليين وأنا حاقد عليهم من كل

قلبي . اذن اذا لم يعارض آل روتشيلد فكرة البنك ولم يرفضوه علناً فانهم سيستفيدون منه من ناحيتين :

١ – يستفيدون منه كيهود ، لأنه سيعمل على حل المسألة اليهودية .

٢ – وسيستفيدون منه كرجال أعمال بطرق متعددة . وعلى عكس ما يراه بوزنانسكي أنا أعتقد أنه من الأفضل ألا يأخذ آل روتشيلد دوراً علنيا في هذا البنك ، لئلا يقول الناس أن المتمولين اليهود متكتلون فيه وبهذا يكسب البنك عداوات عليه أن يبدأ بمحاربتها منذ البدء (وإن كان مثل هذا التكتل بطبيعته قوة) انه بدون آل روتشيلد يبدو وكأنه ضدهم وهذا يكسبه شعبية وعطفاً . على أن آل روتشيلد يستطيعون أن يحموا أنفسهم إذا كان لهم ممثلون في البنك يؤثرون عليه بواسطتهم تأثيراً غير ظاهر . هذه فكرة فكرت بها منذ وقت طويل وهي أن آل روتشيلد لا بد أن يحتاجوا إلى بنك كهذا اذا إضطروا أن يصفوا أموالهم خوفاً من الكره المنصب عليهم او إذا ما أرادوا أن يحموا ثروتهم (التي يبدوا أنها أقوى من أن يحل بها أية كارثة) .

ماذا سيكون وقع هذه الفكرة في عقول هؤلاء الناس وإلى أي حـــد يستطيعون أن يقبلوها . هذا ما لا استطيع أن أعرفه .

على كل حال أنا أظن أنني وضحت لك الحالة الراهنة ، وبعد هذا يبقى أن يكون لك دور في العمل ولن أسألك عن هذا الأمر الآن ، لأني اعتقد بأنه سيكون التكملة المنطقية لما قد بدأت بعمله حتى الآن . يحسن بك أن تتصل بصادوق خان في أقرب وقت ممكن وبالطريقة التي تظنها الأفضل ، على أن يكون ذلك شفهياً فقط . ولك أن تستعمل حكمتك في تقديم الأمر له. أنه رجل طيب ويهودي مخلص ، انما هو من مريدي آل روتشيلد ، وهو سريع التأثر وسيفهمك بالقليل من الكلام . وهو كما قلت مقرب من آل روتشيلد وخاصة الفونس روتشيلد . حاول أن تؤثر فيه ، وأره كيف يمكن أن يساعدنا . أفهمه أننا لسنا نطلب أية تضحية مادية من هؤلاء المتاجرين باموال المساكين . ان ما هو

مطلوب منا الآن ، بعد أن نكون قد حزنا على الرأي العام من أجل «فكرتنا المجنونة» وذلك بدعمنا إياها بأقلامنا وكتاباتنا ، إنما ما هو مطلوب بعد هذا هو شبه نقابة من الذين يضمنون النجاح الكبير لهذا الإشتراك حتى تنمو الصهيونية لتكون قوة حقيقية . إجعله يعمل ما في وسعه من أجل هذه الغاية .

يجب أن يصبح بنك الإستعمار اليهودي البنك اليهودي الوطني . إن ناحيته الإستعمارية يجب أن تكون واجهة عرض فقط. يجب أن نخلق أداة مالية قومية ، ولكن إن هم اضطرونا أن نسير حفاة كجنود الجمهورية الأولى فسوف ننتقم لسوء حالنا .

كلمة أخيرة بخصوص الخطوة التالية . سنستأجر سفينة في نيسان (ربما طلبنا من كوك أن يقوم بتلك الترتيبات) لنذهب إلى فلسطين مدة أربعة أسابيع . لا أريد أن أذيع هذا بعد . انني الآن أقوم بتقديرات وحسابات لأعرف تكاليف كل مسافر . ربما وصلت المصاريف عن الشخص الواحد الف فرنك . بعد أن نعود من هذه الرحلة التي سندعو لها عدداً من كبار الناس ، يبدأ العمل على تقديم الإشتراكات للبنك . يمكنك أن تخبر صادوق عن هذا ولكن لا تخبر أحداً غيره لأنه يجب أن أقوم بترتيبات أولاً في القسطنطينية.» (ص ٦٠٥ — ٦٠٨) .

بنى هرتزل آمالا كبيرة على البنك بعد المؤتمر الأول في بازل . وكما قال عنه في رسالة الى نوردو في ٢٢ ـ ٢ ـ ١٨٩٨ :

« إن إقامة البنك هو الأمر الذي سيبرزنا الى الوجود . يجب أن نخلقه إما بمساعدة الرؤوس الكبيرة أو بالرغم عنهم . لا بد أنهم الآن يعرفون ما ينتظرهم ، حتى في فرنسه ، وغداً في إنجلتره . إن المسألة هي مسألة خلق صمام أمن يستطيعون بواسطته أن يعملوا ثروة وذلك بتغيير محزن للأمور . اذا هم تخلوا عن الحركة الصهيونية ، فسوف ينقلب عليهم وينتقم منهم . يجب ان تقدم لهم هذه الأمور كلها بطريقة لبقة ، إنما أنصحك بان تنتفع من الحالة

الراهنة في باريس . ستعود الأمور إلى هدوئها غداً وسيظلون يموتون من ضعف ظهورهم » . (ص ٦١٣) .

وقد وجد هرتزل صيغة لكسب تأييد آل روتشيلد في ٢٦ – ٣ – ١٨٩٨ :

« ذهب ولفسن الى لندن ليعمل على مشروع ، وقد عاد ليعطيني تقريراً عما قام به هناك . قال إن سليجمان ، وهو صاحب بنك ، هزء من الفكرة أولاً لكنه عاد فأخذ الأمر جدياً عندما أخبره ولفسن أن على إدموند روتشيلد أن يسلم البنك جميع مستعمراته ويأخذ أسهماً بدلاً منها . ومن ثمّ لا بد أن يسند إلى جمعية الإستعمار اليهودية هذا البنك أيضاً .

وأنا أعتقد أن إقتراح ولفسن هذا سيعمل على تقدم القضية . وسيذهب المهندس مرمورك إلى باريس في الإسبوع القادم ، وسأوكل اليه مهمّة حمل هذا الإقتراح لإدموند روتشيلد . اذا ما تم تأسيس البنك هذا فسوف نتخطى أصعب مراحل عملنا . يجب أن أقدم للمؤتمر القادم عرضا ، ومشروع البنك أهم ما يمكن تقديمه للمؤتمر . » (ص ٦٢٥) .

« أمس قدّم لي شنايرر مخطط تنظيم ممتازاً . وحدة الشاقل تساوي ريالاً إنجليزياً وستستخدم الشاقلات فقط للمصاريف الإدارية وكل ما يزيد يحول للصندوق القومي . وكل خمسين مشترك بشاقل يؤلفون جماعة وكل عشر جماعات منهم يؤلفون مقاطعة ، وكل عشر مقاطعات يؤلفون مركزا ، وسيكون لكل من الجماعة والمقاطعة والمركز رئيساً . وهؤلاء الرؤساء يرجعون جميعهم إلى مكتب رئاسة المؤتمر ويمكن لسائر المؤسسات أن تبقى ولكن يجب أن تستثمر أموالها في بنك المستعمرات . إني أرى هذا المخطط ممتازاً . وزدت عليه ما يلي : يكون مركز مكتب الرئاسة الدائم في بازل ويكون فيه سكرتير ، وينتخب المجلس هيئة المدراء ، ثلاثة من كل بلد ممثل . ويبقى هؤلاء المدراء في بازل يوماً واحداً بعد المؤتمر ليقرروا جميع التنظيمات للسنة . لن يكون هناك لجنة مركزية – بل

يجب أن يكون هناك لجنة نموذجية تدير الأمور ويمكن لسائر اللجان أن تقلدها إن أرادت .

بهذه الطريقة نقضي على « الأممية » ، لن يكون لنا مؤسسة أممية ومع هذا سيظل هناك خيط موحد يربط ما بين الأمور كلها . » (ص ٦٢٦) .

وخطط للبنك بالشكل التالي ، حسبما كتب إلى نوردو في ٢٢–٤–١٨٩٨ :

« إذا ذهبت إلى برلين ، فأنا أرجوك أن تدخل في خطابك فقرة تتكلم بها عن بنك المستعمرات اليهودي ، لأننا لم نختلف بعد مع كبار أصحاب البنوك ، اننا فقط نعطيهم علماً . وسأنشر قريباً رسالة في أميركة بهذا الخصوص لاعرف مناصرينا هناك بالأمر وأنت يجب أن تهتم مثلي بما يلي : إمكان التفاهم مع كبار أصحاب البنوك لأن هذا ما يزال محتملاً . سيعود ولفسن إلى باريس من لندن حيث ذهب يفاوض . ستسمع تفصيلات ذلك من مرمورك . فقط اذا فشل ولفسن تتوقف مفاوضاتنا السلمية ، لذلك يجب أن لا نتخلى عن العمل بعد ، وكذلك يجب ألا تعلم الحكومة التركية أن قضية مشروع البنك ما تزال مقلقة إلى هذا الحد . هكذا يجب أن يكون الخبر الذي سنعلنه : نحن الآن نشدد على مناصرينا أن يشتركوا ، حتى يتمكن البنك إن لزم الأمر أن يقف على رجليه ، أو بكلمة أخرى أن يبرز إلى الوجود بفضل المساندة الشعبية . ولما كنا نعارض التسلل الذي لا نرى له مستقبلا ، والذي هو تحت رحمة الباشاوات ، والذي هو معرض دوماً لقانون منع الهجرة ، لذلك وجب على مؤسسات الإستعمار جميعها أن تستثمر أموالها في بنك الإستعمار . على كل جماعة محلية أن تقبل الإشتراكات المؤقتة وتبعث إلى بازل بنتائج هذه الإشتراكات المؤقتة (إشتراكات من جنيه واحد) . وبحسب التقارير التي ستأتيني من جميع أنحاء العالم ستكون هذه النواة كافية ، وعلى مثل هذا الأساس سنجبر كبار أصحاب البنوك أن ينضموا إلينا ، وإلا فسوف نسير وحدنا ونحارب هؤلاء الكلاب » . (ص ٦٢٩) .

وفيما يلي بعض مخططاته للبنك كتبها في أواسط أيار (مايو) ١٨٩٨ :

« لقد إبتدأ العمل على تأسيس البنك .

إن ما أعمله في هذا المضمار هو أمر آخر ، تجديد في الأساليب المالية . إن الإشتراكات المؤقتة في البنك ما تزال مجهولة التفاصيل ، ولكن الأهم هو تأسيس نقابة لإصدار الأسهم . إذا لم استطع تحريك القوى الكبيرة في عالمنا هذا فسوف أحرك قوى العالم السفلي . ولما كان كبار أصحاب الأموال مترددين فنحن نلجأ إلى هؤلاء الأقل أموالاً منذ البدء ، فإذا نجحنا نكون قد تجنبنا خطر الوقوع في أيدي عدد قليل من كبار المتمولين ، وهكذا يصبح البنك ملكاً للمؤتمر. إن لحملة البنك هذه شيئاً من التنظيم الحربي ، أولاً خطوة النيةالمبهمة ، ثم التخطيط المقصود ، ثم الإعلان عنها ، ثم التعبئة ، وإقامة المراكز ، ثم المناوشات الأولية والمعركة ، وكل هذه تتتابع وتكون أحياناً متراضية وأحياناً متهورة ، كأنك مدفوع إلى العمل أكثر منك مندفعاً له ، كأنك تبدأ غير واثق بنفسك ثم لا تجد نفسك إلا وقد إنخرطت فيه تماماً .

يجب أن أتذكر دائماً الكلمة التي قالها صديقي العزيز ل . كلنر ، والتي إستأت منها كثيراً في وقتها وقد ندم هو عليها . كان ذلك منذ سنة ونصف السنة عندما أردته أن ينتخب لمجلس الرايخ ، رفض ذلك عن عدم ثقة قائلاً إن الحركة كلها ما هي إلا « جلبة ». قلت له : نعم كل شيء ضجيج ، ولكن الضجيج المتواصل هو في حد ذاته حقيقة لها قيمتها . كل تاريخ العالم هو ضجيج لا غير . ضجيج الأسلحة ، ضجيج الأفكار تسير . يجب أن يستفيد الناس من الضجيج — وأن يكرهوه في الوقت ذاته » (ص ٦٣٣) .

« لم أكن بحاجة لأن يخبرني ألكس مرمورك في رسالته الأخيرة أن إدموند روتشيلد سيحول مستعمراته للبنك متى تمّ وجوده — لهذا البنك الذي يحب لو أنه لا يتأسس مطلقاً الآن . وما من شك ان جمعية الإستعمار اليهودي ستستسلم

أيضاً متى كان البنك .

لا يستطيع معظم الناس أن يروا إرتباط الأحداث بعضها مع بعض في المستقبل . إنهم يستطيعون رؤية الروابط الحالية . لهذا فان المصاعب التي تواجه الحركة التي أقوم بها عظيمة ، ولهذا أيضاً ستبدو هذه المصاعب بسيطة عندما يثمر العمل . لأن القطع المتفرقة ستنسج معاً فتبدو قطعة القماش وكأنها شيء عاديّ . ولهذا فسيكون جزائي الكثير من نكران الجميل . ان ما هو الآن مجزأ وما لا يمكن أن يكون وحدة ولا أن يبرز إلى الوجود بدوني سيبدو في المستقبل وكأنه حقيقة راهنة لا يترك أي أثر في نفوس الناس .

منذ بضعة أشهر قال كوكش ، أحد أعضاء لجنة الأعمال : لن يقرضنا أحد عشرة آلاف جيلدر لأنه مبلغ كبير جداً . والآن أنا أريد أن أجمع رأس مال من ستين مليون فرنك لمشروع بنك بدون أن أقدم بياناً له . وبالطبع كوكش يعارض فكرة تأسيس البنك كما كان يعارض السنة الماضية إنعقاد المؤتمر . ولكنه في النهاية يرضى لأنه رجل طيب وله ثقة بي . »(ص ٦٣٥).

لم يكن هرتزل يجهل ، وان كان يتجاهل عمداً ، كره عرب فلسطين لاستعمار اليهود لأراضيهم ولبلادهم . أنه يذكر في ١٨ ــ ٣ ــ ١٨٩٩ حديث يهودي جاء لزيارته من فلسطين :

« جاء لزيارتي الصحفي بن يهوذا وكان قد قدم من القدس . قال : إن كل واحد في الشرق يخاف من الآخر ، وشبّه الناس بالحيوان الضاري الذي يمكن فك رباطه ويمكن أيضاً تسييره في أي جهة نريد . إذا أعطت السلطات الأمر يهجم المسلمون على اليهود ــ ويقتلونهم كما فعلوا بالأرمن . هذه هي حجتي القديمة ضد التسلل . وفي أوساط البخشيش العالية فهناك بعض الهمسات بخصوص الصهيونية . كل شيء بيد السلطان حتى الوزير الكبير هو تابع للسلطان ..

هذا وقد أخبرني بن يهوذا أن السفير الأميركي ستراوس يعطف على الصهيونية سراً . كما أخبرني أن متصرف القدس وهو رجل لطيف سأله لماذا لا

يقوم بتحرير جريدة باللغة العربية وقد سألت بن يهوذا عن تكاليف مثل هذه الجريدة فقال إنها تحتاج إلى ألفي فرنك سنوياً . فطلبت إليه أن يكتب لي في أواسط أيار فقد أستطيع أن أؤمن له المبلغ . (إني أشعر بأنه إذا تم مشروع البنك فسوف يكون في صالحه أن تنشأ جريدة تنطق باسمه بالعربية وتنال رضى المتصرف وتؤثر في الناس التأثير اللازم) .

كتبت لكلنر عن مسألة طالما شغلت فكره مدة طويلة . أريد أن أؤسس وكالة صحفية تزود الصحف الغربية خاصة الإنجليزية بأخبار من الشرق . كلنر يوكل بتأسيسها في لندن ويبدأ العمل فيها في الخريف . هذه ستكون أداة قوية توجه مع تركية أو ضدها . ستكون سيفاً من أجل سلامة الشعب أو ضده .» (ص ٨٠٣) .

مع هذا كان مصمماً على تأسيس « حكم ذاتي » لليهود على أرض فلسطين حسبما نجد في حديثه مع الملحق الألماني العسكري في فينّه ، بولو :

« سألني أيضاً عن المقاطعة التي نريدها ، ما إذا كانت حتى بيروت في الشمال أو بعدها .

قلت : « سنطلب ما نحتاج إليه — كلما كان عدد المهاجرين أكبر كلما أردنا بقعة أكبر . طبعاً سنشتريها من ملاّكها الحاليين ضمن القانون المدني .
قال : من هم هؤلاء ؟

قلت : عرب ويونانيون ، كل الجمهور المختلط في الشرق .

قال : وتريدون أن تقيموا دولة هناك ؟

قلت : نريد حكماً ذاتياً وحماية ذاتية .

قال : وما رأي تركية بكل هذا ؟

كنت أظن أن معلوماته عن القضية أحسن من هذا ، وأجبته : إن الدوق

الكبير أخبرني بأنه قد وصلت تقارير مرضية من هر فون مارشال . » (ص٧٠١).

وفي مقابلة مع صحيفة أميركية حدّد هرتزل مطالبيه بما يلي :

« أريد أن أعطي يهود الأمم كلها زاوية في العالم يعيشون فيها في سلام ، ولاملاحقة فيها ولا احتقار ولا نبذ . إنهم الفقراء بيننا ، كما هي العادة ، الذين يستحقون أكثر الشفقة . أما الآخرون ، الذين يستطيعون تبديل مساكنهم حسب هواهم ، والذين يتصلون بالطبقات العليا ، يجب أن يتحملوا الكثير من الطعن باحترامهم الذاتي ومن جرح كرامتهم ،لكنك لا تستطيع أن تصدّق مدى بؤس فقراء اليهود في بعض الدول . أُريد أن أقدّم لهؤلاء المنبوذين بلداً سيكون ملكهم الخاص ، حيث (بفضل حريتهم الكاملة) تنمو قدراتهم وتضعف ، في الوقت نفسه ، الشرور والأخطار التي ولدّتها فيهم قرون الإضطهاد والنفي . وأُريد أن أحررهم من تلك الأمراض الخلقية ، وأن يُسمح لمواهبهم الثقافية والخلقية الصحيحة جداً بالإنطلاق، حتى لا يظل شعبي يهوداً قذرين ، بل يصبحوا شعب النور الذي يستطيعون أن يكونوه .

« إن القدس الجديدة التي أراها في أحلامي ، وإن فلسطين الناهضة ، المزدهرة المنبعثة ، التي تلاحقني ، تظهر أمامي بأدق تفاصيلها ، وأراها كخلاصة وكجوهر لكل شيء شادته الحضارة في مدى قرون ... كان أصل الدول والمدن عرضياً . وقد نمت بالتدريج وتحسنت ببطء . وحتى في أجمل المدن يوجد دائماً ، إلى جانب التقدم والعصرية ، بقايا العصور الماضية : أحياء قديمة ، جميلة ولكنها غير صحية ، يصعب فيها تحقيق الإصلاحات الحديثة .

« هناك ، في تلك البلاد ، التي تبدو اليوم ميتة ، ولكنها نائمة فقط مستعدة ، مثل إبنة بايرس ، للنهوض من القبر وأخذ مكانها في الحياة مرة أخرى ، سيكون الأمر مختلفاً . يجب عمل كل شيء ... سنعمل كل شيء . سنختار أفضل المواقع لمدننا ، وحتى نبنيها سنستعمل كل مصادر العلم الحديث ، سنجعل الأرض خصبة ، وسيتعلم شعبنا كيف يستثمر الأرض . سوف

يتعلمون كيف يمارسون مقدراتهم ومواهبهم في الذكاء والجهد والمثابرة في طرق أخرى غير تلك التي حصروا أنفسهم بها حتى الآن .

« أريد أن أطرد الباعة والقذارة التي تدنس القدس من تلك المدينة المقدسة . وأن أنظفها دون أن أؤذيها ، محترماً كل حجر فيها ، وأن أكرسها للأعمال الإنسانية ، ملجأ للعجزة والأطفال ولنتاج العقل ولكل ما يحافظ على صفاتها ، عظمتها الجبارة . فقط خارج أسوارها سوف تقوم المدينة الجديدة ، القدس الجديدة ، تسيطر عليها وتحميها عظمة الأسوار القديمة ...

« نحتاج إلى البلاد أولاً ... هل تسمح تركية بذلك ؟ ما هو أكثر عدلاً وطبيعية من أن يسمح لنا بتركيز أنفسنا في تلك البلاد التي هي بلادنا ، التي لا يستطيع إنسان أن ينكر حقنا المعنوي بملكيتها . ثم هناك الدول الأوروبية : علامة إستفهام أخرى . وأخيراً ، شعبي نفسه . نعم ، قد لا تصدق أن بين اليهود أيضاً يوجد أعداء كثيرون . بعضهم لا يفهم مشروعي . وبعضهم لا يريد أن يفهم . وآخرون يحاولون تفسير نواياي ليروا فيها طموحاً ومصالح ... ولكن لا بأس إني أمضي قدماً بأحلامي ، في أحلامي إن شئت ولأحلامي . »

بعد أيام كنت مع بعض الديبلوماسيين . أحدهم موفد تركي ، سعادة نوري بك ، السكرتير العام لوزارة الشؤون الخارجية . تناول الحديث كل المواضيع ، ومن بينها الصهيونية . أوحت إلي ابتسامة سعادته الخبيثة بأن هذا لن يكون أكثر من حلم — في هذا الشكل على الأقل . نعم ، نقبل اليهود . تركية واسعة . وهي أبعد ما تكون عن النمو الذي تستطيع أن تنموه ، ويجب أن تنموه . فيها مكان لملايين السكان الجدد . وسوف يكون اليهود ، تحت حماية القانون التركي ، محميين من الإضطهاد في تمتعهم بحرية الضمير المطلقة. لكن الأماكن المقدسة لا يمكن تسليمها لهم . فحتى قوانين تركية تمنع الجماعات اليهودية من التركز هناك . ولن ترضى الشعوب المسيحية أن ترى الأرض المقدسة ، حيث تقوم الجلجثة وجبل الزيتون ، تذهب إلى أيدي اليهود . » (ص ٨٧٣) .

لم يكن هرتزل يجهل ، ولا للحظة واحدة ، أن أمله الوحيد في إنشاء دولته في فلسطين معلق على مدى استعداد دول أوروبة الإستعمارية لمد يد العون له . ذهب ، في ٢ – ٩ – ١٨٩٨ ، لمقابلة دوق بادن الكبير ، أثر انتهاء مؤتمر بازل الثاني . وقد دامت المقابلة ساعتين ، وكانت مشجعة لهرتزل ، اذ اعرب الدوق عن موافقته على مشاريع هرتزل الصهيونية . وفيما يلي عرض مطوّل لتفاصيل تلك الجلسة الشهيرة التي وضعت فيها خطط تدخل المانية لصالح هرتزل :

« تحدث معي الدوق الكبير بمنتهى الصدق والصراحة عن سياسة العالم كله ، وقد لمست في كل كلمة قالها لي عطفاً علي وحسن نية تجاه المشروع ...

بدأ حديثه بأن أخبرني أن الحكومة الألمانية حققت في القسطنطينية لتعرف الموقف هناك تجاه الحركة الصهيونية وتوصلت إلى أن السلطان راضٍ على قضيتنا . وفيما بعد عرفت منه أن التحقيق هذا جرى من قبل هر فون مارشال المقرب جداً من السلطان .

وعقبت أنا على هذا الخبر بأن أخبرته أنه وصلني أول أمس برقية شكر من السلطان . وأخبرني الدوق أنه قد رفع تقريراً مفصلاً عن الحركة الصهيونية للقيصر ، وأن القيصر طلب من الكونت اويلنبرج أن يقوم بدراسة أشمل للقضية ويقدم تقريراً بها .

وأخبرني الدوق عن العلاقة الطيبة التي تقوم بين القيصر والسلطان ، هذه العلاقة الجيدة بدأت بالمسألة الكريتية ، عندما سحبت ألمانية قواتها من كريت. ذلك أن تلك الخدمة تركت في الأتراك أحسن الأثر . وقال الدوق إن تأثير الألمان في يلدز لا حد له الآن ، وهكذا تكون إنجلترة قد أبعدت تماماً ، وكذلك سائر الدول الكبيرة ، وأضاف الدوق برضى قائلاً : عملنا هذا كله بدون أن نستخدم الأسطول أو نحمل أنفسنا أي تعب خاص . إن رغبات ألمانية تصادف وقعاً حسناً عند الأتراك ، إذا أراد القيصر أن يقول كلمة للسلطان فمن المؤكد أن كلمته سيكون لها وقع عنده . ولكن علينا أن نكون حريصين ،

أن تاريخ العالم يسير بخطوات وئيدة ، وعلى الإنسان أن يصبر . أولاً يجب أن تنتظر حتى يعود السلطان ، إذا قبل أن يراك قبل الرحلة فقد يكون لذلك أثر سيء على المشروع . أنت تعرف التعليقات التي تثار الآن في كل مكان حول رحلة القيصر . إن رحلته إلى فلسطين هذه التي كان هدفها دينياً في البدء أخذت الآن تتسم بطابع السياسة ، وقد أصبح هذا الشك محتملا لأن القيصر سيذهب إلى القسطنطينية أولاً ، بينما كان في الأول ذاهباً إلى فلسطين رأساً ، إذ أنه سيقوم أولاً بزيارة لعاهل البلاد ، وسيذهب من فلسطين إلى مصر التي هي دولة أخرى تابعة للسلطان ... قلت إنه من المفيد جداً لو قدّمت المشروع للقيصر قبل ذهابه حتى يتكلم عن الصهيونية في يلدز فيكون كلامه عندها عن إلمام بها ومعرفة لها .

سألني الدوق : « أتريد أن تقيم دولة ؟ أنا أعتقد أن هذا ما يجب أن تعمله إذا أردت أن يكون لكم أمان شرعي . (وكنت قبلاً قد أخبرته ذلك ، وأخبرته أيضاً أننا لا نريد أن نعرض أنفسنا لسياط حكومة الباشا) . تستطيعون أن تجدوا طريقة تبقى فيها سلطة السلطان ، طريقة تشبه مقاطعات الدانوب سابقاً . ثم قال مبتسماً « أما ما يمكن أن يتحول إليه هذا الحكم في مدى قرن مثلاً — فهذا ما لا نستطيع التكهن به اليوم . »

وهنا توسعت برأي أطرحه دائماً عن علاقتنا مع الأحزاب الثورية ، ويبدوأن هذا سرّه (طبعاً) .

لما ذكرت له النتائج التي أدّت إليها الصهيونية في روسية ، حيث اعتنق الإشتراكيون والثوريون الصهيونية ، لأنها أعطتهم مثلاً أعلى ، هز برأسه بشدة وقال : يجب أن يسمع بوبيد ونوستيف هذا ، يجب أن تخبره به .

أبدى تحفظه الكبير من أن الكثيرين من اليهود سيرون شيئاً من اللاسامية في تقوية العلاقات مع الحكومة الألمانية . قال إنه يعتقد أنه حتى الآن ما يزال الناس ينظرون إلى الصهيونية وكأنها نوع من اللاسامية ، وذكر ما حصل في

الجزائر أثناء هياج اليهود وقال إن روتشيلد هدد الحكومة الفرنسية بترك البلاد إن هي لم ترجع النظام . ولذلك فقد أرسل حاكم جديد إلى الجزائر . يبدو أنه يخاف أن يحدث تهديد بهجرة كبار المتمولين من اليهود الألمان .

هنا عمدت إلى توضيح الأمر له . قلت إن اليهود الألمان لن يقفوا ضد الحركة الصهيونية في اللحظة التي يتأكدون فيها أن عملهم لا يدل على تصرف غير وطني ، لأننا لا نطلب هجرة كل اليهود . وهذا سيعمل على سير عملية الإندماج بصورة أصدق ، وكما اندمجت عائلات الهيوجونوت ، الذين مـا يزالون مزدهرين في ألمانية ، كذلك ستكون الحال مع اليهود . فإذا ما كتب هايني شعراً للألمان عندها لن يرفض لأنه يهودي ، إنما سيرحب به لأنه ينشد الشعر الألماني الجميل . ومثل كاميسو الذي يعيش في قصر بونكورت ويعتبر شاعراً ألمانياً مجيداً .

وبطرق أخرى لفت انتباهه إلى حقيقة أن اليهود سيدخلون الثقافة الألمانية معهم إلى الشرق . واستشهدت على ذلك بأن الكتّاب الألمان – حتى لو كانوا من أصل يهودي – هم قواد الحركة الصهيونية . إن لغة المؤتمر هي الألمانية . والأغلبية الغالبة من اليهود هم جزء من الثقافة الألمانية .

ونحن نريد حماية – ونفضل أن تكون هذه الحماية ألمانية . لا نستطيع أن نقوم وحدنا بكل شيء ، يجب أن يساعدنا الناس إذا أرادوا أن يتأكدوا مـن استقامة أعمالنا . وغير هذا من الكلام الذي يعاد دائماً ، ولكنني قلته الآن في موضعه الصحيح . أعجبه كلامي كله . وتكلم أيضاً عن اللاسامية بأنها حركة بشعة ، تبدأ لاساميّة ، ثم لا رأسماليّة وأخيراً ثورية .

وكان هكلر بين الآونة والأخرى يرمي بملاحظة تنبؤية عن رجوع اليهود . وكان الدوق يستمع إليه بابتسامة رقيقة ، ولكنه يهز رأسه راضياً عندما قلت : هذه أمور خارجة عن نطاق معرفتي . أنا أستطيع أن أتكلم عما أرى فقط .

وهنا قال الدوق : نعم دعنا ننظر إلى الأمر كمسألة تاريخية فقط لا كمسألة دينية . » (ص ٦٥٦) .

حرص هرتزل على توثيق علاقاته برئيس الحكومة الألمانية ، وتجديد اتصالاته به ، في ذلك الوقت بالذات ، للتمهيد لسفرة القيصر الألماني إلى الشرق ، حيث تقرر أن يزور السلطان العثماني في الآستانة ، ثم يذهب إلى فلسطين ، وإلى أنحاء أخرى من البلاد العربية في آسية . اراد هرتزل أن يستغل هذه الزيارة بان يوسط القيصر مع السلطان ، ما دام الإتصال المباشر مع السلطان قد فشل وما دام القيصر أضحى صاحب نفوذ ، مادي ومعنوي ، لدى السلطان.

كتب هرتزل في ١٤ / ١٥ - ٩ - ١٨٩٨ :

« وفي الوقت ذاته كتبت للسفير في فينّه اويلنبرج أن الدوق الكبير أخبرني أنه قد طلب إليه أن يقدم تقريراً عن الحركة للقيصر . وانني أحب أن أتكلم مع القيصر قبل رحلته إلى فلسطين ، وأنه إذا أراد اويلنبرج المزيد من المعلومات فأنا مستعد أن أذهب إلى فينّه اليوم ...

وصلتني أمس البرقية التالية من اويلنبرج :

« مستعد لمقابلتك يوم ١٦ الجاري الساعة التاسعة صباحاً في السفارة الألمانية . اويلنبرج . »

لهذا قررت أن أذهب إلى فينه رأساً . سيذهب القيصر إلى فينّه يوم السابع عشر لحضور جنازة الإمبراطورة المقتولة وربما استطعت مقابلته. » (ص٦٦١).

وتمت المقابلة مع السفير الألماني في فينّه ، اويلنبرج . وهذا ملخص الحديث بينهما :

« سألني ماذا أريد بالضبط من القيصر أن يفعل عندما يذهب للقسطنطينية ؟ وهل أريده أن يطلب من السلطان أن يعطينا البلاد والحكم الذاتي ؟ .

قلت : لا . أريد من القيصر أن يمهد بكلمة أمام السلطان حتى يرضى هذا الأخير بالدخول في مفاوضات معنا . إن القضية على جانب كبير من التعقيد ، نحن لا نريد إذناً بالهجرة . نريد البلاد فقط على أساس الحكم الذاتي . وتغيرت نظرته مرات وأنا أتحدث ، وأخذت أحس باهتمامه . وكان قد وعدني منذ البدء أنه سيحاول أن يحمل القيصر على قبول أن أجتمع به في شرقي بروسية حيث سيذهب هو مع القيصر لحفلة صيد هناك . » (ص ٦٦٣) .

« لقد تركت في نفسه ، على ما أظن ، أكبر الأثر عندما قلت : إن حركتنا قائمة ، وأنا أتوقع أن تخطب ودها دولة من الدول الكبيرة . فكرت في البدء بإنجلترة ، وبدا هذا طبيعياً ، ولكني أرحب أكثر لو كان العطف من قبل ألمانية ، إن يهود اليوم هم ألمان في الدرجة الأولى لا سيما في ثقافتهم . أنا لا أقول هذا لأني أجلس الآن في السفارة الألمانية ولكن لأنه حقيقة ، والبرهان على هذا هو اللغة الرسمية التي استعملت في مؤتمري بازل .

إن ذكر إنجلترة ، الذي أخطأت به حتى الآن (والذي ربما تحقق) كان الضربة الناجحة ، لأنه فجأة قال بأنه يرحب بتحدثي مع بولوغدا ، الذي هو قادم من سميرنج ؛ فهو لن يحضر الجنازة ولذلك قد يتمكن من الإجتماع بي » (ص ٦٦٤) .

وأرفق هرتزل هذه المقابلة بزيارة قام بها للملحق العسكري الألماني في فينّه وكان يعرف عنه أنه صاحب سلطة في بلاط القيصر الألماني ، وذلك في ١٨ — ٩ — ١٨٩٨ . وأخذ يتودد لألمانية أمامه :

« إستطعت (بالرغم من ضيق الوقت) أن أعطيه مقال أرثر في العدد ٣٧ من جريدة ولت وقلت له إن هذا المقال يبرهن على أن مطاليب فرنسة في الشرق هي أقل شرعية من المطاليب التي يمكن أن تكون لغيرها . فقال إنه يوافق على هذه النظرية ووعد بأن يقرأ المقال . وتوسلت إليه أخيراً أن يقدمني للقيصر إذا أمكنه ذلك ، وحتى لو كانت المقابلة في القطار في طريق عودته وقلت إنني

مستعد أن أنتظر في إحدى عربات الشحن حتى يطلبني للمثول بين يديه . وهزّ رأسه ثانية مشيراً بالقبول . إنه لا يقول أبداً لا ـ كذلك فإنه لا يقول نعم . » (ص ٦٦٨) .

ومع أن مساعيه لم تفلح في الحصول على موعد مع القيصر ، أنذاك ، أفلح في نوال وعد من كل من السفير والملحق العسكري ، الألمانيين ، بان تقدم الحكومة الألمانية مساعدتها له في السلطنة بالتوسط مع السلطان خلال زيارة القيصر .

« وعلى كل حال فقد حصلت على وعود من اويلنبرج وبولو بأن الحكومة الألمانية ستساعدنا في القسطنطينية . » (ص ٦٦٩) .

هذا الوعد جعله يعتبر رحلة القيصر إلى الشرق حادثة مهمة في تاريخ الصهيونية . كتب في ٢١ ـ ٦ ـ ١٨٩٨ الى السفير الألماني في النمسه :

« ستكون الرحلة إلى الأراضي المقدسة بمثابة حج يقوم به صاحب الجلالة ، ولكنها قد تكون أكثر من ذلك ، قد يتوصل بها إلى تحوّل مهم في تاريخ الشرق إذا كان فيها بدء رجوع اليهود ، ولكن هذا الهدف الأعظم سيظل مخفياً مدة ، تماماً كما في الجبال حيث لا يمكن رؤية خط تقسيم المياه ، ولكن المياه تتفرع فيما بعد . » (ص ٦٧١) .

وكانت النتيجة أن تلقى هرتزل دعوة رسمية ليقابل القيصر في القدس في شكل رسالة بعث بها السفير الألماني اليه :

« كتب اويلنبرج يقول إن القيصر سيشعر باستياء إذا لم يرني في القدس . » (ص ٦٧٥) .

ثم دعاه السفير المذكور ، في ٧ ـ ١٠ ـ ١٨٩٨ . وأبلغه تأييد القيصر للمشاريع الصهيونية :

« بدأ [اويلنبرج] بأن أخبرني ما يلي ، قال : لقد كتبت لك عن كل ما

هو مهم بأمر من القيصر . إن القيصر يتابع قضيتكم بعطف كثير . لقد نجحت بحمله على مثل هذا الشعور وإلا فليس هناك فائدة ترجى لها ، يجب أن يظل دائماً على إطلاع بالأمر وإلا نسيها ، وهذا محتمل لكثرة الأمور التي تحدث . وقال إنه يجب أن أذهب إلى القسطنطينية على كل حال ، فلعل المحادثة هناك تكون كافية فلا أضطر أن أذهب إلى فلسطين .

لفت إنتباهه إلى كون المسألة ليست متعلقة بشخصي إنما بالوفد الذي سيكون معي ، إذ أنني لا أستطيع أن أستعمل وفداً من فلسطين ، لأنهم قد يتعرضون إلى متاعب إذا شعر المسؤولون أنهم يعملون لصالح ملك غريب وراء ظهر السلطان .

قال ، إن رغبة السلطان على كل حال ، هي أن يقابل وفداً من الصهيونيين في القدس .

فعلقت على ذلك بقولي إنني على أي حال الوحيد الذي يستطيع أن يقدم أعضاء الوفد ، وإنني أنوي أن آخذ معي رجلاً من كولون وآخر من لاهاي وثالثاً من فينّه . وإنني لا أريد أن أُدخل أي إنجليزي في الوقت الحاضر وذلك لأسباب سياسية . وكذلك فقد يضايق الروس عند رجوعهم لأسباب سياسية أيضاً . وعلى العموم فإن روسيه هي المشكلة الكبرى . صحيح أن حركتنا حتى الآن كان مقبولاً بها وأن جمعياتنا الكثيرة تركت في سلام ، ولكن هذا كله حصل لأنه لم يجر بعد ذكر لتدخل ألمانيه . ولا يمكننا أن نعرف كيف تكون الحالة عندما يذاع خبر أمر تولي ألمانيه القضية .

كان رأي اويلنبرج أنه لا داعي للخوف من روسيه . قال : « إن نوايا قيصر روسيه تبدو مثالية كما يدل عليها إقتراحه للسلم . » وبشيء من السخرية أضاف « إذا حصل وساءت الأمور كثيراً فإن قيصرنا يستطيع أن يكتب له رسالة يقنعه فيها لأن يسند الصهيونية . وبما أن روسيه لا تمانع في ترك اليهود فلن تكون هناك عقبات في طريق القضية . » وذكرت له مسألة وضع الأماكن

المقدسة خارج نطاق الحكم ، بالطريقة المعروفة جيّداً .

يتوقع اويلنبرج صعوبات من إنجلتره وفرنسه . بخصوص فرنسه إستطعت أن أعطيه بعض المعلومات التي هي في صالحنا . ذلك أن فرنسه تعاني أزمة قوية الآن . فالقانون والنظام في أيدي كذّابين ، والبلاد أضعف من أن تخوض أي معركة سياسية . كذلك أخبرني اويلنبرج ، أن القيصر أصبح الآن معتاداً على فكرة « محميّة » ، وأن القيصر لم يشك في أن السلطان سيعمل بنصيحته ، لأنه مؤمن بصداقة القيصر له ، وأن القيصر قال إنه يستطيع أن يبرر فكرة تأييده للقضية اليهودية أمام شعبه . » (ص ٦٨٩) .

كان تعليق هرتزل على هذه الأخبار المشجعة له :

« دولة تحت الحماية ! قد لا يرضى بها كثيرون ، ولكن السبيل الصحيح هو أن نقبل بها شاكرين ؛ ما دامت قد قدّمت لنا الآن ، إذ من المؤكد أنه ليس هناك أحد يحلم بملكية ، طالما أني أنا لا أفكر بها . أن نعيش تحت حماية ألمانيه القوية العظيمة ذات الحكم المنظم لن يكون له إلا أفضل الأثر على الخلق اليهودي القوي . كذلك فإننا بضربة واحدة نستطيع أن نتوصل إلى منزلة قانونية منظمة على الصعيدين الداخلي والخارجي ، لأن سيطرة الباب العالي وحماية ألمانيه لا بد أن يعطياننا ترسخاً قانونياً كافياً . ويبقى السؤال الوحيد وهو هل « مع » أو « أو »، السلطة مع — أو الحماية ؟ سنرى كيف يتطور هذا.

وعلى كل حال فإن السفلة أصحاب الأموال لن يستطيعوا أن يتصرفوا كما فعلوا حتى الآن . » (ص ٦٩٣) .

وأخذ يتغزل بالمانية :

« ستمكّن الصهيونية اليهود من حب ألمانيه ثانية ، ألمانيه التي ظلت قلوبنا متعلقة بها بالرغم من كل شيء . » (ص ٦٩٤) .

وقد حصل هرتزل على تطمينات أخرى عن موقف المانية التأييدي له من

دوق بادن الكبير نفسه ، في زيارته له في ٩ ـ ١٠ ـ ١٨٩٨ . وقد سجل هرتزل بعض تفاصيل المقابلة في مذكراته :

« قال [الدوق الكبير] « إن القيصر قد أُخبر بالأمر بطريقة وافية وهو متحمس له ، وليست كلمة متحمس بكثيرة لأنه بالفعل يشعر تجاه قضيتك بكثير من العطف ويتكلم عنها باهتمام ظاهر ، وكان يريد أن يراك لأن له ثقة فيك ، إنما يُعتقد الآن أنه من الأفضل أن يراك في القسطنطينية وفي القدس» (يظهر أن القيصر أراد أن يوصل لي الدوق هذه الرسالة) . « إن الأمور تسير على ما يرام ، وقد وصل تقرير جيد من هر فون مارشال وهذا بحد ذاته نجاح . والقيصر يعتقد أن السلطان سيقبل بنصيحته على أي حال . لأنه [السلطان] قد تأكد من حسن نية القيصر تجاهه أثناء أزمة كريت. لقد وعد القيصر بأن يتوسط وهو مصمم على السير بهذا العمل ، متحمس له » ...

ثم تحولت إلى الحديث عن العقبات . ذكرت له الصعوبة العظمى التي هي روسيه . لأننا هناك يجب أن نصل إلى تفاهم بخصوص وضع الأماكن المقدسة خارج نطاق الحكم ، وإبعادها عن طريق الدول ، وكل ما يبقى هو إخراج اليهود المساكين خارج البلاد. طبعاً لن يمانع أحد بمثل هذا فقط ليكون قاسياً .

قال : يجب أن نتوقع كل شيء من روسيه . دعني أذكّرك بمعاملتهم للألمان في مقاطعات البلطيق . لقد امتد الإضطهاد كثيراً حتى وصل إلى سيبريه . أما الحالة في إنجلتره فأحسن في نظره ، وقد وافقني بأن الكنيسة الإنجليزية هي بجانب قضيتنا ، مع أن السياسيين الإنجليز لم يتناولوا الأمر بالبحث . وسرّه أن يسمع بأني قد تحدثت في الأمر مع مطران لندن .

ثم تكلمنا عن فرنسه وحالتها الراهنة ، وقد أصغى باهتمام إلى تقريري الذي توصلت فيه إلى الحقيقة التالية ، وهي أن فرنسه اليوم أضعف من أن تناهض الأمر الواقع . وعلق على هذا بقوله أن الأمور تسير نحو ديكتاتورية

ولفت إنتباهي إلى أن نابوليون الأصغر، القائد الروسي، في باريس الآن. قد يقوم بحركة مفاجئة إذا استطاع أن يكسب إلى جانبه القواد. قلت إن هذا الرجل غير معروف في فرنسه، ومن جهة ثانية فإن لدوق أورليانز فرصة أقوى، في المقاطعات على الأقل. باريس كلها إشتراكية.

بعد ذلك قال: «إن القواد متفقون فيما بينهم. إذا اشتعلت الحرب لن يظلوا معاً، ولن يكون غير هذا إلا إذا إفتعلنا الأمور فقط – عندها فقط يتحدون. ولكن نأمل أن لا نعيش إلى وقت نرى فيه مثل هذه العواقب.» وتكلم بمنتهى الصراحة عن المسؤولين في فرنسه. في قضية دريفوس، كان النظام المهترىء أخف ثورة على إطلاق سراح الرجل البريء منه على إعلان خبر الإختلاس والخيانة في مسألة المبلغ المالي السرّي. وإستقالة بواسدفر المستعجلة لا بد أنها كانت متعلقة بالملايين الثلاثة الخاصة برأس المال السرّي التي لم يستطيعوا كشف أمرهـا.

والدوق متأكد من ضعف الجيش الفرنسي. طبعاً تحسنت الأمور نوعاً منذ سنة ١٨٧٠ ولكن ما تزال الأمور مفككة منحلة.

ثم تحول الحديث إلى توسع الأسطول الألماني، الذي هو من أنصاره. إنه ينتظر الكثير من المؤسسة الأسطولية التي أُنشئت حديثاً، والتي تهدف إلى نشر المقترحات البحرية التشريعية في البلاد. وأخبرني أنه أشرف على دراسة قام بها ليعرف إلى أي مدى أسهمت الصناعة المحلية في توسيع الأسطول. وقد وجد أن درهما واحداً من المصاريف لم يتسرب من البلاد... وهذه السفن الألمانية إستخدمت فيما بعد لتأمين أسواق جديدة لاقتصاديات البلاد الداخلية ولزيادة عظمة الإمبراطورية. وبعد فلم تكن المسألة مسألة سلطة عالمية، وإنما مسألة تحسُّن حالة الناس الإقتصادية. وذكرني بالبندقية وما أحرزته بقوتها البحرية.

إستمعت بإعجاب إلى هذه الأفكار الناضجة العظيمة، مأخوذاً بهدوئها بدون أن أكون ملماً بالتفاصيل. واقترحت عليه أن يبذر هذه النظريات بين

الناس بطريقة سهلة محببة ، وقدمت قلمي ليقوم له بهذه المهمّة . هذا يكون أكبر دعاوة ضد الإشتراكية .

ثم عدنا إلى الكلام عن مشروعنا . قلت له إنّي لن أذيعه بأي صيغة ، بل سأتركه للحكومة الألمانية لتنشر ما تراه مناسباً . إن تقديم الموضوع يحتاج إلى كثير من الحذر والمهارة . أما أنا فسأبقى صامتاً . وهنا أشار على بأن أتكلم مع بولو في ذلك اليوم نفسه في بوتسدام .

قال إنه يرى تقديم الأمر كما يلي : إن القيصر بعد موافقة السلطان قد تبنّى قضية هجرة اليهود .

وكنا قد تكلمنا مدة ساعة وثلاثة أرباع الساعة . وأنهى الحديث بكلمات لطيفة ، ولما شكرته على كل شيء بعاطفة ظاهرة ، قال إنه يعتبر هذا تحقيقاً لواجب . يجب الا اتردد في الذهاب اليه كلما احتجت فقد اصبحت الآن أعرف بأنه صديق للقضية . » (ص ٦٩٧) .

هكذا تفاءل لدرجة أن برودة أحد كبار المسؤولين الألمان ، المستشار هوهنلو ، تجاه هرتزل في ٩ ــ ١٠ ــ ١٨٩٨ لم تثبط عزيمته بل قال :

« أنا أعتقد أنه حتّى لو ساءت الأمور فإن فكرتنا هذه ، مدللة القيصر الألماني ، سيتبنّاها آخرون لأن مثل هذه المغامرة هي في صالحهم. » (ص٧٠٤):

وبناء على تلميح من الدوق الألماني ، فكّر هرتزل بان يعقب رحلته إلى فلسطين بزيارة إلى رومه ليكسب ود مسؤوليها الدينيّين والدنيويّين الذين خشيت المانية أن يعارضوا مشاريعها الإستعمارية في فلسطين وهي الدولة البروتستانتية .

« تكلم [الدوق] عن رومه . « قد لايكون هناك أي خير ننتظره من رومه . إنهم يمقتون إمبراطورية بروتستانتية بكل ما أوتيت نفوسهم السوداء من قوة . صحيح ان إمبراطوريتنا ليست بروتستانتية ، إنما مجرد وجود بروتستانتي على رأسها يزعجهم . لذلك علينا أن ننتظر مثل هذا العداء منهم في فلسطين أيضاً . » ...

« بعد إجتماع لجنة العمل جاء نيولنسكي ليراني. سأرسله إلى رومه عندما أكون أنا في القسطنطينية والقدس ، ليمهد الطريق أمامي ، لأني أنوي الذهاب الى رومه في طريق عودتي » . (ص ٧٠٥ — ٧٠٧) .

في اليوم الرابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٨ بدأ هرتزل رحلته إلى فلسطين ، عن طريق الاستانة أولاً . وقد بدأها متهيباً ، خائفاً من الإغتيال في فلسطين .

« إني مقدم على رحلة طويلة لا تخلو من الخطر . وقد حذروني بأنه قد تكون هناك محاولة لاغتيالي في فلسطين . جاءني التحذير من بن يهوذا بواسطة الدكتور ويرنر . » (ص ٧٠٩) .

إن أمله الوحيد هو أن ينجح القيصر في إقناع السلطان بقبول طلبات الحركة الصهيونية .

« ١٥ تشرين الأول : في القطار الذي يسير مقترباً من القسطنطينية . قضيت أمس ساعتين بعد العشاء أتحدث مع توفيق باشا. جعلته يتحدث لأني أُريد أن أعرف منه وبطريق الصدفة عن علاقة السلطان بالقيصر . لأن محمود نديم أعطاني جواباً يدعو إلى الشك عندما سألته هذا السؤال . قال إن تركية لم تستفد كثيراً من ألمانيه والنمسه في المسألة الكريتية . لقد إنسحبتا من إتفاقية القوى الكبيرة ، ولكنه كان يتمنى لو أنهما بقيتا ودافعتا عن تركيه .

لكن أحمد توفيق كان راضياً عن القيصر وعن ألمانيه وقال إن السلطان والشعب التركي كله يشعرون بامتنان لهذا الصديق العظيم . وهم يعتبرون إستيراد الثقافة الألمانية إلى آسيه الصغرى نعمة كبيرة . الخ ...

وبالطبع سرّتني هذه المعلومات كثيراً ، لأنها تدل على نوع الإستعداد الذي نحتاجه لقضيتنا . » (ص ٧١٠) .

ولما اطمأن إلى قوة مكانة القيصر عند السلطان ، بعد أن كان قد اطمأن

إلى قوة مكانته هو لدى القيصر ، أخذ يصرّح بأطماعه في فلسطين . إنه يريد الدولة العتيدة من النيل إلى الفرات ، كما قال بوضوح :

« لقد تحدثت مع بودنهايمر في أمر الطلبات التي نريدها . المساحة : من وادي النيل إلى الفرات . ونشترط على مدّة إنتقالية مع مؤسساتنا الخاصة ، ويكون هناك حاكم يهودي أثناء هذه الفترة . وبعد ذلك تقوم علاقة مثل هذه بين مصر والسلطان . عندما يُصبح اليهود ثلثي السكان في مقاطعة ما ، تتحوّل الإدارة اليهودية إلى قوة سياسية ، بينما تظل الحكومة المحلية (الحكم الشعبي الذاتي) معتمداً على عدد الناخبين في المجتمع .

هذه هي آراء بودنهايمر ، وهي إلى حد ممتازة ، ففكرة المرحلة الإنتقالية فكرة جيدة . » (ص ٧١١) .

« قضيت الليلة الماضية أفكر أيضاً : إن مرحلة بودنهايمر الإنتقالية مستحيلة . نستطيع فقط أن نطالب بخلق نواة عضوية – شركة للأراضي يهودية في سوريه (مع حقوق حكم قانونية) – وإذا سارت الأمور على ما يرام فسوف ننال ذلك . » (ص ٧١٤) .

وأخذ يلح بطلب موعد مع القيصر الألماني وهو في القسطنطينية . كتب له :

« بعد التصريحات التي تلطف بالإدلاء بها صاحب السمو الملكي دوق بادن الكبير يوم الأحد الماضي ، أُقدم لجلالتكم الإمبراطورية الطلب المتواضع جداً لتسمح لي بمقابلة ، حتى ولو كانت قصيرة وسرية ، هنا في القسطنطينية . أما أسباب طلبي هذا فهي ما يلي :

إن إستقبال وفد صهيوني في البلاد المقدسة لا بد أن يؤمن للرأي العام الأوروبي مادة للنقاش. وإذا ما صحب الأمر الواقع هذا النقاش – بدون أن يعلن هذا تماماً ، فكل تدخل من جانب الآخرين والذي يمكن أن يكون معادياً ، سيأتي متأخراً وسوف يضطر الجميع أن يقتنعوا به . فرنسه تعاني ضعفاً داخلياً

لذلك لا تستطيع أن تتحرك ، وأما روسيه فإن الحل الصهيوني للمسألة اليهودية يعني راحة كبيرة ؛ وفوق هذا فإن مشكلة الأراضي المقدسة سوف تذهب . كذلك ليس هناك مجال للخوف من رفض الإنجليز لأن الكنيسة الإنجليزية في جانبنـــا .

كل شيء يعتمد على العمل بمجابهة الأمر الواقع الذي يجب أن يكون . وفي تقديري المتواضع أن السماح لإقامة شركة يهودية للأراضي في سوريـــه وفلسطين تحت حماية ألمانيه يكفي في الوقت الحاضر . هذه الشركة للأراضي سوف تفسح مجالاً مع الوقت لإقامة عُدَد أُخرى معينة لإنجاز العمل . وحتّى لو لم يقتنع السلطان بسرعة بما يمكن أن يُقدمه الصهيونيون لدولته الفقيرة المهترئة ، فسوف يقبل نصيحة جلالتكم في محادثة شخصية بينكما تبيّن له فيها كيف يعاد إلى الإدارة والمالية حيويتهما . وعندما يتّم هذا الإتصال الشخصي فسوف يترك الأمر بعد ذلك للدسائس التي تتكاثر في الشرق بصورة واضحة . » (ص ٧١٦ – ٧١٧) .

حصل هرتزل على موعد من القيصر وقابله بالفعل ، في ١٨ – ١٠ – ١٨٩٨ . وهذا بعض ما سجله هرتزل من أحاديث دارت بينهما :

« لم يكن عنده شك في أننا سننجح في استعمار فلسطين ما دامت لنا هذه الموارد الإنسانية والمالية . قال : هناك عناصر في الشعب تصلح لأن تقيم في فلسطين ، وأنا هنا أُفكر في هس مثلاً ، حيث هناك مرابون يعملون بين سكان الريف ، فإذا أخذ هؤلاء ما يملكونه وذهبوا ليقيموا في المستعمرات لكان عملهم هناك أفضل بكثير (هذا كان ما قاله على وجه التقريب) ... أوضحت له أننا نبعد اليهود عن الأحزاب الثورية . وعلق القيصر بقوله إنه يظن أن اليهود يناصرون الإستعمار في فلسطين إذا عرفوا أنه – القيصر – سيرعاهم بحمايته ولهذا فهم لن يتركوا ألمانيـــه . » (ص ٧٢٨ – ٧٢٩) .

« ثم سرت في حديثي إلى عرض القضية بأكملها له ، وفيما كان هو يهز

برأسه عرضت عليه جميع الحجج : سكة حديد روسيه في سيبريه ، التي هي صندوق باندورا الذي يحمل الكثير من الشرور لأوروبه . الطريق المختصر إلى الهند ، وغيرها . كل شيء ، كل شيء . وقد إستمع إلي جيداً وكانت تبدو عليه معالم التعب والجهد أحياناً خاصة لما تكلمت عن الأشكال المعقدة للقروض التي يمكن أن نقدمها لتركيه ، وأخيراً قلت : لا أدري – ربما كنت عنيداً جداً بخصوص هذه القضية ، ولكن الأمر يبدو طبيعياً بالنسبة لي .

ونظر لي نظرة عظمة وقال : « وهي عندي كذلك أيضاً . » وقال هنا بولو : « نعم ، لو أن الناس هنا راغبون في ذلك ؛ ربما كان من واجب الوزراء ان يكونوا راغبين في القضية ..... » وأكمل محركاً إصبعيه بحركة عدد الدراهم قائلاً : « هنا الكل يأخذون . » على أن القيصر رفض هذا بإشارة خفيفة بيده وقـال : إن اهتمام قيصر ألمانيه بالقضية وتدخله فيها لا بد أن يترك في الناس أكبر الأثر .

(وهنا انتابني شعور الغابة السحري بأنني أستطيع أن أنازل وحيد القرن الذي يقول بصوت بشري « أنا هو وحيد القرن الخرافي ») .

وأتم القيصر حديثه قائلاً : وبعد فأنا الرجل الوحيد الذي بقي إلى جانب السلطان وهو يعتمد علي . »

ونظر إلى ساعته مرة ثانية ووقف ، ولما رأى أنني أريد أن أقول شيئاً قال : « ألديك سؤال آخر ؟ » وكنت عندها قد وقفت فسألته الأسئلة الخاصة التالية ، عن المقابلة في فلسطين ، وعن خطابي ، الخ . قال : أكتب خطابك وابعث به إلى بولو . وبعدها أقرأه أنا معه بتمعن ... فقط أخبرني بكلمة ، ما تريد أن أطلبه من السلطان . »

« شركة قانونية – تحت الحماية الألمانية . »

« جيد ! شركة قانونية ! » ومد إلي يداً فيها قوة إثنتين ، عصرت يـــدي

بشدة ثم خرج أمامنا من الباب الأوسط . » (ص ٧٣٣) .

« كان القيصر طيلة الوقت الذي تكلمت فيه ينظر إلي ، أما عندما تكلمت عن الطريق البرية الجديدة إلى آسيه – البحر المتوسط ، الخليج الفارسي – عند ذلك فقط أشاح بوجهه ونظر بعيداً كمن ضاع في أفكاره وقد بدت على وجهه الرائع الجدي نظرة أوحت إليّ بأنني قد تملكت زمام تفكيره .» (ص ٧٣٧) .

« إن مقابلتي لن تبقى سرية ، وإن العالم الديبلوماسي لا بد وأن يكون مهتماً إهتماماً شديداً بها ، هذا ما أقدّره ولا أكون مبالغاً أو مخدوعاً إذا أنا قدرته . على كل حال سنرى ما يحدث .

وعلى كل حال فأنا اليوم أُمثل الشخصية المتعبة المزعجة لكثير من الأوساط المهتمة بالأراضي المقدسة ، ولا أدري ما إذا كانت هناك مؤامرة تدبر ضدي في فلسطين لكني لا أستطيع أن أتكهن أبداً المكان التي ستصدر عنه . » (ص ٧٣٦) .

وفي ١٨ – ١٠ – ١٨٩٨ أرسل إلى القيصر عريضة تحتوي على الخطاب الذي سيلقيه أمامه في فلسطين بناء على طلب القيصر نفسه . وهو :

« يتقدم ، باحترام عميق ، وفد من أبناء إسرائيل إلى القيصر في البلاد التي كانت لآبائنا ، والتي لم تعد بعد لنا . لا يربطنا بهذه الأرض المقدسة لقب إمتلاك حقيقي ، وقد مرّ على هذه الأرض التي كانت يوماً يهودية أجيال كثيرة فإذا ما تكلمنا عنها فنحن كأنما نتكلم عن حلم أيام قديمة جداً . ولكن الحلم ما يزال حيّاً يعيش في مئات الآلاف من القلوب ، وقد كان ولا يزال البلسم الشافي في ساعات الألم لشعبنا المسكين . كانت فكرة صهيون تعود إلى قلوبنا المظلومة كلما جار علينا الأعداء باتهامات واضطهادات ، وكلما استكثروا علينا القليل في حقنا في العيش ، وكلما أبعدنا عن المجتمع الذي يعيش فيه إخواننا المواطنون – الذين كنا مستعدين دائماً لأن نشاركهم المصير . .

إن تلك الفكرة خالدة ، مع أنها مرّت في تغييرات متعددة الأنواع مع الناس والمؤسسات والأزمان .

لذلك فإن صهيونية اليوم هي صهيونية عصرية ، تنمو من صميم أحوال اليوم الحاضر وصفاته ، وتهدف إلى حل المسألة اليهودية على أساس إمكانات الوقت الحاضر . ونحن نؤمن أننا قد ننجح الآن ، لأن الإنسان قد أصبح غنياً جداً في وسائل التنقل وطرق إنجازات العمل . فالمشاريع التي كانت تبدو مستحيلة منذ نصف قرن فقط ، أصبحت أمراً عادياً اليوم. غيّرت قوة البخار والكهرباء وجه العالم . وبمثل هذه الأمور يجب أن نصل إلى حلول إنسانية .

وفوق كل هذا فإننا قد نجحنا في إثارة الشعور القومي عند إخواننا المتفرقين في كل مكان . ففي مؤتمرات بازل وضعنا منهاج حركتنا أمام العالم كلّه ، وهو : ان نخلق ، ضمن القانون المدني ،وطناً قومياً للشعب اليهودي . هذه أرض أجدادنا ، أرض صالحة للإستعمار والزراعة . لقد رأيتم جلالتكم البلاد ، إنها تستصرخ أناساً ليعملوا فيها ، وبين إخواننا جماعة ضخمة من العمال ، يصرخون طالبين أرضاً يزرعونها ، ونحن نريد الآن أن نخلق مشروع خير من حالات التعاسة هذه – من الأرض ومن الناس – وذلك بالجمع بينهما . ونحن نعتبر قضيتنا قضية سامية مؤهلة لأن تحوز عطف كبار الأدمغة ، لذلك فنحن نطلب من جلالتكم مساعدتكم السامية من أجل المشروع . ولكننا ما كنا نقدم على مثل هذا الطلب لو كان في خطتنا أدنى أذية أو تعد على حاكم هذا البلد . إن صداقة جلالتكم لصاحب الجلالة السلطان معروفة إلى درجة لا يمكن معها أن يقوم هناك أي شك في نوايا هؤلاء الذين يلجأون إليكم يطلبون تعطف جلالتكم في نقل رغائبهم .

ونحن متأكدون أن الخطة الصهيونية ستحمل معها الخير لتركيه . ستحمل إلى هذه البلاد موارد مالية وموارد عملية ، فستعمل على تثمير مساحات واسعة

من الأرض المهملة في المستقبل القريب ، وفي هذا كله زيادة في السعادة والثقافة لأناس كثيرين .

نحن نخطط لقيام شركة يهودية لأراضي سوريه وفلسطين والتي ستحمل على عاتقها مهمة القيام بهذا المشروع ونطلب لها أن تكون تحت حماية القيصر الألماني . وفكرتنا هذه لا تسيء إلى حقوق أحد ولا إلى مشاعره الدينية . إنها تؤمن المصالحة التي طالما كانت مرغوبة . نحن نعرف ونحترم جميع الأديان التي قامت على التربة التي عليها أيضاً قام دين آبائنا . » (ص ٧١٩) .

سافر هرتزل من إسطنبول إلى الإسكندرية ، عن طريق البحر . وقد أعجبه في الإسكندرية وبور سعيد ، وأثار إنتباهه وتعليقه ، الإنشاءات الغربية الإستعمارية في مصر ، وكأنه كان يفكّر بما سيعمله اليهود في فلسطين إذا استولوا عليها :

« الحر شديد في الإسكندرية وبور سعيد . إن الإسكندرية هي أحسن مثل على حذق الإدارة الأوروبية في خلق بلد مريح للسكنى حتى في أحرّ البلاد .

في بور سعيد ، وقفت أتأمل قنال السويس ، ذلك الخط المتلألىء من الماء الذي يبدو وكأنه يمتد إلى اللانهاية . أعجبني أكثر بكثير من الأكروبوليس . صحيح أن حياة كثيرين وأموالاً كثيرة بُددت في سبيل هذا القنال ، ولكن على الإنسان أن يعجب بالرغبة الهائلة التي إستطاعت أن تنفذ فكرة بسيطة مثل حفر الرمال هذا . » (ص ٧٣٨) .

ثم سار من مصر إلى فلسطين . فوصل يافا . وأخذ للحال يهزأ بالعرب .

« نحن في يافــا !

هنا أيضاً الفقر والبؤس والحر في ألوان زاهية .

هناك صخب في الشوارع ، وفي الفندق ، لا يمكن إيجاد عربة ...

من مكفه سرنا في الأرياف التي أهملها العرب كعادتهم إلى ريشون ليزيون الجميلة . » (ص ٧٣٩ — ٧٤٠) .

وتجول بين ريشون ليزيون ورحوفوت ومكفه اسرائيل . وكان يسخر من العرب في كل مكان يذهب إليه :

« الساعة التاسعة ، قامت ضجة في الشارع الرئيسي قوامها جمهور مختلط من الشحاذين العرب ، والنساء والأولاد ، وكان هناك خيّالون ، يحيّون مجيء القيصر . » (ص ٧٤٣) .

وذهب إلى القدس . ولم تعجبه :

« عندما أتذكرك في المستقبل ، أيتها القدس ، فلن تكون ذكرياتي سعيدة . إن عفونة ألفي سنة من اللاإنسانية ، والظلم والوسخ تنبعث رائحتها من الشوارع الضيقة . إن الرجل الذي كان موجوداً فيها طيلة ذلك الوقت ، الناصري الحالم المحبوب لعب دوراً في زيادة الكراهية .

إذا ما حصلنا على القدس يوماً ، وإذا ما كنت لا أزال نشيطاً أستطيع أن أقوم بالأعمال فسأبدأ بتنظيفها قبل كل شيء . سأبدأ بإزالة كل ما ليس مقدساً ، وسأقيم بيوت العمال خارج المدينة ، وأفرغ أعشاش القذارات وأهدمها وأحرق الآثار العلمانية وأنقل الأسواق إلى غير مواضعها الآن . وعندها أبقي على النمط المعماري القديم بقدر الإمكان ، وأبني حول الأماكن المقدسة مدينة مريحة منشرحة صحية . » (ص ٧٤٥) .

وأخذ في أحلامه النهارية يفكر بمشاريعه للقدس .

« ذهبنا بعد الظهر إلى جبل الزيتون ، لحظات عظيمة . ليس هناك شيء لا يمكن أن يخلق في هذه الأرياف مدينة مثل رومه ، وجبل الزيتون يعطي منظراً عاماً . سأفصل المدينة القديمة مع كل ما فيها من آثار وأبعدها عن الطرق العامة ، فيبقى فيها بيوت العبادة والمؤسسات الخيرية فقط ، ولا يسمح بغير

هذه داخل الأسوار ، فهناك سلسلة الجبال العريضة التي تحيط بالمدينة والتي ستصبح خضراء بفضل أيدينا. هذه ستكون موقع القدس الجديدة . كل صاحب عقل في أي مكان في العالم يجب أن يسلك هذه الطريق المؤدية لجبل الزيتون . بشيء من الإهتمام الرفيق يمكن تحويل القدس إلى جوهرة . يترك كل مكان مقدسٍ داخل أسوار المدينة وينثر كل جديد حولها . » (ص ٧٥٢) .

أما إجتماعه بالقيصر ، وهو الهدف الرئيسي من ذهابه إلى فلسطين ، فهذا ما حصل له : وصل هرتزل فلسطين قبل القيصر . وللحال أعدّ هذه الكلمة في تحديد نظرته لفلسطين أمام القيصر :

« هذا وطن آراء ليست ملكاً لشعب واحد أو لدين واحد . وكلما تقدم الإنسان في خلقه كلما إتضح له وحدة العناصر في هذه الآراء . هكذا أصبحت مدينة القدس ذات الأسوار المهمّة مدينة رمزية لجميع الأمم المتحضرة .

إن إمبراطور سلام يدخل الآن هذه المدينة الخالدة ، ونحن اليهود نحيي جلالتكم في هذه اللحظة العظيمة ونتمنى من كل قلوبنا ، أن تشرق شمس السلام والعدل على جميع الناس ، بما فيهم نحن . » (ص ٧٤١) .

على أبواب مستعمرة مكفه إسرائيل ، التي زارها القيصر ، كان هرتزل ينتظره . وكان ذلك الإستقبال الصهيوني الرسمي خاطفاً ورمزياً . ومع هذا لم يتأخر هرتزل عن محاولة إستغلال الفرصة :

« [قال القيصر] : « إن للبلاد مستقبلاً . قلت : « إنها في الوقت الحاضر ما تزال مريضة » . قال : « إنها في حاجة إلى الماء ، كثير من الماء » .

أجبت : « نعم يا صاحب الجلالة ، ري على نطاق واسع . » فكرر قائلاً : « إنها بلاد ذات مستقبل . »

ربما قال بعض أشياء أخرى لم أسمعها . لأنه توقف معي لعدة دقائق . ثم

مدّ يده ثانية إلي ومضى على حصانه . » (ص ٧٤٣) .

أما الإستقبال الرسمي الكبير فكان في القدس ، في ٢ – ١١ – ١٨٩٨ . لقد كان الإستقبال ، الذي حصل قبل صدور وعد بلفور بمنح فلسطين لليهود بتسعة عشر عاماً بالضبط :

« كان إستقبالنا قصيراً ولكنه سيحفظ للأبد في تاريخ اليهود ، وليس مستحيلاً أن يكون له نتائج تاريخية . » (ص ٧٥٤) .

قرأ هرتزل أمام ضيف فلسطين الخطاب الذي كان قد أعدّه وهو في إسطنبول وعرضه عليه . فرد القيصر باختصار ، ودار بينهما حديث سجله هرتزل :

« قال القيصر ما يلي :

« أشكركم على هذا الإتصال بي الذي أثار اهتمامي كثيراً . والمسألة على كل حال تحتاج إلى دراسة تامّة مطولة . » ثم سار إلى التحدث عن ملاحظاته بخصوص المستعمرات حتى الآن وقال : « تحتاج الأرض (أكثر من أي شيء) إلى الماء والظل » واستعمل تعابير تقنية بخصوص الزراعة والتحريج . وفي رأيه أن الأرض صالحة للزراعة . « إن المستعمرات التي رأيتها ، الألمانية منها وتلك التي قام بها شعبكم ، تبيّن تماماً ما يمكن عمله بخصوص الأرض ، والبلاد تتسع للكل ، فقط عليكم أن تؤمنوا الماء والأشجار . وعمل المستعمرين هو حافز ومثل لأهل البلاد . إن حركتكم هذه التي أعرف عنها الكثير فيها رأي صائب . »

وقد أكد لنا بعد ذلك دوام إهتمامه بالقضية . أما ما قاله غير هذا في خمس أو ست الدقائق التي أعطانا فيها جوابه فلم أعد أتذكره .»(ص ٧٥٥) .

« قال بولو بلباقة : كما تفضل به جلالة القيصر ، إن الماء أهم شيء .

هر هرتزل يعرف أحسن مني ما قاله الشاعر اليوناني : « الماء أفضل كل شيء . »
« سنؤمن الماء للبلاد ، سوف يكلفنا هذا ملايين ولكنه سيعود علينـــا بالبلايين » .

قال القيصر : « المال متوافر لكم بكثرة ، عندكم مال أكثر مما عند أحد منـــا » .

وقال بولو متمتماً : «نعم المال الذي هو مشكلتنا عندكم منه الكثير . »

تكلمت عن موضوع ما يمكن عمله بقوة ماء الأردن واستدرجت سايدنر ، كمهندس ، للتكلم في الموضوع . وقد تحدث سايدنر عن الخزانات وغيرها ، واهتم القيصر بالموضوع وأخذ يتحدث فيه ، إلى أن توصل إلى موضوع الحالة الصحية وأمراض العيون وغيرها من الأمراض التي تتفشى خاصة في موسم قطاف التين ، وهنا أدخلت شنايرر في الحديث فتكلم في الموضوع باختصار . ونجحت أيضاً بإعطاء فكرتي عن جعل المدينة القديمة مخصصة للأماكن المقدسة والمؤسسات الخيرية وبناء قدس جديدة يمكن أن يراها الناس من جبل الزيتون كما يمكن أن ترى رومه من الجنبكولوم . لم أستطع تقديم ولفسون وبودنهايمر ، لأن القيصر أنهى المقابلة بأن صافحني مرة ثانية . » (ص ٧٥٦) .

وهكذا انتهت المقابلة دون أن يحصل الزعيم الصهيوني على وعد من القيصر بفلسطين . وكان على الصهيونية أن تنتظر ، منذ الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٨ إلى اليوم نفسه من العام ١٩١٧ ، لتنال وعداً بهذا الخصوص من حكومة أوروبية أُخرى أصبحت ، آنذاك ، هي صاحبة الحل والربط بعصائر أبناء الشرق مثلما كانت ألمانيه قبل عشرين سنة دون ان يكون اي من البلدين يملك حقاً دوليا او قانونياً او تاريخياً بفلسطين . لقد سمح بلفور لنفسه ، قبل أن تحتل قواته البريطانية فلسطين كلها ، أن يقرر مصيرها ويتبرع بها ، وهو فعل لم يسمح القيصر لنفسه بأن يفعله ، رغم محاولات هرتزل وإغراءاته . لهذا لم يكن هرتزل راضياً عن المقابلة كثيراً .

« عند ذهابنا قلت لشنايرر « لم يقل نعم ولا قال لا » ... لم يقل نعم ولا قال لا ، يبدو أن أموراً كثيرة تحدث خلف الستار . » (ص ٧٥٧) .

وغادر هرتزل فلسطين في ٥ – ١١ – ١٨٩٨ ، من يافا إلى الإسكندرية . وقد سجل هذه الملاحظة في مذكراته آنذاك ، وهي ملاحظة تكشف عن أطماع هرتزل بفلسطين ونوايـــاه :

« في فلسطين تأزمت الأمور معي . ولو كان رجال الحكومة التركية على شيء من بعد النظر السياسي لكانوا وضعوا نهاية لأعمالي ، وكانوا يستطيعون أن يفعلوا ذلك منذ وصولي إلى القسطنطينية ، كل ما كان عليهم أن يفعلوا لوضع حدّ لأعمالي هو أن يطردوني من البلاد ، أو كانوا يستطيعون أن يكفوني عن العمل بأن يرسلوا إلي بعض رجال الشرطة عندهم في زي اللصوص.

على أن عدم تفهم الناس لقضيّتي ليس سبباً في إيذائي فحسب ، إنما كثيراً ما يكون لصالحي . إن خطتي غير مفهومة . ولهذا فإنها ما تزال مسموحاً بها ، لا يقف في وجهها أحد .

لقد سمحت لي الحكومة التركية بأن أكمل رحلتي ؛ وإذا لم تكن ظنوني مخطئة فأنا الآن صاحب نفوذ سياسي . » (ص ٧٦٠) .

كتب هرتزل ، وهو على ظهر السفينة التي أقلّته من مصر إلى نابولي عائداً من الشرق ، في ٩ – ١١ – ١٨٩٨ ، رسالة شكر إلى دوق بادن الكبير ، محدداً علاقاته بألمانيه ، ومجدداً مطالبه بالمزيد من الرعاية الألمانية الرسمية .

« لم نتوصل إلى نتيجة إيجابية بخصوص وضع الوفد تحت رعاية صاحب الجلالة الإمبراطورية . عندما اجتمعت به ، في مقابلتي الأولى له في القسطنطينية، كنت أظن أن هذه النتيجة ستجيء في أعقاب اللفتة العلنية في القدس ، وذلك أن جلالته كان يعطف جداً على الفكرة الصهيونية الأمر الذي نحن مدينون لمساعدة سموكم به . وقد تم الإتفاق على أن أُقدم مسودة خطابي قبل الإستقبال

الرسمي . وقد قدمتها وقبلت المسودة بشيء قليل من الحذف ، وها أنا أرسل إليك الخطاب الذي قلته في القدس راجياً من سموكم أن تُردّ لي هذه النسخة . على أنه لا بد أن تكون قد حدثت صعوبات في ما بين المقابلة في القسطنطينية وبين إستقبال الوفد في القدس . أنا لا أعرف بعد ما الذي حدث بالضبط ولكني أقدّر ذلك لأن صاحب الجلالة لم يذكر الحماية لشركة الأراضي في جوابه . إن تأسيس شركة للأراضي على نمط « الشركة القانونية » أو شركة الهند الشرقية كان يبدو أنه الشيء الذي يمكن الحصول عليه بدون إثارة أي شعور بالإستياء عند سائر القوى .

ما أزال أعتقد أنه – ضمن الحالة الحاضرة – ليس هناك مجال للمعارضة من قبل فرنسه ، وهي القوة التي تدّعي حماية هذا الجزء من الشرق . وحادث الفاشودا يؤكد هذا الرأي . فالحكومة الحاضرة للجمهورية يجب أن تقبل بالأمر الواقع إلا إذا كان بالغ الإهانة .

وبما أن صاحب الجلالة تفضل بقوله : « إن الأمر يحتاج إلى دراسة مفصلة ومباحثات أكثر » فلا بد أن أعرف قريباً عن ماهيّة هذه الصعوبات التي قامت .

إذا لم يكن تفسيري للحوادث الأخيرة مخطئاً فإن الصعوبات الخارجية وليس تغيّر رأي صاحب الجلالة هي التي أدت إلى تأجيل إعلان الحماية الألمانية التي كنا ننتظرها . ما أزال متذكراً كلمات سموكم الحكيمة التي تفوهتم بها في « مانو » : إنه في مثل هذه القضايا التاريخية العالمية ، كل خطوة تحتاج إلى صبر . وربما لم أكن على خطأ إذا إعتبرت أن هذه الحماية التي نريدها هي قائمة إلى أن أسمع العكس . ومن أجل هذا الأمر سأقوم بما يتطلب مني من إخلاص في العمل وحذر .

هذا وسأظل مديناً لسموكم بالشكر والإمتنان من أجل مساندتكم قضيتنا حتى لو تغيرت السياسة الألمانية ورفضتها ، ذلك لما تتركه مساندتكم المعنوية

لنا من إيمان بأن قضيتنا لا يمكن ألاّ تكون على حق ما دام أن عقلاً كبيراً مثل عقلكم يرضى عنهـــا .

كم أتمنى أن يعرف العالم بأجمعه عن المحادثات التي جرت بيني وبينك والتي أقوم أنا بواجبي بإبقائها سرية .

إن هذه الطريقة الشريفة والبسيطة في تأدية عمل الحاكم ستؤثر في الكثير من الناس وتجعل بعضاً منهم يخجلون . لقد كانت لحظات لا تنسى خففت عني المتاعب والأحزان التي لاقيتها أثناء عملي الشاق ، وسأظل ممتناً أبداً من أجل الفرصة التي سمحت لي بأن أتعرف إلى شخصية القيصر المشرقة .»(ص ٧٦٥) .

ويبدو أن هرتزل لم يرد أن يفقد الأمل . أجبر نفسه على الإعتقاد أن موقف القيصر منه لم يكن بدون أية فائدة للصهيونية . فقد سجل هذه الآراء في تقييم الرحلة بعد عودته إلى فينّه في ١٨ – ١١ – ١٨٩٨ . لكن في الوقت نفسه لم يستطع أن يخدع نفسه كثيراً :

« إن عدم تبني القيصر قضية الحماية في القدس هو بالطبع لصالح تطورات قضيتنا في المستقبل . صحيح أن أصابني شعور بخيبة أمل ، لأن الحماية كانت فائدة قريبة واضحة ، ولكنها لن تكون كذلك في المدى الأطول ، لأننا كنا سندفع من أجلها أفحش الفوائد . ولكن كان فيها حسنات .

كان عند نيولنسكي أخبار من القسطنطينية . يقال إن القيصر قال للسلطان : « الصهيونيون لا يشكلون خطراً على تركيه ، إنما اليهود هم المزعجون ونريد أن نتخلص منهم » ؛ ويقال إن السلطان أجاب كعادته أنه لا يتذمر من رعاياه اليهود . ويقال إن الإمبراطورة قالت إن الرحلة ستكون جميلة جداً إنما الشيء الوحيد الذي ينغص فيها هو رؤية هذا العدد الكبير من اليهود .

زيادة من القيل والقال في القسطنطينية : نوري بك عدو لنا لأنه لم يستلم

بعد أي بخشيش ، لكن يوجد هناك تحقيق يجري معه بخصوص قبوله رشوة لتعيين المناصب القنصلية .

أحمد توفيق في برلين ضدنا أيضاً . وهناك في تركيه شعور بخيبة الأمل في رحلة القيصر لأنها كلفت ستة عشر مليوناً ولكنها لم تستطع أن تمنع خسارة كريت .

يقول نيولنسكي إنه من ناحية الكنيسة الكاثوليكية ، تكلم مع « تارناسي » ومع القاصد الرسولي تالياني في فينّه ، وإنه استلم أيضاً رسائل من أجلياردي . يقول إن المشاعر منقسمة وعلينا على أي حال أن نحاول عمل شيء في رومه .

ثم جاء كوزميان ، صديق باديني ، هو أيضاً منقبض . تكلم عن الصهيونية ويرى صعوبات كثيرة بسبب الأماكن المقدسة ولا يؤمن كثيراً بوسائل العمل والتحقيق . » (ص ٧٦٨ – ٧٧٠) .

ونحن نجد هرتزل يعود للعب على الحبال مع الدول الكبرى ، فيتصل بعدة دول في آن واحد ، زاعماً لكل منها أن الصهيونية تعمل لصالحها هي بالذات . إذ أنه ، هو وبعض أعوانه ، أجروا إتصالات متماثلة مع كل من ألمانيه وبريطانيه وروسيه ورومه في الشهر الأخير من ١٨٩٨ والشهر الأول من ١٨٩٩. بدأها بالإتصال ببريطانيه بعد أن تقرّب بعض أثرياء اليهود منه بسبب ما أُذيع عن استقبال القيصر الألماني له .

« أدلى نارسيس ليفن ، وهو رئيس جمعية الإستعمار اليهودية والأليانس ، أدلى ببيان ، أتمنى أن يكون البيان أمام شهود ، لأن ولفسون لم يذكر ذلك ، أنهم لا يعرفون ما يعملون بملايينهم ، ولكن هذه الملايين ستوضع تحت تصرفنا في أقرب وقت نستطيع فيه أن ننجز عملاً إيجابياً . » (ص ٧٧٣) .

« خبر جاء اليوم من باريس بواسطة مرمورك ، أن نوردو مستعد أن يذهب إلى لندن مع ولفسون ، لمباحثة جمعية الإستعمار اليهودية ويعرج على

سولزبري الذي تأمن له الإتصال به . وقد وصلتني برقية ترحيب بهذا الإجتماع ولكن عليه في الوقت الحاضر أن لا يذيع نتيجة إجتماعه بسولزبري إلا لنا . » (ص ٧٧٢) .

« يتوقف كل شيء على نتائج إجتماع لجنة البنك الذي سيكون اليوم في لندن . وحسب ما جاء في تقرير سري أرسله إلينا سكرتير بنكنا « لو » أن إجتماعاً قد جرى منذ أيام قليلة في منزل اللورد روتشيلد حضره س . مونتاجو وف . موكاتا ، والدكتور أدلر وغيرهم ، وكان من المفروض أن ينشروا إحتجاجاً ضد البنك ، ولكن روتشيلد لم يوقع مسوّدة « أدلر » لأنه يريد أن يفكر فيها مدة أطول . إذا ما نشر مثل هذا الإحتجاج فإنه يتوجب علينا بعده أن نحارب . سيكون بنكنا على كف عفريت وستتحول القضية إلى حرب صحفية ، حرب ضد كبار أصحاب البنوك . إذا نجح ولفسون في إقناع السادة ساسون ، ومونتفيوري ، وسليجمان أن يكونوا إلى جانبنا ، وأنا مستعدٌ أن أوكلهم بإدارة البنك لأن ليس همنا الطموح المادي ، نحن فقط نريد وسيلة لحاجات سياسية — بهذا نصبح قوة تسير إلى جانب قوة . بواسطة الوسائل المصرفية ، يمكننا عمل كل شيء في تركيه . سأرسل ولفسون إلى القسطنطينية ليدهن أيدي الباشاوات ، وبعدها أذهب إلى القيصر وأطلب منه أن يقدمني إلى قيصر روسيه . لهذا السبب نعتبر نوايا قيصر ألمانيه أمراً إيجابياً ، وكذلك فإن ثقة أميري بادن وبروسيه بنا هي أهم ما نملك من رصيد في الوقت الحاضر . » (ص ٧٧٢) .

لكن هذا لا يعني إنقطاع الصلات مع ألمانيه . أرسل هرتزل في ١٥ — ١٢ — ١٨٩٨ رسالة مطولة إلى دوق بادن الكبير يعرض عليه مخططه الجديد بصورة مفصلة جداً :

« كنت أتوقع أن حالة اليهود الراهنة في القدس كما هي في كل مكان لسوء الحظ — لن تترك أثراً طيباً في نفس القيصر . ولكن مثل هذه الأوضاع

وحماسنا لأن نبدلها هي أهم أسباب وجود الحركة الصهيونية . بالمناسبة ، لو تفقد المستعمرات الزراعية التي كانت تأسست في الأراضي المقدسة لكان استطاع أن يرى التغير النافع الذي حدث في المظهرين الطبيعي والمعنوي ويرى أسلوب الحياة الجديد الذي نريد جماهيرنا أن تندمج فيه . ونحن نعتبر رفع مستوى الحياة وسيلة إلى غاية أبعد هي تحسين حال شعبنا على العموم . إذا نجحنا بتأمين مجالات العمل المثمر لإخواننا التعسين ، على هذه الأرض التاريخية — الأمر الذي هم راغبون فيه كما برهنت حقائق كثيرة — إذا نجحنا في هذا فإن هذا العمل سيعطينا في الوقت نفسه إمكانات كافية لإنجاز أعمال أخرى أيضاً .

إنه لمن دواعي إرتياحي أن أعلم من سموكم الملكي أن خطابي في القدس قد نال الرضى ، وأننا من الآن نستطيع أن نعتمد على مساعدتكم واهتمامكم . هناك صعوبات في اختلاف المواطنة بين اليهود الذين استوطنوا فلسطين حتى الآن أو بين هؤلاء الذين يستوطنون فيها في المستقبل ، ولكني — وبكل تواضع — ألفت انتباهكم إلى أن إفتراض الحماية الألمانية سيبدل كثيراً في هذه الحالة . ففي الوقت الحاضر أنا أمسك بجميع الخيوط في يدي ، وأنا أؤكد لك بأن جميع هذه الصعوبات يمكن إزالتها ، حتى استيطان « الأليانس الإسرائيلي » التي ما تزال حتى الآن تحت السيطرة الفرنسية ، سوف ، وأنا متأكد مما أقول ، تسرع إلى الإندماج في الجالية تلك حالما تبرز هذه إلى الوجود . يبقى السؤال ، كيف يمكن توطد الحماية الألمانية بدون دخان ونار . لأني على ما أعلم جيداً ، أن ألمانيه لا تستطيع ولا تريد أن تتدخل في أمور لا تعرف نتائجها من أجل قضيتنا مهما كانت هذه القضية إنسانية .

على أننا الآن نستطيع أن نقترح طريقة غير علنية لهجرة اليهود تحت الحماية الالمانية بتدريج ونظـام بحيث لا يكون هناك مجـال للاعتراض اذا سارت الأمور بحذر .

هذا هو خلق الشركة اليهودية للأراضي في سوريه وفلسطين ، التي ذكرتها في خطابي في القدس ، التي تشترط أن يكون مركزها في ألمانيه . مثل

هذه الشركة تتصف بقانون مدني ، وكل الإتفاقات التي تجري بين الحكومة الألمانية وزعماء حركتنا يجب ألاّ تتسرب إلى الخارج ، وكل ما يطلب من الحكومة التركية ، هو أن تبطل قانون منع الهجرة . أما هذا الأخير فهو ليس تحت الحماية على كل حال لأنه ، كما قد يعلم سموكم ، أن مندوبين مختلفين ، خاصة المندوب الإنجليزي ، إحتجوا عليه .

على كل حال فسوف نؤسس الجمعية اليهودية للأراضي في المستقبل القريب ، لأننا نحتاج حتماً إلى هذه الوسيلة لتطورات المستقبل . هذا ، وأنا حتى الآن ، أسير في الأمر بتمهل ، لأنه حتى في مراحل ما قبل الخلق يجب أن نتوصل إلى حماية شركة الأراضي في المستقبل .

وحتى لا أطيل الكلام إلى درجة مملة ، فها أنا أعطي نتاج الأفكار المختلفة : السؤال هو : هل نحصل على حماية ألمانية أو إنجليزية ؟ أما حماية أي قوة غير هاتين فلا نفكر فيها الآن أبداً . إن حركتنا اليوم مهيئة لتقبل الحماية الألمانية . منذ أن حظيت بالإتصال بسموكم وأنا أفكّر – وهذا يرجع إلى اهتمامي بألمانيه بسبب ميولي الثقافية وكوني أديباً ألمانياً – أفكر بأنه يجب أن نجتهد أكثر حتى نحصل على حماية الإمبراطورية الألمانية والقانون الألماني . فهناك الميل في سياسة ألمانيه للتوصل إلى موطىء قدم في الشرق ، وهناك إهتمام صاحب الجلالة القيصر بأرض أجدادنا إهتماماً دينياً وسياسياً ، وأخيراً الحقيقة القائمة وهي تأثير ألمانيه على تركيه ، الذي أصبح متغلباً اليوم . كل هذه الأمور تسند وجهة نظري في أن الحماية الألمانية هي التي نريدها لحركتنا لا الحماية الإنجليزية التي يريدها البعض . والحاجة اليوم أصبحت ملحة لتقرير هذا في أقرب وقت . وأنا اليوم أعتقد بأنه حتى لو تأسست شركة الأراضي ضمن القانون المدني وكان مركزها في إنجلتره فإن هذا يجب أن لا يمنع إمكان وضع الإستيطان تحت حماية ألمانية ، وتحت رعاية القانون الدولي في مرحلة متأخرة – ربما تكون نوعاً من حماية ألمانية – إنجليزية مشتركة ، ولكن من يستطيع أن يتكهن

بالصعوبات التي قد تبرز من جراء هذا . سيكون الأمر معلقاً بين قوتين وربما أكثر .

لقد تلطف صاحب الجلالة وأخبرني في القدس أن الموضوع يحتاج إلى دراسة أطول . أنا الآن في انتظار الأوامر . » (ص ٧٧٤) .

وتبع هذه الرسالة مقابلة أجراها هرتزل مع السفير الألماني في العاصمة النمساوية في ١٩ ـ ١٢ ـ ١٨٩٨ :

« قام حديث طويل بيني وبين اويلنبرج في السفارة الألمانية . شرحت له الصعوبة الناشئة عن إذا كان الأفضل تأسيس شركة للأراضي تحت حماية ألمانية أو إنجليزية كما فعلت في رسالتي للدوق الكبير .

هو أيضاً لاحظ مزاج القيصر السيء ـ وكان القيصر قد أشاد بي أمامه ـ بخصوص اليهود في القدس . قال هناك أيضاً ، سيتدفق اليهود إلى المدينة ، وقد ذكرت له المستعمرات فقال اويلنبرج أن هذه تغيّر الأمور تغييراً كبيراً ، ولهذا فإن القيصر قد أخطأ . وقال أويلنبرج إنه ـ أي أويلنبرج ـ يحبذ فكرة وضع شركة الأراضي تحت حماية القانون ، في برلين .

كذلك أخبرني كثيراً من أسرار الحالة الراهنة . قال إنه يرى موقف الجريدة الحرة الجديدة ممتازاً . أخبرني عن حديثه مع إمبراطورنا في مسألة ثن (عن التهديد الذي وجهه الوزير « ثن » في دولة الرايخ بخصوص الطرد من بروسيه) ، وأن أويلنبرج أخبر القيصر أن لهجة « ثن » مخيفة وأن سياسة النمسه الداخلية لا يمكن مع الوقت أن تسير معاكسة لسياستها الخارجية . على أن إمبراطورنا هدّأ مخاوفه بطريقة لطيفة ، وهذا كان يؤلم أويلنبرج لأنه يحترم إمبراطورنا كثيراً . على أن أويلنبرج كان ما يزال خائفاً على هذا الرجل الشيخ ممن حوله ، لأن التأثير المستمر قد يغيّره . قال : إن « لثن » ميولاً روسية وإن زيارة الإمبراطور الأخيرة للسفارة الروسية في إحتفالها بعيد ميلاد

قيصر روسيه كان أمراً معاكساً لكل فائدة ...

أحياناً أفكر فيما إذا كان « التأثير السيء الذي تركه يهود القدس على القيصر » مجرد تصرف سياسي من ناحية ألمانيه للتخلص من الحماية . أو لعل هناك تأثيرات — لا أعرفها — تسير ضد الخطة ، فيعطي السياسيون هذه الحجة حتى لا يظن بهم الضعف والتردد . » (ص ٧٧٧ — ٧٧٨) .

وكعادته ، أدرك هرتزل أن أمضى سلاح يستعمله مع دولة ما هو أن يحرضها ضد منافساتها . لذلك أخذ يحرض دوق بادن الكبير ضد فرنسه في في رسالة بتاريخ ١١ — ١ — ١٨٩٩ :

«أنا أعتقد — حسب ما أعرف عن الاحوال في فرنسه — أن تعيين السيد كونستان سفيراً في القسطنطينية هو جواب مباشر على رحلة القيصر إلى الشرق ، وأن ذلك ليس له إلا غاية التخريب على تأثير القيصر في تركيه . طبعاً لا يمكن لأحد أن يتنبأ بما سيقوم به هذا الرجل الذي هو من أدهى وأمكر السياسيين الفرنسيين ، إلا أننا يمكن أن نقول شيئاً واحداً ونحن متأكدون وهو ؛ إنه إذا أُخرج كونستان من عزلته التي يستحقها وإن كان السبب في ذلك وزارة يكون فيها فريسينت ، عدو كونستان والذي تألم أشد الألم من مسألة « بنما » يكونون السبب في تهيئة رجل قادر على القيام بأي شيء . وسيكون كونستان في مدى وقت قصير مركز الجهود العاملة ضد التأثير الألماني في القسطنطينية . » (ص ٧٨١) .

بعد خمسة أيام من وضع تلك الرسالة ، كان هرتزل يحيي محاولاته للإتصال بقيصر روسيه . فكتب إلى البارونه برتا فون ستنر يطلب منها التوسط له مع القيصر ليرضى بالمثول أمامه . أما غاياته فقد حددها بما يلي ، وقد صاغها بأسلوب يناسب القيصر ، إذ شدد على أهمية الصهيونية كعامل ضد الثورية الإشتراكية التي كانت تقض مضاجع القيصر الروسي آنذاك :

« يجب أن يُشدّد على الأمور التالية . إن الصهيونية تهدف إلى خلق وطن

أمين للشعب اليهودي . وأنا أعتقد أن هذا الهدف الإنساني سيرضي روسيه وسيكون مفيداً لها أيضاً على الصعيد السياسي وذلك لعدة أسباب . ففي روسيه تقف المسألة اليهودية بدون حل وتسبب مشكلة مخجلة . فالقيصر الذي يعرف جميعنا بأنه صاحب قلب طيب لن يرفض أبداً حلاً سلمياً إنسانياً . هذا سيضع نهاية لاضطهادات اليهود التي تقوم في روسيه بين المدة والمدة وتهدد السلم عموماً. لن يهاجر اليهود من روسيه جميعاً بالطبع كما لن يكون هذا في أي بلد آخر ، إن الذين سيتركون هم الفائض من العمال والبائسين الذين سيتمكنون بمساعدة إخوانهم من اليهود الأغنياء أن يؤسسوا وطناً جديداً دائماً لهم ، يكونون في الوقت ذاته قد عملوا على زيادة أسباب الثقافة والحضارة في الشرق .

هذا وسوف يكون من نتائج هذه الزيادة في الحضارة والنظام إضعاف الأحزاب الثورية . ولا ننسى أننا اليوم وفي كل مكان نحارب الثوريين وأننا نعمل على إبعاد الطلاب والعمال اليهود عن الإشتراكية والفوضوية وذلك بتعريفهم إلى فكرة قومية مثالية نقية .. وهذه الجهود ستظهر في روسيه أيضاً ، لأنه لولا تأثير الصهيونية لكان جميع البائسين من اليهود قد أصبحوا فوضويين.

ويمكن إيجاد حل للأماكن المقدسة وذلك بوضعها خارج نطاق الحكم باتفاق جميع القوى . هذا وباعادة تنظيم الأحوال ستكون الأماكن المقدسة في مأمن أفضل مما هي عليه الآن ، الأمر الذي سيكون أفضل لمشاعر العالم المسيحي .

أستطيع أن أشرح جميع هذه الأمور للقيصر الروسي شفهياً . أما أن أكون مستحقاً لمنحي هذه المقابلة فإن قبول القيصر أن أجتمع به مرتين يفيدني . إذا اهتم قيصر روسيه بالقضية هذه فإنه سيضيف المزيد على إكليل مجده ويصبح أحد أعظم دعاة السلم في جميع الأزمان . أرجوك أن تخبريه أيضاً أنني ضمن حدود إمكاناتي القليلة كصحفي قد كرست نفسي لخدمة قضية السلام .

وأخيراً ، سيدتي وصديقتي النبيلة ، قولي كل ما يمليه عليك قلبك وفكرك

واعلمي أنك ستفيدين كثيرين وخاصة عبدك المطيع بالعرفان بجميلك إن أنت حصلت لي على هذه المقابلة . إني مستعد أن أُقابل القيصر في أي وقت وفي أي مكان ، ولكن خير البر عاجله . أرجو أن تعرضي الأمر على الكونت مورافيف كقضية مستعجلة وأكدي له أنني سأبقى مديناً له للأبد لمساعدته . ربما لم يكن للقلم قيمة كبيرة ، ولكن قلماً مثل قلمي لم يتعرض يوماً لأمـــر مشبوه ملوث ، هو جدير أن يلقى بعض التقدير .

وبما أننا نود أن ندخل في مؤتمر السلام بيانات للصهيونية أيضاً ، فإنه من الضروري جداً أن تكون المقابلة قبل المؤتمر ، حالاً إذا أمكن . » (ص ٧٨٣)

لكن مساعيه خابت ورفض القيصر الروسي إستقباله . كتب في ٩ ـ٢ ـ ١٨٩٩ :

« تعشيت مع آل ستنر . أخبرتني البارونة أنها إجتمعت منذ يومين بالسفير كابنست ، وأنه أخبرها أنه استلم رسالة من الكونت مورافيف يقول فيها إن طلب المقابلة لن يتحقق الآن غير أن الغايات التي من أجلها تقوم حركتنا نالت الرضى . » (ص ٧٨٥) .

فأعاد الإتصالات ، في ذلك الشهر نفسه ، مع ألمانيه وبريطانيه .

« ذهب هكلر إلى كارلسروه . طلب إليه الدوق الكبير أن يدعوني بأن أذهب إليه وأرسل لي برقية يعين فيها لي مقابلة في السابع والعشرين من الشهر ، الساعة العاشرة صباحاً .

قدمت يوم الأحد السؤال التالي للجنة العمل : هل أُكلف الدوق الكبير بحماية شركة الأراضي ؟كوكش في لندن ، وشنايرر لم يحضر الإجتماع ، أما مرمورك وكاهن وكريمنزكي فقد كانوا جميعاً مع رأيي في تكليف الدوق الكبير بالحماية. قلت : على كل حال يمكن للمؤتمر أن يرفض ما أُقرر إذا لم يعجبه ،وأنا دائماً آخذ بعين الإعتبار كل نكران للجميل في المستقبل . إننا الآن في موقف

حرج لا يمكننا أن نعمل شيئاً بدون مساعدة من ألمانيه .

قال هكلر إن فكرة التعاون مع إنجلتره أعجبت الدوق .

سأعمل يوم الإثنين كل جهد كي أُقنع الدوق الكبير بإرسال برقية للقيصر يطلب لي فيها مقابلة معه . وسأطلب بدوري من القيصر أن يقدمني إلى قيصر روسيه . » (ص ٧٨٦) .

وزاد في أهمية إعتماده على هاتين الدولتين أن غالبية اليهود كانت ترفض مساعدته :

« كان هناك إجتماع رتلي بخصوص بنك الإستعمار اليهودي ، ثم تحدثنا فيما يجب أن نعمله بهذه الخصوص حتى ساعة متأخرة من الليل . هم يتوقعون الأسوأ في مسألة الإشتراكات . فإننا حتى الآن لم نؤمن حتى بنكاً واحداً يقبل أن يكون وكيلاً للإشتراكات. وهناك مقاطعة تامة من قبل الأوساط اليهودية المتموّلة . على أننا إتفقنا جميعاً أنه إذا لم تأتنا مساعدة من القيصر أو الدوق الكبير فسوف نقع في مأزق . » (ص ٧٨٧) .

تنفيذاً لهذا القرار قابل دوق بادن الكبير في ٤ – ٣ – ١٨٩٩ لوضع شركة الأراضي تحت الحماية الألمانية :

« قدمت له التقرير والمخطط الجديد الذي يشمل وضع شركة الأراضي تحت حمايته . ويبدو أن الفكرة راقت له ، وقد أظهر رضاه عن ذلك بعبارات واضحة ، على أنه أشار بأن لا بد أن يقبل القيصر بهذا . وقال إنه يرى أن أتحدث في الموضوع هذا مع وزير المالية مايكل في برلين ، لأنه قبل كل شيء يجب أن يكون مشروعنا هذا تحت حماية ملك بروسيه . وقال إنهم في بروسيه لا يحبون لمقاطعة فدرالية أن تتحمل عبئاً مالياً كبيراً كهذا وأضاف بأنه يستطيع أن يعطيني أمثلة كثيرة على ذلك – مثلاً : الصعوبات التي وضعوها في وجه السماح ليانصيب بادن . وبكلمة موجزة يريدني أن أتكلم مع مايكل في

الموضوع . وقد لمست من كلامه الودّي المتحفظ مشاعر الحكومة الألمانية تجاه هذه المسألة . إنهم يريدوننا أن نتمم التحضيرات أولاً ، ونحصل على الأراضي والإمتيازات للمستوطنين – وبعدها نطلب الحماية . وهذا منتهى الإحتياط والحكمة . أما الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقال ضد هذا الإهتمام هو أننا إذا إستطعنا أن نصل إلى هذا الحد من العمل فلن نعود بحاجة إلى طلب الحماية الألمانية الشاقة .

غير أنني سأقبل بالمفاوضات على هذا الأساس أولاً لأني يجب أن أقبل بكل شيء وثانياً لأن المفاوضات حتى ولو كانت يائسة يظل لها بعض الفائدة لنا . » (ص ٧٨٨) .

وقد نجحت محاولته بأن حصل على توصية رسمية لاحدى المؤسسات المالية الكبيرة في ألمانيه لتدعم مشروعه – لكنه لم ينجح في إقناع مدراء تلك المؤسسة ، « البنك الألماني » ، بقبول التوصية (ص ٧٩٠ – ٧٩١) . مع هذا اعتبر نفسه قد حصل على الحماية المطلوبة من الدوق الكبير ، حتى وإن فشلت توصيته . فأبرق إليه :

« إن الحماية التي تجرأت على طلبها ، هي قائمة حقاً الآن ، ذلك أن مشروعنا أصبح يتمتع الآن بحماية أنبل أمير . عسى أن يأتي اليوم الذي يتضح فيه هذا الأمر ويراه الجميع . . . بهذه الطريقة وبواسطة واحد من حكامها الفدراليين تستطيع ألمانيه أن تثبت نفسها في عمل شيء من أجل هذه القضية التي قد يكون لها بعض الأهمية في المستقبل . ومع هذا فإن الظروف التي جعلت إنجلتره مركز عمل الخطوات الأولى للمشروع يبعد كل مجال لإثارة عوامل الغيرة . يجب أن يعد كل شيء بمنتهى السرية ويؤجل إعلان الأمر الواقع حتى أفضل وقت . أما الإسكان ، حسب القانون المدني ، الذي ستقوم به شركة الأراضي فسيأتي فيما بعد ، في كارلسروه مثلاً ، فهذا سيسير حسب الظروف السياسية . » (ص ٧٩١ – ٧٩٢) .

وأتبع ذلك برسالة غير قصيرة بعث بها إلى قيصر ألمانيه نفسه :

« بما أني لم أسمع أي شيء منذ رحلة فلسطين عن الحماية التي سبق التحدث فيها ، فإني أقدّر أن صعوبات سياسية لا بد أن حالت دون تحقيق هذا الأمر. ويبدو أن عدم الثقة من جانب السلطان وغيرة القوى الأخرى قد أثّرا في القضية ، ولكن هل يعني هذا أن نتخلى عن إنجاز مخطط له مستقبل ؟ انا أعرف أن حكومة الإمبراطورية لا تريد أن تتعرض لأي مجازفة من أجلنا ، إنما أليس من الممكن إيجاد طريقة نتوصل بها إلى الهدف بدون أن يكون ذلك ظاهراً للجميع ؟ أما هذه الطريقة فقد سمحت لنفسي أن أُقدم تفصيلها لصاحب السمو الملكي وهي ما يلي : أولاً نؤسس كتلة إتحاد في إنجلتره تقوم بالخطى التحضيرية وتهيء للأمور المالية ، فتمتلك الأراضي وتأخذ حقوقاً للهجرة من الحكومة التركية ، وعلى أساس هذه الإمتيازات يمكن تأسيس الشركة القانونية فيما بعد – وإذا سار كل شيء على ما يرام يكون مركزها الرسمي في كارلسروه وتحت حماية صاحب السمو الملكي الدوق الكبير فريدريك . وهذا سيؤدي من تلقاء نفسه إلى علاقة سياسية هي حماية من قبل الإمبراطورية ، لا يقف ضدها جانب آخر . ولن يتطلب هذا إعلان الحماية من جانب حكومة الإمبراطورية ويمكن أن يُتخلّى عنا في أي وقت بدون أي جلبة ، تماماً كما فعلت الحكومة الإنجليزية مع سيسل رودس . هناك فروق بين السير سيسل رودس وبيني ، هناك فروق شخصية ليست في صالحي. ولكن الفروق في الأهداف هي في صالح حركتنا ، لأن بين أيدينا رأس مال يختلف كل الإختلاف عما عنده من رأس المال ولأن عندنا موارد إنسانية عظيمة في جميع انحاء اوروبه الشرقية .

إنه لمن سوء الحظ أن لا يتمكن جلالتكم من رؤية أصحاب المستعمرات التي قد بدأت في فلسطين . إن منظر اليهود المكتظين في القدس لم يكن يدعو للإنشراح ، ولكن حتى هؤلاء اليهود يودّون لو يستطيعون الذهاب إلى الأرياف ، ليعملوا في الأرض ، لو أن الحكومة التركية لا تمنعهم من ذلك .

وإنه لمن دواعي حزني أيضاً أن أضطر لأن أصحح أخباراً أخرى خاطئة ، أخباراً تحط من قيمة مشروعنا – أظن أن بعض مستشاريكم يسمعونها من اليهود الذين لا يؤمنون بنا .

والجواب على هذا بسيط ، إن كثيرين من أغنياء يهود الجانب الغربي من لندن يخافون من أن نحملهم على الذهاب معنا ، لذلك فهم يخطّئونا ويهزأون بنا في أحاديثهم وجرائدهم ، على أني أعتقد بأن مثل هذه المعارضة يجب أن ترفع من قدرنا .

إن مجهودنا يسير في أكثر من إتجاه ، من ذلك أننا نسعى لدمج العنصر اليهودي في كل بلد ، ولكن ذلك في رأيي لا يكون عن طريق الثورة ، إن الإستيعاب لا يتم إلا عن طريق الكنيسة .

أما الذين سيذهبون فهم هؤلاء الذين لا يستطيعون أو لا يريدون الاندماج في محلات إقامتهم الحاضرة – هذا مبدأنا . ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء الذين يبقون مواطنين أفضل ، لن يكون هناك بعد إتحادات غير طبيعية بين القضبان الحديدية وبين براميل النفط .

ليست الفائدة المرجوة من حركتنا في مضمار التحسين الإجتماعي بخافية على جلالتكم ، ولا قيمتها من حيث السياسة الإستعمارية . إن حركتنا قوية حتى لو لم يكن لها أي مساعدة مالية أو معنوية في ألمانيه ، فمواردنا هي في روسيه ورومانيه وجاليسيه وإنجلتره وأميركه وجنوبي إفريقيه . على أنه يمكن لألمانيه – بطريقة تبقى في الوقت الحاضر سرية ، ولا تتطلب في المستقبل أي مسؤولية – أن تضمن لنفسها منذ بدء مستعمراتنا وللمستقبل ، سوقاً صناعية كبيرة ، وكل ما نطلبه منها مقابل هذا هو أن يسمح لنا بتنظيم أمورنا في ألمانيه :

أنا أعرف أنه لا يجب أن ننتظر أي وعود خطية بخصوص هذا الموضوع والأمور على ما هي عليه اليوم ، إنما أتقدم ثانية بكل إحترام بطلب مقابلة مع جلالتكم بعد رجوعكم . إنني في حاجة ماسة إلى التشجيع خاصة في هذا

الوقت بالذات ، وبعد هذا أسير في العمل فأحاول الحصول على رضى قيصر روسيه ولن أعود إليكم ثانية إلا بعد أن أتمكن من تقديم المشروع تامّاً . على أن فشلي في الحصول على مقابلة معكم سوف يكون بمثابة رفض أكيد يشعرنا بأنه ليس هناك أي أمل بمساعدة ولو سرية وغير ملتزمة منكم .

إن الفكرة هذه كانت قد نالت عطف أحد عظماء ملوك هذا القرن ، نابوليون الأول . وكان آخر مؤتمر لليهود سنة ١٨٠٦ الصرخة او اللهثة الأخيرة لهذه الفكرة . ترى ألم يكن الأمر ناضجاً بعد في ذلك الوقت ، أم لم يكن لليهود ممثل صادق العزم ، أم كان الفشل بسبب قلة وسائل المواصلات ؟

لقد أصبح وقتنا الحاضر معجزة في المواصلات ! ومسألة اليهود يجب أن تستفيد من هذه المعجزة ، بهذه الطريقة يمكن أن تنحل ، وما لم يكن ممكناً في عهد نابوليون الأول هو ممكن في عهد وليم الثاني ! » (ص ٧٩٢) .

لكن القيصر الألماني رفض أن يستدعيه للمثول أمامه :

« إعتذر القيصر عن قبول إجتماعي به في المستقبل القريب وترك لي الخيار في أن أتحدث في الأمر مع وزير الدولة بولو . » (ص ٧٩٧) .

واضطر هرتزل ان يتصل ببولو ، مع انه خصمه العنيد . كتب اليه يطلب موعداً ويعرض مطاليبه ومقترحاته:

« سأغتنم الفرصة أثناء إقامتي المقبلة في برلين لأطلب الإجتماع بك — مع أن إجتماعنا قد لا يتعدّى المجال الرسمي ، لأنني أعتقد أن سعادتكم لا تحبذون المشروع ، وقد عرفت هذا من أول لحظة تكلمت فيها معكم عن الصهيونية ، وذلك لأنك من جهة تعتقد أن المصاعب في تركيه ومقاومة بعض الأحزاب المعنية عظيمة جداً ، ومن جهة ثانية ، تظن أن اليهود ليسوا متحمسين جداً للهجرة .

على أنني أعتقد يا صاحب السعادة ، أن المعلومات التي وصلتكم من

أعدائنا ، خاصة أعدائنا اليهود ، هي غير صحيحة . إن حركتنا ، لأسباب كثيرة ، أقوى بكثير مما تبدو .

أما أن لا يريد اليهود الأغنياء أن يذهبوا فأمر معروف جيداً . وفي ذهابهم ضرر – ليس لنا فقط بل للبلدان التي هم فيها .

هناك غضب واستهزاء شعبيّان موجهان ضد السيد المستشار التجاري [تعبير يعني اثرياء اليهود المتعاونين مع الحكومة الذين يقرضونها المال] . لكن هجرته هي خسارة عامّة ليست فقط خسارة الصحف المستهزئة . إن ثروته المكدّسة يجب أن يستفاد منها حيثما هي الآن بواسطة الزواج ، وعن طريق المبذرين ، وغيرها من الطرق الطبيعية .

إن حلاً يؤمن الإستيعاب كما يؤمن سحب اليهود الفاشلين إجتماعياً واقتصادياً وجميع هؤلاء البائسين حلاً يؤمن هذا يجب الاّ يرفض . حتى « السيد المستشار التجاري » الذي لا يريد أن يضحي شخصياً (سوف يذهب فيما بعد وفي الفصل الجميل في رحلة إلى فلسطين ، وخاصة عندما تكون الفنادق هناك قد أصبحت تقدم كل رفاهية الريفيرا) حتى هو لن يمانع في أن يذهب الشياطين الفقراء والمعتوهين أمثالي ليقيموا هناك . لمثل هذا سيقدم « التضحيات المالية » وقد أكّد لي هو نفسه هذا ...

ياصاحب السعادة ، لا أدري إن كنت أبعث في نفسك الهزء عندما أقول إني أُريد أن أجد حلاً للمسألة اليهودية . إن الأمر يبدو لي معقولاً ، وأنـا أؤمن أن الفكرة الصهيونية ستشق طريقها وفي القريب العاجل ، ربما في بضع سنين ، لأن كل البراهين تشير إلى هذا .

فإذا ما فشل مشروعنا فإن مئات الألوف من أتباعنا سوف ينحازون إلى الأحزاب الثورية ، وهذا طبيعي أيضـاً .

إن هذا الحيوان خبيث جداً ، سيدافع عن نفسه إن هوجم ، ولكن مشروعنا يجب أن ينجح – وأكاد أكون متأكداً من ذلك كما أنا متأكد من أن

إثنين مع إثنين يساويان أربعة . وتركيه بحاجة لهؤلاء اليهود الذين هم غير مرغوب فيهم في الخارج . فالأتراك ليسوا قادرين على تحسين الأوضاع السيئة الحاضرة في بلادهم . ولن يُسمح لأي قوة كبيرة باحتلال تركيه ، وأيـــام الحملات الصليبية ضد الكفار قد انتهت ، ولم يعد الصليب الآن يناوىء الهلال بقدر ما يناوىء الصليب اليوناني شعائر سائر الكنائس المسيحية . على أن فلسطين أصبحت تشكل خطراً على المواصلات أيضاً لأنها الطريق الأقصر للهند ، لا بل أقصر طريق جنوبي إلى جميع أنحاء آسيه ، طالما أن الطريق الجديد الشمالي هو في حوزة روسيه وحدها . إذ يجب أن تبنى سكة حديد تصل بين شواطىء البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي ولن يستطيع أحد أن يبني هذه الطريق إلا اليهود . وبعدُ فإن العالم يعرف اليوم ما لم يعرفه أحد قبل ثلاثين سنة وهو الفائدة التي تقدمها طريق قنال السويس المختصرة . إن حل المسألة الفلسطينية — ولن أقول بعد « المسألة اليهودية » — هو أفضل إنجاز يكون في آسيه .

وها أنا قد حزت الآن رضى جلالة القيصر عن الفكرة . وقد كانت هناك إمكانية للحماية الألمانية ، ولكنها لم تتحقق ، إن رحلتنا إلى فلسطين كادت أن تكون فاشلة . خبر صغير أرسل تلغرافياً من وكالة الأنباء كان كفيلاً بأن يضيع علينا الكثير من جهودنا لهذه الحملة.ولقد سكتّ عن هذا لأن واجبي كان يقتضي أن لا أتكلم بعد ما قد لمسته من ثقة . ولذلك فإن المسألة اليوم ، تأخذ شكلاً مختلفاً . أليس هناك ما ننتظره من الحكومة الألمانية أكثر من هذا الذي وعدنا به ، أم أن المساعدة يجب ألا تكون مكشوفة لأسباب لا أعرفها وإنما أستطيع أن أتكهّن بها ؟ إذا كان هذا الأمر الأخير صحيحاً ، أي أن المساعدة يجب أن تبقى سرّية ، فسوف أُقدم بعض الإقتراحات في برلين ، وها أنا أنقل عن رسالتي إلى صاحب الجلالة مشروعي الجديد . . . .

ولهذا فأنا مستعد أن أبذل أي ثمن من أجل الحماية ، ولا أدري ما إذا كنا سنطلب الحماية فيما بعد ، عندما نستطيع تسيير الأمور بدون مساعدة ، وعلى كل حال لن يكون تقرير هذا الأمر في يدي كما هو الآن . وأنا أفضل

الحماية الألمانية على اية حماية أخرى ، ولو كان السبب فقط إنها تجعلنا نتكلم الألمانية هناك . على أنه ربما اضطررنا إلى اللجوء إلى غير الحماية الألمانية في الوقت الحاضر . » (ص ٧٩٧ – ٧٩٩) .

ولم يكتم هرتزل عن صديقه الدوق الكبير ألمه ونفوره من فشل مساعيه مع المسؤولين – فشل مساعيه للحصول على موعد مع القيصر ، ومعارضة وزير الدولة فون بولو لمشاريعه ، وعدم أخذ مدراء البنك الألماني بتوصية الدوق لمساعدته . كتب إلى الدوق يقول :

« أسمح لنفسي بأن أعلمك بكل احترام عن رفض القيصر لطلبي مقابلته وعن إحالتي إلى وزير الدولة فون بولو . وبما أنني قد سبق وأوضحت أنني إذا ما رفضت هذه المقابلة فإنني سأعتبرها رفضاً صريحاً للقضية فأنا الآن أعرف أين أقف بالنسبة لألمانيه . إنني أحترم فون بولو لذكائه ومقدرته السياسية ولكني مع هذا أعرف ، إذا لم تكن ملاحظاتي تخونني ، انه ضد قضيتنا . وهكذا فأنا أعتقد أنه ليس لنا أي أمل بالمساعدة من ناحيتكم لذلك فلن أذهب إلى برلين .

ولسوء الحظ أيضاً ، أن التوصية التي أعطيتني إياها مسروراً ، إلى البنك الألماني ، لم تنفع . ولقد أرسلت إثنين من رجالنا الإقتصاديين إلى برلين ليناقشوا هر سيمنز المدير ، ولكنه رفض إقتراحاتهما .

لذلك فأنا أستطيع أن أعتبر الأمل العزيز الذي كنت أحلم به لاغياً الآن وبهذا فلن نحرز اية حماية ألمانية . وأنا آسف لهذا الأمر إلى حد لا يوصف . » (ص ٨٠١) .

أما عدم إذعان القيصر للمشاريع الصهيونية فقد فسّره فون بولو التفسير الطريف التالي في ٢٩ – ٢ – ١٨٩٩ :

« إن سيدنا الفاضل ورئيسنا ، كما تعلم ، يلتهب حماساً بسرعة لأية قضية ، هكذا كان حماسه واهتمامه في هذه القضية إلى درجة لم يمكن معها مناقشته .

ولكنك أيضاً تعلم أن سيدنا الفاضل ورئيسنا يفتر بالسرعة نفسها . هذه المـــرة أيضاً ترك فيّ الدكتور هرتزل أحسن الأثر ولكني لا أؤمن بالمشروع . إن هؤلاء الناس لا مال لهم ، أما اليهود الأغنياء فلن يقفوا إلى جانب القضية ولا يمكن أن نعمل شيئاً إذا كان اليهود البولونيون البؤساء فقط معنا . » (ص ٨١١)

هذا ما دعا هرتزل إلى أن يتخلى ، مؤقتاً ، عن الركيزة الألمانية ويجري وراء سرابات أخرى . بدأ في ٢٨ ــ ٤ ــ ١٨٩٩ يوسط نائباً بريطانياً صديقاً للسلطان العثماني ، إسمه السير ألس أشمد بارتلت . لعل السلطان يرضخ بواسطته للإغراءات الصهيونية . كتب له :

« كتب الأستاذ كلنر إليّ أنه حصل على شرف شرح أهداف حركتنـــا الصهيونية لك ، وأنك تلطفت فاهتممت بذلك . عليّ أن أكتب لك « عرضاً » للموضوع ، لكني أعجز عن فعل ذلك بلغة إنجليزية سليمة ، ولا أُريد أن أضع مثل هذا الأمر الخطير بيديّ مترجم ما . إلا أنه يمكن تحديد الموضوع بكلمات قليلة . الصهيونيون هم ممثلو الشعب اليهودي المشتت . إنهم يريدون أن يعودوا إلى إخوانهم التعساء في فلسطين تحت سيادة صاحب الجلالة السلطان ، وتحت ضمانة كافية للحق العام . وبإمكان الحكومة التركية ، باتفاقها مع الصهيونيين ، أن تجدّد مالية الإمبراطورية . ومن أجل هذا الهدف أسسنا بنكاً جديداً رأسماله مليونا جنيه إسترليني . وسوف يكون بنكنا الأداة المالية لأهدافنا ووسيلتنا لإصدار القروض وغيرها للحكومة التركية . وإني على استعداد لشرح الأمر لصاحب الجلالة السلطان .

من الواضح أن رأسمالا من مليوني جنيه لا يكفي لتحقيق مشروع عظيم كهذا ؛ إنه مجرد خطوة أُولى . أما الخطوة التالية فستكون شركة أراضٍ ضخمة رأسمالها عشرة ملايين جنيه أو أكثر .

لقد اعددت كل شيء لجعل هذا المشروع ينجح نجاحاً عظيماً حالما يقبل السلطان إقتراحاتي المبدئية . إني أنوي المجيء إلى القسطنطينية في المستقبل القريب

إننا سوف نكون قادرين ، بفضل الوسائل الشخصية والمادية المتوافرة لشعبنا ، أن نبني ، في وقت قصير جداً ، سككك حديد وموانىء وحضارة كاملة جديدة . وسوف يُرحّب بزملاء العمل المسيحيين فالعمل يتسع لجهود كثيرة . » (ص ٨٣٤) .

وفي الوقت نفسه كتب إلى أرتين باشا ، أحد مستشاري السلطان ، بوسطه هـو أيضـاً :

« إن هدف الصهيونية بناء ملجأ دائم وأمين قانونياً لجميع أخوتنا التعساء المضطهدين في مختلف البلدان . وإننـا نحب أن يـكون هـذا الملجأ فلسطين ، إذا كان هناك سبيل للحصول على إذن جلالته . وسوف يكون المستعمرون اليهود رعايا مخلصين ومكرّسين لخدمة جلالته الذي لم يكن لديه سبب قط الاّ يكون فخوراً برعاياه اليهود . وسوف يدفعون الضرائب بواسطة مؤسسات جديدة يجب تأسيسها في البلاد . وإنهم سوف يزيدون في مصادر الإقليم الذي لجلالته ومصادر الإمبراطورية كلها ، إلى جانب عملهم من أجل أنفسهـم .

ومن جهتنا سوف نزوّد حكومة جلالته بالقروض التي لم نضع شروطها بعد والتي لا بد أن تصل إلى عدة مئات من ملايين الفرنكات . ما نحب أن نحصل عليه كثمن لهذه التضحيات والخدمات هو مجرد أمن دائم وضمانة قانونية للعمل بسلام من أجل جماهيرنا الفقيرة والمضطهدة .

وقد سبق أن بحثنا خططنا ومشاريعنا بصراحة وإخلاص في مؤتمرين عامين إنعقدا في بازل ، وحتى نتجنب أي سوء تفاهم حرصنا في كليهما أن نبدأ إجتماعاتنا بعرض تقديرنا أمام أعتاب جلالة السلطان .

وبالطبع لن تنحصر المساعدة المالية التي نودّ أن نقدمها لتركيه ، إذا رحّبت بنا ، بالضرائب والقروض . إن وضعها المالي كله سوف يُنظّم بالتعاون معنـا .

وسوف تسحبون الدين العام وتتمتعون ، مرة أخرى ، بمصادركم وأموالكم بحرّية . قد يستغرق ذلك عدة سنوات من الجهد الحاسم الشامل ، لكننا سننجح نجاحاً كاملاً .

تتطلب هذه المهمة كتماناً تاماً وثقة متبادلة ، لأن أعداءكم لا يريدون أن تنهض تركيه ثانية وأن تستقل مادياً مرة جديدة . إن كل شيء سوف يُبذَل لتعطيل عملنا الخيري إذا لم يجر العمل بكل حذر ومهارة .

سأقتصر على لفت نظر سعادتكم إلى أن كل مرة وُعدت تركيه بها بالمساعدة الإقتصادية إنما كان ذلك من قِبل المرابين الذين عرّضوكم للإدارة الأجنبية ثم مضوا بعد أن زادوا في بؤس البلاد . أما نحن فالأمر معنا يختلف تماماً . فإن الشروط التي ستحصلون بها على المال معقولة . وإننا نعرض عليكم التحرر من الرقابة الأجنبية . وإننا ، فوق ذلك ، لا ننوي أن نتخلّى عنكم ولا أن نهجركم بل نريد أن نوحّد مصيرنا مع مصيركم .

وحتى نحقق مشاريعنا المالية أسسنا مؤخراً الصندوق اليهودي الإستعماري في لندن . وسوف يعمل الصندوق كوسيط في صفقاتنا التمهيدية . أما للمستقبل فقد وضعنا أُسس الشركات الكبرى الضرورية . ولا نستطيع أن نفعل حالياً أكثر من ذلك ما دمنا لا نعرف ما إذا كان الإتفاق ممكناً أو كان علينا أن نوجه مشاريعنا نحو بلاد أخرى . » (ص ٨٣٥) .

ولما اقترب موعد عقد « مؤتمر السلام » في لاهاي في شهر حزيران (يونيو) ١٨٩٩ ، قرر هرتزل إستغلال المؤتمر لصالحه . كتب في ٢٣ – ٥ – ١٨٩٩ :

« عرضت عليها [البارونه ستنر] ألف جيلدر لتذهب إلى هناك [مؤتمر السلام في لاهاي] كمندوبة عن جريدة ولت ، لتقابل البارزين من رجال المؤتمر وتسألهم حول موضوع الصهيونية . فقبلت . بهذه الطريقة سوف نضع الصهيونية تحت أبصار أوروبه المجتمعة دون إغضاب تركيه ولا تهديد حقوقها :

وسوف أذهب إلى لاهاي في حزيران وأحاول الإجتماع برجال السلام في صالون ستنر . » (ص ٨٣٧) .

وفي ١٣ ــ ٦ ــ ١٨٩٩ ذهب بنفسه إلى لاهاي ، على أمل أن يستخدم المؤتمر كجسر للوصول إلى قيصر روسيه :

« جئت لأن ستنر جاءت وقد تتمكن من تقديمي إلى بعض رجال القيصر [الروسي]. لقد قدمتني أول ليلة إلى مستشار الدولة الروسي ، بلوخ ، وهو الرجل الذي وضع فكرة مؤتمر للسلام في رأس القيصر . » (ص ٨٤٢) .

« وأخيراً تحدثت ، بعد ظهر أمس ، مع بلوخ عن الصهيونية . لم يثر إعتراضات زائدة . قال إنه سيحاول تدبير مقابلة لي مع القيصر ، شرط أن يكون لا يزال مرضياً عنه . » (ص ٨٤٦) .

لم يكن ذلك هو الإستغلال الوحيد للمؤتمر . إستغل هرتزل المؤتمر ، وخاصة ما جرى فيه من خلاف ورفض بعض الأعضاء للمشاريع الألمانية ، للتقرب من السلطات الألمانية ، كما يبدو من رسالته إلى دوق بادن الكبير في ١٦ ــ ٦ ــ ١٨٩٩ :

« إن الرأي السائد في مؤتمر السلام معادٍ لألمانيه . لقد أثارت تصريحات المندوب الألماني زورن ضد محكمة العدل ، الّتي اعتُبرت قاسية جداً ، فكرةً أُحب أن ألفت نظر سموكم لها قبل أن تُطرح للنقاش العام . تطور الرأي إلى عقد إتفاق حول مبدأ محكمة للعدل حتّى بدون أن تشترك بها ألمانيه أو أي معارض آخر ... وسوف ينتج عن ذلك تحريم دولي . سيكون الخطر على ألمانيه تكوين إتحاد كنفدرالي على أساس مثالي من العدل وبدون توكيد على أية نقطة حالية يترك ألمانيه خارجه ، كما حصل للنمسه عند تكوين الإتحاد الكنفدرالي الجرمـــاني ...

سوف أذهب من هنا إلى باريس بعد غد . فقط إذا أحب سموكم ، أو

جلالة الإمبراطور ، الإستماع إلى تقرير أوفى لما ذكرت آنفاً ، أجّلت سفري يومـــا آخر . » (ص ٨٤٥) .

في ١٧ – ٦ – ١٨٩٩ قبيل أن يغادر هرتزل لاهاي ، أجرى مباحثات مع نوري بك سكرتير وزارة الخارجية التركية . وهذا بعض الحديث الذي دار بينهما :

« سوف تكون فلسطين صعبة . هناك أمور يجب ألاّ تُهاجم على رأسها ، بل جانبياً . خذ حلب . إشترِ أراضي حول بيروت . ثم توسع من هناك . ستأتي أيام صعبة سوف يحتاجون فيها إلى خدماتك ، وعندها سوف تقدّم نفسك وتطلب فلسطين.

أخبرته أني لا أستطيع أن أفعل ذلك . فمن أجل مؤيدينا لا أطلب إلا فلسطين .

طالبت بشركة ذات ميثاق . فسأل : « هل تستطيع الحصول على مساندة القيصر الألماني لمقترحاتك ؟ نعم أم لا ؟ » فقلت بحماس « نعم » . أجاب « إذن حصلت عليها . إن توصية القيصر لوحدها ، أو جمعية في يلدز لوحدها ، لن تحصل لك عليها . أما الإثنان معاً فيستطيعان ذلك . »

قلت « خلال كم من الوقت ؟ »
قال « شهر أو شهران » .
قلت « هل يجب أن أذهب إلى القسطنطينية ؟ »
قال « نعم . سوف أقدّمك إلى تحسين إنه صديقي . »

وقـــدّم إليّ مقترحات أُخرى . هل نريـــد أن نحصل على ممتلكات في القسطنطينية على أساس الرهن ؟ بذلك سوف نتمكن من تملك نصف القسطنطينية في سنوات قليلة . فرفضت الفكرة لأنها تثير المشاعر اللاسامية . ثم عرض شراء الرأي العام كله في تركيه بمبلغ ثلاثمئة إلى أربعمئة ألف فرنك . وباختصار

كل شيء أريد .. ثم ركبنا إلى لاهاي وأصبحنا أصدقاء . » (ص ٨٤٧) .

توجه هرتزل عقب المؤتمر إلى باريس ، حيث كتب الرسالة التالية إلى بلوخ ليرفعها بلوخ باسمه إلى القيصر الروسي – ويبدو هرتزل فيها وهو يلعب على حبلي ألمانيه وروسيه في آن واحد ، إذا ما قورنت هذه الرسالة بما كتبه قبل أيام إلى دوق بادن الكبير :

« لقد اتصلت هنا بالكاتب الفيناّوي الدكتور تيودور هرتزل ، الذي ذاع إسمه في السنين الأخيرة كقائد للحركة الصهيونية . وعندما أخبرته عن المصاعب التي تثار من جهة ألمانيه كتب إلى دوق بادن الكبير أول أمس من أجل المصلحة العامة ، وأعطاني فحوى الرسالة . وإذ أن الدكتور هرتزل يتمتع منذ سنوات بثقة دوق بادن الكبير واستقبله القيصر الألماني عدة مرات بثقة ، لا بد أن يكون لكلماته ، التي قصد منها أن تُنقل إلى القيصر الألماني ، أثر .

لقد كتب الدكتور هرتزل ما معناه :

إنه يعتقد أن الشعور السائد في مؤتمر السلام ليس ودياً نحو ألمانيه . إعتبرت تصريحات زورن في معارضة محكمة العدل قاسية جداً . وقامت فكرة بعقد إتفاق على مبدأ محكمة العدل حتى بدون ألمانيه والمعارضين الآخرين ، إذا دعت الحاجة إلى ذلك ... ستجد ألمانيه نفسها وحيدة ...

وقد صرّح الدكتور هرتزل لي بهذه الأمور في رسالته بثقة تامة.» (ص ٨٤٧) .

كانت هذه الرسالة مقدمة لمساعٍ جديدة أجراها الزعيم الصهيوني مع القيصر الروسي . كتب في ١١ – ٨ – ١٨٩٩ :

« أرسلت هكلر إلى دوق هس الكبير لطلب موعدٍ لي . سأطلب من دوق هس الكبير الحصول لي على موعد مع القيصر [الروسي] ، صهره ، حينما يزوره القيصر في دارمشتات قريباً . » (ص ٨٥٧) .

وقد قابل هرتزل دوق هس الكبير هذا في اليوم التالي وجرت بينهما المحادثة التالية :

« سألني : كيف تظن أنك ستحصل على الأرض ؟
قلت : بشكل شركة ذات ميثاق .
ثم رجوته أن يوصي بالقضية عند القيصر الذي سيزوره .
فأومأ برأسه : نعم ، يمكن أن يهتم بأمور كهذه . سأفعل ذلك .

وبعد ذلك تحدثنا في أمور مختلفة . وأظهر أنه لا يعرف كثيراً عن جغرافية فلسطين ، إذ عندما تحدثت عن سكة حديد من البحر المتوسط إلى الخليج الفارسي قال « لا يُعرَف الكثير عن الجزيرة العربية » أظن أنه خلط بين سوريه والجزيرة العربية ، إلاّ أنني قبلت بآرائه الجغرافية الأميرية حسب ما تقتضيه عادات البلاط . » (ص ٨٥٩) .

ولما لم تثمر المحاولة آنذاك عاد هرتزل يجرب حظه من جديد، بعد شهرين تقريباً ، في ٦ – ١٠ – ١٨٩٩ – وكانت محاولة فاشلة لحقتها محاولات أُخرى :

« على هكلر أن يذهب إلى دارمشتات يوم الإثنين ليطلب لي موعداً مع القيصر [الروسي]. سأعطيه هذه الرسالة إلى دوق هس الكبير » (ص ٨٧٨).

« عاد هكلر اليوم من لدن دوقي بادن وهس الكبيرين . كان أولهما لطيفاً وحسناً كعادته ، وكان ثانيهما فاتراً ومتحفظاً . (ص ٨٨٠) .

« في عدد اليوم من الجريدة الحرة الجديدة رسالة من كارلسروه بأن القيصر [الروسي] سيزور دوق بادن الكبير . سأكتب إلى الدوق الكبير :

من المهم جداً لحركتنا أن أحصل على موعد من جلالة القيصر . هناك سببان : أولهما ، لأخبر جلالته بالأهداف الصادقة للصهيونية . ثانيهما، لأجعل حركتنا تبدو كأنها معترف بها في روسيه بدليل تلك المقابلة . إن زملائي المساكين في روسيه لا يزالون يرتعدون خوفاً من أن يعتبر حاكم ما ، هنا أو هناك ،

صهيونيتهم أمراً شريراً . إن « فرماناً » من جلالته ، في صالح الصهيونية ، سيكون أكثر من اللزوم — فإنه في وصوله إلى الصفوف الدنيا سيأخذ شكل أمر بالطرد . وما دمنا لم نحصل بعد على ميثاق من الحكومة التركية ، سيكون ذلك مأساة جماعية . ومن الجانب الآخر سيكون إستقباله لي هو الحد المناسب من العطف الذي نحتاج إليه حالياً لنستمر في عملنا . بل إني لن أطالب نوعاً آخر ، إيجابياً ، من المساعدة . » (ص ٨٨٠ — ٨٨١) .

ولعل أهم ما في هذه المحاولات أنه استخدم عداءه للإشتراكية وسيلة للوصول بواسطتها إلى قلب السلطات الروسية الرجعية . كتب يقول :

«أعتقد أني قد أشير إلى أثر مفيد لنشاطي : لقد أثنيت الكثيرين عن مبادىء الثورة الإشتراكية المزيفة وحوّلتهم إلى حملة مثل عليا . » (ص ٨٨١) .

وكان المؤتمر الصهيوني الثالث قد انعقد في بازل ، في أواسط آب(أغسطس) ١٨٩٩ . أرسل هرتزل ، في ١٣ — ٨ — ١٨٩٩ ، هذه البرقية إلى السلطان بمناسبة بدء جلسات المؤتمر :

« إن الصهيونيين المجتمعين في مؤتمر بازل يعتبرون أن واجبهم الأول هو أن يرفعوا تعهدهم بإخلاصهم وتقديرهم للطف جلالته نحو رعاياه اليهود إلى أعتاب عرش جلالة السلطان . إن الصهيونيين يرغبون في إغاثة إخوانهم التعساء في دول أوروبه المختلفة ، وفي الإسهام في عظمة الإمبراطورية العثمانية وازدهارها . وإنهم ليأملون بإخلاص أن يحظى ولاء هذه الرغبات بتقدير وتشجيع حكمة الخليفة العظيمة .» (ص ٨٦٠) .

ومع البرقية المتزلفة ، أعدّ بخشيشاً لنوري باك:

« العجوز الطيب شالت من ريجه ، وبارباش ، والدكتور كاتزنلسون ، وساخس ، كل واحد منهم تعهد بدفع خمسة آلاف جيلدر ، ويريد أن يستمر

الجمع ، لأستطيع المضيّ في تركيه والتعهد لنوري ببخشيش سريع . » (ص ٨٦٢) .

وكتب إليه في ٢٣ – ٨ – ١٨٩٩ يبلغه بذلك :

« إني على طريق العودة إلى فينّه . هذه هي القصة ، بكلمتين . أبدأ بأن أخبرك بأني سأرسل لك عشرين ألف فرنك في اليوم الذي يستقبلني جلالة السلطان فيه لتقديم المخطط الصهيوني له . وبالطبع لست أبعث إليك هـذا التعبير الأول الصغير عن صداقتي من أجل موافقة السلطان . فقط من أجل موعد معه أستطيع أن أشرح له فيه كل الخير وكل الفوائد التي نستطيع أن نأتي بها إلى تركيه ، وسوف نأتي بها إلى تركيه ، مقابل الميثاق .

سأتوقعك في فينّه للوصول إلى تفاهم معك بخصوص الأمور الأخرى لك ولأصدقائك في حال إبرام الأمر . » (ص ٨٦٣) .

ثم زاره في فينّه في ٢٩ – ٨ – ١٨٩٩ للبحث في رشوته . وقد وصف الزيارة بمايلي :

« كان باديء الأمر بارداً وبعيداً كأن لا فكرة لديه لماذا أتيت . ففهمت رأساً أن مبلغ العشرين ألف فرنك لم يكن يكفيه . قال : « بالنظر إلى مركزك في الحركة الصهيونية ، لن يكون إستقبال السلطان لك شيئاً بلا أهمية . والواقع أن صاحب بنكي كان يدفع ضعف ما وعدت بدفعه لقاء موعد مع السلطان . » فقلت « ليكن الأمر كذلك . سوف تأخذ أربعين ألفاً . »

آنذاك بدأ يصبح إنسانياً أكثر . قال إن الأمر ليس على هذه السهولة . يجب إعتماد وكيل لاستقطاب المشاعر لمصلحة مشروعنا في الدوائر التركية . سوف يعطيني إسم شخص لهذا الأمر . إنه رجل يدعى إدوارد كرسبي ، وكيله الأمين ، الذي تستخدمه دوائر عليا مختلفة لجمع الفواتير . فأدركت حقيقته . محتال إنتهازي يسهل ، عند الحاجة ، إنكاره أو صرفه من الطريق .

« عليك أن تدفع لكرسبي عشرة آلاف فرنك . أو خمسة عشر أو عشرين ألفاً ، ليهيء لك جواً مناسباً في كل مكان . إذا كلمتني ، بحكم منصبي ، عن تصحيح ماليتنا ، لأجبتك : « لم أطلب منك المجيء . إن مشاكلنا المزعومة ليست من شأنك . » إلا أنني أُكلمك كصديق وأقول لك : عليك أن تزرع قبل أن تحصد . »

أدركت ما كان يقصد . حديث مال . لذلك قلت له ، بفظاظة تقريباً : « سأدفع لك عشرة آلاف فرنك مقدماً وثلاثين ألفاً يوم الإستقبال . أما مـــا تفعله بالمال فالأمر لك . لن أسألك ماذا تفعل به . »

فذاب كالزبدة وقال : « حسناً . سأضطر أن أُضيف إلى المبلغ شيئاً من جيبي ، لكن المسألة تستحق المقامرة . أظن أني أستطيع أن أجني مليونين منها . لا يغامر المرء بالكثير من أجل ذلك . »

إن لديه سبلاً للوصول إلى السلطان ليست لأي إنسان آخر . إنه يستطيع أن يحصل عل أي شيء وكل شيء بوسائل مختلفة ، « بالغش » كما قال . بواسطة النساء والهدايا .

« حضّر عشرة آلاف فرنك لي . لكن يجب دفعها نقداً ، بدون شاهد ولا وصل . » قلت إني سأرسل المال له بواسطة محاميّ ، الدكتور كوكش . فتمنّع ثم قبل . وافترقنا أصدقاء .

بالطبع لن أدفع عشرة آلاف فرنك بدون وصل . سأدّعي أن كوكش رفض وأن عليه إما أن يوقّع وصلاً كمصاريف صحافية أو أن يقبل شكـــاً مدفوعاً لكرسبي . » (ص ٨٦٦ — ٨٦٧) .

استمرت المباحثات والمراسلات ، بشأن تحديد قيمة البخشيش ، أياماً !

« تلقيت اليوم رسالة عظيمة من نوري في السمرنج . إنها نصف ورقة ، تحمل الأسطر التالية بخط متخفٍّ يشابه أحرف الطباعة . « السيد شارلز يعتقد ،

بعد تفكير عميق وتقديرات ، أنه يستحسن لو تُرفع قيمة الدفع إلى خمسة عشر ألفاً ، على أن تُخصم الآلاف الخمسة من الثلاثين ألفاً التي تستحق فيما بعد . »
وكان بداخل الرسالة بطاقة زيارته : نوري بك ، السكرتير العام لوزارة الشؤون الخارجية . وكان أسفل الطرف الأيمن مطوياً ثم صُحّح . أظن أنه قُصد من ذلك أن يبدو أن البطاقة قد أُخذت من طبق بطاقات زيارة .

بالمناسبة ، كان للظرف الذي يحمل خطه ، والخاتم بريد سمرنج ، بعض الأهمية . سوف أُعطيه لكريمنزكي ليحتفظ به . » (ص ٨٦٨) .

« بما أن السيد كوكش غير موجود ، هذا صديقي الحميم السيد كريمنزكي رجل يستحق كل ثقة ، طلبت منه أن يسلّمك مبلغ عشرة آلاف فرنك المتفق عليه . وقد وافقت لجنتي على الوعود التي قطعتها لك ، مع أنه كان هناك قرار سابق بعدم دفع شيء بانتظار النتائج . وأرجو ، لمصلحة علاقاتنا ، ألا تفتح الموضوع من جديد . ستُدفع الثلاثون ألفاً يوم الإستقبال .

هناك نقطة اخرى ارجو الا يكون فيها اية صعوبة. لاكوكش ولا كريمنزكي يجب ان يكون مسؤولاً عن تسليم النقود بلا وصل . يريدان ضمانة لي . وهي ارادة عليّ ان احترمها . ومن الجهة الاخرى اريد ان احترم رغبتك التي افهمها تماما . لذلك ارجو ان تختاروا سعادتكم امراً من اثنين . إما ان تتلطفوا باعطاء صديقي ورقة فحواها : تسلمت من السيد كريمنزكي عشرة الاف فرنك تكاليف طباعة ، توقعون عليها باسمكم ؛ او ان يعطيكم السيد كريمنزكي ، خلال ساعات ، شيكاً باسم السيد ادوارد كرسبي مسحوبا على اي بنك. الامر لك . وعلى اي حال بامكانك ان تثق بسريّتنا المطلقة فنحن لسنا ممن يقترف اي قلة ادب . ثم اننا نريد ان نتعامل معكم بمنتهى الاتفاق ، الان ودائما وليست هذه الا البداية » . (ص ٨٦٩) .

في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر)١٨٩٩ أجرى هرتزل إتصالات مع القيصر الألماني ، بعد أسابيع من محاولة جديدة مع السلطات البريطانية :

« كان هكلر هنا وابلغنا ان سيدة انجليزية ارستقراطية سألت اللـــورد سولزبري مؤخراً لماذا لا يساعد الصهيونيين . ويقال انه اجاب « تمهّلـــوا . سيحصل ذلك » . بسبب هذه السيدة ساكتب الى جاستر ليتصـــل باللـــورد سولزبري بالاشتراك مع السير فرانسس .» (ص ٨٧١) .

وهذه قصة الموعد مع القيصر كما سجلها هرتزل في النهار الذي اشتهر كثيراً بعد ثمانية عشر عاماً إذ اختير تاريخاً لصدور وعد بلفور :

« شاهدت ، وانا في الحمّام هذا الصباح ، ساعي البريد يتقدم من جهة سور الحديقة . فنظرت بحماس اذا كان سيتوقف عند البوابة . وتوقـــف . واحضرت الخادمة لي البرقية بورقها الاحمر المستعمل في القصر . انه مـــن الدوق الكبير . لا بد انها برقية مهمة . تباطأت في فضّها لأمتّع نفسي . مجرد انه ارسل برقية يثبت ان لديه ما يود ان يقوله لي . لكن ماذا ؟ دعوة للقيصر ؟ قالت البرقية : « ساذهب الى دار مشتات غدا واتوقع قرارا نهائيا هنـــــاك ساخبرك به رأساً . فردريك . »

تقترح كلمتا « قراراً نهائياً » انه قد خاطب القيصر بالفعل في بادن ـ بادن ولم يتلق رفضاً صريحاً . ستكون خطوة واسعة نحو الامام . من الجهة الاخرى قرأت اليوم في الجريدة الرسمية اخباراً بان القيصر سيبقى في دار مشتات حتى السابع من تشرين الثاني . وهكذا قد يكون من الممكن اننا على عتبة نجاح عظيم للصهيونية . » (ص ٨٨٢) .

« تسلمت رسالة خطية جميلة من الدوق الكبير ، بتاريخ العاشر مـــن الشهر في بادن ـ بادن . يقول انه تحدث مع القيصر في بـــادن ـ بـــادن وفي ولفسجارتن بخصوص التماسي . كان القيصر ميالاً تجاه القضية ، حـــتى في بادن . الا انه لم يحب ان يفصح عن رأيه بالتماسي بمقابلته الا في ولفسجارتن . وعندما بحث الدوق الكبير الموضوع ثانية في ولفسجارتن ، استطـــاع ان يلاحظ ان مورافيف ، الذي كان في هذه الاثناء قد عاد من باريس ، استعمل

نفوذه ضد الطلب . الا انه يجدر بي ان اضع مذكرة بالفرنسية تعهد الـــدوق الكبير ان يقدمها الى القيصر .

ارسلت امس مذكرتي المبهمة المسهبة البلاطية الاساوب للقيصر الى الكس مرمورك في باريس ليتولى ترجمتها . ومثل شهرزاد ، حرصت ان اثير رغبته بسماع المزيد اكثر من ان اسرّه بالقصة . وقد ارفقت المذكرة برسالة تغطية الى القيصر :

سيدي ، اني ادين بفضل السماع لي بعرض الخطة الصهيونية لايجـــاد حل نهائي للقضية اليهودية الى عطف سمو الامير دوق بادن الكبير الذي تفضل بان يتشفّع لالتماسي المتواضع بمقابلة مع جلالتكم .

يريد الصهيونيون ان ينفعوا اخوانهمالتعساء ، وان يُبعدوهم عن المبادىء الهدامة ، ويوجهوهم نحو سبيل خلقي عظيم في خدمة الانسانية كلها . » (ص ٨٨٧ — ٨٨٨) .

في ٧ — ١١ — ١٨٩٩ عاد للإهتمام بجزيرة قبرص كخطوة في الطريق نحو فلسطين . فكتب إلى نوري بك :

« منذ المؤتمر الاخير في بازل اخذت الحركة تميل نحو قبرص . انهـــم ، بعد ان رأوا الحكومة التركية غير ميّالة نحو الوصول الى تفاهم معنا ، يريدون ان يتجهوا نحو الجزيرة التي تسيطر عليها بريطانيه والتي يسهل علينا دائمـــا الوصول اليها . فبعد عدة سنوات يصبح المهاجرون هناك مواطنين كاملـــي الحقوق ، ويتمتعون بحد بعيد من الاستقلال الذاتي وغيره .

حتى المؤتمر القادم ساظل سيد الموقف . لكن اذا لم يكن لدي ما اطلعهم عليه انذاك ستسقط امالنا في المياه — مياه قبرص .

على سياسيي تركيه ان يفهموا في الوقت المناسب المكاسب التي ستسقط من بين اصابعك . لن تكون لكم المستعمرة اليهودية في فلسطين التي كانت

لتُحضر لكم المال الكثير رأسا ، ولا تنظيم اوضاعكم المالية كلها ، ولانشاء اسطول حديث وحياة صناعية وتجارية، واخيرا خير الامبراطورية . لكن اذا لم يكن لديكم الاستعمار اليهودي لتفيدوا منه ، سيكون لكم استعمار آخر سيكلّفكم غالياً . لن تستطيعوا ان تنكروا الهجرة على « الامم الصديقة » . وستضطرون ، من رقعة الى اخرى ، خطوة بعد اخرى ، ان تعطوا ما كان بامكانكم ان تعطوه مقابل ارباح حقيقية ، عطاءً هباءً مقابل كلمات معسولة ومصافحات . يهم الاخرون ان تصبحوا اضعف واضعف . اما نحن فيهمنا ، على العكس ، ان نجعلكم اقوى واقوى ، لانكم يجب ان تحمونا .

ستصبح سيادة جلالة السلطان ، التي نجعلها نحن ابدية وقوية ، امـــراً شكلياً يزول اخيرا كما حصل في كريت ، بفضل « الامتيازات الاجنبية » .

ارجو ان تقبل هذه الكلمات الخطيرة والمخلصة من صديق مخلـــص لا يخفي حقيقة تمسكه بمصالح شعبه ، لكن على وفاق تام من مصالح تركيـــه . لا بد ، لاستعادة صبر الصهيونيين وشجاعتهم ، من ان يستقبلني جلالـــة السلطان باسرع وقت حتى اشرح لحكمة جلالته العظيمة مشاريعنـــا الوفية والنافعة .» (ص ٨٨٣) .

ثم كتب :

« اتنبأ بان التطورات ستكون كما يلي : اذا لم احرز تقدماً في علاقاتي مع الحكومة التركية قبل المؤتمر الرابع ، ساعدّ مشروع قبرص بشكل سريع ، واذهب الى لندن ، واكلمّ اللورد سولزبري ، واحمل المؤتمر على القبـــول بقبرص في الوقت الحاضر . وعلى اي حال ، اعتقد اننا بعد المؤتمر التـــالي سنذهب بالفعل الى بلد ما . »(ص ٨٨٥) .

وأخذ يتفاءل بعد وصول بعض التطمينات إليه من تركيه . كتب في ١٨ – ١٢ – ١٨٩٩ :

« وصلتني اول امس هذه الرسالة من كرسبي ، حامل قلم الاناني] اي نوري بك] : سيدي العزيز ، بفضل تأسيس الشركة في شتوتجارت ، الـتي اشترك بها ملك وملكة ورتمبيرج اشتراكا رئيسياً – شركة رأسمالها نصـف مليون فرنك ، مخصصة للاستعمار الالماني الزراعي في فلسطين ، سارت المسألة الموكول امرها بنا خطوة عريضة الى الامام . ارجو ان تكون مستعداً ، عند استلامك برقية سارسلها لك ، للحضور الينا حالاً ، لان جلالته سيكون مستعداً للسماح لك بمقابلته .

الاتصالات تسير حتى الان لصالحك لدرجة اني لا احتاج الا لأن ابرق لك « احضر حالاً » فيستقبلك [السلطان] رأسا عند وصولك . لاأستطيع ان اسرد تفاصيل الجهود الجبارة التي بذلت في الشهر الماضي ، لكني استطيع ان اؤكد لك ان النتيجة كانت ، وستكون ، عملية . ارجو ان تحفظ ما اخبرتك به سراً .... »

ان سيمنز ، من « البنك الالماني » ، في القسطنطينية بخصوص سكـة حديد بغداد . انه سكينه على رقبة الاتراك . ان المانيه تحرز تقدما حثيثاً في الشرق . غير ان منافع السلطان منها افلاطونية في طبيعتها . كل ما في الامر مجرد زهريات بورسولين ومصافحات واوسمة وبرقيات . تبدو الصليبيـة الالمانية كفتح طريق وسخافات مثل ذلك . وفي هذه الاثناء بدأ الاتراك يرون النور . ولعل السفير كونستان اسهم في اثارة الشكوك بالمانيه .

لكن ربما اكون قد دعيت فقط لجعل سيمنز يقدم عروضا احسن . اني أعامل كاليهودي الذي يهددنه به ليوقع . الا انه مهما كان الامر . سـوف اسافر رأساً . اذا ذهبت سوف ارسل هكلر الى الدوق الكبير ليـؤثـر في الدبلوماسية الالمانية والبنوك الالمانية لمصلحتي . سوف يصدرون اوامرهم في برلين بانني حليف وصديق سري ، وحتى اذا لم يساعدني لن يعيقوني . » (ص ٨٩٧ – ٨٩٨) .

لكن الامال تبددت بسرعة . كتب في ٢٧ – ١٢ – ١٨٩٩ :

« لم يأتِ شيء من القسطنطينية . لا شيء . لا شيء . اني يائس . تقول الصحف في تقاريرها من القسطنطينية بان هناك اتفاقاً مبدئيا ، ذا دفع مقدّم ، بين الباب العالي و « البنك الالماني » . ربما كانت رغبتهم في دعوة اليهودي قد زالت بزوال حاجتهم الى المال . او لعل الامر كله كان حيلة من نوري بك ؟ » (ص ٨٩٧ – ٨٩٨) .

فلجأ إلى القوى الأوروبية والأميركية الكبيرة يستنجد بها : قابل سفير الولايات المتحدة في اسطنبول ، في العاصمة النمساوية ، وأجرى هذه المحادثة معه :

«يعتبر ان من المستحيل حصولنا على فلسطين. لن تسمح لنا بذلك الكنيستان الارثوذكسية والكاثوليكية . فقلت له إني اعتبر رومه وحدها ضدنا . ونسيت ان اقول له السبب الاعمق : وهو ان الكثلكة هي وحدها الكنيسة العالمية مثل اليهودية . رومه هي الاخ الغني الذي يكره الاخ الفقير . اما الكنائس الاخرى فقومية ولذلك لا تحتاج الى القدس كنقطة ارخميدس .

ستراوس يدعو الى ما بين النهرين . يقول انه علم منذ مدة طويلة ان دراسة حول ما بين النهرين ارسلها الي سايرس ادلر بنصيحة من بعض الاصدقاء (القاضي سولز برجر وغيره في نيويورك) . وقال انه يمكن الحصول على ما بين النهرين . لا يوجد فيها منافسات بين الكنائس ، وهي مهد اسرائيل . منها جاء ابراهيم ، ونستطيع هناك ان نستغل العناصر الصوفية ايضا .

انها فكرة الانتشار التي عبرّ نوري عنها في شيفيننجن . وكتب اليّ ارتين باشا بالمعنى نفسه ، بنصيحة (كما اعتقد) من ستراوس الذي كان يطلّع على رسائلي الى ارتين . انكر ستراوس بحدّة التصدع في السلطة في قصر يلدز وحواليه . فكل السلطة في قبضة السلطان . والوزراء شخصيات غبية وجبانة

وفاسدة . والحديث عن الانسانية وما شابهها لا يجدي شيئا مع السلطان . الا انه اذا رأى نقوداً او منافع من نوع ما يمكن كسبه . اما التفاوض او التحدث مع غيره فلا قيمة له . اما يكون الامر مع السلطان او لا امل ابداً .

اخبرته عن المجال الذي فُتح امامي قبل اسبوعين ولكنه لم يتم لسوء الحظ . فضغط علي كثيراً لاقول له اسم الوسيط . لكني صمتّ. وهكذا قدّمت له البرهان على حفظي للاسرار . فأخذ يخمّن اسم الشخص واحداً بعد الاخر . وتركته يخمّن .

افترقنا كاصدقاء . واخذت منه وعدا بان يبعث الي ببعض النصائح التي قد تكون مفيدة يوما ما ، على ان يوقعها باسم مستعار : « مسبوتاميكس » .

(ص ٨٩٩) .

وأرسل إلى رئيس الوزارة النمساوية ، كويربر ، في ٢٨ — ٢ — ١٩٠٠ ، يشرح له غايات الصندوق الإستعماري اليهودي الذي كان قد أسسه في لندن كمصرف للحركة الصهيونية :

« تأسس الصندوق اليهودي الاستعماري لخدمة اهداف الحركة الصهيونية ولا يسعى مؤسسو البنك الى اي ربح خاص . بل ان قوانينه تمنع مجلس المديرين والمجلس العام (الذي لا يتكوّن من رجال اعمال ، وانا عضو فيه) من جني اي ربح من المشروع . وقد امّن تكاليف الانشاء عدد من اتباعنا . وانا نفسي اسهمت بخمسمائة جنيه استرليني .

يُقصد من البنك ان يتجسّد فيه الجهاز اللازم للحصول على ميثاق للاسكان من حكومة صاحب الجلالة السلطان . باستعمار فلسطين بتوجيه المبادىء العظيمة تسنح الفرصة للتخفيف عن كاهل العمال اليهود الذين يُقاسون كثيرا في عدة بلدان ، وخاصة في جاليسيه وروسيه .

سوف يكون للبنك رأسمال مساهم بمبلغ مليوني جنيه استرليني اسهم فيه

بمبلغ جنيه واحد . تجابه الحركة الصهيونية مقاومة اثرياء اليهود . لذلك يجب ان توجّه المساهمة الى الجماهير بالدرجة الاولى . ولحماية المستودعات تقرر عدم البدء بالعمليات قبل ان يكون مبلغ ربع مليون جنيه قد دفع نقدا في لندن. وقد بلغت المساهمة حتى الان ثلاثمئة الف سهم ، الا ان المدفوع في لندن لم يبلغ مئة الف جنيه بعد ، لان المساهمة بالتقسيط . » (ص ٩٠٥) .

وبعد أقل من إسبوع كتب رسالة أخرى إلى دوق بادن الكبير يطلب مساعدة الحكومة الألمانية :

« ما لم يكن كل شيء يخدعني ، اللحظة المناسبة للعمل قد حانت . والوضع الدولي العام مناسب ايضا . فقد صُرف انتباه القوى المتصارعة حالياً عن المشرق . ويمكن تدبير امر « الامر الواقع » بدون اثارة معارضة كثيرة . هذا « الامر الواقع » هو ما نسعى اليه منذ وقت طويل .

كل المتطلبات جاهزة . لقد انشأنا ، بكل حذر ، منظمة لجماهيرنا مستعدة للتحرك . باشارة واحده ينطلق مئات الالوف بالحركة . واستطع ان اقدّر عدد المستعمرين الذين يستطيعون الوصول الى فلسطين في مدة سنوات قليلة بثلاثة الى اربعة ملايين نسمة ، حسب مصادر يوثق بها من عملائنا السريين . وتغطية المصاريف المالية الباهظة حتى منذ البدء مؤمنة . ومعظم الدول المهمة ليست ضدنا ، اذا لم تكن معنا بالفعل . اما تركيه فقد نجحت في كسب المؤيدين في الدوائر الحكومية . اما القرار فالطبع هو بيد جلالة السلطان لوحده . كنت في اواخر كانون الاول ١٨٩٩ اتوقع دعوة من السلطان في اية لحظة . لكن حلول شهر رمضان تدخل في الامر وخفّت حدة الامور في الاسابيع الاخيرة . اما الان فان الفرصة التاريخية تستدعي ، كما يبدو ، اتخاذ القرارات . لذلك اتقدم الى سموكم الاميري ، بالثقة المعهودة فيّ ، طلبا للنصح والمساعدة . هناك امران ضروريان لتحقيق المشروع العظيم .

اولهما ، مساعدة جلالة القيصر الالماني مساعدة شخصية مع جلالةالسلطان.

لقد فهمت من مصادر وثيقة الصلة بالسلطان ان خطوة كهذه (التي يمكن ، ويجب ، حفظها سراً) قد تحُدث التحول الحاسم . يقبل السلطان بمقترحاتي اذا قدمها صديقه المعظم له كأنها أمر يستحق النظر .

ثانيهما ، موعد مع صاحب الجلالة امبراطور روسيه. ولهذا غاية مزدوجة. انه ، من الجهة الواحدة ، يجعل الجماهير الروسية ترى ان حركتنا تنال الحظوة ، ويجعل الحكومة التركية ، من الجهة الاخرى ، تدرك انها يجب الا تخشى معارضة من ذلك الجانب اذا عقدت ميثاقاً معنا .

سيكون موضوع الميثاق الذي ساقدمه في القسطنطينيه بعد التأكد من موافقة سموكم وجلالة القيصر الالماني على كل بند فيه استعمار فلسطين وادارة المنطقة المستعمرة . اني في وضع يمكنني من تأمين منافع مالية لتركيه مقابل هذا .

ولن يكتشف احد أن المسألة كلها تحت رقابة المانيه وحمايتها الى ان يقرر جلالة القيصر الالماني ان اللحظة لذلك قد حانت . .

يمكن ايجاد محمية المانية بدون تضحية وبدون اية مخاطرة . اسيه الصغرى تحت النفوذ الالماني . » (ص ٩٠٩) .

واعتمد على هكلر في تدبير له مقابلة مع قيصر المانيه،في ١٤ـ٢ـ١٩٠٠ :

«طلبت منه (هكلر) ان يحصل لي ، اذا كان ذلك ممكنا ، على توصية الى السلطان من القيصر نفسه . أنها تضمن لي المقابلة التي احتاجها . عند ذاك اذهب الى القسطنطينية .

ابرق هكلر مجيباً بان العم (اي الدوق الكبير) يرى ان على المرء ان يكون مرناً مع ابن الاخ (اي القيصر) . غير انه لم يستنكر كتابة رسالة توصية . ويظهر ان العم موافق ، لكنه لا يعلم اذا كانت برلين موافقة . بامكان فون بولو ، مرة اخرى ، ان يصنع خيرا او شراً .

اعتبر الوضع الدولي مناسباً لنا : انجلتره مربوطة في جنوب افريقيه ، وروسيه تسعى وراء فارس . سنرى ان الحقيقة في برقية هكلر من كارلسروه في الثالث عشر من اذار : لقد عدت توآ من عند العم . سوف يكتب الى القسطنطينية والى ابن الاخ . الرجاء إعداد المقترحات (اي الميثاق) » . (ص ٩١٥) .

أما بريطانيه فقد اعتمد فيها على الفرد أوستن ليدبر له موعداً مع اللورد سولزبري ، وكان هرتزل قد سافر إلى لندن في ٢١ — ٤ — ١٩٠٠ . لكن أوستن فشل في محاولته :

« اذ اني كنت اهدف الى الحصول على توصية من اوستن الى اللورد سولزبري ، عبرت عن امنيتي لقيام حلف بين انجلتره والمانيه . على انجلتره ان تجعل من القيصر الالماني وكيلا لها لدى الشعب الالماني . وبما اني اعرف من دوق بادن الكبير ان المانيه تخاف انجلتره ، استطيع ان اكون واثقاً اني سانجح اذا تعهدت باقناع القيصر بان يفعل ذلك . ومن الجهة الاخرى ادركت من كلام اوستن شعور انجلتره بالثقة بالنفس ، ولكنه شعور دفاعي فقط ...

رسالة عزيزة من اوستن . لقد اعتذر اللورد سولزبري بحجة متاعب الحرب . لا يستطيع ان يقابلني في الوقت الحاضر . » (ص ٩٣٨ — ٩٤٠) .

ومن جديد قرر أن يتصل بالسلطان مباشرة . فلما سمع أن المستشرق فامبري سيذهب إلى اسطنبول في ٢ — ٦ — ١٩٠٠ ، أخذ يعتمد عليه :

« وجدت ، في هذا الرجل الاعرج ، اليهودي الهنجاري البالغ سبعين سنة ، الذي لا يعرف ما اذا كان هو تركيا بالدرجة الاولى او انجليزيا ، ويتكلم اثنتي عشرة لغة باتقان وآمن بخمسة اديان خدم في اثنين منها كرجل دين — وجدت فيه احد اطرف الناس . وبمعرفته الوثيقة لهذا العدد من الاديان كان لا بد ان يصبح ملحدا . وقد روى لي الف قصة وقصة من الشرق ، عن

علاقته الحميمة بالسلطان وغيره . وسريعا ما وثق بي تمام الوثوق واخبرني ، تحت قسم الكتمان ، بانه كان عميلا سرياً لتركيه ولانجلتره . وليست استاذيته في هنجاريه الا واجهة ، بعد ان قاسى طويلاً في مجتمع معادٍ لليهود . واراني مجموعة من الوثائق السرية — وان كانت بالتركية التي لا اعرفها وانما أُعجب بها . وبينها ملاحظات خطية بيد السلطان . وكان قد صرف هكلر رأسا بخشونة، اراد ان ينفرد بي . بدأ قائلا « لا اريد نقوداً ، اني رجل غني . لا استطيع ان اكل شرائح لحم بقر مذهبّة . عندي ربع مليون . ولا اصرف نصف الفائدة التي اجنيها منها . واذا ساعدتكم فانما من اجل القضية » .

جعلني اخبره بتفاصيل خطتنا واموالنا . وقد باح لي بان السلطان ارسل وراءه ليصنع جواً مؤيدا له في الصحف الاوروبية . هل استطيع ان اساعده في ذلك ؟ فاجبته بالمواربة ...

قلت له : اكتب للسلطان ليأذن باستقبالي لأني اخدمه في عالم الصحافة ، اولاً ، ولان ظهوري ، وحده ، يرفع اسهمه ، ثانياً . وقلت : احبك ان تكون ترجماني » . لكنه يخاف من متاعب السفر بالصيف .

انتهى وقتي ، ولم اقرر اذا كان سيفعل شيئاً ما . وقبل اي شيء اخر ، ما اذا كان يكتب الى السلطان رأساً في طلب الموعد . » (ص ٩٦١) .

« ساكتب غدا الى فامبري ما يلي : عمي العزيز ، التعبير الهنجاري « رجل يهودي » تعبير جيد . انت واحد من هؤلاء . وانا كذلك . هذا ما يجعلنا نفهم بعضنا بسرعة فهما كاملا ، وربما على صعيد انساني اكثر منه على صعيد يهودي ، مع ان العنصر اليهودي قوي في كلينا . ساعدني — بل ساعدنا . اكتب الى السلطان (كوهين) ان عليه ان يرسل بطلبي . لأني استطيع ان اساعده في الرأي العام ، اولاً ، ولان مجيئي سوف يحسن صيته المالي ، حتى وان لم يوافق على مقترحاتي رأساً . نستطيع ان نرجىء التفاصيل الى ما بعد المؤتمر ، شرط ان تأتي معي وتعمل كمترجم . ان موعداً قبل المؤتمر يكفيني .

والعملة فيما بعد . لا اريد ان اسخر منك . انك تؤدي لقضيتنا خدمة جبارة اذا حصلت على الموعد الان . » (ص ٩٦٢) .

وأخذ هرتزل يتصل مع فامبري ، ومع رئيس الحكومة النمساوية كويربر ، ومع نوري بك ، في آن واحد ، من أجل الحصول على موعد مع السلطان — اجتمع إلى كويربر :

« طلبت النصح من دوق بادن الكبير . انه ينصح بان ارجو من السلطان ان يستقبلني بواسطة الحكومة النمساوية وان اقنعه بالسماح بدخول يهود رومانيه . ومقابل ذلك نستطيع ان نقدم للسلطان بعض المال . » وقد لفظت الكلمة الاخيرة باللهجة الفينيّة السهلة وعفويا ، كأنه لم يكن ذلك هو اصعب الامور ، وهو الامر الذي اسعى لتأمينه منذ سنوات عبثاً .

« من المؤسف انك لم تطلب ذلك قبل يومين . كان جولوتشوسكي لا يزال هنا . »

« الا يمكن ارسال التعليمات الى السفير كالس مباشرة ؟ »

« كلا . ذلك غير ممكن . انها دائرة اخرى . ولا اعرف موقفنا من السلطان . لكني ساكلم الكونت زيشن بالامر ثم اجيبك . » (ص ٩٧٢) .

وكتب إلى فامبري :

« اتوسل اليك ان تتدخل حالاً مع كوهين [السلطان] بالطريقة التي تراها مناسبة ، باسرع ما يمكن ، وبرقياً ان امكن ، وان تخبره بان ما سيأتيه بهذا الشكل سيكون مفيدا جدا له . اجعله يفهم انه سوف يقوم بدور جميل اذا سمح بادخال اليهود الذين لا مأوى لهم . سيبدو كمحسن الى البشرية ، كرجل شهم جواد . وسوف يثمر احسانه ، رأسا ، بالمنفعة ورأس المال له . سيحتفي به يهود العالم بأسره . سيكون ذلك تحولاً مفاجئاً في الرأي العام في العالم كله . وسيحظى ، في الوقت نفسه ، بشكر الامم الاخرى التي خلّصها

من تدفق اليهود . وبالطبع ان هذا كله صادق وواضح » . (ص ٩٧٣) .

وكتب إلى نوري بك .

« ربما كان اصحابنا ممن لهم احسن النوايا لا يتجرأون على التقدم، مع ان المسألة لصالح صاحب الجلالة . ولسد هذا الفراغ حاولت ان اجد شيئا اخر وان اجعل طلب المثول يأتي من جهة اخرى . لست اعرف الآن اذا كان ذلك سيتحقق . لكني يجب ان اؤكد لك ولزملائك بان نجاحي في المجال الاخر لن يقلل من اعترافي بجميلكم ابداً .

انكم تتعاملون مع رجل شريف – اعذروني لاستعمال هذا المدح الذاتي – لا يبحث عن عذر لينكث وعداً . لذلك فمصلحتكم لا تتأثر مهما كانت الظروف . يجب ان نكون ، وان نظل ، اصدقاء ، لمصلحة تركيه وخيرها ، تركيه التي نرجو ان ننقذها من كل متاعبها .

ارجو ان تذكروا امام اسماع جلالته حقيقة جديدة جدا : تعاون الدول في الصين . انها سابقة مهمة . وربما كانت سابقة خطرة على تركيه . تفهمون ما اعني . على المرء ان يحتاط للامور ويكون قادرا على حماية نفسه ، ان يكون لديه اسطول ، الخ ... واكيد انكم لن تتحققوا من هذه الامكانية ، ولا في اي مكان ، الا بواسطتنا . ان الذي يقدم هذا الحل بينكم يستحق ان يصبح صدراً اعظم .

امر اخر : سينعقد المؤتمر السنوي الصهيوني ، الرابع ، في لندن في شهر آب . وكالعادة سترسل اللجنة المشرفة للمؤتمر برقية ترفع فيها احتراماتها الى اقدام عرش جلالة السلطان . ارجو ان تتلطفوا بارسال الكلمات المناسبة لهذه البرقية ، وان تعملوا جهدكم بشكل خاص حتى نتسلم رداً مشجعاً وودوداً للحال. » (ص ٩٧٤).

لكن فامبري عجز عن تدبير الموعد آنذاك ، وأرجأ الأمر إلى وقت لاحق .

فألح هرتزل على نوري بك أن ينجح في ما عجز عنه المستشرق الهنجاري :

لقد مضى اكثر من سنة منذ ان حصل لي شرف رؤيتكم في فندق امبريال . ولم يحصل شيء ، ولا شيء . اني اسمع من القسطنطينية ان مسألة خط الحجاز هي الموضوع السائد . لو نُعطى ميثاق الاستعمار الذي نطلبه لكنا نتعهد ببناء سكة حديد الحجاز او بتأمين الاموال الضرورية . اذا كنت على صلة بمن يفيدوننا في ذلك ممن لهم منفعة فيها يمكنك نقل هذا الاقتراح الى الاشخاص المناسبين . وسوف اقدم كل الشروحات والضمانات للسلطان اذا دعاني .

ملاحظة : إن أحد أصدقائي ، السيد كريمنزكي ، مهتم بفتح مصنع على شاطىء البحر الميت في فلسطين . وقد كلمني في الموضوع عدة مرات وكنت دائماً أنسى أن أسألك عن اسم ملتزم العمل في شواطىء البحر الميت . يقول إنه شخص مسلم . سيكون سهلاً عليك تزويدي بالمعلومات حول الموضوع . » (ص ٩٨٠ — ٩٨١) .

أما كويربر فقد قابله هرتزل ثانية في ٨ — ١٠ — ١٩٠٠ ، ليعرض خدماته مقابل ضغط الحكومة النمساوية على السلطان :

« لم يساعده أحد ، ولن يساعده أحد ، أقل مصلحة خاصة مني ، أنا الذي لا أبغي إلا توصية من الحكومة إلى السلطان ... أخبرته ، مع أمور أُخرى ، أنني لن أصدر جريدة شبه رسمية . « لأنه لن يفيدكم شيء إن قالت الجريدة : ان رئيس الحكومة اعظم سياسي » . فوافقني على رأيي تماماً ، وافترقنا مثل متآمرين» (ص ٩٨٤) .

وكان النفوذ الصهيوني في بريطانيه ازداد لدرجة أن ستين مرشحاً لمجلس العموم أعلنوا ، في مطلع تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٠٠ تأييدهم للصهيونية — وهو كسب صهيوني قال عنه هرتزل :

« أنه أحذق خطوة قامت حركتنا بها منذ وقت طويل » (٩٨١) .

وقد شجع هذا الإجراء هرتزل على التدخل في الأمور السياسية الدولية عامة ، وفي العلاقات البريطانية الألمانية خاصة . كتب في اليوم الأخير من العام ١٩٠٠ .

« زارني ، قبل يومين ، مستشار الدولة فون بلوخ . تحدثنا عن الحرب والسلم . وبينما كنا نتكلم خطر لي أن أذكر أوستن ، صديق سولزبري ، كمفاوض للسلام . وكان أوستن قد كتب إليّ مؤخراً بأن أذكر كلماته : إذا أظهرت إنجلتره قوة في الترانسفال لن يهاجمها أحد . يريد بلوخ أن يخبر الإنجليز بواسطة الجريدة التي أعمل بها ، ان عليهم أن يحتكموا إلى محكمة العدل في خلافهم مع البوير . قلت له إن هذا مطادرة وزبري . إلا أن إنجلتره قد تكون مستعدة لبحث مقترحات للسلم يقدمها فرد خاص أكثر مما لو قدمتها دولة . وعرضت عليه أن أكتب إلى الفرد أوستن بأن بلوخ مستعد أن يكتب في المجلة ، وبتوقيعه ، مقترحات ترضى عنها الحكومة البريطانية . فوافق بلوخ على هذه الفكرة بسرور إذ أنها تؤمن له الدور المثير . » (ص ١٠١٦) .

وقد أراد من ذلك ، بالطبع ، خدمة مخططه في الوصول إلى فلسطين عبر قبرص ، كما كان يرجو آنذاك . كتب في ٤ ــ ١ ــ ١٩٠١ :

« في مقال في « مجلة الخدمات الموحدة » عرض غريب يصعب أخذه جدياً حول تبادل المقاطعات بين إنجلتره والمانيه : تبادل إنجلتره جزيرة قبرص (التي وضعت تحت الإدارة البريطانية منذ اتفاقية حزيران ١٨٧٨) بشرق إفريقيه الألماني ، لتتمكن انجلتره من حماية خط رأس الرجاء ــ القاهرة ، الحديدي ، حماية استراتيجية وتجارية ، ذلك الخط الذي سيضطر ، بدون هذا التبادل ، إلى المرور في مناطق أجنبية وإلى الإعتماد على سلطة أجنبية . وحسبما جاء في المقال ، كانت قيمة قبرص لإنجلتره مشكوكاً فيها دائماً . ومن جهة أُخرى فإن شرق إفريقيه الأستوائي ، قليل السكان ، لا يشكل قيمة خاصة لألمانيه ، بينما تشكل قبرص لها كسباً ممتازاً ، كقاعدة لأمانيها في الشرق الأدنى وكمحطة

على طريقها الطويل إلى ممتلكاتها في الشرق الأقصى . وإذا وجدت المانيه نفسها في وضع تحتاج فيه إلى حماية حقوقها في آسيه الصغرى بالقوة فإن قبرص ستكون قاعدة مهمة جداً للعمليات . ولن تخشى إنجلتره شيئاً من إستيلاء ألمانيه على الجزيرة . غير أن الرأي في ألمانيه حول قيمة شرق إفريقيه الألماني مختلف بالرغم من التخلي عن زنجبار وويتو . لذلك لن تعلق برلين على هذه المقترحات الإنجليزية إلا أهمية أكاديمية .

للوهلة الأولى فكّرت بالكتابة إلى أويلنبرج وتقديم مقترحات حول هذا المقال في حال صحته . وهي أن على ألمانيه أن ترحب باستقرار اليهود في قبرص بكل سرور . سوف نتجمع في قبرص ونذهب منها يوماً إلى أرض إسرائيل ونأخذها بالقوة مثلما أخذت منا من مدة بعيدة . لكني نمت على هذه الفكرة القائمة من كل جوانبها ، وحمل الليل إليّ قراراً بأن من الحكمة ألا نفعل شيئاً في الوقت الحاضر. فإذا حصلت المانيه على قبرص سنحت لي الفرصة فيما بعد للقيام بالمحاولة عبر أويلنبرج والدوق الألماني . لكن إذا بقيت تتبع إنجلتره التي يبدوا أنها تعبت من التملك فإن الفرص أحسن ، إذ استطيع أن أبحث الموضوع مع سولزبري إذا كانت وساطتي في قضية الترانسفال توصلني إليه . يعني هذا أنه إذا كان رفض السلطان قاطعاً أكثر مما ظهر في « المراسلات السياسية » سوف أُقدم مشروعاً قبرصياً إلى المؤتمر القادم أستطيع أن أحصل له على مساندة كبار المليونيريين مسبقاً .

خلال ذهابي إلى كويربر في الصباح أخذت أفكر بخطابي عن مشروع قبرص في المؤتمر الخامس . سوف أُعلن أنه مزج بين تحطم آمالنا الحالي في فلسطين والحملة التي لا غنى عنها لمساعدة الفقراء . وسأعلن أيضاً للمؤتمر الخامس أن قبرص مجرد خطوة على الطريق إلى فلسطين . » (ص ١٠٢٢ — ١٠٢٣) .

ذهب هرتزل ، في الرابع من شباط (فبراير) إلى باريس . وهو على الطريق تعرف على إقتصادي تركي . أوحى إليه الرجل بأفكار جديدة للسيطرة

على تركيه إقتصادياً .

« جعلته يخبرني بكل ما يعرفه عن تركيه واقتصادها . وعلمت أن الدين العام موجود ، مثل البنك العثماني ، في أيدي رجال المصارف الإنجيليين في باريس (ولندن أيضاً) .

على هذه المعلومات بنيت خطة جديدة في ساعات الأرق بين الليل والصباح : إذا كان اللورد روتشيلد يرفض اللقاء معي ، كما يخبرني كون ، سأحاول أن أحصل من « الجماعة العثمانية » على خيار على موجوداتها التركية . ربما تكون هذه الجماعة سعيدة بالإنسحاب من تركيه ، بربح خمسين إلى ستين مليون فرنك وأن تترك لنا أسهمها كبديل عادل للميثاق . علي أن أرى ريتلنجر .

في ٥ شباط ، في باريس :

كلمت ريتلنجر . يعتقد أن فكرة شراء « الجماعة العثمانية » جيدة . شرحت له خطتي بالحصول على خيار على أسهم « الجماعة » في تركيه . بذلك نستطيع ان نطالب السلطان بالميثاق مقابل التنازل له عن «الدين العام» . غير أن ريتلنجر يعتقد أن علينا أن نعطي الجماعة العثمانية ضمانة بما لا يقل عن خمسين مليون فرنك مما يتطلب إنشاء وكالة ضخمة . » (ص ١٠٦٣) .

سافر هرتزل من باريس إلى لندن . أراد مقابلة ملك بريطانيه . فكتب إلى دوق بادن الكبير يطلب توسطه :

« يكون مفيداً جداً للقضية التي كرّست لها قواي المتواضعة إذا تفضل جلالة ملك إنجلتره باستقبالي ، وإن يكن لمدة ربع ساعة فقط . أود أن أعرض لجلالته ، باختصار ، المصالح الأساسية الثابتة للخطة التي اطلعتم عليها يا صاحب السمو . تنحصر رغبتي في أن يسمح لي بأن أطلع جلالة الملك على المسألة وأن أطلب عطف جلالته — لا أكثر ولا أقل . إن ثلاثين عضواً في البرلمان الإنجليزي تقريباً ، من كل الأحزاب ، يساندون قضيتنا وينوون عرضها على المناقشة

حينما تسنح الفرصة . وقد أتاح لنا الحظ لكسب مؤيدين لهم قيمتهم في اوساط الكنيسة الإنجليزية . هذا ، وهذا فقط ، هو ما أود أن أخبر جلالته به . » (ص ١٠٦٤) .

وحينما اعتذر الدوق عن ذلك فكّر هرتزل بأن يقحم الدول الكبرى كلها معاً بالمسألة التركية :

« في « المراسلات السياسية » خبر آخر عن منع الهجرة ، ومعه تصريح طريف بأن إيطاليه ضد الهجرة . وحسب خطّي القديمة ، يجب إستعمال هذه الصعوبة مرة أخرى للمضي قدماً . سأكتب إلى نوردو بأن يحاول بأن يوحي بتدخل برلماني في فرنسه وإيطاليه ، وإلى كون ليفعل الشيء نفسه في إنجلتره ، وإلى جوتهايل في أميركه . وما أن ترتفع هذه الأصوات حتّى أجعل فامبري يثير إنتباه السلطان إلى أهمية الوصول إلى تفاهم معنا ومع نقودنا بدل الدول التي ستطلب المطاليب نفسها منه دون أن تدفع له شيئاً . هذا ما قد يكون موضوع المؤتمر الخامس . سوف ندعو الدول إلى الحصول لنا على إذن بالهجرة ــ الدول كلها ــ دعوة واسعة النطاق . » (ص ١٠٦٨) .

في ١٨ ــ ٣ ــ ١٩٠١ فكّر بمشاريع إقتصادية جديدة لاستعمار فلسطين :

« ذهبت لرؤية كريمنزكي ووجدت عنده سايدنر . ماذا بحثنا ؟ بالطبع : ريادة فلسطين . قال سايدنر إن أول ما سيفعله بفلسطين يوماً ما هو صناعة القرميد من الرمال الكلسية ، بواسطة الطريقة التي اكتشفت منذ سنتين فقط . سألته « كم تحتاج هذه الأعمال ؟ »

ــ « مئتي ألف فرنك » .

ــ « سأحصل لك على المبلغ . سيجتمع مجلس الإدارة هنا في التاسع والعشرين من الشهر . وسأثير الموضوع . ستخرج أعمال القرميد إلى حيز الوجود في الوقت نفسه الذي يتأسس فيه فرع البنك في يافا . »

أعطاني هذا فكرة ثانية . سنؤسس أعمال القرميد كشركة نمساوية أو ألمانية مغفلة مشتركة الأسهم . وبذلك نحصل على حماية هذه الدول . وإني أعتقد أن هذه اللحظة نقطة فاصلة أخرى في حركتنا . إننا نتجه نحو التطبيق العملي . تستطيع الحكومة التركية أن تمنع مهاجرة السكان ، ولكنها لا تستطيع أن تمنع تأسيس مراكز صناعية ألمانية أو فرنسية أو نمساوية . » (ص ١٠٧٢) .

« قدم لفنتن ، مدير البنك الذي إستدعيته من روسيه ، إليّ وإلى ولفسون وكريمنزكي ومرمورك وكوكش ، خطته لشراء أسهم سكة حديد يافا — القدس مع كل ما يمتّ لها . أظن أنها فكرة رائعة . لعلني وجدت فيه الرجل المصرفيّ الذي أبحث عنه منذ مدة . وقد قبلت الخطة وسأرسلها إلى باريس ، حيث يقيم نافون ، الفلسطيني ، وكيل أسهم السكة .

سيأتي لفنتن إلى هنا في الأسبوع القادم ثانية . ثم سيذهب إلى لندن كمساعد لمدير الصندوق . وسيبقى هناك إلى الخريف حتى ينظم الصندوق الإستعماري . بعد ذاك سنرسله إلى يافا كمدير للفرع هناك . إلا أن الفرع لن يبدو كفرع ولكن كبنك مستقل مركز إدارته في كولون بألمانيه . وقد جعلت مرمورك أمس يكتب إلى بودنهايمر ليضع قوانين البنك في القدس ويافا . سيكون رأس مال المساهمين نصف مليون مارك بموجودات بنصف القيمة . وسيتولى الصندوق أمر الأسهم . وستظل الأسهم الرئيسية في سكة يافا وفي كل المشاريع مُلك الصندوق .

سأدعو بير في الأسبوع القادم ليذهب إلى فلسطين ليؤسس مصنع إسمنت وقرميد . كما خطرت لي أمس فكرة أُخرى : شراء شركة سفن متوسطية ، أي شركة غير ناجحة كثيراً ، فيسهل السيطرة عليها ثم تصبح ملكاً لنا . ويفكر لفنتن أيضاً بجعل بنكنا في يافا جابي الضرائب والمكوس في فلسطين للحكومة التركية » . (ص ١٠٧٣) .

شجعته هذه الأفكار على الإعتماد على فامبري من جديد . كتب في ١١ — ٤ — ١٩٠١ :

« كنت أمس في بست لرؤية فامبري . عرض من تلقاء نفسه أن يذهب إلى السلطان الآن لأنه (فامبري) ، حسب التقارير الأخيرة ، ذو حظوة كبيرة . وقد يطلب السلطان منه أن يقيم صلات قوية مع اداورد السابع ، صديق فامبري . وينوي فامبري أن يغتنم الفرصة ليخبر السلطان أن عليه أن يستدعيني لأني أستطيع أن أنفعه في أكثر من ناحية .

ذكرت لفامبري أني قد أتمكن من تدبير تخليص تركيه من دينها ، الخ ...

سيذهب فامبري في الأسبوع القادم . وقد طلب ست مئة جيلدر لنفقات السفر . لكني عرضت عليه ألف جيلدر – بل ألفي فرنك . فقبل قائلاً « سأعيد إليك ما لا أصرفه » . » (ص ١٠٧٩) .

« تسلمت تواً رسالة من أغرب الرسائل من كرسبي : يجب أن أسأل فامبري ماذا كان يوجد في الطرد البريدي الذي وصله مؤخراً من قصر يلدز بواسطة وزارة الخارجية وما إذا كان فيه شيء له علاقات بمفاوضاتنا المعلقة . ولهجة كرسبي غريبة : وكأنه يعلم أن في الطرد ما يهمني أمره . إذا كان الأمر صحيحاً فإن هناك ما هو أهم مما ظننت ومما أخبرني به وراء قرار فامبري بالتوجه إلى القسطنطينية . لعله يعلم مسبقاً أن السلطان يريد رؤيتي ولذلك فهو يحتال علي . هذا ما علينا أن نراه . » (ص ١٠٨٠) .

« يكتب كرسبي بأن الطرد البريدي المرسل إلى فامبري إحتوى على وسام إلى زوجة رئيس تحرير « بستر لويد » . » (ص ١٠٨٢)

« عندما عدت إلى البيت وجدت رسالتين من كرسبي بانتظاري .

كتب في الأولى منهما ، بتاريخ السابع والعشرين من نيسان (ربما بتعليمات من فامبري) بأن السلطان طلب من فامبري ألا يغادر البلاد قبل الإثنين ، وأنه تقرر أن يستقبلني السلطان . لكن هذا لن يحدث إلا بعد أن يكون فامبري قد

سافر . وما أن يصل فامبري بست حتى يعطيني تفاصيل الإجراءات . » (ص ١٠٩٠) .

« كتبت إلى كرسبي أمس بأن كل وعودي لا تزال قائمة . » (ص ١٠٩٠) .

وحينما عاد فامبري من اسطنبول في ٨ – ٥ – ١٩٠١ أخبر هرتزل ، الذي كان بانتظاره ، أن السلطان سيستقبله .

« ولكن ليس كصهيوني ، بل كرئيس لليهود وصحافي نافذ » (ص ١٠٩٢) .

« ست مرات إضطرني للذهاب قبل أن يوافق . إنه أحمق كبير ولص . وآخر أخباره أنه صادر البريد الأوروبي كله . يعتقد أنهم لن يعلنوا الحرب عليه من أجل ذلك . » (ص ١٠٩٢) .

وحذر فامبري هرتزل من السلطان لأنه يكره الصهيونية :

« إياك أن تحدثه عن الصهيونية . إنها فانوس سحري . القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة . إلا أن الصهيونية جيدة ضد المسيحية . » (ص ١٠٩٢)

إذن فقد تفاءل هرتزل ما دام السلطان سيدعوه بالرغم من كرهه للصهيونية. لكن المشكلة كانت أن لا مال لديه لشراء فلسطين :

« إني أُحرج كثيراً لو أنه يعرض علي بيع فلسطين الآن . عليّ أولاً أن أجمع المال . أحتاج الآن إلى الحقيبة التي سيتركها معي . هذه الحقيبة يجب أن أملأها فيما بعد . » (ص ١٠٩٣) .

وحتى يهيء الرأي العالمي العام لخبر إتفاقه مع السلطان ، فيما لو نجحت مهمته لدى السلطان ، وضع خطة للإتصال بكبار سياسيي أوروبه :

« بالطبع ، إن أهم شيء هو تدبير أمر إخراس صدى تفجر خبر الإستقبال

في أوروبه إذا تحقق . لهذا تحتوي الأوامر المختومة تعليمات إلى نوردو بمقابلة ديلكاسي ، وإلى كاتزنلسون بالذهاب إلى شبياجن ، وكون وفرانسس مونتفيوري إلى ايرل لانسدون ، وهكلر إلى الدوق الكبير . فقط في رومه لم أعرف ماذا أفعل . وفي الليل خطر الإسم لي : « جليشن – روسورم . » (ص ١٠٩٦) .

بل إنه عين صديقاً له مندوباً عنه في رومه ، لأهميتها الخاصة في العالم الكاثوليكي :

« بإمكانك أن تؤدي لي خدمة كبيرة . منذ مدة وأنا أرغب في إعطاء قداسة البابا والكردينال رامبولا المعلومات الصحيحة عن الحركة الصهيونية التي قد لا يكونا يعرفانها المعرفة الصحيحة وقد يحكمان عليها حكماً غير ودي . وإني واثق أنهما سوف يمنحان تأييدها للقضية إذا توافرت لهما المعلومات المفصلة . وأكون شاكراً لك إذا تفضلت وسألت كليهما إذا كانا يستقبلانني حينما أذهب إلى رومه » . (ص ١٠٩٦) .

في ١٣ – ٥ – ١٩٠١ وصل هرتزل إسطنبول – وكانت ثاني زياراته لها ، منذ أن زارها لأول مرة مع نيولنسكي ١٨٩٨ . وقد جرت المقابلة مع السلطان بعد أيام قليلة ، في ١٨ – ٥ – ١٩٠١ . وهذا ما كتبه هرتزل عما جرى خلال تلك المقابلة :

« قلت له ، بواسطة إبراهيم ، إني أكرّس نفسي لخدمته لأنه يحسن إلى اليهود . واليهود في العالم كله مدينون له بذلك . وإني ، بشكل خاص ، مستعد لتأدية أية خدمة له ، وخاصة الخدمات الكبيرة (يوجد كثيرون لأداء الخدمات الصغيرة) . وأكدت له أني لا أنوي نشر أي شيء عن إجتماعنا الحاضر . بإمكانه أن يتحدث إليّ بثقة مطلقة . فشكرني ، وقال « إني دائماً صديق لليهود . والواقع أني لا أعتمد إلا على المسلمين واليهود . لا أثق الثقة نفسها برعاياي الآخرين . »

فرثيت المظالم التي نعانيها في العالم ، وقال إنه حافظ دائماً على إبقاء إمبراطوريته مفتوحة أمام اللاجئين اليهود كملجأ لهم .

قلت « عندما أبلغني الأستاذ فامبري بأن جلالته سيتفضل باستقبالي أخذت أُفكر بقصة اندروكليس والأسد القديمة الجميلة . فجلالتكم هو الأسد ، ولعلني أنا اندروكليس ، وربما كانت هناك شوكة يجب سحبها ... الشوكة هي الدين العام . إذا أمكن إزالتها تمكنت تركيه من استعادة نشاطها وحيويتها . »

فتنهد ، وابتسم وهو يتنهد ، وترجمه إبراهيم : منذ أن بدأ عهد جلالته المجيد وجلالته يسعى عبثاً لإزالة هذه الشوكة التي غُرزت في عهد أسلافه العظام والتي يبدو أن من المستحيل الخلاص منها . ولا أحسن من أن أسهم أنا في المساعدة إن أمكن .

قلت « حسناً ، إذن . أظن أني أستطيع الإسهام . لكن الضرورة الأولى هي السرية المطلقة . »

رفع السيد عينيه إلى السماء ، ووضع يده على صدره ، وأخذ يتمتم « إنه سر ... إنه سر . »

قلت إن إلحاحي هو لأن الدول التي تريد إضعاف تركيه سوف تسعى جهدها لمنع إستعادتها نشاطها . ولذلك ستسلك كل سبيل لمنع هذه العملية . وقلت إني أُريد تنفيذ العملية بواسطة أصدقائي في كل دور البورصة في أوروبه ، شرط موافقة جلالته . غير أنه لما يحين الوقت يجب أن تأخذ الموافقة شكلاً خاصاً في مصادقة اليهود ، ويجب إعلانها في شكل مناسب .

ترجم إبراهيم كلمات سيده بوجه حبور : لجلالته جوهري يهودي . قد يقول له شيئاً مناسباً لليهود ويأمره بأن ينشره في الصحف . ولجلالته أيضاً حاخام أكبر لليهود ، حاخام باشي . قد يقول له أيضاً شيئاً مماثلاً . فاعترضت على ذلك . تذكرت أن الدكتور ماركس أخبرني مرة أن حاخام باشي بصق

مرة لدى ذكر إسمي . فقلت : « كلا ، لن يخدم ذلك مقاصدنا . لن تذاع على العالم بشكل يخدمنا . سأسمح لنفسي فيما بعد بأن أُشير على جلالته اللحظة التي نستطيع فيها الإفادة منها . أُريد أن أُعبىء مشاعر اليهود الإيجابية للعمل في سبيل الإمبراطورية التركية . لذلك يجب أن يكون للإعلان صفة الأمر . أما الكلام مع حاخام باشي فيبقى في تركيه لوحدها فقط ... كل ما تحتاجه هذه البلاد الجميلة هو المهارة الصناعية لشعبنا . يغتني الأوروبيون الذين يأتون عادة إلى هنا بسرعة ثم يخرجون بسرعة بغنائمهم . للوسيط حق الربح الأمين ، بالطبع ، لكن عليه أن يبقى بعد ذاك في البلاد حيث جمع ثروته » .

هز السيد برأسه موافقاً وقال لإبراهيم ما أعاده عليّ ، فرحاً : « لا يزال يوجد في بلادنا ثروات غير مستثمَرة . اليوم فقط تلقى جلالته برقية من بغداد باكتشاف حقول نفط فيها أغنى من حقول نفط القوقاز . » وإذا كنت سأبقى هنا مدة كافية فإن جلالته يود أن أُلقي نظرة على المناطق التي تمتد فيها سكة حديد الأناضول ، فالأرض على جانبي السكة مثل جنة . وهناك أيضاً حديد خام ، ومناجم ذهب وفضة . كان الذهب ، في عهد أسلاف جلالته العظام ، يستخرج ويسبك في سبائك ويصاغ في عملة ، وبهذه الطريقة كانوا يدفعون للجنود رواتبهم .

والواقع أني لاحظت أن السيد ، حينما كان يتفوه بكلماته الأخيرة ، كان يقيس في الهواء إلى مسافة معينة بكلتي يديه . والظاهر أنه قصد بها أحجام قضبان الذهب الصغيرة .

ثم حصل شيء مفاجىء . طلب مني السيد ، بواسطة إبراهيم ، أن أُوصي له مالياً ما يقدر أن ينشىء موارد جديدة للبلاد : مثلاً ، ضرائب غير باهظة جداً ، من نوع ضرائب الكبريت . هذا البرهان على ثقته فيَّ أرضى غروري . لكني قلت إن الأمر ينطوي على مسؤولية كبيرة علي ، لأني ، لمهمة من هذا النوع ، لا أستطيع أن أذكر إلا من أثق كل الثقة بكفاءاته وأخلاقه . لكني

قلت إني أُفضّل أن أنظر في المسألة وأن أعلم جلالة السلطان بمجرد أن أعثر على الرجل المناسب . وبالمناسبة ، فكّرت بأن الرجل يجب أن يدرس الوضع الإقتصادي في السر فقط ويقدم نتائجه إليّ ، وعلى أساس هذه المعلومات أستطيع أن أصوغ برنامجي للإصلاح الإقتصادي . لكن السيد كان له رأي آخر : إنه يفضل أن يُعطى الرجل مركزاً رسمياً لأن ذلك يثير إنتباهاً أقل . يجب إلحاقه بوزارة المال ، كمدير عام ، ويقدّم لك التقارير الدورية . فاعترفت بسلامة هذه الفكرة ، وسألت كيف سأرسل رسائلي إلى جلالته — هل أحتاج إلى علامة أو ختم خاص لذلك ؟

قال جلالته ، بواسطة إبراهيم ، إن ختمي يكفي . إن الرسائل التي تحمل ختمي سوف تُسلّم رأساً إلى جلالته بواسطة تحسين بك .

ثم إنتقل السيد إلى مشروع تصفية الدين العام المعلق. وقد شرح لي المشروع : تألفت التصفية من عقد دين جديد بدل القديم ، مما يوفّر مليوناً ونصف المليون جنيه ، لمواجهة عجز السنة الماضية .

« ماذا ؟ هذه الكمية فقط ؟ » وأبديت دهشة حزينة . وكذلك فعل السيد . ورجوته أن أعلم كل شيء عن مشروع التصفية لأحكم ما إذا كان يجب المضي به . فقد تكون التصفية جيدة وقد لا تكون . عليّ أولاً أن أعرف تفاصيل الخطة . فأمر جلالته بتلبية طلبي. سيعهد إلى أحدهم بإعطائي المعلومات اللازمة.

واستأنفنا الحديث ، من موضوع إلى آخر . وقد أثرت إهتمامه . وعرضت عليه برنامجاً للمستقبل ، بخطوطه العريضة ، حول كل ما يمكن فعله في هذه المدينة الرائعة وفي الإمبراطورية. وحتى أحصل لهما على أوسمة ذكرت رفيقي ولفسون ومرمورك اللذين يمكن الإفادة منهما : يمكن إنشاء مصادر جديدة للدخل ، كاحتكار للقوى الكهربائية مثلاً . فأخبرني جلالته ، بواسطة إبراهيم، انه يوجد في القصر مولّد كهربائي وأن جلالته مسرور من النور الكهربائي فهو أفضل من الأنواع الأخرى من النور .

ثم تحدث عن إمكانات تحسينات أُخرى في المدينة : مثلاً جسر جديد لاسطنبول مرتفع لدرجة تمر تحته أكبر السفن إلى ميناء القرن الذهبي (وهي فكرة مرمورك) . إلا أن جلالته رجاني أن أصرف النظر عن هذه المشـــاريع حالياً وأن أُشغل نفسي أولاً بإزالة الدين العام .

وكنت قد إستنفذت قواي . لا بد أن المحادثة إمتدت أكثر من ساعتين . لقد حكت الخيوط كما شئت . وتأكدت أنه يود أن يسمع تفاصيل أُخرى مني . لذلك جعلت الحديث يسترخي . والسيد أيضاً لم يعد يجد شيئاً يتحدث عنه . وبعد لحظة صمت وقف . وأعطاني يده . وردد : إنه سر ... سر ...

بعد ذاك طلبت تصريحاً لصالح اليهود أُعيّن موعده فيما بعد (وكنت أُفكّر بالمؤتمر) . وأخيراً ، طلبت عرضاً مفصلاً للوضع الإقتصادي ولمشروع التصفية . فوعدني بذلك كله . » (ص ١١١٣) .

وقد وضع هرتزل التقييم التالي للمقابلة في ٢١ ـ ٥ ـ ١٩٠١ ، بعد ان غـــادر تركيه :

« بالطبع لا وشاحه الأحمر ولا ماسته الصفراء أثّرت فيَّ أي أثر . فإن أُموراً كهذه تتركني بلا عواطف ، كما تفعل لأي رجل عاقل . قيمتها ، بالنسبة إليّ ، سياسية فقط ، وهي قيمة أزينها بهدوء ، بدون أن أُبالغ أو أُخفف من أهميتها . وأعتقد أن بالإمكان الإستفادة من هذه الأشياء لصالح الحركة . فإنها ستقوّينا ، وتوسع سلطاننا ، ثم إن هذه السلطات ستتيح لنا القيام بالمزيد من التقدم .

إنطباعي عن السلطان انه رجل ضعيف وجبان ولكنه طيب القلب . لا أعتبره داهية ولا صارماً ، بل سجيناً تعيساً ترتكب بطانة طمّاعة رديئة سيئة السمعة باسمه أقبح رجس .

لو لم تكن الحركة الصهيونية بعهدتي لكنت ذهبت وكتبت مقالاً حررت

به السجين المسكين . إن عبد الحميد الثاني إسم جماعي لمجموعة من أحط الحبائث تمكنت من حرمان بلادٍ من أمنها وسعادتها . لم أكن أتصوّر أنه من المعقول وجود مثل هذه العصابة من اللصوص . ولعل عار الإرتشاء ، الذي يبدأُ على بوابة القصر ولا ينتهي إلا على بعد قدم واحد فقط من العرش ، ليس أسوأ ما في الأمر . فكل شيء تجارة . وكل موظف لص . هذا هو ، على الأقل ، ما سمعته من كل النواحي . وما رأيته يثبث أن ما سمعته ليس بهتاناً . أستطيع فقط أن أُقارن هذه العصابة من الأفاكين إلى سرب افاعٍ سامة . الأفعى الأضعف والأمرض والأقل خطراً هو الذي يلبس التاج الصغير . لكن لهذا الجيش من الأفاعي شكلاً غريباً يبدو وكأن رأسه المتوّج هو الذي يلدغ ويسمم . إن أوباش قصر يلدز هم بالفعل عصابة اللصوص . إنهم يتفرقون عادة بعد إرتكاب آثامهم . وإذ أنهم كثيرون ، هو وحده المسؤول ، هو ، السيد ، الذي باسمه تقترف الأفعال . وباسمه تُعلّق جميع الفظائع التي لا يمكن أن يوحي بها إلا المجرم العريق المتوحش الجالس على العرش ، بينما الحقيقة في أن المجرمين يحيطون بالعرش . » (ص ١١٢٧) .

وكان هرتزل في ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٠١ قد كتب دراسة تتضمن مشاريعه واقتراحاته قدمها إلى إبراهيم بك ليسلمها إلى السلطان :

« كان السيد العظيم متحمساً جداً لسماع عروضي ، خاصة لأن ألمانيه في هذه الأيام أسوأ منها في أي وقت مضى في عهده المجيد . كما أن السلطان ردّد عدة مرات ما قلته عن الشوكة في قدم الأسد . لذلك ، لماذا لا أعرض آرائي أمامه هو ، ابراهيم . ذلك كأني عرضتها مباشرة على جلالته المعظمة ، لأنه [أي إبراهيم] سوف يكتبها ويرسلها إلى السلطان . لذلك بدأت أتكلم ، وبدأ إبراهيم يسجل ملاحظاته .

قدمت عرضاً مناسباً لدماغ جلالة الخليفة الضعيف . وقد قسمت هيكل البحث إلى قسمين شرحتهما لإبراهيم المسكين بوضوح وجعلته يسجلهما كما يلي:

١ ـ الجانب السلبي : أ. مشروع عزت للتصفية غير عملي وحتى محاولة تنفيذه مؤذية . ب . لا أنصح في الوقت الحاضر بأي قرض ، والسبب الرئيسي لذلك هو أن تركيه في وضعها الحاضر لا تستطيع أن تحصل على مال إلا بربا باهظ جداً .

٢ ـ الجانب الإيجابي : أ. شراء الدين في البورصة يجب أن يتم بسرية تامة بواسطة وكالة موثوق بها وهو عمل في أحسن الظروف يستغرق ثلاث سنوات. ب. يجب إتخاذ الخطوات لمجابهة عجز المليون ونصف المليون جنيه قبل أول تشرين الأول. ج. خلال هذه الفترة يجب درس إمكانات موارد أخرى جديدة للدخل والشروع بها .

٣ ـ عرض عام : نحن اليهود نحتاج إلى حامٍ في العالم ، ونريد من هذا الحامي (الأسد آنف الذكر) أن يحكم بمطلق قوته . » (ص١١٢٩).

وقد تناقش هرتزل بعد ذاك مع إبراهيم بك ، وعزت بك ، ممثلي السلطان ، في مضمون مذكرته :

«تحدثنا عن المداخيل المالية التي يجب إنشاؤها . إن جلالته يعرض علي استثمار احتكارات خمسة : المناجم ، حقول النفط ، وغيرهما . يعني أن علينا تأمين المال لهذا الهدف . فنظرت إليه نظرة ودية : يمكن القيام بذلك تماماً . عند ذاك أذاع عزت السر : « إننا نحتاج حوالي أربعة ملايين جنيه في المستقبل القريب . فقد أوصينا على بعض السفن الحربية، وغيرها ... هل بإمكانكم تأمين المبلغ لنا ؟ »

« أعتقد أن ذلك ممكن . عليّ أن أستشير أصدقائي. كل شيء يتوقف على موقف جلالة الأمبراطور من اليهود » .

سأل عزت « ماذا ترتأي لتأمين قرض وتغطيته ؟ »

لم أشأ أن أفصح عن الميثاق ، بل أردت أن يتجهوا هم نحوه ، فقلت إني

سأرسل رأيي في مدى ثلاثة إلى أربعة أسابيع ، بعد أن أكون قد استشرت أصدقائي .

عند هذه النقطة دخل إسماعيل حقي بك ، ترجمان تحسين الأمين ، وبإسلوب غير ودي (مقصود، بسبب وجود إبراهيم والعدو اللدود عزت) سألني ماذا قصدت بلفظة « رسالة » في رسالتي .

رفع عزت أذنيه ، ولمحته يغمز بعينه لإبراهيم . ظنا أن في الأمر نقوداً . ولم أفهم ماذا كان يجري . هل يريد أن يفضح محاولتي رشوته ؟ أو أنه يطلب مالاً ببساطة ؟ بما أني لم أُدرك الوضع المحلي تماماً ، لكني كنت أُدرك أني في حضرة العدو ، قلت بمنتهى البرودة إنها شيء طلب الأستاذ فامبري مني أن أكتبه له وسوف أكتبه له قبل أن أغادر .

فخرج إسماعيل حقي غاضباً . أما نحن فاستأنفنا حديثنا الذي وصل ذروة غير متوقعة . إن جلالته يسألني ، بواسطة عزت وإبراهيم ، عن جنسية أولئك اليهود الذين يريدون أن يقوموا بأعمال مع ، أو بداخل ، تركيه بشكل أو بآخر ؟ قال عزت بلهجته الفرنسية البدائية : بإمكان الإسرائيليين أن يأتوا ، لكن عليهم أن يوافقوا على أن يصبحوا رعايا عثمانيين . فمثلاً إذا استعدتم سندات الدين العام فإن المسهمين يجب أن يصبحوا رعايا جلالته. الشيء نفسه ينطبق على الذين يأتون كمستعمرين . ليس فقط عليهم أن يصبحوا رعايا أتراكاً ، بل أيضاً أن يتخلوا عن ولاءاتهم السابقة وأن يصدقوا رسمياً من قبل الحكومات المعنية على تخليهم . وقال إبراهيم : وعليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية إذا دعاهم جلالته إلى الجندية . وقال عزت بصداقة الضبع : تحت هذه الشروط قد نسمح بدخول الإسرائيليين من كل بلد .

قلت لنفسي أنه لما يناسب السيد عزت وشركاه أن نأتي بفقرائنا وأغنيائنا لينهبوهم . لكن اللحظة غير مناسبة لإثارة اعتراضات لدى الذين سنشتري الميثاق منهم ، في وقت لاحق ، قسماً بعد آخر . ولذلك تظاهرت بسروري

بفكرة الخضوع لصولجان عبد الحميد العظيم الموثوق منه ، وقلت إني مستعد أن أدخل في التفاصيل .

— « أمر آخر : يجب ألا يجري الإستعمار في جماعات كبيرة . بدلاً من ذلك لنقل خمس عائلات هنا وخمس عائلات هناك، موزعين بدون اتصال ».

قلت لنفسي : « حتى تنهبوهم وتذبحوهم بسهولة أكثر » . ورسمت على وجهي إمارات الرضى والود . وقلت لهم : « مع أنه ليس لدي أي إعتراض على هذا التشتيت ، هناك صعوبات فنية وإقتصادية تعمل ضده . في العام الماضي تفضل جلالة السلطان بمنح اليهود اللاجئين من رومانيه أرضاً في أناضوليه. وبكل اعتراف بجميل جلالته على هذا الكرم كنت ضد المستعمرات المبعثرة ، لأن الأساس الإقتصادي كان ينقصها . ويجب عدم تشجيع هذه الهجرة العفوية . إذ لا فائدة منها . غير أن ما يمكن فعله هو إنشاء شركة أراض ضخمة تمنح المناطق غير المستقلة ثم تتمكن من إسكان الناس فيها . وبالتأكيد يوجد في فلسطين أراض كافية تصلح لاستخدامها لهذا الغرض . وإذامنحت شركة الأراضي هذه ، التي ستكون بلا شك شركة عثمانية ، إمتيازاً مناسباً فإنها سوف تُصلح الأرض وتُسكنها الناس وتدفع الضرائب . وعلى حساب مدخول هذه الشركة العتيد يمكن إقتراض المال مقدماً . سوف يكون لكم مصدر دخل فيها .

في هذا الشكل المسالم عرضت « الميثاق » على ممثلي السلطان لأول مرة ، واكتفيت باستماعهما لمقترحاتي كلها . وفي المستقبل سنجد الوقت للتعمق في المسألة في المفاوضات المقبلة ، وسوف يؤدي الذهب دوره في إزاحة كل شكوك عزت وأمثاله .

إختفى عزت في الظاهر لإبلاغ صاحب الجلالة بكل ما قلت . وبعد فترة عاد ومعه تحية وداعية من جلالته ، الذي يتوقع عروضي الحاسمة في خلال شهر . وهكذا دخلنا بالفعل في المفاوضات من أجل الميثاق . وكل ما احتاجه

الآن لتحقيق كل شيء هو الحظ والقدرة والمال . وإني في هذه المرحلة أعطي منح الميثاق صفته الحسنة علينا لإيقاظ مشاعرنا تجاه الأمبراطورية التركية . ثم نرى ، بعد ذلك ، ماذا سيحصل. هذه هي أحداث اليوم العشرين من أيار ١٩٠١ . حتى الآن لم نحصل على شيء محسوس في هذه النتائج ، ومع هذا إني أنظر إليها كنواة للعمل كله . » (ص ١١٣٣) .

عاد هرتزل إلى فينّه من اسطنبول متفائلاً . وازداد تفاؤله بعد أن إتصل بفـــامبري :

« يعتقد أننا سوف نحصل على « الميثاق » هذه السنة . ينوي أن يذهب إلى القسطنطينية ثانية في أيلول . لذلك يريد مني أن أعدّ له مسودة للميثاق ليقدمها للسلطان ليوقع عليها بدون علم أي وزير أو سكرتير . فوعدته بثلاث مئة ألف جيلدر وتقريظ في تاريخ العالم ، مقابل ذلك . وأبدى تقبّله للإثنين معاً . وطلبت منه ايضاً الحصول على الدرجة الثانية من وسام لكل من ولفسون وأوسكار مرمورك . ثم ان عليه أن يكتب إلى تحسين باني صديقه وإلى السلطان بأني أنتقل حالياً من قصر إلى آخر لأزيل الشكوك التي قد يكون ظهوري في القسطنطينية بخصوص فلسطين قد أثارها ، وبأني أيضاً سوف أُقدم للسلطان مساعدتي الصحافية بعد أن أُرتب له أُموره المالية . » (ص ١١٤٤) .

ثم ذهب هرتزل إلى دوق بادن الكبير يبشره بنجاح رحلته في تركيه ، في ٢٨ ــ ٥ ــ ١٩٠١ ، ويباحثه في عدد من الأمور السياسية :

« عليه ، وعلى القيصر أيضاً ، ألا يتجرأا على إظهار تأييدهما لقضيتنا ، كشعور نحو اليهود الألمان ، لأن الناس قد يفسرون ذلك بأنهما يريدان التخلص من اليهود في بلادهما . ومطلوب الحذر أيضاً خوفاً من اللاساميين ، لأنهم قد يدعمون الحركة بشكل آخر : ليخرج اليهود . فإن اللاسامية حركة خطرة وبغيضة يجب مقاومتها في كل مكان .

[قلت لنفسي] : حسناً ، لكن ذلك لا يخدم مقاصدي . وقلت له :

« إني أُوافقك في الإعتقاد بأن الحكومة الألمانية لا تستطيع حالياً تبني الحركة الصهيونية بطريقة ملموسة ، ولكن لأسباب أُخرى . سيكون من الممكن ، حينما يحين الأوان ، أن نجعل اليهود الألمان يفهمون أن عليهم وبإمكانهم أن يدعموا قضيتنا ، كوطنيين ألمان ، حتى وإن لم يهاجروا . فإن في آسية الصغرى مصالح ألمانيه لا بد أن تخدمها الهجرة . واليهود في العالم كله هم عنصر من عناصر الحضارة الألمانية ، وقد دل على ذلك اللغة التي استعملناها في مؤتمراتنا . ثم إني أرى سبباً آخر لتحفظ الحكومة الألمانية : ظهور ألمانيه كقيم على الحركة الصهيونية قد يثير أقصى درجات الحسد والشك عند الدول الأخرى . وقد فهمت هذه الحقيقة جيداً لدرجة أني لم أُصدم عند عدم تحقيق الوعد بالحماية في ١٨٩٨ ، مع أن ذلك كان ضربة قاسية ، فإن الكثيرين ممن كانوا قد انضموا إلينا خرجوا عنا بعد أن عجز الإحتفال المرتب في القدس عن أن يؤدي إلى أية نتيجة . » ...

بعد ذلك عرضت تلخيصاً غير مسؤول لما فعلت في القسطنطينية . وقلت أني لم أتعدّ الخطوات المبدئية . والمفاوضات ، بشكل عام ، لا تزال بمرحلة النواة ، ولذلك أخشى عليها كثيراً . وهمي الأكبر هو من روسيه التي قد تتدخل.

قال الدوق الكبير : « إن روسيه مشغولة . إن متاعب الشرق الأقصى أضخم مما كنا نظن . فلروسيه هناك مناطق لا يسهل الدفاع عنها وذات تعقيدات أخطرها هو أن وحدة اللغة والإيمان العام لا يمكن تطبيقه هناك . ولروسيه متاعب أُخرى في البلقان ... وعلى أي حال ، لا مصالح لروسيه في فلسطين تضاهي مصالحها المهمة الأخرى ، باستثناء المصالح الدينية ولكن بالتأكيد ستحرصون على عدم التعرض لهذه المصالح ؟ »

قلت : « طبعاً . ستبقى القدس بعيدة عن الصفقات التجارية » .

قال الدوق الكبير : « بالمناسبة ، إن الوضع الحاضر هناك عيب على الطوائف المسيحية . لكن يوجد احترام للأتراك ، وإلا حصلت فوضى عظيمة . وعلى أي حال ، إن أي توسع لنفوذ الكنيسة الأرثوذكسية لن يكون ممكناً ولا مقبولاً .

لكن ماذا تطلب من روسيه ؟ »

— « لا شيء سوى أن أمثل أمام القيصر » .

قال الدوق الكبير : « إن لذلك الشاب ، بالرغم من كل مقدراته ، نفسية متحفظة منطوية على ذاتها . وبالتأكيد لا يمكن حمله على اتخاذ قرار . عليك أن تتجه نحو أشخاص آخرين في حلقته : الدوق قنسطنطين الكبير ، الذي عينه القيصر مؤخراً مفتشاً للتدريب العسكري ، أو الوزير وت ، أو لامسدورف ، أو وزير المعارف الجديد . ويبدو ان الدوق قنسطنطين الكبير له أهميته ، وهو ينطلق من الإفتراض بأن النفسية في جيش ما هي أهم من العدد . وهو ما تمتعنا به في ١٨٧٠ . النفسية هي التي خاضت لنا معاركنا ، مع أن عدونا كان أكثر منا عشر مرات . وقد كانت زوجة الدوق ، وهي أميرة ألمانية ، في بادن مؤخراً ، وهي التي أطلعتني على هذه الأمور . ويدلك على أي نوع من النساء هي إذا أخبرتك أنها بقيت ألمانية وإنجيلية في روسية . وبواسطتها أستطيع أن أثير إهتمام الدوق الكبير بقضيتكم وبكم وأن أجعله يستقبلك » .

— « ربما أمكن إجراء ذلك بواسطة الدانمرك أيضاً . »

— « بواسطة أُم الأمبراطور الألماني ؟ لا أظن . سيصعب الوصول إلى القيصر [الروسي] على أي حال » .

— « لا أطلب منه سوى ساعة من الحديث معه ، كرمز لعطفه علينا . ومن جهتي يستطيع أن يسمح لي بأن أخبره عن المسرح في باريس . إني أحتاج هذه المحادثة حتى لا يخاف السلطان ، في جبنه ، من أن يثير روسيه عليه إذا تعامل معنا . لا أُريد مساعدة من روسيه . على العكس لو فعلنا ذلك لوقعنا في مأزق . ولا أُريد قراراً من القيصر . بل أني أود لو أنه ، بعد أن يستمع إلي ، يمل مني ويصرف النظر عن الموضوع لأنه ممل . كل قصدي من ذلك هـــو ان اطمئن السلطان » .

— « السلطان اقوى مما يعتقد . بامكانك ، ويجب عليك ، ان تلفت نظره

إلى ذلك ، ما دمت قد أصبحت تحمل الوسام المجيدي ... لقد أثار الوسام ضجة . إنه أرفع أوسمته . العمل بحد ذاته أعطى أناساً كثيرين وقوداً لأفكارهم».

ثم تحدثنا عن مواضيع أُخرى كثيرة غير مهمة جداً . لكني أعتقد أنه أعجبته الفكرة بأني لا أطلب مساعدة ملزمة من روسيه ، وعرض أن يكتب إلى الدوق قنسطنطين الكبير ويقترح عليه استقبالي . ووعدني بجواب عاجل لأني أخبرته أني لا أريد أن أقدم إلى السلطان أي عرض قبل أن أتأكد من حياد روسيه . لكنه اعتبر مجرد قبول السلطان بأن أُقدم له عروضي نجاحاً كبيراً . » (ص ١١٤٦ — ١١٤٨) .

وتوجه هرتزل في الشهر التالي ، حزيران (يونيو) ١٩٠١ ، نحو إنجلتره . وكانت زيارة ناجحة مع أن ملكها لم يستقبله كما كان يأمل .

« المجتمع الراقي ! المجتمع فضولي عني . إني مادة اهتمام وموضوع حديث على الطعام . يأتي الناس للتعرف على الدكتور هرتزل .

كنت أمس في بيت السير فرانسس مع عدد من سيدات المجتمع ورجاله. كان بين الحضور الأميرة لوينستاين والليدي جان تايلور ، وجلبرت فاركهار ، اللورد والممثل . سوف أستعمل الأميرة لوينستاين للوصول إلى الملك . فإنهم كلهم دعوني . وكانت الليدي جان بين حضور المؤتمر الأخير وقالت أن بناتها حسدنها على تناول الطعام معي . فقط يهود « الطبقة العليا » لم يسمعوا بذلك.

يوم السبت أرسلت هكلر إلى مطران ربون ، صديق الملك ، لتدبير موعد مع الملك . والمطران براملي مور أيضاً اعتقد أن ذلك سوف يعزز مكانتي . سوف أطلب من الملك أن يخبر يهوده الكبار أن بإمكانهم مساعدتي دون التعرض لوطنيتهم الإنجليزية . وبهذه المناسبة أخبرني هكلر أن براملي مور ، بعد زيارتي الأولى له ، ذهب معه إلى الكنيسة الأرفنجية القريبة ، حيث لبس لباسه الكهنوتي وقال : فلنصلِّ لله ونسأله ماذا يطلب منا . وقد بكى هكلر ، الطيب ، وهو يخبرني بذلك ، وأنا أيضاً تأثرت جداً . إن هذه القلوب المسيحية البسيطة أحسن

بكثير من كهنتنا اليهود الذين يفكرون برسوم الزواج من أغنياء اليهود. » (ص ١١٦٠ – ١١٦١).

شجعه هذا النجاح على أن يكتب إلى السلطان من لندن في ١٧–٦–١٩٠١ مـــا يلي :

« اتباعاً للخط الذي رأى جلالتكم من المناسب اقتّراحه عليّ ، اعتقدت ان من الواجب الحصول على مليون ونصف المليون جنيه تركي حالاً لتأخذ محل مهمة تصفية الدين ، وهي المهمة الصعبة إن لم نقل المستحيلة . والتدبير الذي عملته وأصدقائي هو حسبما يلي : يمكن جمع المليون ونصف المليون جنيه تركي بإنشاء مصدر جديد للدخل حالاً . لكنه يجب أن يكون من نوع يجعل اليهود يدركون المشاعر الكريمة جداً التي يكنها صاحب الجلالة تجاههم في قلبه الحنون . بهذه الطريقة سوف نعدّ الطريق للإجراءات العتيدة .

من أجل هذه الغاية اصدقائي مستعدون لتأسيس شركة مشتّركة الأسهم يبلغ رأسمالها خمسة ملايين جنيه تركي هدفها تنمية الزراعة والصناعة والتجارة — وباختصار ، الحياة الإقتصادية في آسيه الصغرى وفلسطين وسوريه . ومقابل الإمتيازات الضرورية التي تمنحها جلالتكم ، سوف تدفع الشركة اشتّراكاً سنوياً بستين ألف جنيه تركي لحكومة جلالتكم ؛ وعلى أساس هذا الإشتّراك ، المضمون برأسمال الشركة ، يمكن الشروع بقرض يستهلك في واحدة وثمانين سنة . لن يكلف هذا القرض شيئاً ، لأن الشركة ستمتص الفائدة والإستهلاك ، وهي التي ستأخذ السندات ثم تستبدلها . وما على الحكومة إلا أن تسحب مليوناً ونصف المليون جنيه تركي . ومفهوم ، بالطبع ، أن الشركة ستسجل في تركيه وأن المهاجرين اليهود الذين سوف تستقدمهم سيصبحون رأساً رعايا أتراكاً خاضعين للخدمة العسكرية تحت راية جلالتكم المجيدة .

سيتاح الوقت ، بهذا المليون ونصف المليون جنيه ، لدرس الموارد الأخرى للدخل ولاستثمارها . وقد تفضلتم جلالتكم بذكر الكبريت . أن بين أصدقائي من يقدر أن يتولى المشروع . وبينهم من يستعد ببذل كل جهد لتقديم أفضل

الشروط لجلالتكم ، لتستعمل مداخيل الكبريت كأساس لقرض آخر ، بدون إرهاق دافع الضريبة كثيراً . الاسلوب نفسه يستعمل في استغلال مصادر النفط والمناجم والقوى الكهربائية .

سوف توضع عروض هذه المشاريع الأخرى بالتفصيل وتقدّر حالما تأمرون جلالتكم . أما مسألة الكبريت فيمكن الإتفاق عليها الآن ، بينما المسائل الأخرى تحتاج إلى مزيد من الدرس . وأسمح لنفسي أن أُضيف إلى ذلك أن خدماتي ، الخالية من اية مصلحة ، في هذه المشاريع ، هي تحت تصرف جلالتكم ، حتى وإن كنتم لا تعتقدون أن من المناسب البدء ، الآن وهنا ، في مشروع الشركة العثمانية ـ اليهودية الكبيرة في آسيه الصغرى . وفوق كل شيء عليّ أن أبرهن لجلالتكم أنني خادم غيور ومخلص . لا أسأل في عملي لجلالتكم ، إلا شرف وسعادة ثقة جلالتكم فيّ ، لأني مقتنع أنه في وقت غير بعيد ستدركون أنه من مصلحة الأمبراطورية العثمانية أن تجتذبوا الموارد الاقتصادية اليهودية لحماية شعبنا المسكين. ثم إنه لمن مصلحة اليهود أن يجدوا تركيه دولة قوية ومزدهرة . إنها فكرة حياتي . . .

سيكون لمشروع الشركة العثمانية ـ اليهودية ، ولإعطاء الإشارة للشعب اليهودي بأسره ، فائدة أخرى : وهي أن دافعي الضرائب ، بشراً وممتلكات ، سيزدادون في كل المناطق التي ستعمل الشركة فيها . وستدفع الشركة المزيد من الضرائب بنمو عملها وسيتدفق رأس المال اليهودي من كل زاوية ليوطد نفسه هناك وليبقى في الأمبراطورية . وفي الوقت نفسه سيسير هذا العمل الهادىء الذي سُمي « سحب شوكة الأسد » ، بدون معرفة أُولئك الذين يريدون خراب الأمبراطورية .

تبقى كلمة واحدة . إذا شئتم جلالتكم أن يدبّر المليون ونصف المليون جنيه قبل تشرين الأول فإن الوقت يمر بسرعة . ويجب ألا ننسى أن رجال المال والأعمال يطلبون اتفاقات محدودة ليدفعوا المبالغ اللازمة . يجب أن نتوقع

ثلاثة أشهر قبل تسلم المبالغ كلها . فإذا ارتأت حكمة جلالتكم العظيمة الدخول في هذه المفاوضات لتسلم المليون ونصف المليون جنيه قبل شهر تشرين الأول ، يجب تحديد الإمتيازات للشركة الكبيرة في أوائـــل تموز . وإني لآتي إلى القسطنطينية بدون تأخير إذا أمرتم بذلك .

لست أعلم إذا كان يحق لي أن أذكر موضوعاً أخيراً ، وأنا أذكره بتردد ، راغباً في عدم إزعاج جلالتكم بأي طريقة كانت . جاء أحدهم ليخبرني أنه يوجد كاتب في باريس ، اسمه أحمد رضا ، عُرف بهجماته على الحكومة الأمبراطورية . وقد علمت بوجود سبيل لتوقف هذه الحملات . وقد أخذت علماً بهذا الأمر ، دون أن أُلزم نفسي بأي شكل ، لأن ليس من عملي أن أخوض أمورا كهذه ، أنا الحريص على خدمة جلالتكم المعظمة في كل فرصة . لن أفعل شيئاً بدون أمر . بل إني لن أرى الرجل بدون تفويض . لكن إذا ارتأت جلالتكم سأقوم بالأمر . وطبيعي أني لن أطلب ، مقابل إيقاف هذه الحملات ، تعويضاً إلا كلمة ثناء من جلالتكم وهي عندي أعظم تعويض.» (ص ١١٦٢) .

وقد تعمد هرتزل أن يكتب إلى السلطان من لندن نفسها :

« بالطبع لم أتوقع أن أُعطي مالاً على أساس أقوالي الغامضة . لقد ذهبت إلى باريس ولندن ليعلم السلطان أني كنت في باريس ولندن . وكل ما كتبته له من لندن كان بإمكاني أن أقوله في القسطنطينية . » (ص ١١٦٦) .

وقد حرص هرتزل ، وهو في إنجلتره ، أن يجتمع بسيسل رودس ، كبير إستعماريي بريطانيه في أواخر القرن التاسع عشر ، على الصعيدين النظري والعملي ، وخاصة في القارة الإفريقية . كتب هرتزل في ٢٨ ـ ٧ ـ ١٩٠١ :

« حينما كنت في لندن مهدت السبيل لمقابلة سيسل رودس الذي قد يتمكن من تزويدي بالمال الذي احتاج إليه . يستطيع رجاله في جنوب أفريقيه شراء سندات الدين التركي ، ثم أقول للسلطان : هكذا تتحررون من الدين مقابل

تسليم فلسطين ، وأقول لليهود : هذه فلسطين مقابل س . و ج . — س . هو المبلغ الذي تكلّفه جنوبيو أفريقيه لشراء السندات ، وج . هو الربح المتفق عليه .

بتعليمات مني طلب جو كون من السيد ستيد أن يسعى إلى موعد لي مع رودس . واليوم أرسل جو لي جواب ستيد وفيه : أخبرته أن هرتزل سيأتي لمقابلته في أي يوم يناسبه ، وأنه يريد التحدث إلى مؤسس الدول الوحيد في عصرنا . قال رودس : « إذا أراد نصيحة مني عندي له كلمة واحدة : ليضع في جيبه نقوداً . كما عبر رودس عن رأيه بوجوب تسليم تركيه الأسيوية إلى المانيه ، ما دامت انجلتره لا تستيطع حكم العالم باسره وتحتاج الى منطقة بينها وبين روسيه . ويقال ان رودس معجب بالقيصر الالماني . لذلك ابرقت الى كون : أخبره عن علاقاتي الجيدة مع وليم . » (ص ١١٦٩) .

وبما أن رسالة هرتزل إلى السلطان ، الحافلة بالوعود والإغراءات ، في ١٧ — ٦ — ١٩٠١ لم تؤد إلى شيء حاسم ، قرر هرتزل بعد أسابيع أن يلجأ إلى التهديد . فكتب إلى فامبري ، في ٧ — ٨ — ١٩٠١ ، بأن يذهب إلى السلطان (يسميه في الرسالة كوهين ، حفظاً للسرية وهرباً من الرقابة) ويقول له ما يلي :

« إنهم يسيئون النصح إليك يا كوهين . سيكون لهجومك على الدين النتائج نفسها التي كانت لهجومك على البريد . سوف تنزل من عليائك وتخرج من المعركة اغنى بالإهانة وأفقر قوة ورصيداً . كل ما تعجز عن تحقيقه بهذه الطريقة المخطئة كان بإمكانك أن تحققه لو أنك أرسلت وراء الرجل الذي أرسلته لك في أيار الماضي . كان بإمكان ذلك الرجل ، الذي لم يطلب لنفسه شيئاً ، عكس الآخرين الذين يعرضون عليك خدماتهم ، أن يمثل مصالحك المالية والصحافية . لقد كان إرسالي لك مثل هذا المساعد الأمين إحدى أكبر خدماتي لك في حياتي الطويلة والمخلصة . لكنك ما ذا فعلت ؟ بدأ الزميل في العمل لك ، وقام برحلاته وأوجد جواً مناسباً لك في كل العالم ، وشرع في تنظيم حملة مساعدة لك ، وقدم لك تقريراً . لكنك لم ترد عليه بجواب . ومن الطبيعي أن ينزعج الزميل وأن يتألم . وهو يشكو لي تعريفه لنفسه بدون حاجة . ولا يريد أن يصبح

أضحوكة الناس . وسوف تكون النتيجة أنك لن تحصل عليه إذا احتجت إليه جداً . لقد عرض عليك مساعدتك في خلال ثلاثة أشهر ، دون أن تخاطر بشيء لكنك أضعت الوقت وخسرت استعداداً لن يتوافر ثانية بهذا الشكل ، وبعد ثلاثة أشهر ستواجه الصعوبات نفسها التي تواجهها اليوم ، إن لم يكن أكثر » .
(ص ١١٧١) .

وبالطبع وعد هرتزل فامبري بمبلغ كبير من المال إن فعل ذلك :

« إسمح لي أن أُذكّرك بأننا سنضع ثلاث مئة ألف جيلدر تحت تصرفك حينما تحصل لنا على الميثاق الذي نحتاج إليه من أجل تدبير فلسطين .» (ص١١٧٣).

وكان ذلك الوعد كفيلاً بتشجيع فامبري على العمل :

« لقد أثّر الوعد بتأليف لجنة في فامبري . كتب لي احدى أغرب الرسائل . يريد أن يخلع عزت ويحل محله — أو يخلع عبد الحميد ! » (ص ١١٧٣) .

وأمطر هرتزل فامبري ، مستغلاً حماسه ، بعدة رسائل تتضمن مشاريعه المالية وتفاصيلها ليعرضها على السلطان وحاشيته — وهي تعبّر عن تفكير هرتزل في ذلك الوقت :

« قصدت « بكل الإمتيازات الضرورية » الميثاق ، بلا شك ، دون أن أخوض في التفاصيل في هذه الخطوة الأولى . وإنك ستلاحظ أني أعالج المسألة كلها ، كخطوة أولية فقط . فإن مليوناً ونصف المليون من الجنيهات التركية لن تحل مشاكل كوهين ، وأنا في وضع يمكنّي من تحصيل مال أكثر له في المستقبل بعد أن يقدم البرهان الأول على نواياه الجيدة .

لكن كيف تنفّذ الخطة ؟ عليه أولاً أن يمنح الصندوق الإستعماري اليهودي الميثاق لتأسيس الشركة العثمانية اليهودية لآسيه الصغرى وفلسطين وسوريه . وليعطي الصندوق الإستعماري اليهودي المسألة كلها صفة حالية سليمة ، يمكنه أن يودع ضمانة مليون فرنك ، مثلاً ، حالما ننال الميثاق .

إذا وافق كوهين على ذلك بدأت أعيد تنظيم الحالة العامة لكوهين في الوقت الذي تتأسس فيه شركة الخمسة ملايين . وسوف أقوم بإعادة التنظيم هذه في مدى ثلاث سنوات . بإمكانك أن تبلغه ذلك ، وأن تبلّغه أيضاً أنه لن يجد في المستقبل رجلاً يقوم بهذا العمل له في ظروف كهذه . إني أؤمن تماماً أنك تقوم بأعظم خدمة في حياتك ، بينما تحمّل شعبنا ديناً أبدياً في الوقت نفسه . فأنت ترى أنه غير صحيح بأنه في أي محل يكون الربح لجانب واحد فقط . فإن هذا العمل خلاص للطرفين معاً . » (ص ١١٧٤) .

« إنها لحقيقة أنه ليس عند كوهين بعد فجلة لرمضان . سيحتاج إلى مئتي ألف جنيه . إني أعرف ذلك من قبل . وفي اللحظة الأخيرة سيركضون إلى المرابين من جديد . أستطيع أن أؤمن المال له ، لكن يجب البدء في الأمر من قبل . لذلك أعتقد أن عليك أن تخبره ما يلي بلغة الأرقام العربية الشرقية : يستطيع صديقي يا كوهين أن يأتي لك بالأموال التي تحتاجها من أجل رمضان بدون مرابين ولا مضاربين . ثم إنه ، بعد ذلك ، يستطيع أن يتعهد ديونك التي حان وقتها حسب خطة معينة ، وسوف يعمل لتصحيح أوضاعك المالية في مدى ثلاثة أعوام بمساعدة أصحابه . الشرط الوحيد هو أن تستدعيه قبل منتصف أيلول . فهو يحتاج إلى بعض الوقت لتدبير الأمور . » (ص ١١٧٧) .

نصح فامبري هرتزل أن يكتب إلى إبراهيم بك . فكتب له الرسالة التالية في ١٠ ــ ٩ ــ ١٩٠١ :

« أخبار بلادكم لا تطمئن أصدقاءكم . ومع هذا كانت هناك طرق لإنقاذكم من هذه المتاعب المالية ذات الآثار السياسية . لا أريد أن أشدد على الخدمات التي أستطيع أن أؤديها ، في هذا المجال ، لجلالة السلطان . فقط ليعلم السلطان أني أشكر له عواطفه الرقيقة التي تفضل فعبر عنها تجاهي وتجاه اليهود عموماً . وكلما احتاج جلالته خدماتي المتفانية لا عليه إلا أن يستدعيني . وقد حدثت الكثيرين من أصدقائي في دول متعددة ، منذ أن غادرت القسطنطينية.

ولا أبالغ إذا أبديت إستعدادي لتصحيح الأوضاع . وإني لأذهل عند قراءة التضحيات التي تضطر الحكومة الإمبراطورية إلى تقديمها مقابل كميات غير ذات قيمة : تمديد الإمتيازات الباهظة ، والقبول بشروط المرابين ، الخ ... إن ذلك غير معقول بقدر ما هو عقيم .

وقد علمت أن هناك متطلبات أخرى من أجل رمضان . أكون مسروراً إذا سمح لي بهذه المناسبة أن أبرهن على إخلاصي لصاحب الجلالة بتقديم خدمات حقيقية . » (ص ١١٧٨) .

وبعد أسبوعين كتب إلى السلطان مباشرة :

« سيدي ، إن أياماً قاتمة تتجه نحو الإمبراطورية العثمانية . وقد سمعت بعض الحقائق المزعجة . لا يهيئون إئتلافاً رسمياً ولكن نوعاً من الإتفاق على عدم التدخل . وفي لحظة متفق عليها تهاجم إحدى الدول . ولن تجدوا ، يا صاحب الجلالة ، المساعدة من حيث تتوقعون. غير أن المساعدة إنما هي من مصدر أروع . ومهما كان تأزم الاحداث حتى الآن، هناك طريقة لحلها . أعرف طريقة لإثارة النزاع بين القوى التي لا بد أن يكون تحالفها خطراً كبيراً . هناك رجل يمكن إستخدامه لمصلحة جلالتكم ، ولأبدد أي شك أسرع فأقول إن العمل لن يكلف شيئاً ولن يثير شكاً . لكن المسألة من الحساسية بحيث لن أبوح بها إلا لجلالتكم ، شفهياً ، وبالسر .

النتيجة الأولى لهذه الخطة هي كسب الوقت . وعندها يمكن إنشاء مصادر للدخل جديدة ، فتتقوى مقاومة الحكومة الإمبراطورية .

وإن كنت أتجرأ على قول هذا فلأني أعتقد أن وجود رجل مخلص لكم ليس عبثاً ، خاصة إذا كان لا يطلب شيئاً ولايتوقع لنفسه شيئاً . وأسمح لنفسي بشرح الدوافع وراء عملي : إن عظمة الإمبراطورية العثمانية وقوتها هما الأمل الوحيد للشعب اليهودي ، وإني آمل الحصول على عطف الخليفة العظيم كيهودي مخلص ولمصلحة إخوتي وليس لمصلحتي الخاصة .

إذا أحببتم ، يا صاحب الجلالة ، أن تستمعوا إلي فيسهل عليّ أن أذهب إلى القسطنطينية لعدة أيام » . (ص ١١٨٠) :

ذكر هرتزل (ص ١١٨١) أن الرجل الذي قصده هو جوتهايل، مستشرق جامعي أميركي ، وكان كبير الصهيونيين في الولايات المتحدة آنذاك . ولما لم يجب السلطان كتب هرتزل إليه ثانية ، في ١ - ١١ - ١٩٠١ ، يعرض خدماته من جديد :

« سيدي ، لي الشرف أن أذكّر جلالتكم برسالتي في الثالث والعشرين من أيلول التي تنبأت فيها بالأحداث المؤسفة التي حصلت مؤخراً تنبؤاً دقيقاً صحيحاً . وقد كان بالإمكان تجنب هذه الكوارث لو أن جلالتكم تفضلتم بمنحي شرف تقديم نصائحي المخلصة . وهناك كوارث أخرى على الطريق . وعلاجها إنما هو في تصحيح الوضع المالي . » (ص ١١٨٤) .

خشي هرتزل ، بعد أن استعمل هذا الأسلوب « التأنيبي » ، أن يثير غضب السلطان عليه . ففكر باتباع أسلوب جديد ، وكان موعد إنعقاد المؤتمر الصهيوني السنوي ، الخامس ، قد اقترب . قرّر ، في ٢٠ - ١٢ - ١٩٠١ ، أن يبدل سياسته :

« علينا الآن أن نتفادى ، مسبقاً ، الضربة المعاكسة من القسطنطينية . عليّ أن أطالب ببعض الإمتيازات من السلطان حتى إذا حصل الأسوأ رفض منحي إياها . وبالنسبة إلى طبعه لا أظن أنه يرفض الموافقة إذا استلم رسالة ودية . » (ص ١١٨٧) .

فكتب إلى السلطان الرسالة التالية :

« لي الشرف بأن أذكّر جلالتكم بي . وما دمت قد حصلت على شرف مثولي أمامكم أسمح لنفسي بالإشارة إلى أنه قد تكون لكم فائدة ، إقتصادية وسياسية ، في إعلام يهود العالم بالمشاعر الكريمة التي يحملها قلبكم الأبوي

للشعب اليهودي المضطهد . وقد حانت الآن فرصة لذلك . سيجتمع المؤتمر السنوي الصهيوني في أواخر هذا الشهر في بازل ... سأترأسه ... وآمل أن أغتنم الفرصة وأتكلم باختصار عن لطف عهدكم المجيد . إن السياسة الألمانية مستعدة لمساعدتنا في هذا الأمر . فإنها ستحصل ، إلى جانب شكرنا ، على حق للمستقبل وعلى إزاحة نفوذ خطر لدولة قد تصبح متوسعة . وعلى أساس الإختبارات السابقة أستطيع أن أقول إني مخلص وكتوم ولا أخيب أمل من يضع ثقته فيّ . وإن إيماني الراسخ القديم هو أننا سنصل إلى هدفنا ، بإذن الله ، بمساعدة الدولة الإنجيلية الناهضة . » (ص ١١٨٧) .

وأرسل معها رسالة أخرى إلى إبراهيم بك يقترح إرسال هدية إلى السلطان :

« أحب أن أقدم إلى جلالته هدية صغيرة ، مفاجأة أرجو أن يسرّ لها ، إذ أعتقد أنها لم تصل تركيه بعد . إنها آلة كاتبة بأحرف تركية . وقد أوصيت عليها من أميركه . إن أستاذاً للغات الشرقية في جامعة نيويورك يشرف على صناعة الأحرف بدقة . وصناعتها أمر معقد . وقد عملوا عليها منذ وقت طويل ... وسوف تختبر أول آلة كاتبة شرقية لأول مرة في أوروبه عند صاحب السعادة محمود نديم بك . » (ص ١١٨٨) .

وبعد أيام كان هرتزل ، قبيل بدء جلسات المؤتمر الخامس في بازل ، يبرق إلى إبراهيم بك بتحية السلطان قائلاً :

« في لحظة إفتتاح المؤتمر القومي الذي يجمع اليوم بين ممثلي الشعب اليهودي من الدول كلها ، في بازل ، أرجو من سعادتكم أن ترفعوا إلى أعتاب جلالته إعترافنا بالوفاء العميق والشكر الجزيل اللذين يشعر اليهود كلهم بهما تجاه العطف الذي يكنّه جلالة السلطان نحوهم » . (ص ١١٨٩) .

نعود الآن قليلاً إلى الوراء ، لنتتبع إتصالات هرتزل ، في النصف الثاني من ١٩٠١ ، مع القوى الأوروبية الأخرى ، على هامش ، ووراء ظهر ، إتصالاته مع السلطان العثماني . وكان في ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٠١ قد فشل في الحصول

على دعوة من قيصر روسيه ــ بل إن الذي قام بالمحاولة ، الدوق قنسطنطين الكبير ، « لقي تأنيباً من القيصر » على محاولته ، كما قال هرتزل (ص ١٠٦٧) . ومع هذا ظل القيصر واحداً من الرجال الذين استمر هرتزل يعتمد عليهم ــ فقد كتب في ٢٣ ــ ٩ ــ ١٩٠١ :

« أبطال لعبة الشطرنج عندي هم الآن سيسل رودس (الذي سألقاه بعد عودته من إسكتلنده) وروزفلت ، الرئيس الجديد (بواسطة جوتهايل) وملك إنجلتره (بواسطة مطران ربون) والقيصر [الروسي] (بواسطة الجنرال فون هس) . » (ص ١١٧٩)

أما حجر الشطرنج الرئيسي فكان ، بالطبع ، دوق بادن الكبير . كتب له في ٨ ــ ١١ ــ ١٩٠١ :

« ما لم أكن مخطئاً ، تدخل مسألة الشرق الأدنى حالياً مرحلتها الأخيرة . إلا أن تحوّل الأحداث إنما هو ضد المصالح الألمانية . مع هذا فإن الحكومة الألمانية لن تقرّر إتخاذ موقف قوي ، بسهولة ، خوفاً من حصول حريق عالمي . لكن السؤال هو ما إذا كانت ألمانيه (متسترةً ودون إلزام نفسها بشكل ظاهر) تريد أن تمنع إنعاش مطلب فرنسه الراقد حالياً بحماية سوريه وفلسطين بكل ما يؤدي إليه ذلك من نتائج إقتصادية وسياسية .

إن الحركة الصهيونية قائمة ، ويمكن إستخدامها لهذا الغرض . حينما أبعدت منذ وقت طويل بعد بداية أثارت فيَّ الآمال ، أدركت الأمر ولم أُحرّك ساكناً . كانت ضربة قاسية علينا لأن رجال المال الذين تحتاج حركتنا لهم إنسحبوا لأنهم لم يروا نتائج ملموسة في الأفق . فإن تعهداتهم كانت ولا تزال تتوقف على تحقيق بعض المشاريع مثل الحماية الألمانية .

نجحت بعد ذلك في المثول أمام السلطان . إلا أنه جبان ومتذبذب . يحتاج إلى المشورة وإلى الدفع . يجب أن يقول له أحدهم : « أعطِ الصهيونيين ما

يحتاجون إليه وهم يؤمنون لك المال الذي به تتخلص من الفرنسيين . » (ص ١١٨٥) .

لكن في اليوم التالي حصلت تبدلات سياسية جعلته يخفف من ثقته بألمانيه .

« تبدلت الصورة في المشرق تبدلاً عظيماً منذ الأمس لدرجة أني لن أُرسل الرسالة التي كتبتها للدوق الكبير . لقد أُرضيت فرنسه على طول الخط وأخذت تنسحب ، حسبما وعدت به الدول الأخرى من قبل . وبالتالي لا ألمانيه ولا إنجلتره ستعمل شيئاً من أجلنا . وهكذا فإن أي تدخل هو أمر لا لزوم له .

لكني رجل أحلام . ما دام أي عمل من جانب فرنسه لصالحنا بفضل إنعكاساته يجب علينا في المستقبل أن نعمل على تعزيز الأماني الفرنسية في سوريه وفلسطين . » (ص ١١٨٧) .

في ٥ — ٢ — ١٩٠٢ تلقى هرتزل دعوة من إبراهيم بك لزيارة السلطنة العثمانية « لتفسير بعض الأمور في المشاريع المقدمة » (ص ١٢٠٧) . فلبى هرتزل الدعوة وسافر في ١٢ — ٢ — ١٩٠٢ ووصل إسطنبول بعد ثلاثة أيام — وكانت زيارته الرابعة لها . وقد بدأ الزيارة بإجراء مقابلتين مع إبراهيم بك ومع عزت بك يصفهما كما يلي :

« سألني عن أهداف المؤتمر الصهيوني . فشرحت له اليهودية القومية الصرف للصهيونيين التي تقاوم إمتصاص الشعوب الأخرى بمثل ما يدعو إليه أخصامنا من اليهود .

قال إبراهيم إن تقريراً مشوهاً قد وصل وجاء فيه أني أعلنت أن السلطان سمح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين لتأسيس مملكة يهودية . وقال إن السفارة أنكرت ذلك .

لم أكن قد علمت بالإنكار أبداً . وأعطيته النص الحرفي لخطابي . لم أقل إلا ما خوّلني السلطان في أيار أن أقوله ، بل إني لم أقل ذلك إلا بعد أن كتبت

الى السلطان أعلمه بذلك .

فابتسم إبراهيم كعادته . « إننا نعلم أن الدكتور هرتزل لا يمكن أن يفعل شيئاً من هذا . وإلاّ لما كان السلطان دعاك واستضافك . »

ثم تكلمنا في أُمور كثيرة ، ومن بينها هداياي . أمر إبراهيم بإحضارها . شرحت عمل « السخّانة » الذي بدا عليه الإهتمام بها بشكل خاص . أمـــا الفاكهة فلم تحتج لشرح . وقد أعجبه أن الفاكهة من أفخم محل للمأكولات في فيّنه . » (ص ١٢١٧) .

« بدأ عزت الكلام بخشونة : « ماذا كان هدف زيارتك في أيار الماضي ؟»

— « لكني أخبرتك السبب في حينه : تقديم العون لتركيه إذا كانت هي تقدم العون لنا . إننا ، نحن اليهود ، نحتاج إلى تركيه قوية ، كما قلت في مذكراتي المتعددة إلى جلالته . »

— « نعم ، مفهوم أنكم ستقدمون مساعدات مادية ومعنوية ، بفضل نفوذ شعبكم الواسع في عالمي الصحافة والمال . لكن لم يتحقق شيء من هذا . كل ما فعلته هو بعض التصريحات في لندن وبازل . »

— « كان ذلك ضرورياً لخلق جو مناسب في الرأي العام اليهودي العالمي تجاه صاحب الجلالة . وأعتقد أني نجحت في ذلك . »

قال عزت « إن جلالة السلطان مستعد أن يفتح إمبراطوريته أمام اللاجئين اليهود من جميع الدول بشرط أن يتعهدوا بأن يصبحوا رعايا عثمانيين بكل ما يفرضه ذلك عليهم من واجبات ، من حيث القانون والخدمة العسكرية ... عليهم ، قبل أن يدخلوا بلادنا ، أن يتخلوا عن جنسياتهم السابقة ويصبحوا رعايا عثمانيين . بهذه الطريقة يستطيعون سكنى أية مقاطعة في البلاد عدا فلسطين بادىء الأمر ... مقابل ذلك يريدكم جلالة السلطان أن تؤلفوا وكالة لتصفية الدين العام وللقيام باستثمار مناجم معادن الإمبراطورية كلها ، المكتشفة

منها والتي ستكتشف فيما بعد ... المعادن كلها ، مناجم الذهب والفضة والفحم وآبار النفط . وإذ نعلم أن من مصلحتكم أن تكون تركيه قوية. لا نخاف أن تستغلّونا ولذلك فنحن على استعداد لأن نعهد إليكم باستثمار المعادن . إلا أنها ستكون شركة عثمانية يتألف مجلسها الإداري من اليهود والمسلمين . »

وطلب مني أن أضع أجوبتي في مذكرة أسلمها غداً . فأعطيته علبة السعوط التي أعجبته كثيراً . وقال إنه مجنون بعلب السعوط . وقبل أن يخرج أسرّ شيئاً لإبراهيم . وقد أخبرني إبراهيم فيما بعد بذلك : إنه سيرسل إليّ وكيله المؤتمن ليراني في الفندق لنتحدث عن « مصالحه الخاصة » .

قلت « إني موافق . أستطيع أن أعمل الكثير لتركيه . أكثر مما يظن الناس . لكن يجب أن أحصل على شيء ملموس لليهود . » (ص ١٢١٨) .

وبناء على طلب الرجلين ، قدم هرتزل المذكرة التالية بواسطتهما إلى السلطـــان :

« تنقسم مراسلات صاحب السعادة عزت بك إلى قسمين مختلفين ، قسم صناعي وقسم سياسي مالي .

القسم الصناعي ، إنكم يا صاحب الجلالة تعرضون عليّ مهمة تأسيس الشركة العثمانية لاستثمار جميع المناجم ، المكتشفة والتي لم تكتشف بعد ، في إمبراطوريتكم . إني أقبل هذه المهمة مبدئياً ، لأنها تتيح لي فرصة خدمة جلالتكم بإخلاص . أما التفاصيل فيتفق عليها لاحقاً .

القسم السياسي المالي ، إنكم يا صاحب الجلالة ، بكرمكم المعروف على يهود الإمبراطورية ، مستعدون لمد حمايتكم الأبوية لتشمل جميع اليهود المضطهدين في العالم بأسره ولقبولهم كرعايا أتراك ، بشرط ألاّ يسكنوا بجماعات كبيرة في مكان معين مسبقاً . ومقابل ذلك تودون ياصاحب الجلالة أن تروا وكالة يهودية تقوم لتصفية الدين .

يبدو أنه من الصعب تحقيق غرضكم وهو بشكله الحالي . فإن تنفيذه يحتاج

إلى الكثير من الدعاية ، لكن هذه الدعاية ستؤذي المشروع إذا كان فيه قيود تحدّ من ترحيبكم الكريم . ثم إن هناك ملاحظات عملية أخرى . ليس المستعمرون الفقراء هم الذين سيؤمّنون رأس المال للعمليات المالية الكبيرة . لذلك يجب العثور على حلقة بين الإستعمار اليهودي وتنفيذ تصفية الدين . وبرأيي أن هذه الحلقة يمكن إيجادها فقط في إمتياز عام لتأسيس شركة عثمانية يهودية كبرى للإستعمار . » (ص ١٢٢٠) .

ونتيجة لهذه المذكرة أجرى هرتزل مع إبراهيم بك المحادثات التالية :

« عبّر إبراهيم عن نفسه كصهيوني متحمس وأعان أنه يؤيد إقامة حلف هجومي ودفاعي بين الأتراك واليهود . إستنتجت من هذا الكلام ، ما دام إبراهيم صدى لأفكار سيده ، أن الريح تبدلت لصالحنا . وأبلغني إبراهيم أني إتهمت عند السلطان أكثر من مرة بأني خطر وأن خطابي في المؤتمر نُقل إليه بشكل مشوه . إلا أن السلطان ، بحكمته السامية ، فهم المؤامرات واكتفى بأن أوعز إلى سفرائه بأن ينكروا أنه أعطاني وعداً . » (ص ١٢٢١) .

« قرأ جوابي وطلب إيضاحاً حول الشركة العثمانية — اليهودية للإستعمار . هل سيكون لها الخيار بين أماكن متعددة للإسكان ، أي هل ستكون قادرة على شراء الأراضي في أي مكان وتجمع اليهود فيه ؟

قلت « نعم . لا بد من ذلك . فإننا بالحقيقة لا نهتم بالحماية الفردية التي نتمتع بها في كل الدول المتمدنة الآن ، وإنما نبغي الحماية القومية . »

سأل أصحاب السعادة ماذا أعني بذلك . فشرحت لهم أننا نريد إشارة كبيرة علنية لصالحنا ، كدعوة للهجرة بدون قيد .

آنذاك أخذ عزت رسالتي إلى السلطان . وبينما نحن ننتظر أخذ إبراهيم وغالب يهذيان بالأحوال السعيدة التي ستحصل حينما يجيء اليهود . وأخذا يحلمان ، بصوت عال ، بتحسن الزراعة والصناعة ، وبالبنوك التي لن تخدم

المصالح الأجنبية .

لكن عزت عاد بقرار السلطان غير المشجع . إن السلطان مستعد أن يفتح الإمبراطورية لكل اليهود الذين يصبحون رعايا أتراكاً ، أما المناطق التي سيسكنون فيها فإن الحكومة هي التي تعيّنها ، كل مرة على حدة ، وستستثني فلسطين منها . كذلك سيسمح للشركة العثمانية – اليهودية للإستعمار باستعمار ما بين النهرين وسوريه والأناضول وأي مكان باستثناء فلسطين . وثيقة بدون فلسطين . رفضت للحال .

قال إبراهيم « إن الغرضين مختلفان جداً . » وقال عزت « ماذا تتوقع ؟ هكذا الحياة . تكونون في البدء بعيدين عن بعضكم بعضاً ألف ميل ، ثم في النهاية تصلون إلى تفاهم . »

قلت « أخشى ألا يكون الأمر كذلك . سأنام على الموضوع وأُفكّر فيه إلى الغد . لكني أخشى أنني لن أجد حلاً . »

قال عزت بورع « إنشاء الله تجد حلاً . »

قلت « مع الأسف يبدو أن ذلك غير محتمل . وإذا لم أجد الحل غداً سأطلب إذن صاحب الجلالة بالسفر . »

فهموا هذه العبارة ، للحال ، إنها تهديد بقطع المفاوضات .

وهمست في أُذن إبراهيم بفكرة عقد إتفاقية مزدوجة ، علنية تحمي السلطان من المعارضة وسرية لي ولأصدقائي . قال إبراهيم إنه يجب إبلاغ عزت بذلك رأساً . ففعلت . وقال عزت : « مستحيل . لن يقبل الوزراء . قد تقنع بعضهم . لكنك لن تقنع البعض الآخر ، مهما دفعت . » (ص ١٢٢٢) .

وبناء على إشارة السياسيين التركيين كتب هرتزل رسالة توضيحية أُخرى إلى السلطان :

« إذا سُمح لنا بالإستعمار بلا قيود أقنعت أصحابي بتأسيس بنك تركي عظيم يكون مقره في القسطنطينية وفروعه في كل المدن المهمة في الإمبراطورية. وسوف يُعهد لهذا البنك ، الذي سيقتصر أعضاء مجلس إدارته على المسلمين واليهود ، بتنظيم حسابات الدول العثمانية تنظيماً حديثاً . وهكذا نبرهن للجميع بأن مجيء اليهود هو في صالح الدولة ومن قبيل حسن طالعها .

إذا كنتم يا صاحب الجلالة لا تعتقدون أن من الضروري المضي في هذا الإقتراح أطلب من جلالتكم الإذن بالسفر صباح الغد . وأكون في غاية السعادة إذا تفضلتم اليوم باستقبالي ثانية لأعبر لكم عن شكري العميق لحفاوتكم بي . وإذا لم يكن وقتكم يسمح بذلك ، أرجو التفضل بقبول هديتين صغيرتين . إحداهما كتاب لي سيصلكم بعد غد – وهو مجموعة حكايات فلسفية والأخرى آلة كاتبة تركية وعربية صنعت في أميركه خصيصاً لجلالتكم . سوف تكون في القسطنطينية في مدى أسبوعين .

أرجو أن تذكروا دائماً أني خادمكم المطيع . سوف أحرص على مواصلة نشر مشاعر المحبة والإحترام في المنظمة اليهودية العظيمة التي أمثّلها تجاه شخص الخليفة المعظم ، الصديق العظيم الوحيد الذي لنا في هذه الأرض.» (ص ١٢٢٤) .

وفي ١٩ – ٢ – ١٩٠٢ حاول عزت المحاولة الأخيرة لإقناع هرتزل بقبول وجهة النظر الرسمية التركية :

« أعاد عليّ مقترحات السلطان ، ورفضتها رفضاً حاسماً. وقلت إني إما أقبل بالهجرة غير المقيدة أو لا أقبل بها إطلاقاً .

أرسل إليّ السلطان أنه لا يستطيع أن يأذن لنا بالهجرة غير المقيدة تحت إدارة شركة الأراضي حتى لو شاء ذلك . فإن ما يخشاه ليس فقط أنه لن يكسب تأييد أغلبية شعبه لكن الأقلية أيضاً . وأضاف عزت إلى هذا القول أنه من الخطأ

الإعتقاد أن الملك المطلق يستطيع أن يفعل ما يشاء .

ثم بدّل عزت في لهجته وقدم النصيحة التالية ، كصديق : « أُدخلوا هذه البلاد كرجال مال ، واكسبوا أصدقاء لكم ، ثم بعد ذلك تستطيعون أن تفعلوا ما تشاءون (وغمز بعينيه غمزة قوية ، كأنه يريد أن يقول : إننـا نعرف ماذا تريدون ، ونحن في صميم قلوبنا لا نمانع في ذلك ، ولا السلطان ولا رجال الأعمال الذين يريدون جني الأرباح من حوله . لكن علينا أن نكون حذرين) .

وأضاف : « خذ ماليتنا وتصبح زعيمنا . إبدأ بالمناجم . هناك المئات والآلاف من طلبات الإمتيازات التي لا تحظى حتى بجواب منا . أما أنتم فقد حظيتم باستثمار كل مناجم الإمبراطورية ، ومع هذا ترفضون ؟ بعد ذلك ، إنصرف إلى المصارف . وسوف تنال كل الإمتيازات اللازمة . يجري ذلك دون أن يشك البنك العثماني بشيء ، لأن رجاله سيغضبون وسيثورون عليكم . بعد ذلك كله سنرى ماذا يمكننا أن نفعله لطلبكم بالإستعمار . إذا أردت أن تأخذ نصيحتي القلبية فهذا ما يجب أن تعمله : سافر غداً ، تباحث مع أصدقائك ، أسس الوكالة المطلوبة ، وأودع مبلغاً من المال ، في بنك يحفظه تحت تصرفك ، كضمانة حينما يصدر فرمان الإمتياز . بعد ذاك نستطيع أن نعقد إتفاقية معك . مثلاً ، من أجل فرمان المناجم تودع لنا ضمانة بمليون فرنك ، الخ ... »

إعتبرت الفكرة رائعة ، لأنها تعطيني الفرصة لعرض النقود أمام الاعين الطامعة ، دون أن نصرف شيئاً . مع هذا قلت بتحفظ : « أرى أنك تتكلم كصديق ، وأنا أيضاً سأعمل جهدي لإقناع أصدقائي بقبول نصيحتك .

لكني أتوقع أن يقولوا : إنك تعرض علينا عملاً لم نطلبه ولا تأتي لنا بما نطلبه ، وهو الشركة الإستعمارية . مع هذا سأسعى لإرضاء جلالة السلطان ولكسب الأصدقاء له على كل المستويات . إني أُدرك جيداً ماذا تحاول أن تقول : على المرء أن يثير الإهتمامات إذا أراد أن ينجح . لهذا الغرض أستحسن إصدار

ثلاثة فرمانات : واحد للمناجم وآخر للبنك وثالث للشركة الإستعمارية . سيسهل ذلك علي إثارة إهتمامات أناسٍ مختلفين . ستستفيد جماعات من الفرمان الأول ، وجماعات من الثاني ، وجماعات من الثالث . وهناك أصدقاء سيستفيدون من الفرمانات الثلاثة (وألقيت عليه نظرة ذات مغزى) . هل تفهم مقصدي ؟ »

— « أفهمك . لا بأس . »

— « أخبرني إبراهيم بك أنك تنوي إرسال وكيل أعمالك إلي . لماذا ؟ ما دمنا صديقين لا حاجة لوجود شخص ثالث بيننا . لنفهم بعضنا بعضاً مباشرة »

ثم عاد الى مصالح سيده . « تحتاج الحكومة الى مليون جنيه الآن (قلت لنفسي : من اجل سكة حديد الحجاز) . هل بامكانك الحصول لنا عليها ؟ .

قلت بسرعة : « نعم ، اعطني استعمارا غير مقيد وسوف تحصل على المليون بوقت قصير . استطيع ان اعدك بذلك رأساً لان من اجله جئت . اما المشاريع الاخرى فاحتاج ان ابحثها مع اصدقائي اولاً .

— « ذلك غير ممكن حالياً » .

— « بينما نحن نتحدث خطر لي هذا الرأي : انا لا اوافق على هجرة مقيدة . لكن اذا كنتم لا تحددون عدد المهاجرين نحن نفعل ذلك . فان الشركة العثمانية — اليهودية تتحمل المسؤولية تجاه الحكومة بعدم السماح بادخال ما يزيد على عدد معين من المستعمرين . »

— « كم ؟ »

— « لم افكر بذلك كفاية . خطرت لي الفكرة الآن فقط . ما رأيك بها ؟ »

— « قد لا تكون فكرة سيئة . سنبحث بها فيما بعد . لكن اعمل اولاً في حل الامور المالية » .

على هذا الشكل ستبقى الامور حالياً . » (ص ١٢٢٥) .

وهكذا فشلت رحلته مرة أخرى . وقد أدرك فشله وسجله عدة مرات كما نرى في إستعراضه لنتائج الرحلة . كتب في مفكرته قبل مغادرة تركيه ما يلي :

« ظننت ، بل توقعت ، ان السلطان لن يسمح لي بالسفر . الا ان الامور سارت باتجاه مختلف . كل شيء يسير معه بشكل مختلف عما يتوقع . ولعلني احصل يوما ما على الميثاق في لحظة غير متوقعة ابدا ، اذا كنت ساحصل عليه . اي بشرط الا نحصل عليه الا بعد تقسيم الدول لتركيه . » (ص ١٢٢٩) .

« شرفني صاحبا السعادة إبراهيم بك وعزت بك بتبليغي المقترحات التالية من جلالة السلطان :

أولاً ، سوف يسمح جلالته بهجرة اليهود إلى أراضيه في آسيه الصغرى وما بين النهرين بشرط أن يحصل المهاجرون على إذن من حكوماتهم باتخاذ الجنسية العثمانية . وسيخضع المهاجرون للقوانين العثمانية ويشتركون في الخدمة العسكرية ويجب ألا تكون المهاجرة جماعية ، ولا الإقامة ، وإنما حسب قرارات الحكومة الأمبراطورية في المناطق التي تحددها لهم .

ثانياً ، مقابل ذلك يرغب جلالته في تكوين وكالة مالية يهودية لتقديم المساعدة لحكومة جلالته على الشكل التالي :

أ ــ تكوين شركة تعدين لاستثمار مناجم الأمبراطورية ، يتألف مجلسها الإداري من المواطنين العثمانيين المسلمين ومن اليهود العثمانيين بالتساوي .

ب ــ تسهيل عملية تصفية الدين العثماني العام بشروط معتدلة .

جـ ــ قرض الحكومة العثمانية المبالغ اللازمة لتنفيذ مشاريعها الإنشائية بشروط معتدلة .

بعد الإطلاع على هذه التبليغات السلطانية ، آسف أن أعلمكم أن الشروط

آنفة الذكر غير مناسبة لي . إلا أني أظل تحت تصرف جلالته إن شاء إجراء مفاوضات أُخرى » . (ص ١٢٢٩) .

وكتب إلى فامبري يلخص زيارة الأربعة أيام التي انتهت دون أن يحصل على إذن من السلطان باستقبالــه :

« أكتب إليك هذه الأسطر وأنا في قطار الشرق السريع في رحلة العودة . كما ترى لم أسمح لكوهين بإبقائي وتركته بعد إقامة أربعة أيام ، مع أنه اعتبرني ضيفه وجعلهم يعاملوني بمنتهى اللطف . لكني لم أره شخصياً ، وإنما تحدثت مع ممثليه . إلا أن كبيرهم ، صديقك ، لم يقترب مني ، بل إنه في الواقع لم يستقبلني مع أني أخبرته بوجودي عدة مرات .

إن كوهين يعرض القليل ويطلب الكثير . وأنا لست تاجراً شرقياً حتى أُبذر وقتي على مالا عد له من فناجين القهوة . لهذا فضلت أن أترك .

هناك أمر لمسته : يبدو أنهم غير متأكدين أني أستطيع أن أُودع ضمانة مالية من أجل توقيع اتفاقية ممكنة . سأُعالج ذلك : سأذهب إلى لندن في العاشر من آذار ، وفي الخامس عشر سأعمل على إرسال شهـــادة الضمانة إلى كوهين من بنكين أو ثلاثة بنوك . إنه يريد مساعدة مالية وأنا مستعد على تأمينها له . لكني « أعطيك حتى تعطيني » . (ص ١٢٣٤) .

لكن رفاق هرتزل في الحركة الصهيونية لم يجاروه في اتساع أطماعه ، بل إكتفوا بالعروض التي قدمها السلطان إليه بعد أن عاد إليهم وأخبرهم بما حصل

« قدمت لهم [كريمنزكي ، كوكش ، كاهن] تقريراً مختصراً . كان يرضيهم إستعمار آسيه الصغرى وما بين النهرين الذي عرضه السلطان . ولما فاجأتهم بخبر مئتي جنيه السلطان ضحكوا سروراً في باديء الأمر . لكن كوكش عاد فاعتبر هذا المبلغ تحت تصرف لجنة العمل التي أعطتني نفقات السفر. المسألة غير مهمة في جوهرها لأني لم أُفكر ثانية واحدة في الإحتفاظ بالهدية . لكن الذي

يثير الإنتباه هو الوصاية التي تحاول اللجنة فرضها علي . واتفقنا على عدم تقديم المبلغ إلى الأغراض الصهيونية ، بل إلى أعمال الخير التركية حسب ما خطر لي أول الأمر . وسأسأل فامبري ماذا يقترح : لعله يقترح سكة حديد الحجاز ؟» (ص ١٢٣٦) .

لذلك كتب إلى عزت بك هذه الرسالة :

« لقد فكرت ملياً بنصيحتك التي لم تقدمها كخادم غيور للسلطان فقط ولكن كصديق مخلص لليهود . وقررت العمل بها . لذلك ستودع ثلاثة ملايين فرنك للفرمانات الثلاثة التي تكلمنا عنها ، في عدة بنوك على حسابي ، تدفع للحكومة كضمانة بمجرد إعلان الفرمانات .

ربما كان ضرورياً أن نخطو على مراحل . ما عرضه صاحب الجلالة علي للإستعمار غير كاف ، لما فيه من قيود تعبر عن عدم ثقة تتعارض مع نياتنا السليمة التي لا تستحق عدم الثقة هذه . لكن لا بأس ، لنتعرف على بعضنا بعضاً ولنبدأ ، ولنأمل أن الثقة بنا ستنمو مع الخدمات التي صممنا على أدائها ، وسوف نصل بالتالي إلى اتفاق كامل . سوف يتم إيداع الثلاثة ملايين فرنك في مدة اسبوعين أو ثلاثة أسابيع . ستعلمك البنوك بذلك في الخامس عشر من أذار على أبعد حد . » (ص ١٢٢٨) .

وقد أحتوت الرسالة رسالة أخرى كتبها هرتزل إلى السلطان :

« إذا لم يكن برنامج إمتيازات الهجرة التي ستقدمونها يا صاحب الجلالة ، ولا برنامج خدماتنا المالية التي سنؤديها نحن ، يتحققان دفعة واحدة ، لعله تكون هناك طريقة للشروع في التنفيذ . وأعتقد أني وجدت حلاً بعد تفكير عميق . أنكم ، حسب تقرير صاحبي السعادة إبراهيم بك وعزت بك في قصر يلدز في الثامن والعشرين من شباط ، ترغبون في السماح لليهود بالهجرة إلى آسيه الصغرى وما بين النهرين ليس على أساس جماعي ولكن في جماعات

صغيرة . ويجب أن أقول بكل إخلاص اني لا أعتقد أن هذا الإمتياز (على عظمته) يكفي لخلق تلك الحركة العظيمة في العالم الإسرائيلي بأسره الضرورية لتأمين كل الحاجات المالية في الأمبراطورية . لكن بوسع المرء أن يحاول وأن يرقب النتائج . إلا أنه من الأجدر ، حتى لا نبالغ في التشديد على القيد الموجود في الأذن ، أن يضم الفرمان مادة تقول بأن اللجان التي أسستها في الدول المختلفة تمثل المهاجرين . بهذه الطريقة نتحاشى ضرورة إعلان تحديد الهجرة . ثم يمكن وضع نظام معين . تعين الحكومة السلطانية المناطق المتروكة له ، ثم تجري الهجرة بترتيب وحسب الأعداد التي تقررها الحكومة .

مقابل ذلك سأشكل الوكالات المالية حسب رغبات صاحب الجلالة لاستثمار المناجم أولاً ، ولتأسيس بنك للبلاد العثمانية ثانياً ، وحتى أدل على أن هذه المقترحات لا تفتقر إلى الأساس الجدي سأودع أموالي في عدة بنوك قبل الخامس عشر من أذار مع تعليمات بأن تدفع للحكومة التركية عندما آمرها بذلك . أنوي إيداع مليونين أو ثلاثة ملايين فرنك . وهي تشكل الضمانة للإتفاقيات . » (ص ١٢٣٩) .

وأخذ هرتزل يجدد نشاطه لجمع الأموال اللازمة من الرأسماليين اليهود . فقابل الرأسمالي اليهودي الكبير ريتلنجر في ٢٣ ــ ٢ ــ ١٩٠٢ :

« أريد أن أبقي ريتلنجر (الذي اغتنى وأخوته بفضل المناجم) في استعداد ، لعلنا نحتاج اليه إذا وجد مجلس الصندوق الإستعماري اليهودي وإدارته عروض السلطان بخصوص المعادن خارج حيز عملها ، أو إذا وجدا البخاشيش اللازمة (التي حسب ملاحظة عزت وإبراهيم يجب أن أقدرها بما بين مئة ألف ومئة وعشرين ألف جنيه) أكثر من اللزوم .

سريعاً ما اكتشفت أن ريتلنجر يعتبر المسألة باهظة ومغامرة وخطرة أكثر من المعقول . وأقترح أن يتسلمها بنكنا ، وقال إنه إذا عرف أننا نملك إمتيازات التعدين العام ارتفعت قيمة الأسهم . ووجدت الفكرة ممتازة ، إنما قد تجعل

الحكومة التركية تعتبر الصندوق الإستعماري اليهودي كطرف متعاقد وتسرقه . فإذا قبلنا أخذوا كل شيء منا . وإذا قاومنا إختلط الأمر وقام العداء بيننا ، بدل الصداقة مما قد يحطم الحركة كلها .

وقد شرحت لريتلنجر في ملاحظاتي التمهيدية أني أُريد إستلام نصف المبلغ لكي أستعمله للإسكان في ما بين النهرين . وأخبرته أني اخترته بالذات لأني أعرف أنه صهيوني جيد يسمح لفقراء اليهود بأن يربحوا من كسب كهذا وإلا لكنت جمعت المال بسهولة من أقارب زوجتي ، وكلهم تقريباً ضد الصهيونية . لكني وجدت أن المشروع لم يعجبه . » (ص ١٢٤١) .

وبعد يومين كتب الرسالة التالية إلى الصهيوني ألكس مرمورك يشرح له تفاصيل محادثاته مع المسؤولين الأتراك :

« تركت كوهين دون أن أتفق معه ، ولكن بعلاقة جيدة للتفاوض . استدعاني برقياً ، وعرض مقترحاته في يلدز (بواسطة ممثليه الرسميين) ، وتفاوضنا تفاوض الند للند كما يقولون ، ورفضت عروضه في مذكرة نهائية ، مع أني أضفت أني أظل تحت تصرفه لمفاوضات مقبلة .

وقد عرض الإستعمار في آسية الصغرى وما بين النهرين ، باستثناء فلسطين ، على أرض مجانية . وطلب تأسيس وكالة مالية تدير كل الأعمال التجارية والمالية له ، كالمصارف والقروض والمعادن وغيرها . لكني لم أجد بداً من الرفض ، لأني لا أستطيع الإتفاق إلا على أساس برنامجنا ، ما دامت لجنة العمل لا تعطيني صلاحية تعديل السياسة . إلا أني أُعلمت فيما بعد بصورة شبه رسمية ، أنه يجب أن أُودع ضمانة في البنوك للإمتيازات العتيدة . إذا رأوا ذلك قد تعود المفاوضات وتتحسن . لهذا دعونا الإدارة والمجلس إلى فينه للسابع عشر من أذار .

يعتقد زملائي المحليون أن رجال بنكنا لن يكونوا موافقين . يقول بارباش وشركاه بالعمل في روسيه وليس في تركيه . لكن علينا أن نشرع بالأمر على

أي حال ، لنوجد أرضاً صلبة تحت أقدامنا ، أولاً ، ولأني أعتقد أن تملك الإمتيازات قد يغير قيمة أسهم البنك من قيمة معنوية إلى حقيقة ، وربما إلى قيمة عظيمة جداً ، ثانياً . ولسوء الحظ لا يفهمني آل بارباش دائماً . » (ص ١٢٤٤) .

أما اهتمامه بالمال فيشرحه بما يلي في ١١ ــ ٣ ــ ١٩٠٢ :

« رأيي بما سيحصل هو كما يلي : سيستغل السلطان وحاشيته ، أول كل شيء ، سندات الضمانة لدى البنك العثماني والمؤسسات الأخرى وربما الحكومات أيضاً . سيفاخر بقوتي المالية . وسيساعده ذلك في بعض الحالات الأخرى أيضاً . سيخاف رجال المال ، الذين تعاملوا معه حتى الآن ، من منافستي ولذلك سيقدمون له المال . سيتراوح المبلغ ، في كل حالة ، بين مئة وخمسين إلى مئتي ألف جنيه. لكن الحيلة ستبلى مع الوقت ولن يخاف رجال المال من الدكتور هرتزل الحرافي هذا ، الذي لا يقدرونه تقديراً جيداً على أي حال ، كرجل أحلام وكمالي مدعوم بمساهمات كثيرة صغيرة . إلا أنني سأدعم أكثر فأكثر . وبعد أن أُدعى إلى القسطنطينية مرتين أو ثلاث مرات سأدّعي أني فقدت صبري وأقول اني لن أخطو خطوة أخرى ما لم أُعط الميثاق . ولعلي سأحصل عليه ، آنذاك ». (ص ١٢٤٩) .

وقد أوضح هرتزل موقف السلطان من مشروعه في خطابه أمام مجلس مديري الصندوق الإستعماري اليهودي في ١٧ ــ ٣ ــ ١٩٠٢ :

« لا أستطيع أن أخفي عنكم أني حققت نجاحاً شخصياً فقط ولم أُحقق نجاحاً مادياً . السلطان حالياً غير راضٍ عن إعطائنا امتيازات في فلسطين . بدل ذلك عرض عليّ منحي حق الإستعمار في ولاياته الأخرى في آسيه الصغرى ، وخاصة في ما بين النهرين ... ومع أني رفضت عروض السلطان أول الأمر ، اعتقد أنه يجب القبول بها . يشاركني في هذا الرأي أيضاً زملائي في لجنة الخمسة في المجلس : يجب أن نحصل على أرض صلبة تحت أقدامنا ويجب أن نحاول

إقامة علاقات دائمة مع الحكومة التركية . ومن المحتمل أن يكون للإمتيازات التي يعرضها السلطان عليّ بعض القيمة المالية – وربما قيمة كبيرة جداً .سنرى ذلك لما ندخل التفاصيل. ومع أن الإمتيازات أُعطيت لي شخصياً وليس للبنك ولا للحركة الصهيونية ، سأحيلها على المنظمة المالية ، أي إلى الصندوق الإستعماري اليهودي ، بأسرع وقت ممكن. ولذلك سأطلب أن تكون الفرمانات لي ولوكلائي . وفيما بعد يتولى البنك استلام الحقوق التي حصل عليها ، ونكون بذلك قد غنمنا موطىء قدم صلب في تركيه .

أيها السادة ، لا أستطيع أن أحثكم كفاية على قبول مقترحاتي . يبدو عليها للوهلة الأولى ، وكأنها انحراف عن هدفنا . لكننا في الواقع نقترب من هدفنا بهذه الطريقة ، مع أنها طريقة مداورة . إننا لم نؤسس الصندوق الإستعماري اليهودي لجني المال في مكان ما ، ليكون لدينا مصرف عادي لتحويل الأموال مع يهود روسيه وغيرهم . لكن البنك هو فقط أداة لحركتنا . أرجو أن ننجح في اقناعكم بصحة مقترحاتنا . وإلا سنضطر إلى أخذ التزامات وتنفيذها بواسطة رجال أعمال عاديين . ولن ينفع ذلك حركتنا لأكثر من سبب : لا حاجة لي أن أتكلم عن خشيتي من سوء تفسير الناس لجهودي... ثم إن رجال الإعمال العاديين يختلفون في الرأي مع الحكومة التركية مما يوقع حركتنا في مشاكل وصعوبات تنتج عن تلك الإختلافات . وأخيراً ، لا بد أن يطالب رجال الأعمال العاديون بحصة من الأرباح. هي النصف على الأقل . من المؤسف أن ندعهم يستولون على نصف الأرباح لذلك أناشدكم أيها السادة أن تؤمنوا الموارد لبنكنا وأن تقرروا أن يتولى الصندوق الإستعماري اليهودي أمر الإمتيازات التي سأحصل عليها . » .

وكتتمة إضافية للبلاغات التي قرئت في الجلسة المشتركة للمجلس والإدارة أُقدم إليكم المعلومات التالية : مع أن السلطان عرض الإمتيازات عليّ ، أفهمني بعض الوسطاء أن هناك بعض المصالح الخاصة التي

يجب مجابهتها . تبلغ الكمية مئة وعشرة آلاف جنيه . على الإدارة أن تؤمن هذا المبلغ ... لكني لن أتولى توزيع المبلغ بنفسي ، بل يجب تعيين وكلاء آخرين لهذا الغرض . » (ص ١٢٥١ – ١٢٥٧) .

ومع أنه في ١٤ – ٣ – ١٩٠٢ أدرك فشله التام مع السلطان وأن السلطان ضحك عليه ، كتب له مستعطياً في ١٨ – ٣ – ١٩٠٢ . وقد أدرك فشله في خبر قرأه في الجريدة :

« في عدد الأمس من الجريدة الحرة الجديدة خبران مهمان جداً لي :

الأول ، يوم أول أمس أقام السلطان مأدبة على شرف كونستان ثم استقبله في زيارة خاصة . « اللئيم مرةً لئيم دائماً » . كونستان نفسه الذي أثار له المشاكل في قضية ميتلين لحساب دين لوراندر – توبيني . [حادثة حصلت في العام ١٩٠١ : عجزت تركيه عن تسديد ديونها لفرنسيين هما لوراندو وتوبيني . فقطع كونستان ، وكان سفيراً لفرنسه في القسطنطينية ، علاقات بلده مع السلطنة . واحتلت القوات الفرنسية جزيرة ميتلين إلى أن تراجعت تركيه] .

الثاني ، وافق السلطان على مشروع روفيه لتصفية الدين .

ويبدو أن الخبرين متصلان ببعضهما بعضاً ، وأن لهما علاقة بزياراتي : فمما لا شك فيه أن السلطان استغل حضوري . كنت أنا اليهودي الذي استدعي لكسب المزيد من المنافسين الآخرين . وقد تم له ذلك ...

لقد تحطم كل شي . الرضى الوحيد الذي أشعر به هو أن اللصوص الفرنسيين سوف يقصون أجنحة الأتراك . » (ص ١٢٥٦) .

ثم كتب إلى السلطان ما يلي :

« لي الشرف أن أقدم لجلالتكم عرضاً للخطوات التي اتخذتها منذ رسالتي بتاريخ الثالث والعشرين من شباط ١٩٠٢ : بعد أن جمعت أصحابي للإستشارة

أخبرتهم عن العرض الكريم الذي تقدمتم جلالتكم به لليهود . فتأثروا له كثيراً . إلا أنهم يعتقدون ، مثلي ، أن وضع تحديد للإذن المعطى لتعسائنا بالسكن في تركيه سوف يؤدي إلى أثر غير مرغوب فيه في الرأي العام . لكن نتج عن أبحاثنا رأي آخر غير الذي عبرت عنه لكم في رسالتي آنفة الذكر وهو أننا لا نطالب بشيء ما دامت المسألة مسألة إقناعكم ، وحكومتكم العثمانية ، بحسن نوايانا ، فإننا نود نحن أن نخطو الخطوة الأولى على الطريق نحو الثقة التي لابد أن تصبح متبادلة . لذلك فنحن لا نطلب ، في الوقت الحاضر ، أي إمتياز لاستعمار عام ، ومع هذا نعرض خدماتنا المالية كما لو أننا أخذنا هذا الإمتياز . أي أننا نعتقد أن جلالتكم ، ما إن تعرفونا المعرفة الصحيحة من خلال الخدمات التي نؤديها ، حتى تمنحونا في المستقبل ، من تلقاء أنفسكم ، ما يبدو اليوم أنه صعب . » (ص ١٢٥٨) .

وفي النهار نفسه كتب هرتزل إلى عزت بك يخبره بتوافر المال لديه :

« أريت أمس سعادة محمود نديم الوثائق المتعلقة بإيداع ثلاثة ملايين فرنك في ثلاثة مصارف (في برلين وباريس ولندن) حسب نصيحتكم . وقد طلبت من سعادته إبلاغ صاحب الجلالة السلطان بذلك . » (ص ١٢٦١) .

وكتب إلى إبراهيم بك بالمعنى نفسه في ٢٤ ــ ٣ ــ ١٩٠٢ :

« إسمح لي أن أخبركم بوصول الآلة الكاتبة العربية ، الأولى من نوعها ، هديتي المتواضعة التي شرفني صاحب الجلالة بقبولها . سأرسلها مع موظف في الشركة التي عهدت لها بصنعها ... وقد دفع ثمنها في أميركه . كذلك الرجل الذي سيحملها ليقوم بإيضاح عملها قد دفعت له مصاريف سفره أيضاً . وهل لي أن أطلب من سعادتكم أيضاً نقل كتابي إلى صاحب الجلالة ، الذي أرجو أن يبعث الكتاب فيه بعض السعادة .

قبل أُسبوع أخذت إلى سعادة محمود نديم بك وثائق إيداعي ثلاثة ملايين فرنك في ثلاثة مصارف ، صالحة لغاية الخامس عشر من أيار ، حسب ما

وعدت ، في رسالتي بتاريخ الثاني والعشرين من شباط . وإذا أردت أن أقدم المئتي جنيه تركي إلى أحد أعمالكم الخيرية ، أرسلت المبلغ المذكور إلى لجنة سكة حديد الحجاز . » (ص ١٢٦٣) .

لكن السلطان قاوم الإغراءات المالية وغضب على هرتزل وأعلمه أنه لا يريد ماله وقطع الإتصال معه . فأدرك هرتزل أن تحسين بك يقف ضده ويحرض السلطان عليه . وقد دعم هذا الرأي كرسبي في رسالة وصلت هرتزل في ٣٠ ــ ٣ ــ ١٩٠٢ . فكتب هرتزل إلى فامبري يشكو تحسين بك « السكرتير الأول لكوهين » . وختم هرتزل الجزء الثالث من يومياته بهذا الإعتراف :

« أراني محمود نديم أمس ، وترجم لي ، رسالة من تحسين بك : لقد قام إيداعي الثلاثة ملايين فرنك على سوء تفاهم . حسناً . كنت أعلم ذلك . أردت فقط أن أضع تحت انظاركم لون بعض المال حتى لا ينسوني . هكذا ينتهي هذا الجزء من قصتي السياسية . »(ص ١٢٧٠) .

يبدأ الجزء الرابع من يوميات هرتزل بتفاصيل إقتراح جديد وضعه هرتزل في ٣ ــ ٥ ــ ١٩٠٢ وأرسله إلى السلطان ، حول التغلغل اليهودي في تركيه :

« لي الشرف أن أقدم لحكمة جلالتكم المتناهية الإقتراح التالي : إني أدرك الصعوبة التي تواجه حكومتكم بسبب ذهاب شبان تركيه لتلقي العلم في الخارج وما يتعرض له هؤلاء الشبان من ضياع ، خاصة في تأثرهم بالأفكار الثورية ، مما يجعل الحكومة أمام أحد أمرين ، إما أن تحرم هؤلاء من التدريب العلمي أو أن تعرضهم إلى مخاطر الغوايات السياسية . على أن هناك حلاً للمشكلة . وأنا أسمح لنفسي بكل إتضاع أن أقدم لحكمة جلالتكم هذا الحل .

إننا معشر اليهود نلعب دوراً هاماً في الحياة الجامعية في جميع أنحاء العالم . والأساتذة اليهود يملأون جامعات البلدان ، كما أن هناك عدداً كبيراً من العلماء

والمتخصصين في جميع الحقول التعليمية . لهذا فإننا نستطيع أن نقيم جامعة يهودية في إمبراطوريتكم ولتكن في القدس مثلاً . عندها لن يضطر الطلاب العثمانيون إلى الذهاب إلى الخارج بل يبقون في بلادهم ويتلقون فيها أفضل التدريب وهم ضمن أحكام بلدهم . والجامعة اليهودية تقوم بتقديم أفضل ما تقدمه أحسن الجامعات ومدارس التدريب المهني ومدارس الزراعة . ولن تقدم مثل هذه المؤسسة إلا ما هو الأفضل ، وعندها تقوم بدورها في خدمة العلم والطلاب والبلاد . » (ص ١٢٧٤) .

في الوقت نفسه عاد هرتزل إلى الإتصال بالمسؤولين الآخرين في أوروبه . طلب من أويلنبرج ، وزير البلاط الألماني ، تأمين موعد له مع الإمبراطور في ٣ ـ ٥ ـ ١٩٠٢ :

« إنه لمن أشد دواعي سروري أن أتشرف بمقابلة جلالة القيصر لأقدم لـــه تقريراً شفهياً عن بعض الأمور التي تهم أيضاً السياسة الألمانية . » (ص ١٢٧٧).

إلا أن الإمبراطور إعتذر في ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٠٢. فارتأى هرتزل أن يوطّد علاقاته مع الأوساط الإقتصادية في ألمانيه .

« تكلمت مع مدير البنك الألماني الذي نأمل أن نشتري منه بنك فلسطين الألماني . لقد بدأنا نوطد أنفسنا في الأوساط المالية ولكن حالتنا ما تزال تدعو للسخرية .

تعرفت على سعيد روتي ، الملازم الأول المتقاعد ، وهو حفيد سلطان زنجبار ، ويعمل الآن في البنك الألماني . لقد أعجبني مشروعه بخصوص زرع القطن في العراق ، سوف أوظفه . » (ص ١٢٧٧) .

وفي ١٢ ـ ٥ ـ ١٩٠٢ تلقى هرتزل رد سكرتير السلطان ، عزت بك ، على إقتراح هرتزل بتأسيس جامعة :

« رسالتك بخصوص طلب إنشاء جامعة إسرائيلية في القدس قد قدمت إلى

أعتاب العرش .

إن إخلاص الإسرائيليين ومحبتهم لصاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان وعطفهم على الإمبراطورية أمر معروف لا شك فيه . وبما أن حكومة الإمبراطورية مشغولة في الوقت الحاضر بإصلاح الحالة المالية في الخزينة وبإيجاد موارد جديدة لها ، فإن مساعدة المتمولين الإسرائيليين سيكون له فائدة كبيرة في تسهيل مهمة الخزينة . لذلك فأنا أطلب منك بأمر ملكي أن تقدم للأعتاب الإمبراطورية قائمة بالمساعدات التي يمكن أن يقدمها أصحاب الأموال منكم لمساعدة حكومة الإمبراطورية . » (ص ١٢٧٨) .

رد هرتزل على عزت بك موضحاً موقفه :

« غير أن كل هذه الأمور ، – الجامعة ، والمسائل المالية – لا يمكن معالجتها جيداً إلا شفهياً . فإذا كان صاحب الجلالة الإمبراطورية راغباً في الإستماع إلى مشاريعي ، فأنا مستعد أن أذهب إلى القسطنطينية في الأسبوع القادم . وأنا أقترح هذا الوقت لأنني مضطر إلى الذهاب إلى لندن في حزيران .

إن مشروع جامعة في القدس يمكن أن يكون ستاراً لأمور أخرى ، لأن أعداء صاحب الجلالة سيضعون قيوداً على تحقيق أي مشروع لتحسين الحالة الحاضرة . » (ص ١٢٧٩) .

ثم أرسل رسالتين أخريين : إلى السلطان في ٢٠ – ٦ – ١٩٠٢ :

« علمت من الجرائد أن مشروع مسيو روفيه قد قُبل . ولذلك يجب أن تبقى مسألة التجميد بعيدة عن المشاريع . يبقى هناك فقط مسألة إستثمار المعادن والبنك الجديد للبلدان العثمانية . ولكني لا أعرف ما إذا كنتم جلالتكم تريدون من أصحابي أن يهتموا بهذا . لذلك فأنا أتقدم بمزيد الإحترام من جلالتكم بطلب إعلامي باقتراحكم المعظم . » (ص ١٢٨٧) .

وإلى عزت بك في التاريخ نفسه :

« في رسالتي فائقة الإحترام التي بعثت بها إلى صاحب الجلالة الإمبراطورية بتاريخ ٥ أيار إقترحت تأسيس جامعة يهودية في القدس . ولقد رحبت سعادتكم في جواب خطي وفي رسالة شفهية بهذا المشروع وطلبت بدل ذلك أن تقام نقابة لاستثمار المعادن ويؤسس بنك للبلدان العثمانية . والآن، ولكي تسير المفاوضات مع أصدقائي المتمولين بجد ، أحتاج إلى نوع من الارادة السنية تبين مبدئياً التدبيرات اللازمة للوصول إلى إتفاقية ضمن الشروط التي سبق ذكرها . فهناك حاجة خاصة لتوضيح كل ما يتعلق بقضية إستثمار المعادن . » (ص ١٢٨٨) .

وكان في النصف الأول من حزيران (يونيو) ١٩٠٢ قد ذهب إلى لندن . حدّد هناك سياسته بما يلي :

« إن ما أنا في حاجة إليه الآن هو تكثيف منظمتي التجارية ، أو إذا أمكن القول تذويب وصهر كتلة الهواء المسماة بالحركة الصهيونية . ولهذه الغاية سأتبع الطرق التالية :

١ — بتقديم دليل أمام البعثة الملكية التي هي في حيرة سبّبها لها التشويش بأن ليس أمامنا إلا أحد أمرين : إما إلغاء مبدأ اللجوء الحر أو ترك الطبقة العاملة من المواطنين بدون حماية ، أما حلي أنا — إن سئلت عنه — فهو إنشاء شركة قانونية في قبرص .

وفي الوقت نفسه سوف أقوم بمحاولة شبه رسمية لإقامة علاقة مع لورد روتشيلد ، إنه غاضب كل الغضب مني — وقد يكون الوقت الآن هو الأنسب لمصالحته . عندما سئل لورد روتشيلد عن سبب إعتراضه على دعوتي للمؤتمر ، أجاب لأنه يعتقد بأني زعيم شغب وصاحب مشاكل .

٢ — عن طريق محاولة إيجاد إهتمام بالتعدين ، لاستثمار المعادن في تركيه . لقد تكلمت بهذا الخصوص مع زانجويل وكون وسوف أقابل هذا المساء عند زانجويل رجل البورصة مايرز . » (ص ١٢٨٤) .

وعرض على روتشيلد مشروعاً بأن تساعد بريطانيه اليهود بتأسيس مستعمرة لهم بإشرافها ــ بعد أن فقد الأمل بألمانيه :

« أود أن أطلب من الحكومة البريطانية ميثاقاً للإستعمار »
« لا تقل ميثاقاً . إن الكلمة لها وقع سيء الآن »

« سمّها ما شئت ، أريد أن أؤسس مستعمرة يهودية فيما هو في حوزة بريطانيه . »

« خذ أوجنده ! »

« لا ، لا أريد إلا هذا ... » ولما كان هناك آخرون في الغرفة كتبت على ورقة ، سألصقها هنا كتذكار : « شبه جزيرة سيناء ، فلسطين المصرية ، قبرص . » وأضفت قائلاً :

« أتوافق على هذا ؟ »
ففكر قليلاً وهو يتكلف الإبتسام ثم قال :
« جداً »

كان هذا فوزاً . بعد ذلك كتبت على الورقة : « إمنع السلطان أن يحصل على المال ! » (روفيه) . قال : « منعت رومانيه من الحصول على المال ولكني لا أستطيع هذا ، إن القوى الكبيرة تريده . يريدون أن تبنى السكك الحديدية »

قلت : « عرض عليّ السلطان العراق . »
فسأل بدهشة : « ورفضت ؟ »
« نعم » . (ص ١٢٩٤) .

واتصل هرتزل بالعديد من السياسيين البريطانيين المرموقين . وكان يتعمد التعرف عليهم لعرض مشاريعه . واجتمع بلجنة برلمانية رسمية وتكلم لها عن مشاريعه . لكن يبدو أنه لم يظفر بأي وعد فاجتمع مع رئيس اللجنة ثانية :

« أصلحت أمس الأثر السيء الذي شعرت بأني قد تركته في البعثة وأنا أستمع للورد جيمس ، رئيسها ، عندما طلبت منه التكلم وأخبرته بكل ما كنت قد خبأته متحفظاً في الإجتماع . كان يظن أني لا أستطيع تحقيق خطة سيناء العريش – قبرص إلا بمساعدة لورد روتشيلد ، وأن آل روتشيلد ، يجب أن يكونوا عملائي في هذا البلد (إنجلتره) . وكانوا محترمين جداً هنا حيث توجد اللاسامية . يجب ألا نتوقع أي مال من الحكومة الإنجليزية لمشروع الإستعمار ، يجب أن يموّل هذا المشروع اليهود أنفسهم . لم أدخل في التفاصيل بخصوص إمكانات نظام المستعمرة واكتفيت بالقول إنه يجب أن يكون مغرياً حتى لا يقتصر الذهاب على الشحاذين فقط . أعتقد أن لورد جيمس أُعجب بالمسألة أكثر مما أراد أن يظهر لي . » (ص ١٢٩٥) .

وعرض مشروعه على روتشيلد من جديد في ١٠ – ٧ – ١٩٠٢ ، ثم قدم له مذكرة يطلب موعداً مع تشمبرلين :

« بعد ذلك شرحت له المخطط الذي أعددته للشركة اليهودية من أجل سيناء وفلسطين المصرية وقبرص ، وقلت له إن لورد جيمس قال إن الامر يعتمد على مساعدته (مساعدة روتشيلد) .

« إجمع كبار أصحاب الأموال ، ونظم الشركة اليهودية فتكون بذلك قد أديت لأنجلتره خدمة وطنية . ولكن لا يكون هناك اية أعمال خيرية – يجب أن يكون العمل رسمياً .

قال : « أكتب هذا ، وسوف أتحدث في الموضوع مع تشمبرلين يوم الجمعة ، ولكني لا أود أبداً أن أقوم بتجربة كبيرة . يجب أن يكون عدد المستوطنين خمسة وعشرين الفاً على الأكثر . » قلت : « سأعمل على نطاق واسع وإلا لن أعمل أبداً » . (ص ١٢٩٦) .

إن اجتماعاً مع تشمبرلين – ولو لمدة نصف ساعة فقط – يبدو لي مفيداً جداً . لا بأس لو استقبلني بخفه المنزلي . قل له إنه على أي حال ، قد تستفيد

إنجلتره من مقابلتي له قبل ذهابي ، لأني مقرب جداً ، وأستطيع أن أتحدث مباشرة في كل ما أريد ، بما فيها المصالح الإنجليزية . » (ص ١٢٩٧) .

كان هرتزل لا يزال في لندن حينما أبلغه سفير تركيه في بريطانيه رسالة شفهية تلقاها من حكومته ، في ٩ ــ ٧ ــ ١٩٠٢ ، بدعوته إلى إسطنبول :

« يقول صاحب الجلالة السلطان أن الدكتور هرتزل أبدى رغبة في تقديم خدمات صادقة مخلصة بخصوص تجميد الدين . لذلك فمطلوب منك أن تراه حالاً وتذكره بأن إذاعة الأمر قد يؤدي إلى إيذاء الأمبراطورية ــ وأن التروي في العمل ضروري جداً . إذا كان (هرتزل) متأكداً من قدرته على إقامة الترتيبات لتجميد الدين بشكل أفضل لحكومة الأمبراطورية من تلك التي إقترحها مسيو روفيه ــ لأن إطالة المراسلات تضيع الوقت وتشوش فهم القصد ــ وإذا كان (هرتزل) متأكداً من أن هذه المفاوضات لا تضع الحكومة تحت أي التزامات ، كذلك إذا كان متأكداً من أنه يستطيع أن يصل إلى اتفاق مع أحد البنوك الإسرائيلية وبدون أن يشهر بالغرض برحلته إلى القسطنطينية ؛ وإذا نجح بتقديم الخدمات لصالح وزارة المالية أو نالت جهوده الرضى الأمبراطوري فعليك أن تقول له : تمشياً مع تقاليد الحكومة الإمبراطورية القديمة بخصوص مصالح رعاياها فإن صاحب الجلالة السلطان سيقدم للإسرائيليين براهين على عطفه عليهم وحمايته لهم . واستناداً على الأوامر الأمبراطورية عليك أن تبلغ جميع ما سبق قوله الى الدكتور هرتزل ، ونحن بانتظار الجواب بأسرع ما يكون » . (ص ١٢٩٨) .

إلا أن السفير نفسه أبلغ هرتزل بعد ٣ أيام فقط (في ١٢ ــ ٧ ــ ١٩٠٢) رسالة مناقضة تماماً جاءته في برقية من حكومته بوجوب عدم دعوة هرتزل :

« يظهر من تقريرك أن مستر هرتزل لم يصل إلى أي تفاهم مع البنوك ولم يمهد لأي شيء . وبما أن الحكومة قد وصلت إلى قرار تغطية الدين بإصدار سندات بمبلغ ٣٢ مليوناً ، وبما أن الحكومة لن تعدل عن هذا القرار ما دامت

غير متأكدة من وجود حل أفضل ، لهذا فلا ضرورة لمجيء مستر هرتزل إلى القسطنطينية ، ولهذا السبب نفسه فقد طلب منه أن يعود من باريس إلى لندن ، وأخبر عن هذه التدبيرات . أما إذا استطاع مستر هرتزل أن يقدم الآن ضمانات قوية ثابتة لأي تدبيرات معينة تشمل إصدار سندات بثلاثين مليوناً فإنه مدعو إلى تقديمه بأسرع ما يمكن . » (ص ١٢٩٨) .

وقد علق هرتزل على ذلك ساخراً :

« هذه هي طريقة صاحب الجلالة الأمبراطورية الخليفة ؛ أدامه الله لنا على كل حال لأنه صديق لليهود وصديق لي . عندما أردت أن أعرف مقدماً كل شيء عن المسألة ، أمرني أن أقوم بالرحلة ، ولما تهيأت للذهاب الغى الأمر وأخبرني عنها . » (ص ١٢٩٩) .

وكان رد فعل هذا الإجراء العثماني الأخير إشتداد إعتماد هرتزل على بريطانيه . فقدم إلى روتشيلد مذكرة حول دوره هو (أي روتشيلد) ودور بريطانيه في مشاريعه جاء فيها :

« الشركة اليهودية (الشرقية) المحدودة : يفاوض لورد روتشيلد خمسة أو ستة من رجال الأموال الذين ينوي أن يضعهم على اللجنة للمؤتمر . إن إمتيازات الأراضي التي ستمنحها الحكومة الإنجليزية مع ما سيتدفق من الذين سيعملون سيكفل أرباحاً محترمة . إن المال المخصص للعمل هو الآن عشرة ملايين جنيه ، ١٠ إلى ٢٠ ٪ منه مودعة الآن . سيطلب المال فقط بحسب الحاجة إليه .

ولا تحتفظ النقابة بالأسهم ، إنما تكون مودعة للعمل . يجب أن لا يعتمد الحساب على تلك الفئة التي تأخذ اسهماً من أجل القضية . سيكون هناك مثل هذه الفئة طبعاً ، ولكن ستكون هناك فئة ثانية ، هؤلاء الذين يضعون ثقتهم المالية في شركة يرأسها اللورد روتشيلد .

على أن أكبر فئة هي الثالثة، فئة المهاجرين المفلسين. سيعجب الجميع بفكرة جعل الأرض أثمن عن طريق إستيطانها . ستكون الهجرة موجهة ومنظمة حسب المخطط .

وستكون التنظيمات بحسب توجيهات تقوم بها الفئات المحلية في أماكن تأسيسها . وبهذه الطريقة يمكن ضبط الهجرة وتنظيمها سنة بعد سنة وحتّى اسبوعاً بعد اسبوع بحسب الظروف الراهنة ، لأنه يمكن الإبتداء بأمر صغير ولكن بدون أن يُعلن عن اللحظة التي يصبح فيها العمل واسعاً ، والسرية ضرورية بسبب روسيه وغيرها من القوى التي قد تعيق عملنا » . (ص ١٣٠٠) .

وأرفق هرتزل هذه المذكرة بمذكرة أخرى كتبها إلى تشمبرلين . لكنه لم يضع نصها في يومياته (ص ١٣٠١) . ووضع مذكرة ثالثة إلى روتشيلد في التاريخ نفسه ، ١٢ – ٧ – ١٩٠٢ ، حول مشروع إستيطان شبه جزيرة سيناء :

« الرجاء أن تجد طيه ملخصاً عاماً لمخطط تسكين اليهود المشردين في شبه جزيرة سيناء وفي فلسطين المصرية وفي قبرص– الناحية السياسية باللغة الإنجليزية والناحية المالية بالألمانية .

ولمنع أي سوء تفاهم قد يحصل الآن أو في المستقبل، دعني أذكر أنني أعددت هذا المخطط لك لأنك أبديت معارضة بخصوص فلسطين . إنك أعظم قوة مؤثرة على شعبنا منذ تشرده.وإني لأشعر أنه من واجبي أن أُقدم لك نصائحي المتواضعة شرط أن تكون عندك النية لعمل أمر مهم لتعسائنا . ويجب أن لا أكون فقط شديد التمسك بالمثل وأرفض المساعدة السريعة لأفقر فقرائنا ، مهما كان شكل هذه المساعدة ، بل يجب أن أكون أكثر من ذلك ، يجب أن أُعطي نصحي حسب ما أراه أفضل .

عندي ، إلى جانب الناحية الإنسانية ، غاية سياسية أيضاً. إن توطين اليهود شرق البحر الأبيض المتوسط سيقوّي إمكان الحصول على فلسطين . سيكون

يهود الشركة الشرقية في المستعمرة الإنجليزية صهيونيين مخلصين تماماً ، كيهود هيرش المستعمرين في الأرجنتين .

لا أدري إذا كنت سأستطيع أن أساعد في تحقيق المشروع ، أي إذا كنت سأجعل منظمتنا الصهيونية تعمل له لأن هذا يعتمد على قرار حزبي . سأدعو اعضاء اللجنة من جميع البلدان إلى إجتماع سري وأبحث معهم الموضوع .

وإلى جانب هذا فإن عندي مخططاً ثانياً لك يمكن تحقيقه في الوقت نفسه ، ولكن على حده . وهذا المخطط سري تماماً . يتعلق بالعراق .

لقد أخبرتك أن السلطان عرض علي الإستيطان في العراق (وذلك في شباط من هذه السنة لما ذهبت إلى القسطنطينية بناء على دعوته) . وقد رفضت العرض لأنه لم يشمل فلسطين . استطيع أن أعود اليه غداً ما دامت علاقاتنا ممتازة . وبدل هذا علينا أن نقدم له بعض المساعدات المالية .

يقوم بالمطالبة بهذا رجل أستطيع أن أسميه لك شفهياً . ولكن السلطان يفضل أن يعهد بهذا المشروع لي لأنه يعرف أني شخصياً لست وراء المنفعة المالية ، وهو بالطبع يريد شروطاً أفضل ، ولكن حتى ولو أعطي شروطاً أفضل يمكن وضع ما يقرب من مئتي مليون جنيه على الحساب . هذا الربح يذهب للشركة اليهودية ، لأنها تستطيع بذلك أن تبدأ حياتها بربح من مليوني جنيه . وفي رأيي أن هذا سيسهل تحقيق المخطط .

لا أدري إذا كانت عندك معلومات كافية عني ، ولكني أود أن أؤكد هنا أنه ليست لي في هذا المخطط أية غاية مادية ، لست أعمل لعمالة مالية إنما كل ما أريده هو أن يكون للصندوق القومي اليهودي حساب محترم فيما إذا سار هذا المشروع المالي ، انا لا أضع هذا شرطاً لا بد منه .

إني أفضل المخطط الأول ، لأن ضمانات مشروع العراق السياسية للمستقبل

قليلة . أما إذا لم نتمكن من إقامة المستعمرة اليهودية في الممتلكات البريطانية بسبب رفض الحكومة الإنجليزية أو إذا لم يرغب في هذا المخطط رجال المال ، فعندها فقط أقدم لك المشروع الثاني . » (ص ١٣٠٢) .

وفكّر أيضاً بمشاريع أخرى ليعرضها على بريطانيهويستميل حكومتها بها :

« سأحاول الإتصال بروزبري بواسطة لورد باترسي لأتوصل بواسطته (الأول) إلى الحكومة الإنجليزية . وذلك من أجل إرجاع سلطتها في الشرق . يجب على الحكومة أن تحمل اليهود الإنجليز على التعاون معنا .

ملاحظة . كتبت ليدي باترسي إلى لورد روزبري الذي اعتذر كثيراً ، لأنه مضطر أن يترك البلدة » . (ص ١٣٠٤) .

في ١٥ ــ ٧ ــ ١٩٠٢ أخذ السلطان يلح عليه بطلب جواب منه . فأجاب السلطان بواسطة سفيره في لندن :

« بالرغم من حادثة التأمين التي كانت في الربيع الماضي نجحت في كسب اهتمام أصدقائي . هنا أسمح لنفسي بسرد الحقائق . بعد عودتي من القسطنطينية وعملاً بنصيحة شبه رسمية ، وضعت تأميناً بمبلغ ثلاثة ملايين فرنك في ثلاثة بنوك في باريس ولندن وبرلين لتكون بمثابة ضمانة لأي اقتراحات مهمة . ولكني ما إن أطلعت صاحب السعادة محمود نديم بك على رسائل الإعتمادات هذه حتى جاءتني الأوامر بسحب التأمينات . وقد تألم أصحابي من هذا العمل ، غير أني استطعت أن أقنعهم الآن وهم مستعدون مبدئياً أن يسيروا في الموضوع المقترح . أما بخصوص تقديم جميع التفصيلات صباح الغد فهذا مستحيل ، إن مسألة على هذه الغاية من الخطورة لا يمكن أن تنظم في ساعات قليلة .

وأسمح لنفسي أن أذكر أنه يوم الأربعاء الواقع في التاسع من تموز بعث إلي كوستاكي أنتوبولس باشا للمرة الثانية بالأمر الأمبراطوري أن أذهب إلى

القسطنطينية بدون أن أُطلع أحداً على سبب ذهابي . وكنت أنوي أن أذهب يوم السبت ، ولكن يوم الجمعة في ١٨ تموز وصلتني أوامر بعدم الذهاب وطلب مني أن أُنذر أصحابي . لذلك فإنه من المستحيل أن أقوم بعملية لم يتسنّ لي من أجلها إلا عدد من الأيام أقل من عدد الشهور التي كانت لمسيو روفيه .» (ص ١٣٠٤) .

وكتب إلى السلطان مباشرة في ١٦ - ٧ - ١٩٠٢ :

« يمكن توفير مليوني جنيه بإصدار الاسهم . على صاحب الجلالة فقط أن يعلن للجماعة التي تدير الأمر في الوقت الحاضر عن قراره الرسمي الأكيد بأنه يقبل بتغطية مصاريف ٣٠ مليوناً فقط بدل ٣٢ مليوناً ، وهذا بدون أي تغيير في الأموال الأخرى .

إن الجماعة قد وصلت إلى حد لا يمكنها التراجع منه. وحسب ما أعلم، حصلت الجماعة حتى الآن على قدر من الأسهم يجعلها في حاجة إلى أنهاء الأمر أكثر من حاجة حكومة الأمبراطورية إلى ذلك . وإن حكومة الأمبراطورية لا تحصل على شروط جيدة والفائدة كلها تعود على رجال المال والقوى الأجنبية. وفي هذه الظروف لا تخسر الحكومة شيئاً إذا هي ألغت عملاً لا فائدة منه . والجماعة ، التي تملك الآن عدداً من الأسهم ، يجب أن تقبل بما يعطى لها . وذلك لأسباب سهل معرفتها . وإن الربح الأساسي الذي ستناله الجماعة يجب أن يكون في فرق تبديل العملة .

إذا انحرفت الخطة المقترحة فإنهم قد يخسرون كثيراً. وتلك هي الفائدة التي سيسرني أن أجعل جلالتكم الأمبراطورية تستفيدون منها .

هنالك نتيجتان ممكنتان .

١ - يجب أن تقبل الجماعة بخسارة مليونين من الديون حتى لا تخسر أرباحاً أُخرى .

٢ ــ ستنسحب الجماعة من القضية . عندها تكون حكومة صاحب الجلالة قد تحاشت الأخذ بشروط سيئة.بعد مدة من الزمن يؤلف أصحابي جماعة أُخرى تتقدم لإعادة فتح الموضوع . ولن يكون في صالحنا أو بالأحرى سيكون ضرراً علينا إذا تمكنت الجماعة الحالية أن تعرف شيئاً عما يدور الآن ، لأنها إن عرفت أنه قد يكون هناك طلب على الأسهم التي هي في حوزتهم فإنهم لن يتخلوا عن شيء .

إذا قال صاحب الجلالة الأمبراطورية : إما أن تقوموا بالتغطية بمبلغ ثلاثين مليوناً من الديون ، أو لا أسير في مثل هذا المشروع أبداً ــ عندها سيضطرون أن يتخلوا .

ولكن ان قال صاحب الجلالة : عندي مشروع آخر فانهم سينتظــرون حتى يبيعوا أسهمهم بسعر أغلى . ورجائي ان يعرف صاحب الجلالة بحكمته السامية أنني اعمل لمصالحه بدون أية غاية شخصية .

إذا استسلمت الجماعة الحالية للظروف المذكورة اعلا سأكون راضيا عن نفسي كل الرضى لأني قدمت النصيحة الصحيحة.أما اذا إنسحبوا فهذا افضل لمصالح صاحب الجلالة الامبراطورية وعندها يقوم بانجاز المشروع اصدقــاء مخلصون . ولكن يجب أن لا يظهر هؤلاء إلا بعد مضي عدة أسابيع .

إنه ليس ضرورياً ، كما يبدو لي ، اعطاء تفصيلات اقتراحاتنا التي تقوم على اساس دفع ثلاثين مليوناً من الديون ، لأنه اذا قبل الاقتراح الثاني ، يصبح اقتراحنا هذا لا اهمية له . واذا شرفني صاحب الجلالة الامبراطورية بالاخذ بنصيحتي ، يُقدم المخطط الكامل رأساً وشفهياً الى صاحب الجلالة الامبراطورية خلال بضعة اسابيع . » (ص ١٣٠٦) .

كان هرتزل عائداً من لندن ، بين كاليه وباريس ، حينما وصله جواب روتشيلد على مشروعه باستيطان سيناء :

« وصلتني امس رسالة من روتشيلد لا تخلو من الاهمية . يقول إنه ليس هناك مال كاف للقيام بالأمر على نطاق واسع . وان الأمر يحتاج الى دراسة مسبقة على كل حال . وانه ينوي ان يدرس مشروع سيناء بصورة أدق الخ . هراء . » (ص ١٣٠٥) .

رد عليه ، في ٢١ – ٧ – ١٩٠٢ ، يتزلف ويستعطف ويناقض نفسه برأيه السابق بروتشيلد :

« وانا ايضاً فكرت بان الاستيطان يمكن أن يبدأ به في الربيع . – شباط او آذار – في وقت الزرع الصيفي ، لأن هذه هي اقصر مدة حتى اول حصاد . طبعاً يجب تأمين الأراضي في الخريف وتكون الترتيبات في فصل الشتاء ، ولقد عملت على هذه التفصيلات منذ مدة طويلة .

سيسعدني جداً ألا آخذ جوابك بمثابة رفض . من يستطيع مساعدة شعبنا المسكين غيرك ؟

إنك رجل نبيل ، اصبحت متأكداً من هذا بعد ان عرفتك جيداً.فلتكن عظيماً ايضاً .

لا يمكن ان يكفل النجاح للحملة إلا اذا دعمت بموارد كافية وجعلت قابلة للتوسع .

يمكن جمع ١٦ مليون جنيه من اثمان تذكرة البني على خط بيكاديللي الى كورنهيل . وجمع ١٠ ملايين جنيه من بعض المشاريع الصناعية لا يعد امراً خيالياً في هذه الحقبة الأميركية .

أو لا تستطيع شركة للاراضي تهدف الى محو مسألة تعذيب اليهود عن وجه الأرض أن تجمع مثل هذا المبلغ تحت رعاية لورد روتشيلد ؟

انا اعرف اسباب تعقد الأمر ، إن الاقتراح يبدو ذا صفة خيرية لذلك

يصعب على الناس أن يعتبروه عملاً خالياً من العاطفة . ولكن هذا بالضبط هو دورك في القضية الذي يمكن ان يخلدك .

إني اعرفك يا سيدي ، إنك لتعطي إن طلب منك العشرة والعشرين الف جنيه لمساعدة مشروع خيري بدون أن يدري بك احد ، وقد اخبرت أنك تتبرع بما يزيد على مئة الف جنيه سنوياً .

ولكنه ليس مطلوباً منك هنا ان تدفع مالاً ابداً ، حتى ولا فلساً واحداً . ان ما هو مطلوب منك فقط هو نفوذك وتأثيرك ، وقوتك لمشروع لا بد ان يعود عليك بالفائدة . هل تستهين بمكانة عائلتك الى درجة تشك معها بامكان جمع عشرة ملايين جنيه من جميع يهود العالم وانت على رأس مثل هذا المشروع ؟

إن ابناء عمك في باريس ليسوا بعد قادرين على القيام بمثل هذه الحملة اليوم ، لأنهم محكومون بطريق غير مباشرة ، من قبل مستر درمون ، وويل لهم إن لم يبرهنوا على أنهم فرنسيون غيورون امام الاحراج المالي للحكومة الروسية التي تجعل شعبنا منبوذاً . اما موقفك يا سيدي فمختلف تماماً ــ الآن على كل حال وقبل ان تتفشى اللاسامية في انجلتره . ما يزال المجال امامك واسعاً ، وسوف تحوز على تقدير حكومتك إن انت قوّيت النفوذ الانجليزي شرقي البحر الابيض المتوسط ، عن طريق توطين شعبنا في نقطة تلتقي فيها المصالح المصرية مع المصالح الهندية ــ الفارسية .

وعلى كل حال ، الى متى تظن ، تظل المنفعة المجتناة غير معروفة ؟ اذن سنبقى نحن اليهود ، الاذكياء ، مغضوضي النظر ، سنبقى ثانية نحمل الأكياس. يمكن تحقيق الأمر بسرعة وعلى نطاق واسع ، بواسطة شركة الاراضي والتجارة ، التي قدمت لك موجزاً عنها . كان مشروع « هيرش » مجرد لعب وتمثيلية لم تتوسع . إن المصلحة المشتركة لا تقوم فقط على الزراعة . والجزء الذي لم تبدده سوء الادارة يجب أن يستخدم في مشروع التوطين الكبير ، ولكني لا احب ان يُعتمد على هذا كما لا احب ان يُعتمد على اي شخص غيره

من « فاعلي الخير » .

تنجح شركة الأراضي فقط اذا كانت تعتمد على مصالح اقتصادية وليس على العطف .. قد أتمكن من الوصول الى بعض الامتيازات المالية القيّمة ، وعندها سأتصل بك ثانية » . (ص ١٣٠٨) .

وصل هرتزل أكثر من برقية من السلطان ، دعاه في بعضها لزيارة تركيه . فغادر النمسه في ٢٢ ـ ٧ ـ ١٩٠٢ ووصل اسطنبول بعد ٣ أيام . وقدم مذكرة طعن فيها بالمشروع الفرنسي (الذي وضعه الوزير روفيه) .

« اولاً ، كلمة بخصوص الناحية السياسية في مخطط روفيه . إن وضع مسيو روفيه الحالي كوزير للمالية لا يزيد في صعوبة الحالة ، بل يجعلها أسهل . اذا رفض صاحب الجلالة الامبراطورية مشروعه ، لا تستطيع الوزارة الفرنسية أن تسيء الى الحكومة العثمانية ، وذلك لأن المعارضة للوزارة الفرنسيّة ستنتهز الفرصة لتعلن بان الجمهورية يجب ان تخدم مصالح جماعة المالية . اما من الناحية الأخرى اي اذا قبل بمشروع روفيه ، توجب على مسيو روفيه ان لا يكون منحازاً سياسياً لتركيه لأنه سيهاجم عندها بتهمة الاستسلام للاعتبارات المالية .

وفوق هذا ، وبحسب رأيي المتواضع ، لا داعي للسرعة في اتخاذ القرار مهما كان . إن الوضع الراهن الآن يجعل جماعة مسيو روفيه يريدون أكثر مما تريد الحكومة التركية ، الانتهاء من الامر ، لانه كلما تأخر إنتظار الجماعة كلما ازدادت السهولة في الأمر .

في الحقيقة ان الجماعة تملك الآن قسماً كبيراً من الدين الذي يحتاج الى تغطية ، فاذا رفض المشروع تخسر الجماعة بسبب هبوط الاسعار ، وهذه الخسارة قد تجعلها تتروى قليلا قبل ان تنسحب . لذلك فليس هناك خطر من هذه الناحية ، حتّى لو لم تتبنّ يا صاحب الجلالة الامبراطورية في الوقت الحاضر

مشاريعنا ، فالرفض المؤقت لمشروع روفيه لن يعود إلا بنتائج نافعة . وستصبح الشروط أسهل ، ولكن فقط اذا احتفظنا بسرية وجود المشروع الآخر .

إذا عرفت جماعة روفيه ان هناك اخرين يرغبون في القضية فالصلح لن يتحقق لأن الأسهم التي تملكها حتى الآن جماعة روفيه هي التي ستكون الحاجة اليها . لذلك فان اول شرط للتنظيم الجديد هو مجرد الرفض البسيط لمشروع روفيه . بعد ذلك تستطيع يا صاحب الجلالة ان تصل الى شروط جديدة إما مع جماعة روفيه الذين ستكون مطاليبهم عند ذلك اقل او مع اصحابي الذين لن يتقدموا إلا بعد رفض مشروع روفيه . وهذا ، اولا : لأن آداب رجال الأموال تقتضي ان لا يتقدموا باي اقتراحات رسمية ما دامت حكومة الامبراطورية تجري مفاوضات او تكاد تنتهي منها مع جماعة أخرى ؛ ثانياً : لأنهم يريدون ان يكونوا على حذر . ذلك انه اذا إنتشر الخبر بأن اصحابي يريدون أن يتولوا الأمر ، فسوف تعلو الاسعار الى درجة تصعب معها اي محاولة للتغطية يتقدم بها اصحابي او غيرهم حتى وقت طويل .

لكن اذا أعلنتَ جلالتكم بانكم قد تخليتم عن فكرة تغطية الدين لأن الفائدة منها للامبراطورية غير واضحة تمام الوضوح (وهذه هي الحقيقة) لا تلبث الاسعار ان تسقط وعندها نستطيع أن نسير نحن في عملنا ولنا فرصة في النجاح .

إن اصحابي مستعدون ان يسيروا في التغطية بحسب الخطوط العامّة لمشروع روفيه ، الأمر الذي سيعطي ، في المستقبل ، حكومة الامبراطورية مجالاً لزيادة مدخولها من الدين . سيقوم اصحابي بهذه العملية على اساس صرف ثلاثين مليوناً من التعهدات الجديدة . اي انه ، اذا لزمت التغطية – عندما يعرف مشروع روفيه وينتظره الناس – لتزويد حكومة الامبراطورية بتعهدات جديدة تساوي ثلاثين الى اثنين وثلاثين مليوناً ، سيقوم اصحابي بتزويد حكومة الامبراطورية بالمال مع حسم ١٠ ٪ لاصدار اسهم جديدة تزيد على ثلاثين مليوناً .

ومقابل هذا ، تمنحنا حكومة الامبراطورية امتيازاً رسمياً لاستعمار يهودي في العراق ، كما تفضل جلالتكم وقدمه لي في شباط الماضي ، يزاد عليها حيفا وضواحيها في فلسطين .

أما اذا كنتم يا صاحب الجلالة لم تقتنعوا بعد بالأخذ برأيي بخصوص فائدة الاستعمار اليهودي للامبراطورية فانا مع هذا أظل تحت امرتكم عبداً مطيعاً نزيهاً . على أنه ، وفي الظروف الحاضرة، هناك معاملة مالية مفيدة يجب القيام بها . يستطيع القيم على المال عند جلالتكم ان يشتري باسعار منخفضة من الأسهم التي تطرح في الاسواق حالما يتم رفض مشروع روفيه . هذه الأسهم (بثمنها الأعلى) تدفع للتغطية التي لا بد أن تكون في يوم من الأيام . وأنا أعد بأن أتولى تحقيق هذه العملية باقصى ما يمكنني من حزم وأجعلها مفيدة .

أن عملية التغطية نفسها هي مجرد خطوة في تحسين الحالة المادية ، وسوف تكون عملية بطيئة ومعقدة كيفما جرى انجازها ، ولن تكون نتائجها سريعة ، والمدخول الجديد سيزيد في اعباء دافعي الضرائب . إذا سمحتم لي بابداء رأيي المتواضع ، فاني اقول بانه من الأنفع إقامة مصادر اخرى للمدخول في القريب العاجل ، حتى يتسنى لكم ان تماطلوا أكثر في مشروع التغطية ، وتهملوها حتى يمكن انجازها على صورة أربح في وقت لاحق . قبل كل شيء سيروا في إنشاء مصادر مدخول جديدة .

مثل هذه المصادر الجديدة مثلاً ، استثمار المعادن ، والاحراج وربما القوة الكهربائية . إن اصحابي مستعدون ان يقوموا بالعمل ويخدموا جلالتكم باخلاص .

إذا إغتنت البلاد بالمصانع ، فسوف يقوى دافعو الضرائب ويتحملون دفع الضرائب المتزايدة ، التي تكون فقط بعد تغطية الدين ». (ص ١٣١٤).

وحتى ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٠٢ كان السلطان لا يزال لم يقابله بعد . فوضع هرتزل مذكرة له عن مقابلة مع الصدر الأعظم ، سعيد باشا ، في ٢٨ ـ ٧ ـ

١٩٠٢ . وكان السلطان قد أحاله على الصدر الأعظم :

« لي الشرف أن أقدم إلى جلالتكم تقريراً عن الحديث الذي جرى أمس بيني وبين صاحب السمو الوزير الكبير .

لقد أوضحت لسعادته بالتفصيل إقتراحاتنا . ذكرت له أولاً أنه فقط يوم ١١ تموز إستلمت خبراً من صاحب السعادة السفير في لندن يعطي فيه الشروط التي يريدها صاحب الجلالة الإمبراطورية . كانت الدعوة التي وجهت إلي في الأسبوع الذي سبق مصحوبة بتعليمات أن لا أخبر أحداً عن سبب زيارتي . وبين ١١ — ١٥ تموز ، أي في أربعة أيام ، كان علي أن أعطي جواباً حاسماً ما إذا كان من الممكن السير في العملية على أساس ثلاثين مليوناً من الأسهم الجديدة . وكان جوابي على ذلك إيجاباً يوم ١٦ تموز . ولم يكن هناك وقت لوضع خطة جديدة ، وفوق هذا فلا بد أن الحكومة التركية كانت تحتاج إلى أسابيع لدراستها .

في مثل تلك الأحوال أخذنا مشروع روفيه ، محافظين بهذا على الفوائد التي تراها الحكومة الإمبراطورية فيه ، وزدنا عليه أن قدمنا إستعدادنا لدفع ما يلزم فوق الثلاثين مليوناً من الجنيهات حتى الإثنين والثلاثين بنسبة ٨٠ ٪ . وبهذا عملنا يا صاحب الجلالة رغبتك ، وعبء الدين الذي كان ينزل على حكومة الإمبراطورية بدل الدين الراهن الآن سيكون في الحقيقة لا أكثر من ثلاثين مليوناً حتى لو كان الإصدار الإسمي إثنين وثلاثين مليوناً . لأن الزيادة في المدفوعات اللازمة لشراء الأسهم القديمة لا تُعَدّ دَيناً لأنها ستكون مسنودة بدفعات تسير معها بالإصدار .

مقابل هذا طلبنا إمتيازاً رسمياً لشركة إستعمار في العراق وجزء صغير في فلسطين. هذه الشركة ستدفع طبعاً رسوماً يمكن أخذها من عائلات المستعمرين.

وسألني صاحب السمو ما إذا كان هؤلاء المستعمرون سيقبلون أن يكونوا

مواطنين عثمانيين ويقوموا بالخدمة العسكرية . كان جوابي بالإيجاب .

ثم سألني صاحب السمو ما إذا كان من الممكن فصل العمليتين – تغطية الدين والإستعمار – لأن لا علاقة ظاهرة بينهما في الأساس . وقبلت بهذه الملاحظة . ولكني أضفت هنا أن الوقت لا يسمح لي أبداً أن أعمل حسب أي خطط أخرى ، وعلي أن أسير في الخطة التي أنا متأكد أنني أستطيع القيام بها حالاً ، بعد أن حصلت على موافقة أصحابي .

وسأل صاحب السمو عن أعضاء النقابة . فأجبته أنه حسب رسالتي التي كان لي شرف تقديمها لجلالتكم في ٢٤ تموز أنه في الوقت الحاضر ، وتمشياً مع الآداب المالية ، لا يستطيع أصحابي أن يعرّفوا بأنفسهم لأن مشروع روفيه يكاد ينتهي وهو « مزبطة » قائمة.وقد تقبل صاحب السعادة هذا وفهم أنه في الظروف الحاضرة لا يمكن أن يقوم رجال المال بعمل غير هذا . وهنا سمحت لنفسي بأن أقول بضع كلمات بخصوص الإمتياز للإستعمار . فقلت إنه إذ كان هذا بمثابة تعويض لجهودنا فإنه ليس تعويضاً صعباً ، ذلك أن العنصر الذي نريد أن ندخله إلى إمبراطورية جلالتكم لا يُخوِّف ، إنه ليس خطراً ولا متعباً ، إنه عنصر مجتهد ، وجدي ومخلص ، يجمعه مع المسلمين قرابة جنس وعلاقة دين . دعا واحد من أجداد جلالتكم العظام اليهود البائسين إلى بلاده أثناء إضطهادهم في القرن الخامس عشر ، ولقد جاء منهم أعداد كبيرة . فهل كان هناك ما جعل سلاطين تركيه يتذمرون من رعاياهم اليهود ؟

وأضفت قائلاً : إذا تفضلتم يا صاحب الجلالة مثلا بأن تعلنوا يوم عيد ميلادكم المقبل عطفكم على الشعب اليهودي في وقت التلغراف والمواصلات السريعة اليوم ، فسيكون لهذا الإعلان رد فعل سريع ومهم في جميع أنحاء العالم ، سيكون فيه إشارة تجذب المواهب والأموال والصناعة وأنواعاً من المشاريع ، ولن تستفيد من هذا مقاطعتا العراق وحيفا وضواحيهما فحسب بل جميع الإمبراطورية العثمانية .

عند رجوعي إلى بلاط يلدز ، أخبرني صاحب السعادة عارف بك أن جلالتكم لا تريدون تكتل المهاجرين في أية مقاطعة . ولن تكون لي الجرأة على الإلحاح ، على أنه في رأيي يجب أن لا يكون الإستعمار متكتلاً بطريقة سيئة . إذا قامت بإدارة الإستعمار شركة كبيرة ذات رأس مال كافٍ فإنها تستطيع أن تصل إلى إتفاق مع الحكومة بخصوص أماكن الإستعمار ، وإقامة النازلين يمكن أن يضبط وينظم حسب مخطط سابق . ويكون القرار لحكمة جلالتكم السامية » . (ص ١٣٢٠) .

أحال السلطان هرتزل على الصدر الأعظم من جديد . فقابله في ٣١ — ٧ — ١٩٠٢ . وهذا عرض للحديث بينهما كما سجله هرتزل فيما بعد ، يليه رأي هرتزل حول المقابلة وتتمة لها بعث به في مذكرة إلى السلطان :

« قال الوزير الكبير إن السلطان طلب إليه أن يخبرني بأنه مبدئياً راض بأن أسير في مقترحاتي . فحنيت رأسي . ثم بدأنا في حديث مبهم غير واضح في جلسة تدخين وشرب قهوة ، كان مفروضاً أن تكون فيه مفاوضات . وقد كانت الجلسة كلها مشوشة إلى درجة لم أستطع أن أتذكر منها أي شيء .

ذكرت حالة اليهود السيئة في شرق أوروبه ، ولما ذكرت الحالة في رومانيه ، قال الوزير الطيب باستهزاء : « إن هذا يجب ألاّ يحدث في البلاد المتمدنـــة » .

وهنا علقت بقولي إنني في مثل هـــذا الظرف الذي لا يمكن احتماله إضطررت أن أُقيم إتصالات مع الحكومة الإنجليزية بواسطة أحد الوزراء لأسأل ما إذا كانوا يرضون بمنحنا حق الإستعمار في إفريقيه .

ومع أننا لن نحتاج إلى أن ندفع شيئاً مقابل ذلك لإنجلتره بل قد نحصل على إمتيازات خاصة منها ، فإننا نفضل المساحة القليلة الغالية في فلسطين ، إنهـــا رمز ، فقلوب شعبنا معلقة بها . هذا أمر عاطفي تستطيع تركيه أن تستفيد منه كثيراً .

هنا جاء جواب الوزير الكبير مع شيء من الخجل ، بأن هذا قد يؤدي إلى صعوبات مع القوى الكبيرة .

« إني متأكد من مهارتك يا صاحب السمو ، وبعد فإن لنا هنا وهناك بعض النفوذ . بالمناسبة ، إن مشروعنا الحاضر لا يتعرض إلى القدس والأماكن المقدسة ، فللأرض هناك صفة زمنية وروحية ، لن نمس ما هو روحي ولكن لماذا لا نجعل الأراضي العادية صالحة للزراعة بالطريقة العادية ؟ »

قال : « ولكن حيفا ، لها أيضاً قيمتها الحربية الهامة . »

قلت : « والقوة التي سنقيمها نحن في البلاد سيكون لها أهميتها الحربية أيضـــاً » .

قال : نعم ، ولكنكم في الحقيقة لا تقدمون لنا إلا القليل — ١,٦ مليون الجنيه فقط ، ونحن مقابل هذا سنعادي جماعة روفيه التي فيها أكبر رجال الأموال .

« ما دام مشروع روفيه سيبقى على ما هو ، فلربما أمكنكم أن تفصلوا بين العمليتين » .

هنا فقط فهمت ما كان يعنيه في الأول بفصل العمليتين . يريد أن ينجز أمر التغطية مع روفيه (لاعتبارات مالية) . وبعد فإن الفائدة التي تجتنيها الحكومة التركية كانت ١,٦ مليون الجنيه على أقصى حد ، معي .

هذا ما جعلنا ندور ونلف في حديثنا المتشابك » . (ص ١٣٣٠) .

« هذا إقتراح أفضل من ذلك الذي قدمته تلبيةً لرغبة صاحب الجلالـــة الإمبراطورية . نحن مستعدون أن نقتسم مع حكومة الإمبراطورية الأربـــاح المالية التي نحصّلها من مشروع التغطية والإقتراح سيكون كما يلي :

نقبل بجميع الشروط التي قبل بها مسيو روفيه . تضع حكومة الإمبراطورية

في متناول يدنا مبلغ ٣٢ مليوناً من المدفوعات ، لنقوم بالتغطية مقابل أسهم قديمــة .وسندفع لخزينة الإمبراطورية مبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ جنيه . نخصم مبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ من الأرباح الأولى للمعاملات جميعها والباقي يقسم بالتساوي بين خزينة الإمبراطورية وبيننا . أما إذا حدثت معارضة من جماعة روفيه أو تعرضنا لأي صعوبات لا نعرفها الآن وتعذّر أمر التغطية بما فيه من تضحية قصوى من جانبنا بمبلغ المليون وستمئة الألف فنحن أحرار عندها لننسحب من المهمة . ولكن في تلك الحال نسير في مشروع الإستعمار وحده بينما نضع مبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ جنيه في متناول خزينة الإمبراطورية .

ومن البديهي أن نحتاج إلى مساعدة حكومة الإمبراطورية من أجل التغطية إلى حد يجعلها تعلن لجماعة المسيو روفيه أنها مستعدة أن تسير في أمر التغطية فقط بواسطتنا ، أولا تقبل به أبداً . » (ص ١٣٣١) .

في ٢ ـ ٨ ـ ١٩٠٢ غادر هرتزل اسطنبول ، فاشلاً خائباً . وقد سجل إنطباعاتهحول هذه الزيارة قبيل سفره باختصار :

« سيقومون بالتغطية مع روتشيلد ، وبعدها يعودون إلى مشروعي ذي ١,٦ ، عندما يحتاجون إلى المال مرة ثانية ، أو إذا أرادوا أن يستخدموني في تخويف أحد .

أظن أن صاحب الجلالة قد عرف وللمرة الأولى ما أُريد ، وقد أعلن أنه ليس ضد المشروع . ... إني أرجع صفر اليدين » . (ص ١٣٣٤) .

وحتى في يوم سفره ، استغل فرصة زيارته إبراهيم باشا لتوديعه بأن حدثه عن مشاريعه :

« شكرته ، وقلت له إنني سأظل دائماً صديقاً لتركيه وللسلطان الذي يعطف على اليهود . ولكن الشقاء الذي يعيش فيه شعبنا في شرق أوروبه لم يسمح لنا بأن ننتظر أكثر . وقلت إنني قد بدأت إتصالات مع الحكومة

الإنجليزية وقدمت لأحد الوزراء ، لورد جيمس أوف هيرفورد،إقتراحاتي بخصوص إقامة مستعمرة يهودية في إفريقيه . لم تطلب إنجلتره اية تضحيات مالية منا وهي لا بد أنها ستسهل أمامنا الأمور .

ولقد تفهم إبراهيم هذا وهو يعتقد أنه إذا ما عرف السلطان بنجاح مشروع الإستعمار في إفريقيه فإنه لا بد أن يميل هو أيضاً إلى مساعدتنا .

قلت : « ولكن ذلك قد يكون متأخراً بعد أن نكون قد إستثمرنا أموالنا في مكان آخر . » (ص ١٣٣٧) .

ونقل إليه إبراهيم جواب السلطان النهائي على مشروع هرتزل بتهجير اليهود إلى فلسطين :

« يمكن للإسرائيليين أن يُقبلوا ويستقروا في الإمبراطورية العثمانية شرط أن لا يكونوا جميعاً في مكان واحد ، بل يُفَرَّقوا ، في أماكن تعيّنها لهم الحكومة ، وشرط أن يُقرَّر عددهم مسبقاً من قبل الحكومة . وسيعطون الجنسية العثمانية ويسألون عن جميع الضرائب المدنيّة، بما فيها الخدمة العسكرية. كما سيكونون خاضعين لجميع قوانين البلاد كالأتراك تماماً ». (ص ١٣٤٠).

أما رأي هرتزل بالسلطان ورجاله فقد سجله في جمل مختصرة متقطعة إثر مغــادرته بلادهم :

« وها أنا قد خلصت مرة ثانية من جبّ القتلة وبلاد اللصوص » . (ص ١٣٣٩) .

« وبعد تقديم التحيات تركت جب علي بابا والأربعين حرامياً . » (ص ١٣٤٢) .

كما كتب في الوقت نفسه ، تسجيلات أخرى لرأي السلطان بمشروعه :

« وفي اليوم الأخير سألت السلطان ، بواسطة تحسين ، عن رأيه في توطين

اليهود في أماكن مبعثرة ، وما إذا كانت الحكومة ستعطي المصاريف أو يسمح باقامة مؤسسة مثلاً ، شركة ، أرسل إليّ السلطان الجواب التالي ، إن هذا كله يتوقف على كيفية الإنجاز . إذا لم يكن وراء هذا رغبة في وقف المفاوضات ، فإنه مجرد غباء وبساطة . ومع هذا فأنا لا أظن أن الأمور سيئة . لقد تعودوا أن ينظروا إلي في يلدز وعند الباب العالي كشخص يهتم بولاية بيروت . سيأتي اليوم – عندما ينزلون إلى مستوى الشحاذين ، كما قال لي داود أفندي ١٨٩٦ – الذي يبعثون فيه ورائي لمساعدتهم ويرمون بالأمر في أحضاني . إنما متى تأتي هذه الساعة . وأنا أؤمن بأني أستطيع أن أمهد له إذا تمكنت بمساعدة روتشيلد أو الحكومة الإنجليزية ، من إقامة الشركة اليهودية الشرقية .

هذه هي مهمتي المقبلة . عندها أكون جاراً وصديقاً جدياً للسنجق في القدس ، الأمر الذي أريد أن أحصل عليه في أقرب فرصة ، كما فعل البلغاريون مع شرق روميليه .

إذا أبرق إليّ روتشيلد بالرفض ، فسوف أحاول الإتصال بتشمبرلين » . (ص ١٣٤٣) .

ولما وصلته رسالة روتشيلد وصفها هرتزل بكلمة واحدة فقط :

« هراء » . (ص ١٣٤٤) .

كما قال عنها :

« فارغة ... كلام لايعطي فائدة » . (ص ١٣٤٥).

ومع هذا كتب إليه يتملقه ويتودد إليه في رسالتين :

« لو كان عندك فكرة عن البؤس العظيم الذي يعيش فيه شعبنا الأمين المسكين – ولا أعني هنا المتسولين والرعاع – لكنت إستمعت إليّ أكثر . ها أنا مرسل طيه قصاصة إختيرت عفواً ، وأستطيع أن أرسل إليك بمثل هذه

القصاصات كل يوم ومن جميع البلدان .

إن الرسائل المؤلمة التي تصلني من جماعات العُمّال والمهن والمثقفين لا تكاد تحصى ، وأنا أجيب عليها بتنهدة ، إنني لا أستطيع مساعدتكم . مثل هؤلاء لا يريدون هبات مالية ، لو كانوا يريدون ذلك لما لجأوا إلي — إنما يريدون مجالات للعمل وحياة غير معرضة للإضطهاد ، فالمؤسسات الخيرية لا تؤمن لهم هـذا .

من أجل هذا فقد أسعدني أن أفهم من رسالتك أنك بدأت تنظر إلى القضية من وجهة نظر أعلى من تلك التي هي مجرد نظرة عمل خيري . وإذا لم أكن مخطئاً في هذا ، فإني أعتبر أنه من حسن حظ القضية إذا قبلت أن تتسلم ، أو على الأقل ان تكون لك كلمة في إدارة صندوق هيرش المالي. » (ص ١٣٤٦).

إستلمت مع الشكر رسالتك المؤرخة ١٨ الجاري ذات الرفض اللطيف . أنا لا أُوافقك بأن الكومنولث الذي أُريد أن أُقيمه لا بد أن يكون صغيراً ، محافظاً ، وغير متحرر . لقد عملت ثلاث سنوات على إجابة محكمة على مثل هذا الخطأ وغيره من الأخطاء الشائعة . وكانت نتيجة دراستي هذه كتاباً عنوانه : البلاد القديمة — الجديدة ، وسيظهر الكتاب في مدى بضعة أسابيع ، وستكون أول من أرسله إليهم .

هناك شيء واحد فقط أود أن أقوله الآن . هل كان مؤسسو الدول التي هي الآن عظيمة ، هل كانوا أقوى ، وأمهر وأكثر علماً وأغنى منا نحن اليهود اليوم ؟ إن بعض الرعاة والصيادين قد أسسوا جاليات أصبحت دولاً فيما بعد ، وفي وقتنا الحاضر نرى اليونانيين والرومانيين والصربيين والبلغاريين قد أوجدوا لأنفسهم كيانات — فلِمَ نكون نحن غير قادرين على عمل هذا ؟ إن شعبنا أقدر في جميع الأمور من غيره من شعوب الأرض ، وهذا في الحقيقة هو أصل كره الناس لنا . فقط لم تكن لنا حتّى الآن ثقة بالنفس . سينتهي بؤسنا في اليوم الذي نؤمن فيه بأنفسنا . طبعاً ستظل هناك خصومات

وصعوبات داخلية وخارجية ، ولكن أي بلد واية دولة ليست عندها صعوبات ؟ وفي استطاعتنا دائماً أن ننتج رجالاً يدبرون مثل هذه الصعوبات .

إن إقامة مؤسسة مصلحة يهودية عامة ، أو مستعمرة يهودية ، سمّها ما شئت في البدء — لن تنظر اليها الدول الكبيرة بكره أو حذر ، وعندي البراهين الكافية على هذا . وعلى الأخص ، فأنا على علاقة طيبة مع الحكومة التركية . صحيح أنني نشرت مؤخراً في الجرائد الصهيونية أن رحلتي الأخيرة إلى القسطنطينية لم تؤدِ إلى اية نتيجة ، كان باستطاعتي أن أخفي هذا ، ولكن عندي أسبابي لهذا الخبر .

أهم شيء — كما ترى — أني أحظى بثقة السلطان إلى درجة نادرة ، وهذه ظاهرة غريبة ، إذا ما أخذنا بعين الإعتبار ما قيل له عني من أخبار سيئة كاذبة ، إنني أُريد أن أُصبح ملك فلسطين ، وغير هذا من الأمور الحمقاء . أما أنـــا فقد تكلمت معه بمنتهى الصراحة والبساطة ، لا كمن يتكلم مع حاكم مستبد يُرجَف أمامه ، إنما كمن يتكلم مع إنسان له مشاعر إنسانية ، وأنا أؤمن أن هذا هو الذي قربني إليه . وربما كان السبب أنه عرف من عدة مناسبات أنني لا أسير وراء المال . تأمل ، يا سيدي — أُخبرك بهذا كما أُخبرك بأي شيء آخر وأُريده أن يظل في منتهى السريّة — لقد عرض علي منذ مدة لا بأس بها فرص أعمال وامتيازات عظيمة لو أُتيحت لغيري لجروا وراءها بكل ما فيهم من قوة . وأنا أجد لنفسي أهمية في ذلك لأني أعرف أنه راضٍ عني فهو يعرف أنني لن أخدعه وهو مصيب في ذلك .

إن رفضي لمختلف الصفقات التي إقترحها لي ، لم يكن مجرد رفض أديب لذلك ، إنما كان أيضاً بسبب إنجاز هذه الصفقات ، لأنه كما ترى ، فيها خطر عدم إخلاص مساعدي ذوي الأموال المساعدة العادلة التي أُريدها أنا لأغراضي السياسية وللإبقاء على عرفانه وثقته . ربما كنت في مثل هذا التفكير مخطئاً ، هي أخطاء الخجل .

آخر إقتراح قدمه لي هو أن أتولى له التحويل الذي أعطاه لروفيه بكثير من التردد . أنا الآن أفكر لماذا لم أخبرك بهذا ، لكنت معك قد ضمنت الصحة المعصومة عن الخطأ . هل كانت هذه إحدى أخطائي . أرجوك أن تخبرني رأيك بصراحة . سيجعلني جوابك أعرف كيف أتصرف في مثل هذه الظروف التي قد تكرر اليوم أو غداً .

إن ما تخبرني به عن صندوق هيرش المالي يهمني . ما يخيفني فقط هو أن يكون هناك صعوبة في الإنجاز عندما يسار في المشروع ، ولكننا سنرى ، وأنا أظن أنه يجب عليك أن تساعد في الإدارة حتى تدخل فيها تغييراً . » (ص ١٣٤٧) .

ولم يبق امام هرتزل من باب يطرقه سوى بريطانيه .

« الآن أريد أن أحاول العمل على الخطة الإنجليزية بواسطة تشمبرلين . على أنه ليس هناك أمل كبير في مساعدة الحكومة الإنجليزية لنا إذا لم يكن روتشيلد إلى جانبنا . سأتصل بتشمبرلين بواسطة جرينبرج . وجرينبرج هو أقدر من ساعدني حتى الآن .

حتى لو لم يكن هناك ما يمكن عمله مع تشمبرلين ، سأقوم بمحاولة في إيطـــاليه .

أخبرني إهرنبرايس حاخام صوفيه وكان معي في القطار أن ملك إيطاليه طلب من الملحق بولاكو ، وهو يهودي كان قبلاً يعمل في صوفيه ، عـــن حركتنا . طبعاً لم يكن اليهودي بولاكو يعرف عن الموضوع بقدر ما يعرف الملك ، ولكن هذا الملك الصغير الذي لم يعمل بعد ما يخلده والذي له مطامع في البحر الأبيض المتوسط ، ربما تمكنّا من الإستفادة منه بطريقة أو أخرى . على كل يمكننا أن نستكشف . قد نستطيع التوصل إليه بواسطة لومبروزو .

هذا الفصل السياسي ــ المالي عن البوسفور ، الذي كدت أن أكون فيه

شخصية هو تاريخ عجيب .

عمل السياسيان الفرنسيان كونستان وروفيه لمصلحة جيوبهما ؛ والألمان عملوا للإمبراطورية . لأن عملية التغطية التي ستعود على شركة كونستان ـ روفيه بالأرباح في الأسواق المالية ، وستؤمن إيرادات تركيه التي تتكفل بسكة حديد بغداد . وهذه مؤثرات ألمانيه ، وبهذا تكون السياسة الألمانية قد دفعت لممثلي فرنسه مجاناً ومن جيب السلطان لأنهم ساعدوا مشاريع كان يجب على كل فرنسي أن يحاربها . وهذا الجهاز يحتقر اليهود » . (ص ١٣٤٤) .

وكتب هرتزل في ٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٠٢ إلى كرسبي ، عميله في تركيه ، يعلمه أنه قرر الإعتماد على بريطانيه بعد أن فشل في تركيه .

« سأخبرك ، وأرجو أن تحفظ هذا سراً بيننا ، عما أتوقع أن أعمله . سأحاول أن أحصل على المقاطعات اللازمة لاستيطاننا في إحدى الممتلكات الإنجليزية . كان هذا هدفي من رحلتي الأخيرة إلى لندن » . (ص ١٣٥٢).

وكتب إلى صديقه جرينبرج يعرض عليه القضية لينقل مطاليبه إلى تشمبرلين في ٢٢ ـ ٩ ـ ١٩٠٢ :

« أشكرك على البرقية التي وصلتني منك والتي تقول فيها إن السيد تشمبرلين قد رضي بأن أقابله . يمكنني أن أفهم لماذا يطلب السيد تشمبرلين أن أحدد النقاط التي ستدور مقابلتي معه حولها مسبقاً ، إنما لا أزال الآن غير متأكد من وجهة نظر السيد تشمبرلين في الموضوع ، ولا أعرف بالضبط ما هي الأمور التي يريد أن يعرف عنها أكثر . أخشى إن كتبت ذلك أن أتعبه بأمور لا فائدة منها قبل الوصول إلى صلب الموضوع أما عند التحدث فالإنسان يستطيع أن يمهد لنفسه ويصل إلى ما يريد في خمس دقائق . ومع هذا فإني سأمهد للأمور بتعليق موجز . لما كنت الزعيم المعترف به للصهيونية في جميع البلدان فقد أتيحت لي الفرصة بأن أحصل على معلومات واسعة بخصوص

الهجرة اليهودية ليس فقط في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب بل أيضاً أستطيع أن أؤثر فيها . إن البدء سيكون بأربعمئة ألف .

إن المشكلة لا تقتصر على المتسولين الأجانب وهي لا تختص فقط بدول شرق أوروبه . أما بالنسبة إلى إنجلتره فقد حاز الأمر على شيء من التوقيت عن طريق هجرة الأجانب ، مما أدى إلى تشكيل لجنة ، وأنا لا أعتبر أن المسألة التي ستعنى بها هذه اللجنة قائمة الآن ، وأعتقد أن اللجنة ستقوم إما بوضع بعض القوانين غير المهمة أو لا تقوم بعمل شيء أبداً .

أما إذا أرادت الحكومة الإنجليزية أن تقوم بدراسة لاقتراحاتي فإن أول ما يتوجب عليها هو أن لا تعرض الأمر للعلانية . فإذا ما انتشر الخبر في الخارج فإنه سيؤدي إلى تصفية في المهاجرين الذين قد يسببون إحتكاكاً وحتى تقلقلاً إقتصادياً في بعض أنحاء لندن وإنجلتره . إنما في الحقيقة أنا أهدف إلى أكثر من هذا . أحب أن أثير إهتمام السيد تشمبرلين بتوطين اليهود على نطاق واسع في الممتلكات البريطانية . لن ندخل في تفاصيل هذا الآن ، المهم أولاً أن أجعله مبدئياً يهتم بالموضوع ، وكالتاجر الذي يطلب حساباً سأفتح أمامه كل دفاتري وأخبره بلا تحفظ عن جميع ما نملك وما نحتاج إليه وما نستطيع القيام به . إذا وجد فيما بعد أنه بدعمه لمقترحاتنا هذه سيوسع الإمبراطورية البريطانية فإني سأعطيه تفاصيل العمل في جلسة شفهية ويستطيع هو أن يعدلها ويحسنها أو يرفضها . وعلى المستر تشمبرلين أن يعتمد على حكمتي في جميع الأحوال . » (ص ١٣٥٤) .

وقد حقق الرجل طلب هرتزل ودبّر له موعداً مع تشمبرلين . إجتمعا معاً في ٢٢ ــ ١٠ ــ ١٩٠٢ ساعة كاملة . وهذا ما سجله هرتزل من هذه المقابلة المهمة :

« قدمت إلى جو تشمبرلين الذي بدا وجهه كالقناع الذي لا يتحرك القضية اليهودية كما أفهمها وكما أريد أن تُحلّ . عن علاقتي بتركيه قلت : إنني

أتفاوض مع السلطان ، ولكنك لا بد تعرف ما هو التفاوض مع تركيه . فلو أردت مثلاً أن تشتري سجادة عليك أولاً أن تشرب نصف دزينة فناجين قهوة وأن تدخن مئة سيجارة ؛ وبعدها تتحدث في أمور عائلية ، وبين المدة والأخرى تقول بضع كلمات بخصوص السجادة . أنا عندي الآن الوقت للمفاوضة لكن شعبي ليس عنده الوقت لذلك ، يجب أن أقدم لهم مساعدة سريعة .

عند ذكر حكاية السجادة ضحك قناع الوجه .

ثم جئت على ذكر المقاطعات التي أريدها من إنجلتره : قبرص ، العريش وصحراء سيناء .

قال إنه فقط يستطيع أن يتكلم عن قبرص ، أما الباقي فليس في دائرة إختصاصه هو إنما يخص وزارة الخارجية . أما بخصوص قبرص ، فالأمر هكذا : إن قبرص بلد يقطنه يونانيون ومسلمون ، ولا يمكن أن نخرجهم من بلدهم من أجل مهاجرين جدد . إن واجبه يقتضي أن يحميهم ويقف إلى جانبهم . فإذا قاوم اليونانيون – بمساعدة بلاد اليونان وروسيه – فكرة هجرة اليهود فسوف يؤدي ذلك إلى صعوبات حقيقية . قال إنه شخصياً لا يكره اليهود بل على العكس لو قدّر له أن تجري نقطة دم يهودية في عروقه لتباهى بها . ولكن ليست له هذه النقطة . وقال إنه مستعد أن يساعد إذا تمكن ، وإن الفكرة الصهيونية تروق له ، الخ .

في الحقيقة لو تمكنت أن أدله على بقعة في الممتلكات الإنجليزية التي لا يقطنها بعد أناس بيض لتمكنّا من التحدث في ذلك . في قبرص تبرز مشكلة نقابات العمّال تماماً كتلك التي ستبرز في الجانب الشرقي من لندن ، بسبب إزدياد عدد العمّال الأجانب (إني هنا أعيد كلامه بشيء من عدم الربط ، كما أتذكره الآن . أنكر وجود اللاسامية في إنجلتره . ربما اضطروا إلى وضع تشديدات إذا ازداد عدد المهاجرين اليهود – وكان هذا القول تلميحاً لي ،

كرئيس للنور لأوقف جموع قبائلي عند حدهم ـ لكننا لم نتعرض لمسألة العنصر ، كان الأمر فقط متعلقاً بقضية نقابات العمال .) . وكما أن اليونانيين سيقاومون اليهود في قبرص ، فإن الأستراليين الآن يقاومون هجرة الهنود . إنهم يخافون أن يطغى عليهم . وفي مكتبه لا يستطيع أن يعمل ضد رغبة السكان الأصليين « في بلادنا لا نستطيع أن نخبىء أي أمر ، وإذا ما بحثنا قضية قبرص بهذه الطريقة العلنية فإن ثورة ستقوم سريعاً . »

أجبته على هذا بأن ليس من الضروري إشاعة كل شيء سياسي للجماهير ، تكفي فقط النتائج أو الأمور التي يحتاج إلى تباحث فيها .

بعد ذلك سرت إلى عرض خطتي التي تبدأ بتهيئة الجو لصالحنا في قبرص . يجب أن ندعى للذهاب إلى هناك . سأعمل على تهيئة هذا بواسطة عدد من العملاء لنا . إن تأسيسنا للشركة اليهودية الشرقية برأس مال قدره خمسة ملايين جنيه للإستيطان في سيناء والعريش سوف يحمل القبارصة على تمني هذه الأمطار الذهبية على جزيرتهم أيضاً . سيرحل المسلمون ، وسينتقل اليونانيون عن طيب خاطر بعد أن يبيعوا أراضيهم بأسعار جيدة ، إلى أثينه وكريت.

وقد راقته هذه الفكرة ولكنه قال إنه لا يستطيع أن يقرر أي شيء بخصوص العريش أو سيناء ، لأن الحكومة لا بد أن تسمع إلى رأي لورد كرومر في الأمر ، لأنهم يحترمون رأيه كثيراً ، ولكن لورد كرومر لسوء الحظ ليس هنا ، لقد ذهب إلى مصر .

قلت : « أستطيع أن أرسل شخصاً إليه . »

« ولكن ذلك يستدعي إتصالك بوزارة الخارجية . »

« ساعدني يا مستر تشمبرلين أن أفعل هذا فأنا تارك بعد غد » .

ففكر في الأمر ثم أعطاني موعداً لليوم الساعة ١٢,١٥ لأرى لورد لانسدون .

ولا أعرف ما إذا كنت قبل هذا الكلام أو بعده ، رسمت له خريطة للعريش على ورقة صغيرة كانت على مكتبته . وعندها أيضاً تكلمت عن ميناء حيفا ، وقلت إنني آمل أن أحمل الأتراك على الإتفاق معي إذا ما تعرضت أيضاً إلى وادي النيل ، لأني عندها أستطيع أن أحصل على حيفا بثمن أرخص . وهنا ضحك قناع الوجه الناعم ثانية وأنزل نظارته . قال إنه لا يعرف بالضبط أين تقع العريش ، فذهبنا سوية إلى طاولة كبيرة وتناول منها أطلساً من بين كتب أخرى وفي الأطلس ، أشار إلى مصر وقال : ولكننا في مصر أيضاً سنجابه الصعوبة نفسها مع السكان الحاليين .

قلت : لا ، سنذهب إلى مصر ، لقد كنا فيها من قبل . وضحك مرة أخرى وهو ينظر إلى الكتاب . الآن فقط بدأ يفهمني تماماً ويفهم رغبتي في الحصول على نقطة قوية لليهود تكون قريبة من فلسطين .

هناك أراضٍ خالية في العريش وفي سيناء ، تستطيع انجلتره أن تعطينا إياها ، ويكون لها بدل ذلك زيادة في قوتها وولاء عشرة ملايين يهودي . قلت له كل هذا مما ترك أثراً في نفسه ، ثم جابهته بالسؤال التالي :

هل تقبل بأن نقيم مستعمرة يهودية في شبه جزيرة سيناء ؟

أجاب : « نعم إذا رضي لورد كرومر بذلك . »

ولذا فإن هذا هو العمل القادم الذي يجب أن أهتم به . » (ص ١٣٦٠).

« إن أكثر ما يستدعي الإستغراب في هذه المقابلة أنه لم تكن له معلومات واسعة عن الممتلكات البريطانية التي هي تحت إمرته الآن . كأنما هذه أغراض متراكمة بغير نظام في حانوت رجل لا يعرف ما إذا كان سيجد في مخزنه شيئاً له قيمته .

أريد مكاناً لتجميع اليهود وعليه أن يبحث ما إذا كان لإنجلتره مكان يصلح لنا . إن أهم ما توصلت إليه أمس هو أن جو تشمبرلين لا يعارض مبدئياً

فكرة إقامة مستعمرة يهودية مستقلة في الجانب الجنوبي الشرقي من البحر المتوسط . واليوم سأنقل هذا الخبر إلى روتشيلد الذي سأجتمع به ظهراً . »
(ص ١٣٦٣) .

وكتب هرتزل عن اليوم التالي ، أي ٢٣ ــ ١٠ ــ ١٩٠٢ ، أنه « كــان يوماً عظيماً في تاريخ اليهود » (ص ١٣٦٤) . وذلك لأنه قابل تشمبرلين مقابلة ثانية أعد له فيها موعداً مع وزير الخارجية اللورد لانسدون :

« قال لي : « لقد دبرت لك موعداً مع اللورد لانسدون وهو ينتظرك في الساعة ٣٠ ، ٤ بعد الظهر وقد مهدت لك الطريق ، اعرض عليه الأمر كله ولكن لا تذكر قبرص ، لأن قبرص من اختصاصي ، قل له ان المستعمرة التي تقترحها لا يقصد منها التهجم على ممتلكات السلطان » . وكان يقول هــذا بوجه مبتسم فالقناع اليوم كان ملؤه الحيوية والانشراح .

قلت : طبعاً لا مجال للشك في هذا فانا لا انوي الذهاب الى فلسطين إلا برضى السلطان .

فنظر الي ّ نظرة كأنه يريد ان يقول : « قل هذا للسلطان » ، ولكنه قال : « أكد للانسدون أنك لا تريد ان تدبر إغارة من العريش على فلسطين » .

قلت مبتسماً : لا تخف يا مستر تشمبرلين سأحاول أن أطمئنه. وتصافحنا وانا اقول : اني مسرور بمعرفتك . » (ص ١٣٦٨) .

وقد دون هرتزل هذه الملاحظات على مقابلته مع لانسدون :

« مرة اخرى شرحت كل شيء انما تركت ذكر قبرص . وقد إستمع الي بكل لطف وسأل بعض الاسئلة ثم طلب الي ّ ان اقدم له مذكرة خطية عــن الأمر ــ أرادها لمجلس الوزراء . وقال انه سيكتب الى لورد كرومر شخصياً ليطلب اليه رأيه . عندها قلت إنني سأبعث بممثل هو جرينبرج الى كرومر ، حالاً .

فذكرني ان لورد كرومر قد يكون قد ذهب الى الجنوب واضاف إنـــه مستعد ان يعطي جرينبرج رسالة تقديم الى لورد كرومر .. اعتقد ان يومي هذا كان ناجحاً .... نسيت ان اذكر شيئاً عن مقابلتي مع لانسدون . قلت له في نهاية الجلسة : بقي أمر أخير اريد ان اقوله لك وهو انني على علاقة شخصية طيبة مع السلطان فهل لي أن أقدم اي خدمة لك مقابل ما تعمله لنا . فانا اعتقد ان سلطة الانجليز قد تأثرت قليلاً في الشرق .

فغض طرفه بلباقة ديبلوماسية ، ولكنه على ما يبدو سر بما قلت واجاب بانه سيعود الى هذا الموضوع يوماً ما . » (ص ١٣٧١) .

وقد طلب الوزير منه مذكرة بمقترحاته . ففعل ذلك في ٢٤-١٠-١٩٠٢.

« إن حل المسألة اليهودية في شرق اوروبه لا يزيد في اعتبار انجلتره فحسب بل سيكون في صالحها . اما الحافز الذي سيجعل الحكومة البريطانية تهتم بهذه المسألة فهو الهجرة الى الجانب الشرقي من لندن . صحيح ان هذه الهجـــرة لم تصبح بعد خطرة ، وآمل ان لا تكون خطرة الى درجة تحمل انجلتره على التخلي عن مبدأها العظيم في السماح باللجوء السياسي ، ولكن تعيين بعثة ملكية لتنظر في الامر كاف لأن يجعل العالم يقبل بان تخصص الحكومة البريطانيـــة قطاعات خاصة لليهود الذين يضطهدون في كل مكان فيضطرون الى اللجوء الى انجلتره . وليس هذا التفسير سطحياً لأن القوى نفسها التي تعمل الآن على اخراج اليهود من بلادها ، والتي لا تقف في وجه عمل الحركة الصهيونيـــة التي أديرها انا ، في تهجير اليهود ، هذه نفسها ، قد تغير فكرها وتقف عائقاً في طريقنا ان إكتشفت ان قوة انجلتره في جنوبي شرقي البحر المتوسط قـــد اصبحت تسير في طريق الضعف . مثل هذه الغيرة ستضايق مهاجرينا كثيراً ، ولكن مع مضي الوقت ، وعندما تسير الأمور ، لا يستطيعون ان يعملوا شيئاً بهذا الخصوص . تمتلك انجلتره الآن في جنوبي شرقي البحر المتوسط مقاطعات

خالية من السكان لا قيمة لها ، هي المنطقة الساحلية المؤلفة من العريش وشبه جزيرة سيناء . هذه المنطقة يمكن ان تصبح ملجأ ووطناً لليهود المضطهدين في جميع انحاء العالم ، اذا سمحت انجلتره لليهود باقامة مستعمرة هناك .

لقد قضيت وقتاً لا بأس به اتفاوض مع الحكومة التركية باسم الحركة الصهيونية للتنازل عن قسم من فلسطين ، على ان المفاوضات التركية تأخذ وقتاً طويلاً وانا انوي ان اسير في هذه المفاوضات مع السلطان الذي يبدي اهتماماً شخصياً بي – على الأقل لابعد اي شبهة في ان استيطاننا في العريش وغيره ، اذا اخذناه سيكون غير سلمي.اما من الناحية العملية ، فالاستيطان سيسير مبدئياً كما يلي : تعطينا الحكومة البريطانية امتيازا للمقاطعات المطلوبة ، ولا حاجة لأن ندخل في التفصيلات الآن ، وعندما نمنح الامتياز تقرر الضرائب التي ستدفعها المستعمرة اليهودية للامبراطورية . وعلى اساس هذا الامتياز سنؤسس شركة استيطان ، الشركة اليهودية الشرقية بمبلغ خمسة ملايين جنيه كرأس مال . هذه الشركة تقوم باعمال الاستيطان حسب التخطيط . يذهب موظفون تقنيون وخبراء زراعة حالاً الى هناك لتهيئة الطرق وسكك الحديد والموانئ ولدراسة المساحات وتقسيمها .

لكن الهجرة لن تبدأ سريعاً ، يجب ان تنظم اولاً ، فعندنا الاف من المؤسسات الصهيونية في انحاء العالم . وهي مقسمة الى اتحادات في كل بلد . فمثلا هناك الاتحاد الانجليزي (ورئيسه سير ف . مونتفيوري، في لندن) ، واتحاد في جنوبي افريقيه (ورئيسه مستر جولدرايخ في جوهانسبرج) واتحاد كندي (ورئيسه مستر كلارنس دي سولا ، في مونتريال) وطبعاً عدد اتحادات شرقي اوروبه اكثر بكثير . إن المكان الرئيسي لهذه الاتحادات جميعها في فينّه . وعن طريقها نستطيع أن ننظم وبصورة يتكل عليها امور الهجرة ، تقدم الينا الفئات المحلية المهاجرين وتكون هذه الفئات هي المسؤولة عن كفاءة الاشخاص الذين يختارونهم . والغاية من هذا ان نتأكد من صلاحية وكفاءة

الروّاد . وسيكون التوطين حسب أحدث مبادىء العلم والخبرة .

وسيكون رأس مال الشركة وجهود اوائل النازحين المختارين نواة المستعمرة ، ولكن هذا لن يكفي ، لأنه إن اقتصر الأمر على هذا فسيبقى تافهاً وسطحياً كغيره من محاولات الاستعمار اليهودي ، يجب أن يسند العمل ويقوى بمنح حقوق استعمارية حتّى يقبل عليه اليهود المنبوذون والضعفاء والبؤساء .

ولن تقتصر الهجرة على يهود شرقي اوروبه الجائعين الذين سيذهبون من اجل العمل ، انما سيذهب ايضاً بعض اصحاب رؤوس الأموال ، لأنهم سيجدون مجالات لمشاريع اعمال يستفيدون منها.وحتّى بعض اغنياء روسيه سيذهبون ايضاً . هذه جميعها حقائق انا متأكد منها وعندي عليها براهين ابقيها سرية وفي غضون سنين قليلة ستصبح الامبراطورية أكبر بفضل مستعمرة غنية .

صحيح أن البلاد الآن فارغة لا شيء فيها ، انما هذا لن يؤثر في ما انا متأكد منه . إن جميع المدن القائمة اليوم قامت على فراغ . وهناك البندقية التي قامت على المياه وفي وقت اقل تقدماً من وقتنا الحاضر .

إن الطاقة البشرية هي ثروة البلاد ، وتستطيع انجلتره ان تضم اليها هذه الطاقة البشرية ، ليس فقط مئات الآلاف الذين سيهاجرون في بضع سنين ليخصبوا الأراضي البور برؤوس اموالهم واتعابهم وسيقيمون وطناً سلميا بل هناك جميع يهود العالم الذين سينضمون تحت كنف انجلتره ، إن لم يكن لاسباب سياسية فعلى الاقل لاسباب معنوية .

هناك حوالي عشرة ملايين يهودي في العالم ، لا يستطيعون في جميع البلدان ان ينتموا الى انجلتره علناً ، انما سينتمون اليها بقلوبهم اذا هي قامت بعمل مثل هذا فاصبحت حامية للشعب اليهودي . وفي لحظة تستطيع ان تعتمد

على عشرة ملايين موال مخلص لها في جميع انحاء العالم وإن كان ذلك في السر. بعضهم مجرد بائعي ابر وخيطان في قرى الشرق الصغيرة ولكن البعض الآخر تجار كبار واصحاب مصانع ، ومديرو بنوك وعلماء وفنانون وصحفيون واصحاب اعمال اخرى . جميع هؤلاء سيكونون رهن اشارة الأمة العظيمة التي ستمهد لهم المساعدة المطلوبة .

سيكون لانجلتره عشرة ملايين عميل من اجل عظمتها وسيطرتها ، وهذا الولاء لا بد ان يكون على الصعيدين السياسي والاقتصادي . فمن الطبيعي ان يُقبل اليهودي على شراء وتشجيع منتوجات بلد يقدم لليهود مساعدة ويفضلها على منتوجات بلد اليهود فيه مضطهدون . لقد سبقت انجلتره غيرها من البلدان في ايجاد وسائل المواصلات لتوسيع وتقوية مستعمراتها . وكذلك فان الفوائد تعود على من يقوم باعمال لا يفطن اليها غيره .

أملنا ان تفطن الحكومة الانجليزية الى فوائد كسب الشعب اليهودي . » (ص ١٣٦٤) .

وأسرع هرتزل لإعادة الإتصال بروتشيلد . قابله وأحيا مشروع قبرص معه :

« لما اخبرته انني رتبت ارسال ستة رجال الى قبرص ليمهدوا الجو لدعوة اليهود ، أظهر رضاه عن ذلك بابتسامة كبيرة . وقال إنه يفضل مشروع قبرص على مشروع العريش ، ولكنني قلت إننا يجب أن نبدأ بالعريش .

اخبرني أن روزفلت والملك ادوارد هما صديقان لليهود وانهما متحمسان للتوسط من اجلهم فقلت : لكن ذلك لن ينفعنا كثيراً ذلك انني افضل مساعدة جذرية لخطتي ». (ص ١٣٦٩) .

وأخذ هرتزل يعمل جدياً لمشروع إقامة مواطىء قدم لليهود في سيناء . وكان لابد من الإتصال مع مصر أولاً . فأرسل أحد رجاله إلى مصر ، ولما

عاد أرسله إلى لندن لمقابلة تشمبرلين ولانسدون :

« بعثت جرينبرج الى مصر ، وقد وصلني منه برقية من القاهرة إنه قد وصل الى هناك منذ يومين وانه سيعود غداً وان كل شيء على ما يرام . ترى هل نحن على ابواب اخذ ميثاق بريطاني لتأسيس دولة يهودية ؟ »(ص ١٣٧٢).

« عاد جرينبرج من القاهرة بنصر عام . لقد نجح في استمالة لورد كرومر الى قضيتنا وايضاً بطرس غالي باشا (رئيس الوزراء المصري) وبعض ذوي النفوذ الانجليز امثال مستر بوئيل وكابتن هنتر وغيرهما . » (ص ١٣٧٢) .

وفي ١٩ ــ ١١ ــ ١٩٠٢ قرر أن يسافر هو نفسه إلى مصر « لأتمكن من التأثيرعلى تشمبرلين هناك » (ص ١٣٧٦) . لكنه عدل عن فكرته في ٢٠ ــ ١١ ــ ١٩٠٢ بعد أن وصلته برقية من جرينبرج :

« وصلتني برقية مرضية من جرينبرج ، تحدث امس مع تشمبرلين وقال إن هذا الأخير تحدث مع لانسدون . وصلت مذكرتي الى لانسدون في اليوم الذي سبق اجتماع الوزارة . ينوي تشمبرلين ان يتحدث مع لورد كرومر كي يبت في الأمر في اقرب وقت ممكن . ينصحني جرينبرج ان لا اذهب للقاهرة بل أنتظر بصبر حتى يستدعيني لانسدون الى لندن ، لأوقع على اتفاقية اولية . سأعمل بنصيحته . » (ص ١٣٧٦) .

وسارت الأمور في لندن على ما يرام :

«جاء تقرير من جرينبرج يقول إن كل شيء على ما يرام، لقد تحدث مع مستر بارينجتون ، السكرتير الاول لوزارة الخارجية.واليوم اجتمعت لجنة العمل في بيتي . ضحك كوكش وكاهن عندما ذكرت ان وثيقة ما ، ولو واحدة فقط ، من مصر لها قيمتها .

ذكرت كوكش بجملة قالها منذ بضع سنوات « لن يقرضنا أحد حتى ولا عشرة آلاف جيلدر » . ومع هذا فلدينا اليوم بضعة ملايين نتصرف بهـا ،

أُقرضت في الحقيقة لي ، اي اعطيت لي شخصياً . » (ص ١٣٧٧) .

وقد جمع هرتزل رجال « لجنة العمل » في الحركة الصهيونية وأبلغهم بمشروع العريش :

« ثم لخصت للمجتمعين نظريتي في كيفية سير الأمور اذا منحنا الوثيقة المصرية : بعد العريش ، حوالي ميل ونصف الميل الى الشمال ، يوجد خليج ، هناك سأُقيم اول ميناء ، وابني حاجزاً يحول المياه عنه الى البحر ، وبعدها ابني طريقاً يصل بين هذا الميناء وجبال سيناء . وآمل ان أجد المال الكافي لانشاء اماكن للسكنى في الجبال . » (ص ١٣٧٧).

وبينما كان يوالي إتصالاته مع بريطانيه ، أجرى هرتزل مباحثات مماثلة مع كل من حكومتي روسيه وتركيه . أما روسيه فكان قد كتب منذ ٢٣ — ٨ — ١٩٠٢ إلى صديقته مدام كورفن — بياتروفسكا يطلب التوسط له مع قيصر روسيه :

« كتب لي صديقي المحترم وكيل النيابة يا سينوفسكي عن تلطفك بالعمل على حَمْل وزارة الداخلية على الاهتمام بقضيتنا. ولعلك تستطيعين أن تطلبي من صاحب السعادة ان يؤمن لي مقابلة مع قيصر روسيه في اقرب وقت . قد يتذكرني قيصر روسيه ، انني منذ بضعة اعوام كان لي شرف توصيل مذكرة مفصلة عن الصهيونية وقد شكرني عليها صاحب الجلالة بواسطة صاحب السمو دوق بادن الكبير . وبعد ذلك اراد شقيق القيصر صاحب السمو دوق هس الكبير ان يقدمني للقيصر في دارمشتات ولكن القيصر لم يكن قادراً على مقابلتي وقتئذ . وفي مؤتمر السلام في لاهاي ، كانت لي فرصة العمل من اجل القيصر. وقد علمت فيما بعد ان هذا الخبر عني وصل للقيصر ، اخبره به السفير فون ستاهل . ولا بد ان يكون البرهان على هذا في سجلات لاهاي . كذلك فقد تلطف الدوق الكبير يوماً بذكر جهودي امام القيصر . اما الغاية من المقابلة فهي كي اطلب اليه ان يبارك حركتنا ، لان ذلك سيكون له اكبر الأثر

خاصة عند شبابنا الذين ستكون هذه اللفتة حافزاً لهم حتى لا يضلوا سياسياً كما انها ستكون تشجيعا للمحافظة على مبادىء الصهيونية » . (ص ١٣٥٢) .

وفقط في ٩ ــ ١٢ ــ ١٩٠٢ علم أن هناك إمكانية مقابلة مع قيصر روسيه :

«الأخبار من كاتزنلسون تقول بانه قد اتمكن من مقابلة قيصر روسيه ، وفي هذه الحالة سوف احتاج الى سفير النمسه في بيترسبرج ولهذا فانا اجدد علاقاتي مع كويربر . » (ص ١٣٧٨) .

وأما تركيه فكان هرتزل قد أعاد الإتصال بالسلطان منذ ٢٥ ــ ١٠ــ١٨٠٢ وكتب إليه يعرض مشروعاً إقتصادياً جديداً :

« لي الشرف بتقديم الاقتراح التالي الى حكمة صاحب الجلالة الامبراطورية. كنت قد سمعت عن اهتمام حكومة الامبراطورية بمسألة الكبريت . والظاهر ان بعض القوى الأخرى لا تريد هذا الاحتكار الذي هو على كثرة الفائدة منه قليل الكلفة ، وبخصوص هذا الموضوع أود ان يسمح لي بأن ابدي رأيي : باستطاعة صاحب الجلالة أن يتجنب الصعوبات اذا أعلن أن المسألة لا تتعلق بتحضير الكبريت في تركيه ، وانما هي فقط متعلقة بشرائه من البلدان التي يأتي الآن منها . وما دامت الصعوبات تنشأ من اجل مصالح هذه الشركات فانه من المؤكد أن تتوقف الاحتجاجات . تحتفظ حكومة الامبراطورية باحتكار البيع فقط ، ويتولى البيع دكاكين بيع التبغ ، وتعقد الحكومة التركية معاهدات مع الشركات الاجنبية التي تتولى الآن التصدير الى تركيه وبشرائها كميات كبيرة ستحصل على أسعار معقولة جداً ، او ــ وهذا هو الافضل ــ تطلب الحكومة عروضاً لتوصيل الكبريت ، مما يؤمن لها أكبر فائدة من منافسات الشركات الأجنبية .

إن الارباح التي ستجتنيها عن طريق الشراء بالجملة واحتكار البيع بالمفرق ستعود عليها بدخل تستطيع معه ان تؤمن قرضاً اذا ما دعت الحاجة .

وعلى صاحب الجلالة الامبراطورية ان يقرر ما اذا كان لهذه النصيحة غير المغرضة اي قيمة ام لا . واسمح لي في الوقت نفسه ان اقدم كتابي الجديد على اعتاب العرش هدية متواضعة . انه رواية خيالية تبين صورة للمستقبل السعيد الذي سيؤمنه استعمار اليهود لفلسطين. لقد اضطررت، لسوء الحظ، ان أضع فكرتي في اطار خيالي ، لاني لم احصل على قبول صاحب الجلالة . وانا الآن اعمل على تحقيق مشروعي في بلاد أخرى . » (ص ١٣٧٤) .

تلقى هرتزل جواباً مشجعاً من لانسدون ، وزير الخارجية البريطانية ، في ٢١ – ١٢ – ١٩٠٢ :

« استلمت امس جواب لورد لانسدون وقد كتبه سير ت . ه ساندرسون وهو وثيقة تاريخية .

لورد كرومر يقول ان مشروع شبه جزيرة سيناء سيكون محتمل التحقيق – اذا وجدت اللجنة ان الظروف الراهنة تسمح به . ستطلب الحكومة المصرية فقط الحصول على الجنسية العثمانية ودفع تبرعات سنوية لحفظ النظام في الداخل والخارج . » (ص ١٣٨١) .

لذلك قرر أن يباشر بمشروع سيناء :

« سأرسل بعثة الى هناك : مرمورك المهندس المعماري ، كسلر المهندس ، البرفوسور واربرج ، وهو احد خبراء الزراعة في فلسطين ، وعالم الهندسة جنينج – براملي من السودان الذي أوصى به كرومر .

سأُدفّع السلطان ثمنا غاليا للقبول بالمواطنة العثمانية(تحت ضمانة انجليزية). سأطلب مقابل ذلك قطعة من فلسطين . سأعد بدفع الاشتراكات السنوية وافي بهذا الوعد شرط أن ينتخب المستعمرون حاكم مقاطعة « اليهودية » في الأراضي المصرية لمدة عشر او سبع سنين ، ويكون على الخديوي فقط ان يُقر ذلك – او يُنتخب هذا الحاكم من قبل الحكومة الانجليزية ويُعين من قبل الخديوي .

اما فرق الجيش الحامية فيجب ان يكون قوادها مصريين — انجليز ، والموظفون يكونون منا .

وعلى اساس هذه الانجازات يتحتم على لورد روتشيلد ان يعطي جمعية الاستعمار اليهودية — مليونين او ثلاثة ملايين جنيه على الاقل للشركة اليهودية الشرقية ، والباقي يحصّل عن طريق الاشتراك » . (ص ١٣٨٢) .

وكتب إلى لانسدون يشكره ويطلب موعداً :

« لما كانت بعض الأمور تحتاج الى شرح شخصي فانا آمل أن ازور سيادتكم في لندن بعيد عيد رأس السنة لاجيب في الدرجة الأولى على الاعتراضات حول « حقوق الاستعمار » . خطر في بالي ليلة أمس الأمر التالي : ربما استطعنا أنْ نروي الصحراء من النيل! مثلاً خط انابيب بسيطة، ولكن هذا مستحيل بسبب قناة السويس ؛ لأن الماء يجب أن يضخ من فوق على علو السفن (! ؟) او يضخ من تحت على عمق كبير . هذه الطريقة الثانية تبدو اسهل بكثير . قد يكلف هذا الضخ مليوناً ولكن ذلك ليس بكثير على مثل هذا المشروع . او يؤخذ الطمى ، بالنشل على سفن ويوضع في العريش . او تبنى سفن خاصة يصفّى فيها الطمى فيبقى في قعرها ويرسل الى العريش . وقد يكون هناك طرق اخرى لتحقيق ذلك ، سأعهد بهذا الأمر وبامر الفوسفات الى مرمورك وواربرج (اللذين قبلا المهمّة) وسيكون عملهما سريّاً . » . (ص ١٣٨٢)

ذهب هرتزل إلى لندن في ١٢ — ١ — ١٩٠٣ . واجتمع إلى روتشيلد لترتيب العمل بينهما على تنفيذ المشروع :

« شرحت له كل شيء في مدة ثلاثة أرباع الساعة ، كما اعطيته الرسائل المتبادلة بيني وبين الحكومة ليقرأها ، وقد اهتم بها . كذلك أخبرته عما أريد منه : أني أُريد أن يؤمن لي ثلاثة ملايين جنيه من جمعية الإستعمار اليهودية

للشركة اليهودية الشرقية ، وبعدها نستطيع أن نجمع المليونين الباقيين بالإشتراك.» (ص ١٣٨٥) .

واذا اعتذر لانسدون عن إستقباله (ص ١٣٨٦) قابل وكيله :

« ذهبت مع جرينبرج للإجتماع بسير توماس ساندرسون الوكيل الدائم للشؤون الخارجية في داوننغ ستريت . إنه رجل متقدم ضعيف حاد الذكاء ، تبدو عليه إمارات الإرتياب . وقد ذكرني بفريسينت . وتكلمنا في أُمور مختلفة لم يكن فيها الكثير من الجدة ، ولكن عندما ذكرت حقوق الإستعمار التي يجب أن تكون من أجل الإستيطان ، خاف . يجب ألا نفكر بشيء على صعيد دولي – أكثر ما يمكن التفكير به هو ميثاق من الحكومة المصرية . وأغرب ما في الأمر هو أن سير توماس لا يعتبر بقاء إنجلتره في مصر أمراً مفروغاً منه مع العلم بأن العالم كله يؤمن بأن إنجلتره ستظل متمسكة بمصر مهما كلفها الأمر . إنه يعتبر بقاءهم مؤقتاً وغير وثيق الرسوخ .

أعطيته المخطط العام للجنة والإنتماء اليها ، وقلت له اننا ما نزال في حاجة إلى مهندس . فاقترح سير توماس اسم سير بنجامين بيكر باني جسر فيرت أوف فورد وسد أسوان . لم يرد أن يدخل في تفاصيل الميثاق ، ذلك سندبره مع لورد كرومر ، فالحكومة الإنجليزية ستسير مع كرومر وكما يريد لا أكثر ، ويظهر أن سير توماس كان يخاف أن أُحاول استمالته إلى حد بعيد التورط ». (ص ١٣٨٧) .

وكانت نتيجة هذه الإجتماعات أن خطط لرحلة لجنة من خبرائه إلى مصر – وبهذا الخبر أتم الفصل ١٣ من يومياته :

« ثم عقدت اتفاقاً مع المهندس كسلر ليكون رئيساً للحملة . ولكسلر الخبرة والهدوء اللازمان للمهمة . أما أُوسكار مرمورك فصاحب مزاج فني وقد سبب خلال بضعة أيام بعض المشاكل في برلين بسبب تهوره وتسرعه .

ستبدأ الحملة رحلتها من تريسته في التاسع والعشرين .

سأقوم أنا بتهيئة كل ما يلزم . وأنا الآن أدرس خرائط البلد . إن هذه نهاية عظيمة للفصل الثالث عشر .

فيما بعد .

كان الكولونيل جولد سمد هنا . يريد أن يكون مع الحملة . قبلت به ، سيأخذ مئة جنيه للرحلة مع التكاليف . إنه يريد أن يكسب رئيس البلدية والملك إلى جانبنا . » (ص ١٣٨٨) .

والواقع أن هرتزل كان يسلك كل السبل للوصول إلى حكام بريطانيه في ذلك الحين بشكل خاص (مطلع ١٩٠٣) .

«حينما طلب الكولونيل جولد سمد أن يذهب في الرحلة نوه إلى كونه مضطراً أن يدير الأمور المالية قبل أن يقرر الذهاب فقلت له مشجعاً : أرجو أن تأخذني كصديق وتصارحني بما تريد » وعندها قال بشيء من التردد ، ستكلف الرحلة مئة جنيه إلى جانب المصاريف الأخرى .

فقبلت ذلك وقلت له سأوافيك بشك قدره مئة جنيه يوم الإثنين .

بعد ذلك ذهب لتناول طعام الغداء مع رئيس البلدية . سيكفيني أن يسعى بتقديمي إلى الملك ، ولن تهمني أية خدمة أخرى يقوم بها في رحلته ».(ص١٣٩٣)

«كذلك أريد أن يذهب جرينبرج إلى مصر في الوقت الذي تذهب فيه اللجنة. هو يقدمهم إلى اللورد كرومر وبويل وهنتر وآخرين . أما إذا هو لم يتمكن في المهمة ستقع على عاتق كولونيل جولد سمد ، الذي وكلته أيضاً بالعمل على استمالة اليهود المصريين . » (ص ١٣٩٤) .

في ٢٠ ــ ١ ــ ١٩٠٣ أرسل هرتزل لجنة الخبراء إلى مصر :

« أعطيت اليوم تعليمات إلى كسلر ، عليه أن يقدم لي تقريراً عن إمكانية

الإستيطان في البلاد ، حتى أسير في العمل للحصول على الميثاق والمال . وكذلك أسررت إليه بأني أرغب في الحصول على قبرص وحيفا مع مينائها ، وأنني أنوي بدء الإستعمار بأفضل الأراضي .

أعطيت تعليمات لجرينبرج بخصوص الميثاق ، يجب أن يكون موجزاً ومرناً . عليه أن يأخذ كل ما يمكن الحصول عليه من الحكومة المصرية ولكن يطلب أكثر ما يمكنه طلبه ، لأن نوعية الإمتياز تقرر كمية المال الذي يستثمر وإمكانات النجاح .

ما أزال أعمل في تنظيم الرحلة .

جاءني اليوم صباحاً كسلر وكولونيل جولد سمد وممثل عن شركة كوك . أكملت الترتيبات اللازمة حتى الإسماعيلية، بعدها يتولى كسلر الأمور. أعطيتهم فقط الترتيبات الأولية .

ستسير الحملة من الإسماعيلية (وليس بور سعيد) على طريق القوافل إلى بحيرة سيربونيا ، ثم إلى الجانب الشرقي من البلاد وهناك تقيم أول معسكر لها . .

سيحضر كولونيل جولد سمد خرائط جيدة من وزارة الحربية ، وسيكون على العموم مفيداً لنا جداً . » (ص ١٣٩٤) .

« عملت أمس حتى المساء مع أعضاء بعثتي . وإن رزانة كسلر تجعلني أحب أن يكون زعيماً . أما كولونيل جولد سمد فإنه يفيدنا بعمل خرائط الموظفين والبحرية التي يقوم بها الآن . و ج. هـ. ستفنس مهندس الزراعة ، بثبات الرجل الإنجليزي ، يعمل بحماس . تحدثنا أول كل شيء بمسألة الميناء في بحيرة سيربونيا . يريد أن يمد قنال المياه العذبة الذي تجري من النيل إلى قنال السويس، هذا القنال كان قد أقيم من أجل العمال في أيام دلسبس.» (ص١٣٩٧).

« لقد هيأت برنامج الرحلة كما يلي :

كسلر وأوسكار وجولد سمد ولورينت (الذي قابلته في باريس و كسبته إلى جانبنا) وربما ستفنس أيضاً يصلون الإسكندرية يوم الإثنين ، ٢ شباط ، وهناك ينضم إليهم جنينج براملي الذي لم اسمع منه بعد ، وجوف ، الذي سيهتم بالجمال والعتاد وغيرها . في هذا الوقت يذهب كسلر وبراملي إلى القاهرة إذا كان هناك ما يجب عمله . ويذهب أوسكار أيضاً إلى القاهرة ليتفرج على الأساليب الهندسية المصرية الجديدة لعل رؤية القناطر القوطية العالية تبعث فيه الحماس .

الأربعاء ٤ شباط ، يجتمع كسلر وبراملي مع جرينبرج في بور سعيد . يتعرف جرينبرج ببراملي أثناء الرحلة إلى الإسماعيلية .

الخميس ٥ شباط ، تبدأ الرحلة على طريق القوافل ، إما من الإسماعيلية ، أو من القنطرة في إتجاه بحيرة سيربونيا التي يتم التعرف على ما حولها أول شيء ، حتى يدرس أمر صلاح البحيرة بعد تجفيفها لتكون ميناء ومكانا للبناء .

يذهب جرينبرج إلى القاهرة ليتباحث في أمر الإمتياز .

تقوم البعثة بإرسال جميع التقارير إلى جرينبرج الذي يقوم هو بدوره بإرسال هذه التقارير لي إما تلفونياً أو عن طريق الرسائل .

أما مهمة ستفنس فهي دراسة الميناء ، والأقنية من النيل وحفر الآبار وإقامة السدود ، وبكلمة ، جميع المسائل المائية . ومهمة لورينت هي المسائل المتعلقة بالمزارع . تكلمت معه أمام نوردو وألكس . أخبرته بأننا نخطط للبدء بمشروع شركة رأس مالها خمسة ملايين جنيه ، وسوف نتمكن فيما بعد من الحصول على المبلغ المالي الذي يتناسب مع القدرة الضرائبية المستثمرة لدى المستوطنين . لذلك يجب أن لا يعتمد في دراسته لإمكانية الإستيطان على عامل

المصادر الطبيعية الموجودة فقط ولكن على العاملين الآخرين وهما المال والقوة العملية .

عندما نبدأ سيكون لدينا الميزانية الكافية ويظل يصلنا من شرق أوروبه التي لن ينضب معينها جموع من العمال البائسين وبإجور رخيصة ، وسيكونون من أفضل العمال . عليه أن يعتمد هذه الحقيقة وعلى ضوئها أيضاً يقدم لي تقريراً فيما إذا كان الإستعمار ممكناً وأي نوع من التقدم يمكن أن يوصل إليه .

أما مهمة جولد سمد فهي أكثر رونقاً ، لكنه سيظل مفيــداً في التداول مع السلطات الإنجليزية ، وإذا لزم الأمر يهتم بأمور الحماية العسكرية ، وكمسؤول عسكري عليه أن يتولى قيادة التحركات التي يتم الإتفاق عليها في مجلس البعثة برئاسة كسلر ، إنما يبقى كسلر هو الذي يقرر صوته النتيجة في حالة عدم الوصول إلى أغلبية في الأصوات .

ويقوم أوسكار مرمورك بوظيفة السكرتير العام إلى جانب إختصاصه في مسألة الإستيطان والبيوت وبناء الطرق وتخطيط المدن إلخ .

ودكتور « جوف » (إذا ذهب معهم) عليه أن يدرس الطقس والأمور الصحية ويقدم تقريراً عنها .

براملي : يقوم بجولات الإستكشاف في البلاد .

كسلر هو الرئيس ، وأمين الصندوق وخبير التربة.لقد طلبت من واربرج أن يبرق إلى بلانكينهورن أن يبعث إلينا بتقرير مختصر (وسندفع لهذا) عن الأماكن الصالحة لإقامة المخيمات ، وآمل أن أجد هذا التقرير في إنتظاري في فينه لأعطيه لكسلر .

ثلاث خرائط قيد التحضير ، واحدة يأخذها أفراد البعثة معهم ، وواحدة تبقى مع جرينبرج في القاهرة والثالثة تبقى معي .

كنت أنوي أن أقترح تقسيم الخريطة إلى مربعات حتى تكون التقارير عن

المربع الذي تكون فيه البعثة في الوقت المعين . ولكن الكولونيل جولد سمد كان قد أعد شيئاً يشبه هذا ، أو بالأحرى أفضل ، للجيش الإنجليزي : أوراق شفافة ذات مربعات ، يمكن إلصاقها على الخريطة ، هذه المربعات مرقمة بحروف ، وسنستعمل ذلك .

أظنني لم أنس شيئاً، لا كتب القوانين ولا التأمينات على حياة المسافرين ولا الصور التي عليهم أن يستعملوها في خيامهم لتسلية البدو في الصحراء . وأنا أنوي أن أشتري هدايا للبدو غداً في فينه » . (ص١٤٠٠) .

أما مهمة اللجنة فقد حددها هرتزل في رسالته إلى رئيسها كسلر :

« بموجب السلطة التي لي بصفتي رئيس اللجنة التنفيذية في الحركة الصهيونية وبإسم ، وبالنيابة عن ، لجنة العمل الداخلية الصهيونية في فينه أعينك رئيساً للحملة التي أوكلناها بدراسة إمكانية الإستيطان في القسم الشمالي من شبه جزيرة سيناء . يرجى منك أن تتبع التعليمات المعطاة لك بحسب ما تسمح به الظروف التي لا يمكن أن يتنبأ عنها بالتفصيل من الآن . إن مهمتك هي أن تبحث وتقرر ، بمساعدة رجال الحملة ، الفرص والإمكانات التي تسمح باستعمار الأرياف والمدن في المنطقة الواقعة على البحر الأبيض المتوسط بين قنال السويس والحدود التركية وكذلك على الساحل .

تبدأ الرحلة من الإسماعيلية أو من القنطرة إلى بحيرة سربونيا . وفيما بعد ، وحسب التقريرات اليومية ، تسيرون في التقدم إلى الهدف الذي يجب أن يكون منطقة مستودعات البترول قرب السويس (ولكنكم غير مقيدين بهذا الهدف) .

ستكون أنت رئيساً للجلسات وتدلي بصوتك في الآخر فيكون صوتك الذي يقرر في حالة تساوي الأصوات ويكون الدكتور جوف كاتب وقائع الجلسات. وإلى جانب سجلات الأعمال اليومية – يجب كتابة سجلات تقارير نتائج هذه الأعمال . ويستحسن إلى جانب هذا أن يقوم كل عضو بكتابة يومياته (تشترون دفاتر اليوميات وأقلام الحبر من الإسكندرية) وتبعثون بمختصرات منها في

البريد الذي يجب أن يرسل إليّ دائماً . ويجب أن تصلني النشرات الإخبارية (نسخ عنها) مطولة مع كل بريد .

أما هؤلاء الذين لم يتعهدوا لي في لندن أو في باريس أن لا ينشروا أي خبر عن الحملة إما بكتابتهم هم أنفسهم أو بمقابلة معهم فأنا أطلب منهم أن يقدموا لي تعهدهم الآن خطياً قبل أن يسافروا ــ والأفضل أن يكون هذا التعهد بكلمة واحدة يوقعها الجميع : أما نص هذا التعهد فليكن كما يلي :

نحن الموقعون أدناه ، اعضاء الحملة المنظمة تحت إشراف الحركة الصهيونية لدراسة إمكانية استيطان شبه جزيرة سيناء ، نتعهد هنا ونقسم بشرفنا أن لا ننشر أي شيء عن الحملة لا عن طريق كتابتنا ولا عن طريق الخطب أو المقابلات إلا إذا سمح بذلك رئيس لجنة العمل » . (ص ١٤٠٢) .

وصلت اللجنة مصر في ٣ ــ ٢ ــ ١٩٠٣ . وفي ٥ ــ ٢ ــ ١٩٠٣ قابل جرينبرج اللورد كرومر . ثم قابله ثانية وبطرس غالي ، المصري ، في ١٠ و ١١ ــ ٢ ــ ١٩٠٣.فكتب هرتزل إلى روتشيلد يخبره بالأمر ، وكان روتشيلد قد إتفق مع هرتزل على العمل الموحد منذ ١٩ ــ ١ ــ ١٩٠٣ وبدءا يعملان معاً

« طلب روتشيلد من لوسادا أن لا يستهين أبداً بخطة الدكتور هرتزل ، فقد تم إقناع وزير الخارجية ووزير المستعمرات. إن حكومتي إنجلتره ومصر تساندان المشروع . طلب الدكتور هرتزل خمسة ملايين جنيه ويجب على جمعية الإستعمار اليهودية أن تؤمن ثلاثة منها ، وبعد ذلك يمكن جمع الباقي بالإشتراكات. وهنا دخلت أنا الحديث فقلت : « إجمع زملاءك وأطلعهم على المشروع . إننا سائرون في العمل ، لا نتراجع عنه أبداً ، إنما يبقى السؤال هل نقوم به معكم أو بدونكم » .

لقد وقع كلب الصيد تحت الضغط ولا بد أنه شعر بارتياح عند ما انهى لورد روتشيلد الإجتماع . وودع باحترام ، أما أنا فودعته بشيء من اللامبالاة .

وقلت للورد روتشيلد « أود لوتكون محامينا » ثم تركت . وكان لوسادا ينتظرني في القاعة خارجاً ، مشيت معه قليلاً وأنا أوالي ضرباتي عليه . يجب أن يخبر كلود والفرد كوهين ولكن لا أحد غيرهما . إنها قضية انجليزية ، ولا أريد أن أثير وطنية الأعضاء الفرنسيين في الجمعية » . (ص ١٣٩٥) .

لذلك كتب هرتزل إلى روتشيلد في ١٠ ــ ٢ ــ ١٩٠٣ عن اللجنة في مصر :

« إن سبعة من رجالنا هم الآن في طريقهم إلى شبه جزيرة سيناء لاستكشاف المنطقة للاستيطان . لقد انتخبت لهذه الحملة أقدر رجال وأكثرهم خبرة من إنجلتره والترانسفال وبلجيكه والنمسه ومصر وفلسطين . كذلك لقد أرسلت تعليمات إلى ممثلنا الرسمي ليذهب إلى القاهرة وينهي المفاوضات من أجل الإمتياز . سيعود أعضاء الحملة في خلال بضعة اسابيع ، آمل أن يعودوا سالمين ، كما آمل أن أستلم بعد رجوعهم مباشرة الإمتياز. على أنه يجب أن أهيء للخطوات التي تلي من الآن .

إن وعدك يا لورد روتشيلد بمساعدتي قد سرني جداً ، وأنا ممتن لك كثيراً على ما أوليتنا من مساعدة حتى الآن ، وسوف نرى نتيجة توسطك لنا مع مستر كلود مونتفيوري ومستر لوسادا . حالما تصلني الأخبار من القاهرة سأتصل بجمعية الإستعمار اليهودي كي تدعو إلى إجتماع . وأظنهم سيدعون إلى هذا الإجتماع في باريس وذلك من أجل أعضاء الدول الأوروبية .

والآن أتقدم بطلبي لليوم .

أتوسل إليك يا لورد روتشيلد أن تأتي إلى باريس أثناء الإجتماع هذا ، وسأكون أنا أيضاً هناك ، فأنا أنتظر أن يكون لمنزلتك المحترمة ولسلطتك تأثيراً حازماً ، ونحن بهذا نستطيع أن نجعل اشتراك الجمهور أسهل منذ البداية . فلماذا لا نوفر على أنفسنا مجهوداً . وأمر آخر نستطيع أن نعمله في الوقت ذاته ، نستطيع إلى جانب محادثاتنا مع جماعة جمعية الإستعمار اليهودية الذين لا أثق بهم كثيراً ، أن نقيم مع البارون الفونس والبارون إدموند روتشيلد محادثات

يكون لها أكبر فائدة . سأجتمع بهما في منزلك . سيكونان مفيدين لنا في الناحية السياسية من المشروع وذلك بقمعهم كل سوء قد تقوم به الحكومة الفرنسية منذ البداية . وكما تعرفون أن الغيرة موجودة هناك لذلك يستطيع أقرباؤكم أن يوقفوا أية مضايقة عند حدها . كذلك فأنا آمل أن أتولى أمر الصعوبة السياسية الأخرى بنفسي ، أعني الشعور غير الودي الذي أكاد أراه في روسيه وذلك بأن أقابل قيصر روسيه نفسه . وقد مهدت لذلك إنما لن أذهب إلا إذا دعت الحاجة .

ولكن لا فرنسه ولا روسيه تستطيعان أن تؤثرا في المشروع إذا كانت الإتفاقية في جيبنا ، ولكنهما قد تسببان لنا بعض المضايقات في يوم من الأيام . وأنا أفضل أن أزيل من الطريق كل العقبات قبل أن نتعثر بها .

وقبل كل شيء لا أريد أن أضيع أي فرصة مفيدة ، وبعد ذلك ، وعندما نحصل على الإمتيازات يجب أن نبدأ العمل .

عندما يعود خبراؤنا يجب أن نبدأ مباشرة بالخطط وبتنظيم الهجرة ، وطبعاً عملت أنا منذ زمن على وضع النقاط الأساسية للعمل . وكذلك عندي التنظيمات الضرورية ، ولكن التحقيق يحتاج إلى الحذر في العمل . »(ص ١٤٠٩) .

وبعث هرتزل سلسلة من الرسائل إلى كبار رجالات الدولةالتركية ، بين ١١ و ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٠٣ . كتب الرسالة الأولى إلى الصدر الأعظم :

« دعيت في مناسبتين لمقابلة صاحب الجلالة الأمبراطورية السلطان الذي يشرفني برعايته السامية . ذهبت إلى القسطنطينية في شباط وفي نهاية حزيران لأصل إلى اتفاق مع حكومة الأمبراطورية بخصوص اتفاقية مالية يقوم بتنظيمها اليهود ، أما هذه الإتفاقية ، فكانت من أجل الوصول إلى تنازل يمنح المنظمة اليهودية التي أنا رئيسها حق الإستعمار . ولكنا ولسوء الحظ لم نستطع أن نصل إلى اتفاق . على أن صاحب الجلالة الأمبراطورية أكد لي ، وأنا أنصرف ، أنه يولي قضيتنا عطفه السامي وأنه باستطاعتي أن أعود إليه باقتراحات أخرى .

إن بؤس شعبنا المسكين لم يقل ، بل على العكس لقد ازداد . ومرة ثانية يأتي الربيع فينذر بالهجرة المؤلمة التي يقوم بها اليهود الرومانيون وغيرهم .

في مثل هذه الظروف إضطررنا أن نسير بحسب مخطط عمل ، ونحن الآن ، بدون شك ، قد وصلنا مرحلة متقدمة في محادثاتنا المهمة جداً مع الحكومات للحصول على تنازل لاستعمار بلد في افريقيه .

ولكني في هذه الساعة المهمة فكرت بالعودة إلى ذلك المكان الذي يستميلني إليه حبي المعروف لسيدكم والعاطفة التي تجمع بين شعبكم وشعبنا .

الجميع يتحدثون عن المشاكل السياسية التي ينتظر أن تقوم في الربيع . قد تكونون بحاجة إلى مساعدة مالية ، وباستطاعتي أن أقدمها لكم في أسرع وقت ممكن ، بدون طلب كثير مقابل ذلك . إن الإقتراح الجديد الذى أقدمه إلى حكمة حكومة الأمبراطورية السامية هو نفسه الذي نحن نقدمه إلى الحكومة التي نتباحث معها من أجل إقامة مستعمرة في أفريقيه . هناك فرق واحد وهو أننا نؤمن لكم سلفاً مبلغ مئة ألف ليرة تركية سنوياً ، بينما لا تطلب الحكومة الأخرى ولن تأخذ أي تأمين سلفاً . معنى هذا التأمين أنكم تستطيعون حالا أن تتداولوا بقرض قدره مليوني ليرة تركية معتمدين على هذا التأمين . إن جماعتي ستقدم لكم هذا القرض حالما يتم منح التنازل .

وها أنا أسمح لنفسي أن أقدم مسودة هذا الإمتياز لسموكم . ويمكن تلخيص هذا الإقتراح كما يلي :

أنتم تمنحون حق الإستعمار لشعبنا المضطهد ، الذي يصبح أفراده رعايا للدولة العثمانية ، لأن المستعمرة ستظل طبعاً تحت حكم صاحب الجلالة الأمبراطورية ، ومقابل هذا لا نؤمن لكم الموارد الصناعية والمالية فحسب وإنما نؤمن قرض مليوني ليرة تركية ، ولن يكلفكم سد هذا القرض شيئاً لأنه سيغطى بدفع التأمين السنوي الذي هو مئة ألف ليرة تركية .

أتوسل إلى سموك أن تولي هذا الإقتراح إهتمامك وتقدمه إلى مجلس الوزراء . وفي الوقت ذاته أضعه على أقدام العرش الأمبراطوري.» (ص ١٤١١).

وكتب الرسالة الثانية إلى السلطان عبد الحميد :

« يمكن تلخيص الإقتراح كما يلي :

من أجل التنازل لاستعمار منطقة الجليل نؤمن قرضاً قدره مليوني ليرة تركية ندفعها لخزينة الأمبراطورية .

يصبح المستعمرون مواطنين في الدولة العثمانية وتبقى المستعمرة تحت حكم صاحب الجلالة الأمبراطورية .

وقد وضعت مسودة لهذا الإمتياز وذلك توضيحاً للأمور وسأُقدمه للوزير الأول .

إن نتائج منح هذا الإمتياز ستكون عظيمة الفائدة . فإذا ما نشرت برقيات الصحف الخبر في أنحاء العالم فسوف يبعث هذا الخبر إلى جانب الأثر الإقتصادي المباشر شعور محبة يهود العالم كله للأتراك ، محبة تزداد يوماً بعد يوم ، وربما — في هذه الأوقات العصيبة — احتاجت الأمبراطورية العثمانية إلى هذا الإمتنان الذي لن يتوقف » . (ص ١٤١٤) .

وكتب الرسالة الثالثة إلى إبراهيم باشا :

« لي الشرف بأن أضع طي رسالتي هذه رسالة من صاحب الجلالة الأمبراطورية السلطان يقدم فيها إقتراحاً جديداً بخصوص سنجق عكا وقرض مليوني ليرة تركية .

وصلت إلى مرحلة متقدمة جداً في المباحثات حول استعمار اليهود في افريقيه . وقبل أن أنهي الموضوع هذا أُريد أن أحاول محاولة أخيرة في الوصول إلى تلك المنطقة التي تستميلني إليها عواطف كثيرة» . (ص ١٤١٥) .

وكتب الرسالة الرابعة إلى عزت باشا :

«قد يكون اقتراحي مقبولاً . إننا لا نطلب الكثير . فقط حق استعمار سنجق عكا مقابل ضمانة دفع مئة ألف ليرة تركية سنوياً تعتمد إسمياً على الإيجار السنوي : ويجب أن يحسب الإصدار بمعدل ٨٠ ٪ ليسمح بشيء من الربح للنقابة .

منذ أن تركت القسطنطينية ، بحثت ووجدت ترتيباً آخر للإستعمار اليهودي ، وذلك في افريقيه ، ولكن قبل أن انتهي من المفاوضات بخصوص هذا الترتيب أُريد أن أقوم بمحاولة أخيرة معك . إذا توصلنا إلى اتفاق فسوف يكون ذلك لصالح الجميع . » (ص ١٤١٥) .

وكتب الرسالة الخامسة إلى تحسين باشا :

«إننا نطلب حق استعمار سنجق عكا مقابل دفع مبلغ مئة ألف ليرة تركية سنوياً ، ونقدم ، إعتماداً على هذه الضمانة السنوية ، قرضاً تبلغ قيمته الإسمية مليوني ليرة تركية ويمنح بمعدل ٨٠ بالمئة ، وبذلك يكفي الحد الإحتياطي الأدنى ٢٠ بالمئة لتأمين الربح للنقابة .

كذلك أستطيع الآن أن أُقدم اقتراحاً آخر للتجميد حسب مخطط وضعه أصحابي : ولكن بما أن الرأي الشائع هو أن التجميد أمر مقلق ، لا أُريد أن أتخذ أي إجراءات بهذا الخصوص قبل أن يُطلب إلي أولاً أن أقدم المخطط الجديد . » (ص ١٤١٦) .

كما كان هرتزل ، قبل ذلك ، قد كتب رسالتين إلى الوزيرين البريطانيين تشمبرلين ولانسدون . كتب إلى أولهما بتاريخ ٢٥ ـ ١ ـ ١٩٠٣ :

(ونحن نلاحظ أن هرتزل يتملق الوزير البريطاني ويزعم أنه يترك العمل في الجريدة بسبب موقفها من الوزير ، مع العلم أنه ترك العمل من قبل ولأسباب أخرى ، شخصية !)

«لقد آلمني جداً أن تنشر الجريدة الحرة الجديدة أثناء غيابي في فينه مقالاً يهاجمونك فيه بعنف. وخاصة لأني أشعر بامتنان عميق لك من أجل ما عملته مؤخراً لقضية الإستيطان في شبه جزيرة سيناء ، وقد بلغ أسفي وتأثري إلى درجة أشعر معها أني مرتبط إليكم بواجب شرفي يلزمني على أن أضع مصيري في الجريدة بأيديكم ، فإذا ما رأيت بأنه يجب أن أقطع علاقاتي بها كشاهد على ولائي الشخصي واحترامي لك فأنا مستعد أن أفعل ذلك . كان يجب أن أفعل هذا بدون أن أخبرك لولا حرصي على ألا أخسر هيئة التحرير في الجريدة عنصراً يقف مع الإنجليز بقوة . ومع هذا فأنا أترك نفسي بين يديك ، وأعمل ما تظن أنه يجب أن أعمله بحسب الظروف » . (ص ١٣٩٨) .

أما الرسالة إلى لانسدون فقد كتبها بتاريخ ٢٣ ـ ١ ـ ١٩٠٣ .

« يؤسفني أنك لم تستطع أن تراني عندما كنت في لندن ، على أني سعدت بمقابلة سير توماس ساندرسون ، ولا بد أنه أخبرك بأن البعثة التحضيرية إلى شبه جزيرة سيناء ستبدأ من الإسماعيلية حوالي الرابع من شباط .

مستر جرينبرج الذي سبق وتكلم مع اللورد كرومر وغيره في القاهرة سيذهب إلى هناك ليقوم لي بمحادثات مع المسؤولين بخصوص الإمتياز الذي نريده من الحكومة المصرية . وستكون لمستر جرينبرج مطلق السلطة في تمثيلي وتمثيل اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية وسأكون ممتناً إذا تكرم سيادتكم بإيعاز هذا إلى لورد كرومر » . (ص ١٣٩٩) .

لكن مهمة جرينبرج لم تكن ناجحة بمقدار ما توقع هرتزل . وفي ٢ ـ ٣ ـ ١٩٠٣ أدرك هرتزل تماماً فشل اللجنة :

« جاءني اليوم تقرير جرينبرج « والوثيقة » . التقرير رائعة عميل غير مخلص تماماً . كنت أنا قد عرفت قبلاً محاولة جرينبرج الواضحة لتجنب الذهاب إلى فينه لأنه لم يكن قادراً على مواجهتي وجهاً لوجه . هذا الرأي الذي جاء به

هو نتيجة ترتيبات سابقة غير محددة . لقد كان في أوروبه منذ صباح الخميس واليوم فقط ــ الإثنين ــ أعرف موقفي من الأمر .

الوثيقة عبارة عن رسالة غير شاملة من رئيس الوزارة المصرية بطرس ، إلى جرينبرج ، بخصوص تأسيس شركة إستيطان قومي يهودي ، وفي مسودة جرينبرج ليس هناك أي ذكر للصندوق القومي للإستعمار أو عن لجنة العمل أو عني كوكلاء لهذا التنازل ، أي أن المسودة التي أرسل عنها جرينبرج نسخة لي بدون تحفظ يبدو فيها واضحاً تعمد عدم ذكر طالب الإمتياز وكأن إسم ل . ج جرينبرج سيضاف إليها في الآخر . ولهذا العمل أخذ مئتي جنيه للإسبوعين الأولين ؛ ولرحلة الأسابيع الثلاثة الثانية ــ دفعنا له مصاريف السفر وأخذ رسالة حساب جارٍ بمئة جنيه ، وفوق ذلك كله هناك رصيد بمبلغ خمسمئة جنيه سوف يأخذه بدونً شك .

أما وثيقة بطرس ففيها وعود جدلية وتحفظات قوية . منح الإمتياز مرفوض تماماً . أما الأمر الذي له قيمة فيها والذي يُفهم ضمناً لأنه موضوع في صيغة النفي ، فهو الجملة التي تقول بأن غير العثمانيين من المستوطنين يجب أن يخضعوا لقوانين البلاد ، أي أنه لا ضرورة لأن يكون المستوطنون رعايا عثمانيين (إذا لم تأتِ بهم شركة الأراضي) .

ولقد استطعت أن أصل ، بعيني الناقدتين ومن بين السطور إلى ما حاول جرينبرج إخفاءه بمهارة ، وهو أنه في القاهرة لم يتصرف كعميل مكلف ، وإنما حاول أن يتصرف كمن له السلطة هو نفسه . وهو بعمله هذا أساء إلى القضية كما أساء إلى شخصه بالنسبة لي » .   (ص ١٤٢٨) .

لم يشأ هرتزل أن يصدق أن اللجنة فشلت . خاصة حينما جاء قرار اللجنة (حسب برقية تسلمها هرتزل من كسلر في العريش) مؤيداً لفكرة تأسيس مستعمرات في سيناء ، في ٢ ــ ٣ ــ ١٩٠٣ :

« ترى البعثة فائدة الإمتياز إذا كانت الأحوال مناسبة . وحتى ينتهي البحث في مدة شهر لا يمكن تكوين أي رأي بخصوص الأحوال ، (ولا إذا) كان إقامة المستعمرات عملياً » . (ص ١٤٣١) .

ولذلك كتب في مذكراته في يوم ٣ ـ ٣ ـ ١٩٠٢ :

« أنا الآن أمام أمر جديد ، لن أرسل جرينبرج إلى القاهرة إذا استطعت ذلك . يمكن الإستفادة من جولدسمد الآن . وعلى كل حال إنه ديبلوماسي أكثر منه عسكري . .

أما الحالة الراهنة فهي كما يلي : إن الامور في شبه جزيرة سيناء مختلطة بشكل هو في صالحنا ، ويجب أن أوضح ما يتلخص في : إمتلاك ، قوة ، حق : الإمتلاك بيد الحكومة المصرية ، والقوة بيد الحكومة الإنجليزية ، أما الحق فللحكومة التركية . لذلك يجب أن أحصل على الملكية من الحكومة المصرية ، ثم أطالب الحكومة الإنجليزية بأكثر ما يمكنها إعطاؤه من قوة . وأخيراً أحصل على الحق من الحكومة التركية بواسطة البخشيش . ستكون تعليماتي للمفاوضين الجديدين جولد سمد وكسلر متمشية مع هذا المخطط » . (ص ١٤٣٢) .

وكتب إلى موفده إلى مصر ، كسلر ، في ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٠٣ :

« عندما يصلك كتابي هذا ، ستكون حملتك ، بإذن الله ، قد انتهت بسلام . لا أعرف النتيجة النهائية بعد ولكن بحسب سجلات عزيزنا الكولونيل جولد سمد التي وصلتني بانتظام أرى أن البعثة سارت في أعمالها جيداً . لذلك أتقدم اليك بتهانيّ وشكر الحركة الصهيونية .

والآن ، وباسم لجنة العمل أوكلك بعمل آخر يتعلق بالعمل الذي انتهيت منه مؤخراً . أريد أن أعهد إليك والكولونيل جولد سمد بإتمام المفاوضات التي بدأها جرينبرج حسب تعليماتي .

ستجد طي الرسالة :

١ – رسالة صاحب السعادة بطرس إلى جرينبرج ، وفيها وجهة نظر الحكومة المصرية .

٢ – مسودتنا للحق .

٣ – تعليماتنا بخصوص هذا .

٤ – مسودة الإمتياز الذي قدمه جرينبرج إلى كرومر ، والذي استلم رداً عليه بالقبول ، مع أن الحكرمة المصرية أعلنت أنها ليست قادرة على إعطاء مثل هذا الإمتياز احتراماً لصاحب الجلالة السلطان .

٥ – تعييناً رسمياً بسلطة مشتركة بينك وبين جولد سمد. إن النتيجة الأخيرة التي ستصلون إليها هي حل وسط بين رسالة بطرس ومسودة جرينبرج وهو ما قبل به لورد كرومر. إني معجب بمهارة الكولونيل جولد سمد الديبلوماسية وبصبرك الهادىء .

حاولوا أن تصلوا إلى ما هو ممكن ، وأن تنتهوا من الأعمال في أقرب وقت ممكن ، لأنني سأجتمع حوالي عيد الفصح في باريس بلورد روتشيلد وآخرين لنؤسس شركة الأراضي» . (ص ١٤٣٣) .

كما كتب إلى اللورد روتشيلد ينبؤه بنجاح فكرته من حيث المبدأ :

« وصلتني تقارير مرضية من الخبراء الذين أرسلتهم مع حملة أستكشاف شبه جزيرة سيناء. عاد ثلاثة من رجال هذه البعثة وما يزال خمسة آخرون يتفحصون المناطق الجبلية الجنوبية حتى يتمكنوا من تهيئة تقرير كامل . ويبدو من التقارير التي وصلتنا حتى الآن أن المنطقة التي نفكر فيها تصلح للسكن وعلى نطاق واسع ، وفوق هذا فقد وصلني من الحكومة المصرية تأكيد خطي أولي بالقبول بمبدأ منح حق الاستيطان المطلوب للحركة الصهيونية. هذا التأكيد طبعاً جاء بمساعدة السلطات الانجليزية ، وشرطه الوحيد هو ان تتوصل البعثة الى النتيجة ان البلاد صالحة للسكنى . » (ص ١٤٣٧) .

في النهار نفسه ، ١٨ — ٣ — ١٩٠٣ ، غادر هرتزل فينّه إلى تريسته في طريقه إلى القاهرة . وذلك لكي « أُرتب الأمور مع لورد كرومر والحكومة المصرية » (ص ١٤٣٨) . وصل القاهرة في ٢٣ — ٣ — ١٩٠٣ . وفي ٢٥ — ٣ — ١٩٠٣ زار اللورد كرومر . كتب عن تلك الزيارة :

« بدأنا بالحديث رأساً . أعطيته موجزاً لمخططنا . وعندما ذكرت اننا نريد ان نقيم سككاً حديدية قاطعني قائلاً : « سنتكلم عن هذا فيما بعد . »

قلت : « طبعاً سنقوم بكل ما ترغب به الحكومة الانجليزية في هذا الخصوص . » وأتيت على ذكر التقرير . وأننا سوف نحتاج الى الماء ومن النيل .

قال : « لا استطيع أن أعطيك جواباً حازماً ، حتى يرجع الخبير الذي وكلته بهذا ، (وذكر اسمه) في خلال شهر . »

قلت : « نحن نطلب فقط المياه الفائضة من النيل ، مياه الشتاء الزائدة التي تجري عادة إلى البحر ولا يستفاد منها . سنبني لها خزانات .

وهنا ذكرت له باننا سنقيم مشاريع أعمال نستخدم فيها حوالي عشرين ألفاً من العمال . ثم تكلمت عن الناحية المالية وأريته برقية روتشيلد التي كنت قد استلمتها أمس . فتفحصها بنظرة متعالية وقال :

« متحفظ جداً . إنه يتباحث فقط » .

بعد ذلك أريته رسالة روتشيلد المؤرخة في ١٣ شباط . أظن أن كلاً منهما لا يرتاح للآخر . لا بد أنه يظن أن روتشيلد متين العلاقة بنا . وتبدلت لهجته إلى برود .

كذلك تحدثنا عن « الحقوق » ، يجب أن تتساوى حقوق المهاجرين مع حقوق المصريين .

قلت أفضل أن يكونوا تحت حماية بريطانية . أجاب إن ذلك سيكون الشيء نفسه ولا فرق في ذلك .

وجاء على ذكر رسالة بطرس لجرينبرج . لم نستطع أن نعمل أكثر من ذلك . على أنه ضمن هذا الإطار لا يمكن للحكومة التركية أن تعترض .

وسألته ما إذا كان علي أن أزور بطرس .

« نعم ، وقد أخبرته أنك هنا » .

وهل أزور المفوض التركي ؟

« لا ، لا يمكنه أن يقول شيئاً بهذا الخصوص ، وأنا لا أعترف به ، لا تتصل به أبداً . والآن سأنتظر رجوع بعثتك وبعدها نرى همفريز أيضاً .

ثم ذهبت لأرى بطرس .

وزارة مصرية لا يستطيع المصريون فيها أن يعطوا أي امر . خدم كثيرون يتسكعون في غرف الإنتظار الواسعة .

أرسلت بطاقتي فأسرع بطرس في استقبالي وهو قبطي متقدم في السن بدين مترهل .

بدأنا بحديث السواح ثم انتقلنا إلى الموضوع .

وسأل ، هو أيضاً ، من أين تجيئون بالماء ؟ فأطلعته باختصار على مشروع الري الذي هيأناه . والذهب أيضاً سيكون رياً . وظل يوافقني ونحن نشرب القهوة التركية إلى أن أعلن مجيء القنصل النمساوي ، عند ذلك تركت .» (ص ١٤٤٦) .

وهو في القاهرة إستمع هرتزل إلى محاضرة عن ري مصر ، في ٢٥ ــ ٣ ــ ١٩٠٣ . وإننا نلاحظ أن هرتزل تنبأ بثورة مصر التي حصلت بعد ٥٠ سنة من ذلك التاريخ .

« ذهبت أمس إلى محاضرة عن فتح قنال كالديا [ما بين النهرين] قدمها السير وليام ولكوكس، وهو خبير في أمور الري . وكالديا هي البلد الذي قدمه لي السلطان العام الماضي . كانت المحاضرة مملة في معظمها إلا بعض التفصيلات . لقد استرعى انتباهي وجود عدد كبير في القاعة من المصريين الذين تبدو عليهم معالم الذكاء . إن هؤلاء هم أسياد الغد ، ومن الغريب أن الإنجليز لا يرون هذا ويظنون أنهم سيظلون يتعاملون مع فلاحين إلى الأبد .

يكفي اليوم الإنجليز ١٨٠٠٠ جندي لهذه البلاد الكبيرة . ولكن إلى متى يا ترى ؟

إنها الجرأة والبرود الإنجليزيان نفساهما اللذان يجعلانهم يسندون أوراق المال في بنك إنجلتره سنداً معدنياً ضعيفاً . هذه الجرأة تجعل منهم تجاراً مغامرين عظاماً ، ولكنها دائماً تخسرهم مستعمراتهم فيما بعد .

إن الإنجليز يقومون بعمل عظيم : ينظفون الشرق ويدخلون النور والهواء إلى الزوايا القذرة ، يهدمون الإستبداد القديم ويقضون على الظلم ، ولكن مع الحرية والتقدم يعلمون الفلاحين كيف يثورون .

وأنا أعتقد أن أعمال إنجلتره في المستعمرات إما أن تقضي على إمبراطوريتها الإستعمارية أو تضع أُسساً لاستيلاء انجلتره على العالم ، وهذه من أهم المتناقضات في أيامنا ، تجعل الإنسان يود لو يستطيع أن يرجع بعد خمسين عاماً ليرى ما سيكون . » (ص ١٤٤٩) .

إستمع هرتزل في ٢٧ – ٣ – ١٩٠٣ إلى تقرير لجنته الفنية التي عادت من سيناء خصيصاً . إعترض على هذين الأمرين المهمين في التقرير ويعبّر إعتراضه عن أسلوبه في المراوغة والخداع :

« كنت أفضل لو أن القسم الأول من هذه الجملة قد حذف : «في حالتها الحاضرة لا يمكن السكنى فيها ، أما إذا توافر لها الماء فيمكن السكن فيها » .

كذلك يجب أن لا يذكر السبب الذي من أجله نريد أن تصل البلاد إلى خط العرض التاسع والعشرين . » (ص ١٤٥٠) .

وبحث هرتزل أُمور الري مع المسؤولين في مصر .

« زرت السير هانبري براون وكيل وزارة الأشغال العامة ... استشار لورد كرومر السير هانبري لأن الخبير الأول السير وليام جاستون في مومباسا الآن . ولكن كرومر تكلم مع سير هانبري عن مقاطعة أكبر بكثير — ٥٠٠٠٠ كيلو متر مربع – بينما المساحة المعنيّة هي ٢٥٠ فقط . ولذلك قال سير هانبري أن لمثل هذه المساحة لا يستطيعون تأمين المياه . وقال سير هانبري أنه حسب تفسير ستفنس يكفي فقط مليونان إلى ثلاثة ملايين متر مكعب من الماء في اليوم . وهذه يمكن توفيرها بدون صعوبة .» (ص ١٤٥٢) .

ووضع هرتزل ومستشاره القانوني صيغة الإتفاق مع حكومة مصر . وأخذاها إلى وزير العدل ، مالكولم مكلر يت ، في ٣١ – ٣ – ١٩٠٣ .

« كان موعدنا مع مكلريت الساعة ١١,٣٠ ، وكان هذا في انتظارنا أنا وجولد سمد . وكان معه عملاق إنجليزي يلبس طربوشاً ؛ اسمه مستر بروبانت أو ما يشبه ذلك ، قُدم إلينا على أنه رجل ذو أهمية ، ربما رئيس قسم .

قام جولد سمد بظرافته العسكرية بملء وقت إنتظارنا لكارتون بالحديث . وجولد سمد قدير على ملء فراغات الحديث . وجاء كارتون ولكنه لم يحمل معه الوثائق ، فتلفنوا يطلبونها . ومرت عشرون دقيقة أخرى تناولنا فيها مختلف موضوعات الحديث من قضايا العدل إلى السفر إلى المسرح . وتكلم مكلريت عن مسرحية الثوب الأحمر التي تلعب الآن .

أخيراً وصلت أوراق كارتون .

قرأ كارتون مسودتنا :

ابتسم مكلريت عندما سمع « الإمتياز » يخرج من تقرير التنازل . ولكن العملاق ذا الطربوش تدخل قائلاً : ذلك إمتياز ، وحقوق السيادة (السلطة) موجودة فيه .

فاحتججت على ذلك مشيراً إلى الفقرات ٤ و ٥ و ١٠ التي أخذت حرفياً من رسالة بطرس .

وعاد عملاق الطربوش ليقول أن كلمة مقاطعة في البند السادس تعني إمتيازاً . فقلت إن كلمة رقعة بالفرنسية لا تحمل فقط معنى القانون الدولي ولكن تعني أيضاً مجموعة من الأرض . إننا لا نطلب أراضي موزعة هنا وهناك فالتربة لا تصلح لذلك ، إذ أننا لا يمكن أن ننجز شيئاً إذا لم تكن لنا مساحات متصلة ، كذلك أراد العملاق أن ينتقد بعثة الإستكشاف . ولكنه لما عرف أن الكولونيل الإنجليزي الذي كان حاضراً اشترك فيها ، تغيرت لهجته . في مثل هذه الأمور تظهر قيمة جولد سمد .

وعندما تركنا طلبت من مكلريت أن يسرع في الأمور لأن لديّ مهمة جمع المهندسين وغيرها من المهام . ووعد مكلريت بلطف أن يعمل ما في وسعه ، ولكن هناك شكليات لا بد منها . أول كل شيء ستقدم لي الحكومة اقتراحاً بديلاً . ولكنه يظن أن الترتيبات كلها ستنتهي قبل أن أصل إلى برنديزي.

هل تكون لجولد سمد السلطة المطلقة لإنهاء الإتفاقية ؟

نعم !

بعد الظهر قابلت الرئيس (المدعي العام) كارتون دي فيارت. قال كارتون أن الرجل ذا الطربوش لا يملك كثيراً من السلطة . وزاد كارتون على هذا بقوله إنه عاد بعد انتهاء الإجتماع صدفة ولأمر آخر ، فسمع مكلريت يقول للعملاق أنه ما كان يجب أن يثير مشاكل .

ولورد كرومر أيضاً يعطف على قضيتنا ، هذا رأي كارتون . ولكني

لا أشاركه هذا الرأي . يقول كارتون إنه لم ير كرومر خلال عشرين سنة مهتماً بقضية قدر اهتمامه بقضيتنا . طلبت من كارتون أن يقول لكرومر (ما دام سيراه هذه الليلة) أننا حذفنا موضوع مياه النيل حسب رغبته حتى نتمكن من الحصول على التنازل حالاً . » (ص ١٤٥٨) .

ويعترف هرتزل أنه قصد أن يخدع مصر في صيغة الإتفاق هذا :

« اعتقد أننا أخطأنا بإعطاء مسودة جرينبرج لمكاريت ، ذلك لأنها فيها الكثير من التفاصيل ومذكرتي أقل تفصيلا ولذلك تبدو خالية من الأذى . » (ص ١٤٦٠) .

قابل وزير العدل البريطاني في مصر ثانية لتبديد الغيوم التي عكّرت جلستهما السابقة ، في ٢ – ٤ – ١٩٠٣ :

« هذه المرة ظهرت على وجهه نظرة شك عندما سمع طلبنا بالتنازل . يظهر أن مستر بروبانت – العملاق ذا الطربوش – أثر عليه في هذه المدة .

على كل حال قال إن إمكانية تقديم مشروع بديل في وقت قريب غير واردة الآن ، إذ يجب أن يقدم الأمر للوزارة إلخ . هذا وإيجاد أشخاص يقومون بالقضايا الشرعية سيكون صعباً جداً . ذلك لأن المفاوضات ستكون باللغة العربية . فذكرت النمسه كمثل ، لأن فيها عدة لغات مستعملة والمترجمون يستطيعون أن يؤدوا المهمة ، طبعاً لن يكون ذلك سهلاً ولكن مسألة اللغات مرض تستطيع الأمم أن تعيش معه مئات من السنين .

وقبل هذا بابتسامة . ثم سأل : « والضرائب ؟ » .

لن نجمع ضرائب ، وأرباحنا ستقتصر على ما تقدمه الإقتصاديات . ولكن لا نستطيع أن نقوم بأي مغامرة عملية إذا كانت الأراضي وكان الناس لا يدفعون ضرائب . سيكون أمام الدولة الشركة وسجلاتها ؛ وإذا كان هناك ما يدعو إلى الشك تعين لجنة من ثلاثة .

قال : إن مساحة المقاطعة التي نطلبها هي أهم ما يثار ضدنا ، إنهم مستعدون أن يعطونا قطعاً صغيرة ولكن ليس مساحات كبيرة من الأراضي .

فقلت : بالنسبة لنا نستطيع أن نستعمل الأراضي فقط كأنها مقاطعات مجاورة ، فنحن لسنا أصحاب عقارات ثابتة مضاربة كما هو الحال في مصر . إن ما نحن مخططون له لا يصلح للمضاربة بالأراضي . لأن الأراضي نفسها لاقيمة لها ، ونحن نريد أن نجعل منها شيئاً صالحاً أولاً .

قال : «ومدة العقد؟ بعد ٩٩ سنة سيسحب حكم البلاد من حكومتنا ، فماذا تكون النتيجة إذا لم تبذلوا أنتم جهوداً كافية لتجعلوا الأمر صالحاً ؟ »

أجبت : « نستطيع أن نضع شروطاً : يسقط التنازل إذا لم نقم باستثمار ذي فائدة وبمبلغ مليوني جنيه في خلال عشرين سنة » .

« عشرون سنة ! »

قلت : «إذن ، لنقل عشر سنين ، في الحقيقة سوف نتمم استثمار مليوني جنيه سريعاً ، إنما أحببت أن أفكر بمدى أوسع من الوقت » .

وبقيت أعود إلى موضوع التأمين الشرعي . لو كان هناك ما يؤكد بقاء الإحتلال الإنجليزي ما كنا نحتاج إلى مثل هذه الإحتياطات الكثيرة . ولكن لا نستطيع أن نحمل ضميرنا رؤية المستوطنين الجدد معرضين للأخطار الشرقية بعد مضي فترة من الزمن .

فهم هذا جيداً .

وفيما كنا على أهبة الذهاب بدأ يتكلم الألمانية وبطلاقة . فعاتبته قائلاً : وتركتني أجاهد في الحديث بلغتي الإنجليزية .

أجاب : «لا . كانت لغتك جيدة ولفظك حسناً جداً . »

قلت : «ولكننا خسرنا تعابير الدقائق الشرعية» .

قال إنه فهمني تماماً .

ولكن هذا اللطف لن يعميني عن الحقيقة الراهنة . وهي أن موقفنا الآن أسوأ إلى حد كبير مما كان عليه قبلاً .» (ص ١٤٦٢) .

غادر هرتزل مصر ، في ٤ - ٤ - ١٩٠٣ ، عائداً إلى فينه ثم باريس . وقد ترك جولد سمد ليتابع المهمة التي فشل هو بها ، وذلك بعد أن خف حماس كرومر للمشروع الصهيوني :

«لم يرد كرومر أن يستقبلني قبل ذهابي ، وبعث برسالة رفض جافة يقول فيها إنه يجب تعديل كثير من الأمور في المسودة قبل أن تقبل » . (ص ١٤٦٦) .

« أعطيت تعليمات لجولد سمد أن يحصل لنا من كرومر ، إذاممكن، على التنازل بدون مياه النيل ، في الوقت الحاضر . ويترك مسألة الماء ، ما دام أن كرومر لا يريد أن يقبل بأي شيء آخر حتى يعود سير وليام جاستون في أيار . وبعد حصوله على التنازل مباشرة عليه أن يرى شركة دي لسبس في الإسماعيلية ليؤمن رصيف المرفأ ، ومحطة سكة الحديد في بور سعيد ، ومضخة واحدة للماء العذب (من بور سعيد) ، على أن مضخة الإسماعيلية يجب أن لا تذكر الآن أمام جماعة السويس . » (ص ١٤٥٥) .

وقد أمل أن يسعفه تشمبرلين حيث خذله كرومر :

« أنا الآن أعقد آمالي على تشمبرلين الذي سأراه الإسبوع القادم.إن علاقته بالموضوع ضعيفة . لذلك تكون له نظرة أشمل ولا يعرف قيمة البقعة الكبيرة من الأرض التي أطلبها . » (ص ١٤٦٦) .

فسافر إلى لندن (عن طريق باريس) وقابل تشمبرلين في ٢٣ - ٤ - ١٩٠٣ ، وهي مقابلة شهيرة :

« بدأ الحديث بذكر رحلاته الأخيرة . وما هي إلا لحظات حتى بدأنا

نتكلم في المسائل المختصة بالموضوع .

قال : تكلمتُ مع لورد كرومر عن مشروعك لما كنت في مصر ، ماذا جدّ فيه ؟

أخبرته ما كان وأشرت إلى تقرير البعثة الذي كنت قد أرسلته إليه أمس ، وكان موضوعاً أمامه .

قال : « إن التقرير غير مشجع » .

قلت : البلاد فقيرة ولكننا سنخلق منها شيئاً .

قال تشمبرلين العظيم : لقد وقعت لكم أثناء سفري على بلاد مناسبة ، أوغنده ، إنها حارّة على السواحل ولكن الطقس يصبح ممتازاً في الداخل حتى للأوروبيين . تستطيعون أن تزرعوا القطن والسكر فيها ، وقد قلت في نفسي وأنا هناك هذه البلاد تصلح للدكتور هرتزل ، ولكنك طبعاً تريد أن تذهب إلى فلسطين أو ما يجاورها . أجبت « نعم ، يجب أن تكون قاعدتنا فلسطين ، ثم فيما بعد نستطيع أن نستوطن في أوغنده ، ذلك لأن هناك عدداً كبيراً جداً من اليهود الذين يريدون أن يهاجروا . ولكن يجب أولاً أن نضع أساساً قومياً ، ولهذا فكّرنا بالعريش لوضع سياسة جذابة . ولكنهم لا يفهمون هذا في مصر . ولم أستطع أن أوضح الأمر لهم كما أفعل هنا . لذلك اضطررت هناك أن أطلب تنازلاً غير تام بسبب الحالة السياسية الراهنة — وكان هذا التنازل مالياً فقط . وهي بذلك صفقة خاسرة إذا فكرنا بالأرض لأن لا أحد يدفع ثمناً لمثل هذه البلاد ، لاأحد غيرنا — وذلك لأن لنا وراء هذا الدفع مطامع سياسية . ويجب أن يكون واضحاً اننا لن نضع أنفسنا تحت حكم مصري ولكننا نريد حكماً بريطانياً ».

هو : عندي شعور بأن الأوضاع ستبقى على ما هي . لن نترك مصر . هذه كانت نيتنا في الأصل ، وأنا أعرف ذلك لأني كنت في الحكومة . كنا قد

قررنا أن ننسحب من مصر في الثمانينات ، ولكننا استثمرنا كثيراً من أموالنا فيها وأصبح لنا مصالح عديدة هناك إلى درجة لا نستطيع معها أن نخرج . وهكذا يمكن لك وللوطن الذي تعمل له أن تستفيد من الممتلكات البريطانية . وأنا متأكد أنكم تستطيعون أن تستفيدوا ، أما إذا سارت الأمور إلى حل غير هذا ، وإذا كانت مستعمرتكم قوية فأنا متأكد أنكم ستستطيعون أن تثبتوا أنفسكم جيداً . وتكلمنا في مواضيع مختلفة .

قال تشمبرلين : إن مصالحنا في آسيه الصغرى تقل يوماً بعد يوم ، وسيأتي الوقت الذي يقوم فيه النزاع حول هذه المنطقة بين فرنسه وألمانيه وروسيه — بينما نحن نتراجع إلى مناطق أبعد . وفي هذه الحالة ماذا يكون مصير مستعمرتكم اليهودية في فلسطين ، إذا تأسست في هذه الفترة ؟

قلت : أظن أن ذلك سيكون في صالحنا ، ذلك أننا سنكون « دولة شاغلة » وهذا لن يكون لنا عن حسن نية القوى المتنازعة وإنما بسبب الغيرة . ومتى تركزنا في العريش تحت الحكم البريطاني فإن فلسطين ستصبح أيضاً ضمن السلطة البريطانية .

وبدا أنه إقتنع إلى حد بهذا .

بعد ذلك تكلمت عن قضية جمع المال (بواسطة جمعية الإستعمار اليهودي وروتشيلد) . صحيح أننا لا نستطيع أن نعمل الكثير بخمسة ملايين جنيه ، يجب أن تُحسن البلاد قليلاً . وبعد ذلك يكون لجو تشمبرلين شرف إعطاء إنجلتره مستعمرة أخرى .

وسره هذا أيضاً وقال ، إنه يجب أن يكون روتشيلد إلى جانبنا على كل حال ، لأن الحكومة الإنجليزية اعتمدت عليه .

قلت : هو معنا طبعاً . وأستطيع أن أعمل بدونه أيضاً . إن أهم شيء هو أن أحصل في النهاية على التنازل وإلا لا أستطيع أن أسير في العمل . إن حياة

الإنسان قصيرة .

كذلك تكلمنا عن الهجرة اليهودية . قال إن معارضة الأجانب هي نتيجة المنافسة . وهذه المعارضة تلاحظ في أنحاء أخرى من الأمبراطورية ضد فئات من العناصر الأخرى كما في جنوب أفريقيه مثلاً ، وأظنه ذكر الهنود الذين يُعارضون في جنوب أفريقيه. وقد تُجابه الحكومة الانجليزيةبما يضطرها الى إصدار قانون للأجانب ضد اليهود ، ويكون ذلك بسبب الضغط الشعبي عليها. قلت «لو سمحت لي بأن أقول كلمتي هنا يا مستر تشمبرلين فأنا أُفضل أن لا تصدر بريطانيه مثل هذا القانون . أخرجوهم ولكن إياكم أن تصدروا قانون الأجانب بحقهم . »

وعند النهاية وعدني أن يتكلم مع لانسدون ، حتى يكون هناك ضغط على كرومر ليسرع في العمل . » (ص ١٤٧٣) .

وكان هرتزل ، وهو في باريس في طريقه إلى لندن ، قد إجتمع إلى أعضاء جمعية الإستعمار اليهودي وطلب مساعدتهم :

« كان ردّ الفعل عندهم جيداً ، إنما أبدوا بعض التحفظات ؛ لا يريدون أن يدفعوا ثلاثة ملايين جنيه ولكن ، وحسب ما فهمت من ملاحظة سمعتها من فيليبسون ، يريدون أن يدفعوا مليوناً فقط ، كذلك فإنهم يريدون أن يتقيدوا ببلوسيوم ، وذلك لأن ستفنس يذكر فيما يذكر أن قطعة أرض مشابهة لهذه قرب أبو قير أعطت ١٦ ٪ من الربح الصافي بعد بضع سنين .

من الناحية المالية بلوسيوم هي الزبيبة في الكعكة ، بينما للعريش عندي قيمة سياسية أكبر . أُريد استعمار منطقة العريش لأني أستطيع أن أبدأ ذلك حالاً ولأني بذلك أُخفف بعضاً من البؤس ولأني أستطيع أن أبعث بواسطتها الحماس في الجماهير . وهي أيضاً بدء تحول يمكن بواسطته إيقاف قانون الأجانب الذي هو من أهم الخسائر المعنوية التي تهددنا . » (ص ١٤٧٧) .

في هذه الأثناء كان جولدسمد يوالي إتصالاته في مصر مع كرومر ورجاله ومع حكومة مصر . وفي ١١ ــ ٥ ــ ١٩٠٣ وصلت هرتزل البرقية الحاسمة المختصرة من جولد سمد ، بالفشل . « إن الحكومة المصرية ترفض » . (ص ١٤٨٦) . وقد جاء شرح ذلك في رسالة كتبها جولد سمد في ٦ ــ ٥ ــ ١٩٠٣ ووصلت هرتزل بعد أسبوع :

« أعلن السير وليام جاستون أننا سنحتاج إلى خمسة أضعاف كمية الماء التي ذكرها ستفنس . كذلك ان وضع المضخات يعني إيقاف سير السفن في قنال السويس عدة أسابيع .

جلست في ساعات الصباح الباكر أمس أضع خطة جديدة سوف نحتاج إليها عندما تفشل الخطة الحاضرة .

بدأت من اقتراح تشمبرلين عن أوغنده ــ وفكرت في موزمبيق . سأحاول أن أحصل على إمتياز شركة لإستعمار هذه الأرض البوار من الحكومة البرتغالية التي هي بحاجة إلى مال ، وذلك بأن أعد بسد الديون ودفع ضريبة فيما بعد . على أني أريد موزمبيق هذه فقط للمتاجرة عليها وأخذ بدلا منها جزيرة سيناء مع مياه النيل صيفاً وشتاءً وربما قبرص أيضاً ــ وبدون أي ثمن » . (ص ١٤٨٧).

تألم هرتزل وكتب في ١٦ ــ ٥ ــ ١٩٠٣ هذه الملاحظة الساخرة، في فينه .

« ظننت أن خطة سيناء مؤكدة النجاح إلى درجة أني ما عدت فكرت بشراء مدفن للعائلة في مقبرة دوبلينغ حيث والدي مدفون مؤقتاً . والآن أعتبر المشروع فاشلاً إلى درجة أني اتصلت بالمسؤولين وسأشتري المدفن رقم٢٨ .» (ص ١٤٩١) .

حمله الفشل على أن يفكر جدياً بمشاريع أخرى: كمشروع موزمبيق في افريقيــه :

« كنت متردداً فيما إذا كان من الأفضل أن أبدأ الإتصالات لمشروع نوردو

في لشبونة بواسطة نوردو أو رأساً مع السفير البرتغالي . على أني عدت فقررت الإتصال بالسفير وذلك لأن تشكك نوردو سيخرب الفكرة من أساسها ، وبهذه الطريقة أكون تحت رحمة سكرتير من النبلاء ، بدون شك ؛ لأنهم لا يرسلون سفيراً إلى فينـّه إلا من هذا النوع .

كتبت رسالة إلى جو كون أطلب إليه أن يدعو إلى اجتماع مع ستفنس وكسلر وجرينبرج في بيت زانجويل ويخبرهم عن تقرير جاستون . وعلى أن يكتب لي بدوره رسالة أستطيع أن أعرضها هنا (على تشمبرلين ولانسدون). أشرت أن يخلد جميع المؤتمرين إلى الصمت بما فيهم جرينبرج وكذلك روتشيلد. وعلى جرينبرج أن يطلب مساعدة تشمبرلين للحصول على قسم منه حالاً . » (ص ١٤٩١) .

ومع هذا ظل هرتزل ، كما يبدو من رسالة كتبها إلى اللورد لانسدون في ١٧ – ٥ – ١٩٠٣ ، ضد مبدأ إنشاء المستعمرات الصغيرة ومع مبدأ إنشاء دولة كاملة لليهود في فلسطين :

« كانت فكرة هيرش أن يُخرج الناس ، ولا يستعمل المال لابقائهم . على أنه من الناحية الأخرى يبدو واضحاً من فشل المستعمرات الأرجنتينية ، أن الطريقة التي يمكن بواسطتها إخراج الناس ليست بإقامة مستعمرات صغيرة وليس فيها ما يستميلهم اليها . إنما هي في تنظيم الخطط الكبيرة التي تُبنى على الإهتمام بمشاعر اليهود القومية ». (ص ١٤٩٢) .

هنا يعود هرتزل إلى الإتصال مع رؤساء دول أوروبه المختلفة ، يتودد إلى كل منهم على حساب الآخرين .

أعاد ، أولاً ، الإتصال مع قيصر روسيه . وسّط وزير الداخلية الروسية ، في ١٩ – ٥ – ١٩٢٣ ، كما وسّط صديقته برتا فون ستنر التي وقّعت على رسالة كتبها هرتزل إلى القيصر ، وصفته فيه بأنه بطل للسلام ووصفت القيصر

بأنه رسول للسلام في العالم . كتب هرتزل عن نفسه على لسانها :

« لقد عرفته صديقاً سنين عديدة ، وقد راقبته عن كثب في لاهاي سنة ١٨٩٩ وهو يعمل ويقدم خدمات لمؤتمر السلام ، خدمات أقر بها السادة فون ستاهل وفون بلوخ ؛ وأنا أعتبره كاتباً مبرزاً ورجلاً شجاعاً محباً للخير ، صاحب أفضال في جميع المجالات الإنسانية . وقد تحدث معه كل من قيصر ألمانيه وسلطان تركيه. والآن إذا تفضل أمبراطور روسيه ورضي بمقابلته فإنه بهذا يستطيع أن يعمل من أجل سلام الإمبراطورية وسلام العالم .

ومن أنا لاتجرأ بتقديم هذا الطلب الى أعتاب عرشكم ، أنت تعرف يا صاحب الجلالة أني أعتبر نفسي خادمة بسيطة للمثل الأعلى الذي ترعاه يا صاحب الجلالة ، ألا وهو السلام . وأنا باسم هذا المثل ، واستناداً على إيماني بأن قيصر روسيه ليس هو السيد والأب لشعبه فقط ، وإنما هو أكثر من ذلك: هو رسول مبدأ عالمي ، أجد الشجاعة لأن أكتب هذه الأسطر وآمل أن ينال طلبي هذا القبول . » (ص ١٤٩٦) .

وأعاد الإتصال ، ثانياً ، مع البرتغال . وسّط رئيس وزراء النمسه ، كويربر ،مع سفير البرتغال في فينه ، في ٢٣ ــ ٥ ــ ١٩٠٣ . واجتمع مع السفير في اليوم التالي وطلب منه مستعمرة برتغالية لإنشاء وطن لليهود فيها :

« شرحت له الأمر ، وطلبت منه أن يستفسر لي من حكومته ما إذا كانت مستعدة أن تعطينا إمتيازاً للإستيطان في منطقة كافية . ولما كان كسولاً كسائر الدبلوماسيين طلب مني أن أكتب لوزير المستعمرات والبحرية . كنت مستعداً لأن أكتب رسالة خاصة أعرض فيها رغباتي والأمور الأولية . وجاء على ذكر صهره الذي كان من رجال المستعمرات وفي الوقت ذاته كان قائد سلاح المدفعية . »(ص ١٤٩٨) .

وبناء على طلب السفير وضع هرتزل مقترحاته في مذكرة رسمية جاء فيها :

«كما أخبرتك أمس إن أول موضوع استطيع أن أقدمه للوزارة هو ما يلي : هل هناك مقاطعة صالحة لسكنى الأوروبيين ولزراعتهم . إن الإسكان سيعني إسكان خمسين ألف عائلة على الأقل . أما من جهة صهرك ، إذا استطعت أن تحمله على الإهتمام بأمورنا فأنا أسمح لنفسي أن أطلب منه أن يرسل إليك، أو مباشرة إلي ، تقارير عن جميع الإجتماعات العامة الأخيرة لكل شركات المستعمرات . يستطيع أن يحصل على المجموعة الكاملة من وزارة المالية . إن دراسة مثل هذه التقارير تعطينا ملاحظات مفيدة عن الإمكانات الزراعية والصناعية والتجارية للتنظيم الإستعماري على نطاق واسع في هذه البلدان . » (ص ١٤٩٩) .

وقد دوّن هرتزل في يومياته ، في يوم ٢٦ ــ ٥ ــ ١٩٠٣ ، الملاحظة التاليـــة :

« اليوم في ساعات الصباح الباكر المثمرة خطر في بالي ما يلي : يمكن تأسيس صندوق لجميع شركات الأراضي البرتغالية التي لم تنتج . سيرضون بإعطاء أسهمهم الفاشلة مقابل أسهم في شركة أراضٍ كبيرة . أخبرني باراتي أن شركة موزمبيق كانت ذات حكم ذاتي تقريباً ، وكانت لها فرق جيوش تحميها ، إلخ . ربما استطيع الحصول على إختيار ، وبذلك أتمكن من مبادلتها مع مياه النيل وقبرص . » (ص ١٤٩٩) .

لقد كان مشروعه « البرتغالي » خطوة نحو فلسطين . كتب في ١١ ــ ٦ ــ ١٩٠٣ :

« جمعت لجنة العمل في بيتي وأخبرتهم عن مشروعي الجديد ، المشروع البرتغالي ــ الإفريقي . رفع كوكش حاجبيه معلناً رفضه البات . كاهن رضي به ، كريمنزكي استطاع أن يرى الفائدة فيه بعد أن شرحت له بعض الأمور ، مثلاً أننا نستطيع أن نطالب بفلسطين بصورة أقوى إذا كان لنا مكان تجمع

ضمن القوانين العامة . مرمورك قبل بالفكرة بشرط أن تخلق مادة تبادل لسيناء». (ص ١٥٠٥) .

إلا أن المشروع لم يعش طويلاً . سحبه هرتزل في ١٤ ــ ٦ ــ ١٩٠٣ خوفاً من تضاربه مع صلاته مع تشمبرلين .

« ألغيت فكرة السفر إلى البرتغال في الوقت الحاضر ، القبض على الكثير يضيع الكثير . تستطيع الحكومة الإنجليزية ــ أو في الحقيقة ليس هناك مناص من أن تعرف عن الخطوات التي سأقوم بها في لشبونه ، وهذا قد يؤثر تأثيراً سيئاً على مخطط نيروبي . أريد قبـــل كل شيء أن أتوصل إلى ذلك الإمتياز. أبرق جرينبرج يقول أن تشمبرلين كتب اليه يقول بأنه مستعد أن يقبل مسودة أولية يقدمها للحكومة لدراستها » . (ص ١٥٠٥) .

وبسبب فشل مشروع العريش ، ألغى هرتزل إتفاقه مع جمعية الإستعمار اليهودي وكتب هاتين الرسالتين في ٢٣ ــ ٥ ــ ١٩٠٣ .

« علي الآن ان ابتلع الدواء المر وألغي جمعية الإستعمار اليهودي .

إلى صادوق خان في ٣ تموز :

عزيزي الحاخام الأكبر :

عندما كان لي شرف التحدث معك ومع زملائك في جمعية الإستعمار اليهودي منذ شهر ، أخبرتك أنني سأؤمن لكم في اجتماعكم المقبل كل المواد التي تحتاجون اليها من أجل الوصول إلى قرار بخصوص مشاركتكم في إقامة المستعمرات في شبه جزيرة سيناء .

إن تقارير بعثتنا إلخ . كانت تامة ومهيئة لأن ترسل عندما حدث تطور جعل إرسالها لا فائدة له في الوقت الحاضر . كنا قد استلمنا تأكيدات شفهية وكتابية من الحكومة ، وكانت خطتنا مقبولة مبدئياً . ثم ، وفي آخر لحظة ، أعلنت دائرة الأشغال العامة أنهم لا يستطيعون إعطاءنا ما نحتاج اليه من مياه

النيل لإنجاز خطتنا إنجازاً صحيحاً . لذلك اضطررنا في الوقت الحاضر أن نتخلى عن كل المشروع . وهذا مؤلم جداً لي ، وربمـا لكم جميعاً أيضاً . لأن اضطرابات كيشينيف أسفرت عن مدى البؤس الموجود في الشرق .

إني أعهد بأخباري هذه جميعها إلى حكمتك وأطلب أن تخبر بها مدراء جمعية الإستعمار اليهودي فقط وأن يبقى الأمر سرياً تماماً . » (ص١٥٠٠).

« عزيزي لورد روتشيلد ،

إنهارت خطتي لسيناء بكاملها . كان كل شيء جاهزاً . كانت قد وصلت إلى نقطة تعتمد كلياً على حكم سير وليام جاستون فيما إذا كنا سنعطى ما نحتاج إليه من مياه النيل . فلما عاد سير وليام من أوغنده تردد في الأخذ بتقرير مهندسنا ستفنس ، وقال أننا سنحتاج إلى خمسة أضعاف كمية الماء التي ذكرها ستفنس ، ولا تستطيع مصر أن تستغني عن هذه الكمية . وبهذا انهار المشروع . لقد أضعنا كثيراً من الوقت والجهد وشيئاً من المال ، ولكني لم أفقد الأمل ، وعندي الآن مشروع آخر ، سيساعدني فيه رجل ذو سلطة ، وحالما أصل إلى مرحلة استطيع معها أن أُعلن الأمر ستكون أنت أول من يعرف . أنا أفترض أنك ما تزال تحب أن تعرف عن الأمر وأنك ستظل مستعداً للمساعدة ــ طبعاً أنا لا أُفكر أبداً بالمعونة المالية ، ولكن فقط اعتمد على مشورتك وسلطتك . »
(ص ١٥٠٠) .

وفي ٢٣ ــ ٥ ــ ١٩٠٣ بينما كان هرتزل يجدد مساعيه مع حكومتي روسيه والبرتغال ، تلقى رسالة من جرينبرج عن مساعي تشمبرلين لمصلحـة اليهود ــ « براون » في الرسالة هو تشمبرلين و « باتر » هو جولدسمد و« كورك » هو مشروع العريش :

« وصلتني رسالة طويلة من جرينبرج تقرير واف عن محادثته مع تشمبرلين في ٢٠ أيار .

يقدم لنا تشمبرلين مساحة للإستعمار تسع مليون نسمة مع حكم محلي ذاتي

ولكن ليس في أوغنده ، إنما في منطقة مجاورة لها .

سأبرق لجرينبرج :

اعتماداً على تقرير باتر الذي ذهب أمس إلى لندن ، أعتبر كورك مستحيلاً للسنة القادمة . لذلك يجب أن نأخذ اقتراح براون بعين الإعتبار جدياً : بشرط ان يكون بالفعل مفيداً . »(ص ١٤٩٨) .

وفي الوقت نفسه أعاد هرتزل ، من جهة ثالثة، الإتصال بعزت، التركي، في ٤ ــ ٦ ــ ١٩٠٣ بعد إنقطاع عدة أشهر بحجة مذابح اليهود في روسيه :

« لا بد أنك سمعت بمآسي كيشينيف . يجب أن يكون هناك حل لليهود التعساء . وربما كان من الممكن أن نقوم بتسوية تجمع بين اقتراحك الذي قدمته في شباط ١٩٠٢ (مذكرة ١٨ شباط ١٩٠٢ في بلاط يلدز) بأمر من جناب سيدك وبين اقتراحي الأخير : وذلك بتنظيم استعمار العراق إلى جانب سنجق عكا.

سيجتمع المؤتمر الصهيوني خلال بضعة أسابيع ، فإذا لم يصلني أي خبر حتى ذلك الوقت فأنا مضطر إلى أن أعلن ان لا أمل بعد من الوصول إلى تسوية مع حكومة صاحب الجلالة الأمبراطورية السلطان، وسنضطر ان نبحث عن مقاطعة غيرها ، وسوف لا نعدم الفرص لإيجادها » . (ص ١٥٠٣) .

في ذلك النهار نفسه ، ٤ ــ ٦ ــ ١٩٠٣ ، كتب هرتزل إلى ريناخ ، المؤرخ اليهودي الفرنسي ، ينعي مشروع العريش . ويخبره في الرسالة عن بيع آل سرسق أراضيهم في فلسطين :

« يؤسفني أن أخبرك أن المشروع الذي كاد أن يجمع بيننا قد انهار ، فنحن لن نعطى ما نحتاج إليه من ماء النيل . وأنا أشعر بخجل من توصيل هذا الخبر السيء لزملائك الذين لا بد انسرهم أن يروا مجالاً للإلتجاء مفتوحاً أمام التعساء الذين يهمونك...

أمر آخر ، أقل أهمية . عرض علينا شراء مقاطعة في وادي جزريل [مرج ابن عامر] ، صاحبها الذي يريد أن يبيعها هو السيد سرسق من بيروت ، وأظن أنه قال ، « إما أن تشتري هذه الأرض مني جمعية الإستعمار اليهودي أو يشتريها الصهيونيون » . ويظهر أن بعض السماسرة يريدون أن يربحوا مما يعتقدون أنه منافسة لنا . نستطيع أن نقضي على مثل هذه المناورات إذا انذرنا بعضنا بعضاً قبل الوقت . من جهتي أنا سوف أخبرك عن مثل هذا بدون مقابل ، سأخبرك عن الثمن الذي سيطلب منا لشراء الأراضي في فلسطين ، فإذا لم تقل أي كلمة لأحد ، ربما استطعنا أن نكشف عن بعض هذه السمسرات التي أخبرتني عنها . يطلب السيد سرسق ٢٥ فرنكاً للدنم الواحد ، بينما تقول تقاريرنا أنه لا يساوي أكثر من ١٥ — ١٨ فرنكاً . إذا أردت أن تشتري ، ننسحب نحن . وإذا كنت لا تريد أن تشتري ، أخبر السيد سرسق بذلك حتى نشتري نحن بسعر أفضل » . (ص ١٥٠٤) .

وقد بعث فشل مشروع العريش إهتماماً خاصاً في نفس هرتزل بأراضي الكونجو (وكانت تخضع لبلجيكه) . فكتب في ١٢ ـ ٧ ـ ١٩٠٣ إلى المالي اليهودي البلجيكي فيليبسون يطلب مساعدته ، للحصول على هذه الأراضي :

« بعد فشل مشروع العريش — بيلوسيوم المؤسف بدأت أشعر أننا يجب أن نجابه اليأس المتزايد بالحصول على المساعدات بشكل واسع — إذا لم يكن لشرق قنال السويس فلمكان غيره . فمع إبقائنا على مشروع فلسطين ، الذي لا نستطيع أن نحققه بسرعة وعلى أسس قومية على كل حال ، يجب أن نعمل على خلق مكان نلتجيء اليه ضمن قانون عام . وسأكتفي بذكر واحد من الأمكنة التي هي قيد الدرس ، المكان الذي تستطيع أن تشترك بالمساعدة فيه هو ولاية الكونجو .

في الوقت الذي استلمت فيه رسالتك كنت أفكر في امكانية الذهاب إلى الملك ليوبولد . إن صداقتي لدوق بادن الكبير كانت تسهل علي الحصول على

تقديم له ، ذلك لأني أشعر بأن الطرق الرسمية بواسطة وزارة الخارجية النمسوية – الهنجارية قد لا يمكن أن تضبط سريّة ، على أني ترددت في المضي في هذا لأني أردت أن أرى أولاً كيف يتصرف القط في المناقشة حول الكونجو ، ولأسباب أُخرى ذات سياسة عامّة .

لقد تم قراري الآن وأُريد أن أسألك ما إذا كنت ستشترك في هذا . إن الأمر لا يخص في الوقت الحاضر جمعية الإستعمار اليهودي ، وسنرى فيما بعد ما إذا كان سيدخل في خصوصها . الأمر الآن بيني وبينك فقط ولي ثقة فيك أنك حتى لو لم تكن لك نيه المساهمة في العمل ستحافظ على سرّي .

هل عندك اتصالات شخصية مع الملك ؟ هل تستطيع أن تؤثر عليه ؟ في ولاية الكونجو أراض كافية لإستيطاننا ونستطيع أن نقوم ببعض المسؤوليات ، أي ندفع الضريبة السنوية ، التي تُحدد فيما بعد ، للكونجو مقابل أن نطلب حكومة ذاتية وعدم العبودية للولاية .

هذه هي النقاط الأساسية المهمة . إذا اهتم الملك ليوبولد بالأمر فسوف أذهب حالا لرؤيته .

إذا كنت قد مهدت لي مسبقاً فذلك لن يُحوجني أن أطلب من الدوق الكبير توصية ، لأن مثل هذا سيضعني تحت واجب إيفائه بجميع التطورات التي تحدث وطلب قبوله بها ،وهذا بدوره يجعل التقارير تذهب إلى مجلس الرئاسة الألمانية ، ولا يخفى ما سيؤول إليه هذا من أضرار » . (ص ١٥١١) .

أبدى فيليبسون بعض التحفظ بسبب صعوبة تنفيذ المشروع . فرد هرتزل عليه في ١٦ – ٧ – ١٩٠٣ :

« أنا لا أنكر أن هناك صعوبات كثيرة في الإستيطان في ولاية الكونجو ، وليست لي الآن إلا المعلومات القليلة التي لا تتساوى مع خبرتك العميقة في ذلك. في الحقيقة أنني لم أنو أن نبدأ الإستعمار حالاً ، ولكني فكرت أول شيء

بإيجاد مقاطعة مناسبة ، ربما في جنوب شرقي البلاد وفي المناطق العليا . ولكن بما أن الإستكشاف سيكلفنا كثيراً ، لذلك نود أن نتأكد سلفاً من الحصول على إمتياز ، لأنه بدون هذا لا يمكن أن نوازن بين التضحيات المالية وفرص النجاح.

إذا توصلت بعثتنا الى نتيجة أن الاستيطان هناك ليس مستحسناً فاننا لن نقدم عليه . ولكن يجب ان لا يغرب عن بالك ان مريدي الهجرة والاستيطان عندنا قد بلغ بهم اليأس الى درجة تجعلهم يذهبون الى أمكنة قد تكون سيئة لغيرهم ، على أننا يجب أن يكون لنا دافع قومي للإستيطان . فاذا كنت تريد مساعدتي فانا اتوسل اليك ان تسأل الملك ما إذا كان يريد أن يبحث الأمر معي بالسر في الوقت الحاضر . وعلى كل حال فان هذا يناسب آراء الملك ليوبولد لأنه من الواضح ان هذا الاستيطان سيعمل على حماية هذا البلد وتقدمه » . (ص ١٥١٢) .

لكن فيليبسون أصر ، في ٢١ – ٧ – ١٩٠٣ ، على عدم الإشتراك في المشروع « لأنه يعتقد أن الكونجو غير صالح » (ص ١٥١٤) .

وبالرغم من محاولاته للإتصال بالسلطان كان يدس عليه . كتب في ١٧ – ٦ – ١٩٠٣ إلى روتشيلد يناشده المساعدة ضد السلطان :

« آتي اليوم اليك بأمر مهم جداً . وصلني خبر يوثق به من القسطنطينية يقول بان عندنا فرصة ممتازة للحصول على قطعة ارض من السلطان اذا فشل مشروع التنازل . وكما هو معروف لدى الجميع ، يناقض التنازل المصالح البريطانية ايضاً . وانت بتأثيرك الضخم في الاوساط المالية لن يصعب عليك ابداً أن تمنع نقابة حاملي الاسهم الاجنبية من أن تقبل بالتنازل . إن هذا الأمر بسيط جداً بالنسبة للسلطة التي تتمتع بها وأما المساعدة التي ستكون لنا منها فعظيمة » . (ص ١٥٠٦) .

وأجرى هرتزل محاولات مماثلة ، في اليوم التالي ، مع يهود آخرين :

« طلبت أمس من جوتمان (رجل الفحم) أن يقف في وجه مشروع

التنازل . وكتب كاهن يقول إنه يستطيع ان يحمل الأحزاب التي لها علاقة ، في هولنده ، ان تقف علنا مع انجلتره لمنع التنازل . سأبرق له جواباً أن يسير في هذا بسرعة وبقوة » . (ص ١٥٠٧) .

وفي ١٨ ـ ٧ ـ ١٩٠٣ أبرق إلى لندن بالبرقية التالية لمنع إجراء معاملات مـالية مع السلطان :

« من الضروري جداً أن يرى إساكـار [جرينبرج] او جو [كون كوريتير [اللورد روتشيلد] . اني أسمع الآن ان كوريتير النمساوي قد يتمكن من ايقاف بعض الامور . هذا مهم جداً لنا ، ولذلك فانا اتوسل الى كوريتير ان يبرق حالاً للنمساوي يطلب منه ايقاف بعض الأمور ». (ص ١٥١٣).

ونكاية بتركيه ، أخذ يقوّي إتصالاته مع روسيه . كتب في ٨ ـ ٧ ـ ١٩٠٣ الرسالة التالية إلى صديقته الروسية كورفن ـ بياتروفسكا ، بعد أن فشل في أخذ موعد مع القيصر الروسي :

« يؤسفني ان لا أستطيع ان أُقدم لك افضل تقرير عن الحركة الصهيونية التي ابديت بها اهتماماً . ويؤسفني ان اقول بان جهودنا لم تُقدّر في الاماكن التي كان يجب ان تقدر فيها أكثر من اي مكان آخر . ولذلك لم نستطع أن نصل الى انجازات كبيرة . ولقد قمت مؤخرا بمحاولة ايجاد بعض المساعدة القيمة في روسيه وذلك لأني اعتقدت أن المسؤولين هناك لا بد أن يروا منطق حججنا ، وانه ليس هناك إلا هذا الحل للمسألة اليهودية .

كتبت الى السيدين فون بليفيه وبوبيدونوستيف أطلب منهما ان يهيئا لي مقابلة مع قيصر روسيه . اردت بهذا الطلب أن أرمي عصفورين بحجر . ذلك ان مجرد الوصول الى مقابلة مع القيصر يخفف من اضطراب شعبنا المسكين قليلاً . انتِ لا بد تعرفين كم يتأثر شعبنا المسكين باي مظهر من مظاهر العطف عليه من الدوائر العليا . ثانياً ـ وهذا له فائدته الخاصة ـ اردت أن اقدم للوزيـر فون بليفيه مخططا لهجرة بدون عودة وأطلب مساعدته . اني متأكد بانه يستطيع

ان يفهني . واستطيع ان أرى من خلال كل شيء حتى من خلال الأخبار المتناقضة غير المعتمدة في الصحف انه قلق بسبب حالة اليهود الراهنة وانه يريد ان يجد حلاً مناسباً . ولكن لسوء الحظ جاءني خبر من صديقتي العزيزة البارونة ستنر ، التي وصلها الخبر من الكونت لامسدورف ان القيصر لن يستقبلني . على أنه مع مضي الوقت لا بد ان تكون قد هدأت الأمور قليلا . اما بخصوص هدفي الآخر ، وهو أن أتحدث باسهاب مع فون بليفيه عن امكان بدء الهجرة ، والتأثير عليه وهو الرجل الأقوى في روسيه ليهتم بالموضوع — الأمر الذي سيبعث على الإطمئنان من جميع النواحي — فان هذا الهدف ما يزال قائماً .

على اني لا أستطيع أن اتصل به مرة ثانية مباشرة ، وذلك لأنه لم يجب بعد على رسالتي المؤرخة في ٢٣ أيار . انا اعرف طبعاً أنه — في مركزه هذا — لا يستطيع ان يجيب على رسالتي بسرعة . ومع هذا فانا أخشى ان أظهر بمظهر الأحمق إن انا كتبت اليه ثانية .

وانا أتذكر ان لك معرفة بالسيد فون بليفيه ، لذلك فانا اتوسل اليك — وارجو ان لا تعتبري ذلك تطفلاً مني — ان تسأليه ما إذا كان يرغب في ان اراه . سآتي الى سانت بيترسبرغ في اي وقت يريد » . (ص ١٥٠٩) .

كانت نتيجة هذه الرسالة أن دبّرت له صديقته موعداً مع بليفيه وزير الداخلية الروسية ، المعروف بعدائه الشديد لليهود ، في ٢٣ — ٧ — ١٩٠٣ . فقرر الذهاب إلى روسيه وسافر بالفعل في الشهر التالي . وفي ٨ — ٨ — ١٩٠٣ إجتمع مع الوزير بليفيه وعقب المقابلة بعث له بمذكرة بما جرى بينهما من أحاديث :

« تريد الحكومة الامبراطورية الروسية أن تصل الى حل انساني بخصوص المسألة اليهودية وذلك حرصاً منها على مصلحة الدولة الروسية وليس فقط لارضاء حاجات الشعب اليهودي . وترى أنه من صالحها ان تقدم المساعدة

للحركة الصهيونية وهي تعرف نوايا الحركة المخلصة . ستكون مساعـدة حكومة الامبراطورية كما يلي :

اولا ، التوسط الفعّال مع صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان. ذلك انه يجب الحصول على امتياز لاستعمار فلسطين باستثناء الاماكن المقدسـة . تبقى البلاد تحت حكم صاحب الجلالة السلطان . تقوم شركة الاستعمار – التي يؤسسها الصهيونيون برأس مال كاف – تقوم بتولي الامور الادارية . وتدفع هذه الشركة لخزينة الامبراطورية العثمانية تبرعاً سنوياً يُتفق عليه ، يكون بمثابة ضرائب . وتعوّض الشركة عن هذه التبرعات ، كما عن غيرها (الاشغـال العامة والتعليم وغيرهما) بضرائب تجبيها من المستعمرين . ثانياً ، تدفع الحكومة الامبراطورية الروسية مساعدة مالية للتهجير مستخدمة لذلك الأموال والضرائب التي تصدر عن اليهود . ثالثاً ، تسمح الحكومة الامبراطورية الروسية بتنظيم جمعيات صهيونيـة روسية حسب برنامج بازل .

ويبقى لسعادتك تقرير طريقة الإعلان عن هذا وكيفية ذلك . يكون العمل من أجل هذه الغاية في مؤتمرنا الذي سيعقد في بازل من ١٠ – ٢٣ آب . هذا بدوره سيضع نهاية لبعض القلاقل .

وفيما يلي نص القرار اقدمه لسعادتكم لتوافقوا عليه كي يقدم في المؤتمر :

إني مفوض ان أعلن ان الحكومة الامبراطورية الروسية ستساعد الحركة الصهيونية . فالحكومة الامبراطورية تنوي ان تتوسط لنا مع صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان من اجل الحصول على امتياز للاستعمار ، وهي فوق ذلك ستضع في متناول القائمين على امور الهجرة الاموال التي تجمع من الضرائب اليهودية . وهي في الوقت ذاته، ولتبرهن على مثل هذه الاجراءات الانسانية ، تقترح أن توسع في وقت قريب أمكنة اقامة اليهود الذين لا يريدون ان يهاجروا. (ص ١٥٢٠) .

ويظهر أن المقابلة كانت ودية . يقول هرتزل (ص ١٥٢٦) إن الوزير وافقه على النقاط التي أثارها . واجتمع بعد الظهر مع الجنرال كيريف مرافق القيصر . وفي اليوم التالي (٩ – ٨ – ١٩٠٣) إجتمع إلى وزير المال الروسي وت وتباحثا في إستعمار اليهود لفلسطين :

« علّق وت على موضوع الأماكن المقدسة بقوله : كم هي المسافة التي تقدرونها بين الاماكن المقدسة وبين الوطن الذي تريدون أن تقيمـــوه ؟ إن تكونوا قريبين منها فذلك سيبعث الخوف في قلوب الناس .

قلت : « ان الحالة الحاضرة ليست أفضل ، لأن الجنود الأتراك يحرسون الاماكن المقدسة . » اجاب « صديق اليهود » :

« يقبلون بهذا اكثر مما يقبلون حراسة اليهد د . إن ذهاب بضع مئات من اليهود الى هناك بفنادقهم واشغالهم ، دفعة واحدة ، قد يؤذي مشاعر بعض المفكرين المسيحيين » .

هذه هي المعارضة التي يقدمها دائماً رجال الأموال اليهود . قلت : اننا نخطط لأن يكون الوطن في الشمال ، بعيداً عن القدس ، ولا بد أخيراً ان نوجد مكاناً لليهود ، طالما أنه لا يمكن – كما قد قلتم سعادتكم – ان يُرمى اليهود في البحر الاسود » . (ص ١٥٣٢) .

وحينما اجتمع هرتزل إلى بليفيه ثانية في ١٣ – ٨ – ١٩٠٣ ، أبلغه الوزير موافقة القيصر وحكومته على تأسيس دولة يهودية في فلسطين ، على الأساس التالي ، حسبما نقل هرتزل عن محدثه قوله :

« لما كانت الأمور على ما هي عليه الآن ، لا يسعنا إلا أن نتصرف بالطريقة التي سرنا عليها حتى اليوم ، ولهذا فإن خلق دولة يهودية مستقلة تستوعب عدة ملايين من اليهود يوافقنا جداً . ولكن هذا لا يعني أننا مستعدون أن نتخلى عن جميع اليهود عندنا . نريد أن نبقي ذوي الذكاء المتفوق منهم – أمثالك ،

فالنبوغ لا يعرف تفريقاً لا في المذهب ولا في القومية . نريد أن نتخلص من الفقراء وذوي العقول الضعيفة . ونبقي كل من يستطيع أن يندمج . نحن لا نعادي اليهود كيهود . » (ص ١٥٣٥) .

شجع هذا الكلام هرتزل وأخذ يلح على طلب توسط القيصر مع السلطان للسماح لليهود بتحقيق اطماعهم في فلسطين . كتب إلى وزير الداخلية الروسي :

« كل شيء يعتمد على فعالية التوسط مع السلطان. لم تبدُ أية بارقة أمل منذ وقت طويل، ومن يدري ما إذا كانت ستحين فرص مؤاتية أخرى ثانية. في الوقت الحاضر ، سترضى الحكومة العثمانية ، خارج ما ترضى به عادة ، بأن تقوم بكل ما يطلب منها لترضي روسيه . وأنا متأكد أن طلباً واحداً يصدر مباشرة عن صاحب الجلالة الإمبراطورية القيصر ، يكفي » . (ص ١٥٣٧).

وسجل هرتزل في يومياته :

« في حديثي مع بليفيه شددت على القول بأن كل شيء يعتمد على مدى القوة التي تتوسط لنا بها الحكومة الروسية مع القسطنطينية . وبعد ، فإن وزارة الخارجية هي أيضاً عضو آخر في الهيئة مثلما هي وزارة الداخلية ، ورغبات الواحدة ، في مثل هذه الحالة، يجب أن تؤخذ بعين الإعتبار من قبل الأخرى . ولكني طبعاً فكرت بأن توسط قيصر روسيه الشخصي مع السلطان له أكبر الأثر . ولذلك طلبت مقابلة مع الإمبراطور » . (ص ١٥٣٨).

وراح هرتزل يذيع خبر رضى السلطات الروسية على مشروعه . وقد حادث بذلك فون هارتويك ـ مدير الدائرة الأسيوية في وزارة الخارجية الروسية ورئيس « الجمعية الروسية الفلسطينية الإمبراطورية » .

« إدّعى [هارتويك] بلباقة السياسي أنه لم يُخبّر بعد ، طبعاً أخبرته عن الوعد الذي أعطاني إياه بليفيه باسم الإمبراطور أن تتوسط لنا الحكومة الروسية مع السلطان . عند سماعه هذا أنزل أنفه قليلاً . قال إن حصانة الأماكن

المقدسة وإبعادها عن منطقة الحكم التي كنت أقترحها ، تذهب بكثير مــن الصعوبات . أخبرني أن فون جونو ، السفير في برن الذي مات مؤخراً لذلك لم يقم بعمل كثير في برن ، كان قد أعد دراسة عن الحركة الصهيونية وأرسل إلى وزارة الخارجية بتقرير ضخم عنها ؛ ولاقت هذه القضية رضى عنــد وزارة الخارجية ، ولكن بما أنها لم تجد من يسير فيها لم تتقدم ». (ص ١٥٤٢).

لكن أحلام هرتزل لم تعش طويلاً . فسريعاً ما أُبلغ أن علاقات روسيه مع السلطنة ساءت إلى حد لا يسمح بالتوسط :

« ولكن الجنرال كيريف ، الذي كان ينتظرني في الفندق ، قال لي إننا يجب أن لا ننتظر أي توسط ودي لنا مع السلطان في المستقبل القريب ، وإن الأسطول الروسي هو في طريقه الآن إلى القسطنطينية ليقوم بتظاهرة هناك إحتجاجاً على مقتل القنصل روستكوفسكي . وحتى إذا أُرضيت الحكومة الروسية ومنحت مطالبها الخمسة ، فإن العلاقات بين الروس والأتراك لن تكون على ما يرام مدة من الزمن » . (ص ١٥٤٢) .

الناحية الوحيدة التي نجح هرتزل فيها هي حفاوة يهود روسيه به . وقــد روى هذه الحادثة التي جرت عند زيارته لمدينة فلنه الروسية – البولونية ١٧ – ٨ – ١٩٠٣ :

« إسترعى إنتباهي عامل شاب يلبس قميصاً أزرق ، بما تنم عليه ملامحه من صلابة وعزم ، وقلت في نفسي لا بد أن يكون هذا أحد الثوار البنديين ، لكن ولشد ما أدهشني عندما وقف ودعا إلى شرب نخب اليوم الذي يحكم فيه « الملك هرتزل ». ربما كان هذا غير معقول ، إنما كان لوقع كلامه تأثير في ليل روسيه المظلم » . (ص ١٥٤٤) .

لذلك عاد من روسيه إلى النمسه وهو ضعيف الأمل بالمساعدة الروسية . فأخذ يمني نفسه بالمساعدة الألمانية من جديد ، ما دامت روسيه لن تسنده كما يريد . وصدف أن ركب القطار إلى النمسه الذي كان يركبه صديقه الأمير

فيليب أويلينبرج . فأخذ يتزلف لألمانيه كما كان يفعل سابقاً :

« فجأة علمت فائدة إسترجاع ألمانيه . سأرضى بكل سرور أن ينصب ويلهلم الثاني نفسه ملكاً ، بعد أن أقضي على جميع العقبات الديبلوماسية التي كانت قبلاً في الطريق واحدة بعد واحدة . سألني أويلنبرج إذا كنت أرضى عن أن يكتب لبولو ما كنت قد أخبرته إياه .

أجبت : بولو عدو قديم لقضيتنا ، وسيكون ضدها الآن أيضاً ، أما إذا أردت أن تكتب لأحد فللقيصر ، لأنه سبق وفهم كل شيء ». (ص ١٥٤٦).

ولكن لما لم يجد تجاوباً عظيماً وصل إلى حل وسط : محاولة التوفيق بين الزعامتين الألمانية والروسية ليهود أوروبه وللحركة الصهيونية ، كما جاء في حديث هرتزل مع دوق بادن الكبير في أيل أوف مينو في ١ ـ ٩ ـ ١٩٠٣ :

« أما بخصوص إقتراحي أن يتولى القيصر ويلهلم قيادة حملتنا مرة ثانية الآن بعد أن كسبنا روسيه وإنجلتره إلى جانبنا فالدوق الكبير لم يُعِرْ الموضوع إنتباهه وتغاضى عنه بلطف . على أنه قال بأنه سيرسل إلى بارون ريشتهوفن ، وزير الخارجية ، خطابي في مؤتمر بازل ورسالة بليفيه والوثيقة الإنجليزية . وريشتهوفن يجمع هذه المواد جميعها ويقدمها بشكل رسمي للقيصر .

سألته ما إذا كان يظن أن ألمانيه ستعترض على تزعم روسيه للأمر .

أجاب : بالعكس ، إن ذلك سيسهل علينا الأمور ، لأننا بذلك نتفق مع روسيه حالاً ، ورغبتنا هي أن نكون على علاقة طيبة مع روسيه .

هذا كان فحوى حديثنا الطويل . كانت هناك لحظة تأثر فيها الدوق الطيب : عندما أخبرته أننا سوف نتخلى راضين عن الأرض الجيدة في شرق إفريقيه مقابل أرض فلسطين الفقيرة . أنا شخصياً أعد التخلي عن بلد غني من أجل بلد فقير نوعاً من التحدّي لنا نحن اليهود الطماعين » . (ص ١٥٤٨).

لذلك كان لا بد من عدم قطع الأمل بروسيه . وهذا ما دعا هرتزل إلى

إستئناف الإتصال بمسؤوليها . فكتب إلى وزير داخليتها ، بليفيه ، في ٥ ــ ٩ ــ ١٩٠٣ .وألحقها في ١١ ــ ٩ ــ ١٩٠٣ برسالة إلى سكرتير وزارة الخارجية الروسية هارتويك ، وبرسالة ثانية إلى الجنرال كيريف . وقد لخص مطالبيه بالسطور التالية كما جاء في الرسالة إلى هارتويك :

« إذن يبقى طريقة أُخرى واحدة فقط ، وليس غيرها : تنظيم الهجرة اليهودية . ولكن البلد الوحيد الذي يجذب جميع اليهود الروس تقريباً ، باستثناء قلة قليلة، هو فلسطين. كل البلدان الأخرى تجذب فقط أبناء اليهودية الضالين . فقط أرض الميعاد ، أرض أجدادهم ، تناديهم جميعاً .

لتقدم لنا حكومة صاحب الجلالة الإمبراطورية مساعدة مع السلطان حتى يفتح فلسطين للهجرة اليهودية بشكل واسع ويمنحهم،تحت حكمه ، إدارة حكم ذاتي ضمن القانون العام الذي يؤمن لهم سلامة تامّة ، وإمكانية تقدم طبيعي قومي ، وبهذا تخلو الأراضي الروسية من اليهود بقدر ما هي فلسطين مستعدة لقبولهم . في هذا يكون خلاص يهود روسيه وحلّ مشكلة لا يمكن لحكومة الإمبراطورية أن تحلها بأي شكل آخر .

وبكلمة موجزة أقول : لي الشرف أن أقترح على سعادتكم أن تتكرموا فترسلوا إلى صاحب السعادة سفير صاحب الجلالة الإمبراطورية لدى صاحب الجلالة السلطان ، بالتعليمات التي أدلى لي بها صاحب السعادة مسيو دي بليفيه في رسالة ذكرتها سابقاً والتي كُتبتْ كما تلطف الوزير وأخبرني ، برضى وحسب أمرٍ من صاحب الجلالة إمبراطور روسيه » . (ص ١٥٥٥) .

وإلى جانب هذه الرسائل ، كان هرتزل يكتب رسائل مماثلة إلى مسؤولي النمسه وألمانيه طالباً المساعدة الألمانية . كتب في ١١ ــ ٩ ــ ١٩٠٣ الرسالة التالية إلى الأمير فيليب أويلنبرج :

« خلاصة موجزة لما جرى :

إن وعد الحكومة الإنجليزية أن تهيء مقاطعة جيدة في شرق إفريقيه لتكون لنا مستعمرة ذات حكم ذاتي ـ الوعد الذي جاء في رسالة سير « كليمنت هل » كما جاء في وثائق أُخرى غير منشورة ـ هو وعد كريم وحكيم . إن إقامة هذا الملجأ للمضطهدين سيكون نقطة تركيز لمصالح إنجلتره في شرق إفريقيه . وأنا أعترف أن هذه السياسة تملأني إعجاباً واعترافاً بالجميل .

غير أننا نحن اليهود العنيدين نتمسك أكثر برمال فلسطين وصخورها . لذلك فأنا أُفضل ما جاء في رسالة فون بليفيه ـ التي طبعت أيضاً طي هذا ـ إذا تمكنا أن نعمل به في أقرب وقت ممكن . على أن هذا تصريح رسمي للحكومة الروسية ـ وقد أعطي لي هكذا ـ وأنا أعتقد أن سموكم يُشاركني رأيي في أنه تصريح خطير . إن روسيه تتخلى عن كل حقوقها في فلسطين ما دامت تسمح حتّى بإقامة دولة يهودية مستقلة فيها .

نحن مساكين لا نطلب كل هذا ، إننا نكتفي بحكم ذاتي يهودي تحت رعـــاية السلطان .

ما هي المعونة التي يمكن أن ننتظرها من ألمانيه ؟

إنك يا صاحب السمو تعرف أنني كنت دائماً أبني الآمال الكثيرة على المساعدة الألمانية . في حركتنا عنصر ألماني ثقافي ، لا يستهان به . وقد إستطاع القيصر بنظره الثاقب أن يراه . سيكون صاحب الجلالة في فينه مع المستشار الإمبراطوري في خلال بضعة أيام ، ولا بد أن تتطرق المحادثات إلى المسائل الشرقية . إن حوادث بيروت قد تحمل القوى الكبيرة على الإهتمام بإدخال النظام والمدنية الحديثة إلى هذه المنطقة . أعلنت روسيه بشكل عام بأنها مع إعطائنا فلسطين وفرنسه لا تستطيع أن تعارض حليفتها . أما إنجلتره فلن تقدّم أي معارضة معقولة بعد العرض الذي قدمته في شرقي إفريقيه . فإذا استمال صاحب الجلالة قيصر ألمانيه الحلف الثلاثي لجانبنا فسوف يتم لنا جميعاً ما نريد .

يتم أمر عظيم لجميعنا يا صاحب السمو . بما أنك رجل سياسة وشاعر

يمكنك أن تنظر إلى القضية هذه التي تمتد من الماضي البعيد لتصل إلى المستقبل البعيد وسوف يجعلك هذا تحب أن تساعد » . (ص ١٥٥٨) .

وكتب في ١٢ – ٩ – ١٩٠٣ إلى دوق بادن الكبير :

« رسالة بليفيه التي أعطيت لي كتصريح رسمي من الحكومة ، تدل بأن روسيه مستعدة لأن تقبل بإقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين . (نحن نرضى بحكم ذاتي تحت رعاية السلطان) . وفرنسه حليفة روسيه لن تستطيع أن تعارضها . كذلك إستعداد إنجلتره لأن تساعدنا واضح في رسالة سير كليمنت هـــل .

سيكون صاحب الجلالة القيصر في فينه في الأيام القليلة المقبلة مع المستشار الإمبراطوري . ومن المنتظر أن تتناول المباحثات المسألة الشرقية التي تأزمت ثانية . إذا عمل صاحب الجلالة على إستمالة الحلف الثلاثي وإثارة إهتمامـــه بمشروع فلسطين الصهيوني سنكون قد إقتربنا من هدفنا . وفي مخططنا أن نعمل على جعل المناطق المقدسة المسيحية خارجة عن نطاق الحكم ومتاجرة الأمم » . (ص ١٥٦١) .

وكتب إلى رئيس الوزارة النمساوية ، كويربر ، في اليوم التالي :

« أرجوك يا صاحب السعادة أن تتلطف بإبلاغ صاحب السعادة للكونت جولوتشوسكي بما أُريد أن أعرضه الآن عليك أولاً . وبعد ، فهذا الحل للقضية الفلسطينية هو من إختصاص السياستين الداخلية والخارجية ، ومع أنه على النطاق الداخلي سيقضي على مشكلة كامنة ولكنها دائمة الثورة فهو لا يُؤذي بأي شكل مصالح الملكية في الخارج .

إن إقامة وطن لليهود في فلسطين سيعمل على تحريك وزيادة العلاقات التجارية للملكية التي هي ضعيفة جداً في تلك المنطقة في الوقت الحاضر .

والمسألة الوحيدة غير المادية التي تهم القوى المسيحية هي مسألة الأماكن

المقدسة ، وحل هذه هو في إبعاد جميع المناطق المقدسة المسيحية عن نطاق الحكم . يجب أن تكون هذه الأماكن فوق إي متاجرة بين الأمم .

توصلت خلال السنين التي عملت فيها للقضية إلى الحصول على إهتمام في البلدان الأخرى أكثر مما تمكنت من الحصول عليه في النمسه . نجحت أولاً في الوصول إلى عطف واهتمام حكومة الإمبراطورية الألمانية وأخيراً – وتقريباً مع ما توصلت إليه من مساعدة روسيه – حصلت على العرض العظيم الذي قدمته إنجلتره للشعب اليهودي المحتاج .

ولا يسعني في هذه الحالة إلا أن آمل في الحصول على مساعدة حكومة بلدي الأم ، أيضاً ، كعمل يبدأ بالإهتمام بمصالح اليهود ، ولكن لا يتوقف عنده بل يسير إلى الهدف العالمي الإنساني ، ألا وهو المساعدة على رفع الضيم » . (ص ١٥٦٢) .

وكان في هذه الأثناء قد إنعقد المؤتمر الصهيوني السادس ، في بازل (في سويسره) في ٢٢ – ٨ – ١٩٠٣ . وكان آخر مؤتمر يحضره هرتزل قبل وفاته في السنة التالية . وقد ذكر في يومياته أنه قال لبعض أعضاء المؤتمر ما يلي ، إثر إنتهائه في ٣١ – ٨ – ١٩٠٣ :

« والآن سأخبركم بالخطاب الذي سأقدمه في المؤتمر السابع – إن عشت لأراه . حتى ذلك الوقت إما أن أكون قد حصلت على فلسطين أو أكون وصلت إلى درجة عرفت معها أن لا فائدة من أي جهود أخرى . وفي الحالة الأخيرة سيكون خطابي كما يلي :

لقد كان الأمر مستحيلاً ، ولم نصل إلى الهدف الأخير ، ولا يمكن الوصول إليه في وقت يمكن التنبؤ به ، ولكننا وصلنا إلى نتيجة مؤقتة : هي الأرض التي نستطيع أن نسكن فيها على أسس قومية وبحق الحكم الذاتي ، فأنا لا أعتقد بأن لنا أي حق في أن نحرم هؤلاء المساكين مثل هذه الأرض من أجل

تحقيق حلم جميل ورفع راية شرعية . ولكني بدأت أشعر بأن هذا الإعتقاد أدى إلى إنقسام قوي في حركتنا ، وأن هذا الإنقسام يتركز حول شخصي أنا . فمع أني كنت في البدء أنادي بدولة يهودية في أي مكان ، عدت فأصبحت أحمل راية صهيون مؤمنا بصهيون وبأن فلسطين هي الأرض الوحيدة التي سيعود إليها شعبنا ليستريح ، ولكن هناك مئات الألوف الذين هم في حاجة إلى مساعدة سريعة .

هناك طريقة واحدة لحل هذا النزاع : يجب أن أستقيل من الزعامة . سأستقيل ، إن أردتم ، أدبر لكم المفاوضات في هذا المؤتمر ، وفي نهايته تنتخبون لجنتين تنفيذيتين ، واحدة لشرق إفريقيه والثانية لفلسطين ، سوف لا أقبل إنتخابي لأي منهما ، ولكني لن أرفض تقديم المشورة لمن يطلبها مخلصاً للقضية . هذا مع أطيب تمنياتي للذين يعملون على تحقيق الحلم الجميل .

إن ما عملته لم يضعف الصهيونية ، وإنما جعل اليهودية أغنى » . (ص١٥٤٧) .

وكان هرتزل قد عرض ، في المؤتمر ، مقترحاته للتعاون مع بريطانيه . ونحن نجد تفاصيل الجلسات في رسالة بعث بها إلى وزير الداخلية الروسية في ٥ ـ ٩ ـ ١٩٠٣ ـ وهي رسالة معبرة ، تصف الكثير من أساليب هرتزل ومفاهيمه وخلافاته مع رفاقه وموقفه من الإشتراكيين :

« كانت أصعب لحظة هي التي قدمت فيها للمؤتمر عرض الحكومة الإنجليزية بخصوص مقاطعة في إفريقيه تعطى لنا . فكما أخبرت سعادتكم كنت قد طلبت مساعدة الحكومة البريطانية للحصول على فلسطين المصرية (العريش) فلما رفضت الحكومة المصرية هذا الطلب تلطفت الحكومة الإنجليزية بعرض مقاطعة في شرق إفريقيه . هذا العرض جاء في رسالة من سير كليمنت هِل ـ مؤرخة في ١٤ آب ـ أُرسِلت إلى بازل . عندما وصلني هذا الخبر لم أكن بعدُ أعرف ما عرفته فيما بعد وهو أن المقاطعة غير كافية لحاجاتنا . إن السير هاري

جونستون الحاكم الأسبق لها وواحداً من كبار الخبراء في ذلك البلد كتب في « التايمز » يقول إن عشرين بالمئة فقط من هذه الأرض المعروضة علينا صالح للإستثمار وإن هناك مصاعب أُخرى تضطره أن يعارض بحزم المشروع — الذي على كل حال لا يكفي إلا لتوطين بعض آلاف العائلات فقط .

ومع أني لم أكن أعلم هذه الحقائق في بـــدء المؤتمر كنت أعرف ما سيكون رد فعل الحركة الصهيونية لهذا الإقتراح . كان هناك شعور بالإمتنان بالإجماع ، وقد تأثروا إلى حد البكاء — إنما شرق إفريقيه ليس بفلسطين .

بعد مناقشة حامية إستطعت أن أضع الإقتراح التمهيدي للتصويت : وهو أن نرسل بعثة للإستكشاف — ويبقى القرار النهائي لمؤتمر ثانٍ يُعقد في مدى سنة أو سنتين . ولقد واجهت صعوبة كبيرة في الوصول حتى إلى هذه النتيجة المتواضعة ، لأن المعارضة كانت عنيفة حتى للإقتراح بأن يدرس العرض من باب اللياقة . كانت المعارضة شديدة من قبل الصهيونيين الروس ، وفي أحد إجتماعاتهم السرية الخاصة تطرف الصهيونيون الروس إلى حد إتهامي بالخيانة .

وأنا هنا أُعطي تقريراً عن الحقائق بمنتهى الصراحة وبدون أي محاولة للإخفـــاء .

كان عدد الأصوت التي قبلت بالإقتراح مئة وخمسة وتسعين مقابل مئة وسبعة وسبعين معارضاً . كانت الأقلية معظمها من الروس ، والروس القلائل الذين صوتوا للقبول فعلوا ذلك من أجل حبهم الخاص لي ولأنهم كانوا متأكدين أنني لن أُشير أبداً بالهجرة إلى إفريقيه .

وهنا تبرز الحقيقة التالية بكل وضوح . إذا كان هناك مناصرون لفكرة الإستعمار في إفريقيه فهم في بلاد أُخرى غير روسيه . ظاهرة غريبة ولكنها حاسمة . وقد كانت لي فرصة الإطلاع على هذا الموضوع من بعض العنـــاصر الثورية اليهودية التي تعيش في الخارج . يبدو لي أنهم هم أيضاً ضد مشروع

إفريقيه ومع فلسطين.

إن تفسير هذا الإتجاه الغريب ـ بعد أن كان هؤلاء حتى الآن غير مهتمين بالصهيونية ـ يمكن أن يكون ما يلي : الهجرة إلى إفريقيه لن تشمل سوى عدة آلاف من العمال ولذلك لن تخدم أية غاية سياسية ، بينما إذا استوطن اليهود في فلسطين ستضطر العناصر التقدمية أن تنضم إلى الحركة حتى لا تتأخر في الإنضمام إلى مجتمع جديد تكون العناصر المحافظة والبرجوازية الرجعية قد أسرعت إلى الإنضمام إليه .

لذلك فإن هذا المؤتمر قد ألقى ضوءاً على الحقيقة التي كان لي شرف التحدث إليك عنها في سانت بيترسبرغ : لا يمكن تنظيم هجرة دائمة إلا لفلسطين .

إن الآمال معقودة الآن على وعد الحكومة الذي جاء في رسالة سعادتكم المؤرخة في ١٢ آب . وفشل هذه الآمال سيسيء جداً إلى الحالة بكاملها . لن يثق بي أحد بعد ذلك ، وتحصل الأحزاب الثورية على جميع ما تخسره الصهيونية التي مثلتها أنا وأصدقائي . لذلك فإن أصح حل هو فعالية الوعد بالتوسط لدى الحكومة العثمانية . لقد تلطفت يا صاحب السعادة وأخبرتني أثناء آخر محادثة أجريناها معاً أن رسالتك المؤرخة ١٢ آب وجهت إليّ بعد قبول صاحب الجلالة الإمبراطور وحسب أمر منه . إن توسطاً شخصياً مباشراً من قبل صاحب الجلالة الإمبراطورية لدى السلطان يمكن أن يكون له أكبر تأثير ، خصوصاً وأننا مستعدون أن نقدم مساعدات مالية للخزينة العثمانية .

وأنا أرى أن يكون هذا التوسط كما يلي : إذا تفضل صاحب الجلالة إمبراطور روسيه بإعطائي رسالة توصية بالمشروع الصهيوني أوصل أنا هذه الرسالة إلى صاحب الجلالة السلطان ، الذي سبق ومنحني مقابلة معه سنة١٩٠١. وإذا أرسلت تعليمات إلى صاحب السعادة سفير روسيه في القسطنطينية أن يساعدني في مهمتي ، أذهب إلى القسطنطينية ومعي أمل بنجاح المفاوضات . والديبلوماسية الفرنسية ، التي تهتم بمصالح روسيه، ستقف بالطبع إلى جانب

مشروعنا . وأنا أظن أن صاحب السعادة الكونت لامسدورف سيحصل بسهولة على هذه المساعدة ، إذا هو أراد . أما بخصوص ألمانيه فلا أظن أننا سنجابه أية صعوبات من جهتها . لقد تشرفتُ مؤخراً بمقابلة دوق بادن الكبير وأفهمني سموه أن الحكومة الألمانية ، وإن كانت ليست مستعدة أن تأخذ هي زمام المبادرة ، يسرها أن تساند الإقتراح الروسي بمنح فلسطين لليهود .

وأخيراً لا أظنني متجرئاً إذا قلت أن الوزارة الإنجليزية التي أعطتنا مؤخراً برهاناً قوياً على عطفها على شعبنا التعس ، ستساعدنا هي أيضاً في مشروع أخــذنا فلسطين .

وهكذا يبقى الإعتماد فقط على حكومة صاحب الجلالة إمبراطور روسيه في العمل السريع على إنجاح المشروع . لقد عملت اعواماً على تهيئة القسطنطينية. لي في الأوساط الحكومية كثير من الأصدقاء الذين يعطفون على القضية التي هي في صالح إقتصاديات تركيه .

إذا تأتت لي المساعدات القوية فأنا مؤمن بأني أستطيع أن أصل إلى حل في وقت قريب . يعني هذا أن الهجرة يمكن أن تبدأ خلال الأشهر القليلة القادمة » . (ص ١٥٥١) .

ولخص هرتزل إنشاءات الحركة الصهيونية ، تحت زعامته ، في رسالة بعث بها إلى أعضاء جمعية الإستعمار اليهودي في ١٥ ــ ٩ ــ ١٩٠٣ :

« في سبيل عملنا للوصول إلى فلسطين ، الذي نحن مستمرون فيه بعزم وبكل جهدنا ، توصلنا إلى نتيجة مؤقتة . أعطتنا الحكومة الإنجليزية عرضاً لمستعمرة في شرقي إفريقيه نحكمها ذاتياً . هذا العرض الهائل ، صادق عليه أعضاء المؤتمر بالإجماع بأعمق مشاعر الإمتنان ، وتم القرار بأغلبية الأصوات أن ترسل حملة إستكشافية لتلك المنطقة . وبعد أن يصل التقرير عن تلك المنطقة يعقد مؤتمر خاص للبت في إمكانات الإستيطان .

على أنه بحسب المعلومات والتقارير الحكومية الموجودة نعرف ما يلي : إن المقاطعة خصبة وصالحة لسكنى الأوروبيين ، لذلك نستطيع أن نعتبر أننا قد وجدنا الملجأ الذي كنا نبحث عنه من أجل إسكان هؤلاء التعساء جداً من إخواننا اليهود الذين يتألمون من الحاجة والفقر والذين هم مشردون بدون مأوى — مع أن هذا المكان كما ذكرت في بدء خطابي « ليس بصهيون ولن يكون » .

عندما فشل مشروع العريش تكلمت مع غالبية أعضاء مجلس المدراء عندكم ، وإذا لم أكن مخطئاً ، كلكم إعتبرتم فكرة إقامة مكان للالتجاء مثل هذا مناسبة ، لأن مهمة جمعية الإستعمار اليهودي هي إيجاد مستعمرات لليهود . أنتم تقولون ، « في أي مكان » ، بينما نقول نحن — أنا وجماعتي — « في فلسطين » .

إني أؤمن — بالنسبة للظروف الراهنة وبدون أي تعدٍ على القرارات السياسية لمؤتمرنا القادم — أؤمن أنني أعمل بروح محبة عملَ الإحسان التي ستكون لكم عندما أطلب منكم أن تتبرعوا بجمع المال للقيام بالحملة . ومهما كانت النتائج السياسية ، فإن هذا العمل التمهيدي لن يكون بدون فائدة لأعمال الغوث على نطاق واسع . إن الأموال التي قد جمعناها بمنظمتنا يجب أن لا تسحب من أجل مصاريف هذه الحملة ، وذلك لأنها لن تستعمل من أجل أية مقاطعة فلسطينية .

لذلك فعلى اللجنة التنفيذية أن تقوم بعمل جمع المال بطريقة أُخرى . لقد كلفتنا حملة العريش أربعة آلاف جنيه ، وقد تكلفنا هذه الحملة أكثر بكثير . ذلك لأن البلاد أبعد عن مجالات الحضارة ولأن إستثمار الفصلين الناشفين قد يستدعي إرسال بعثتين — بعثة علمية أولاً ثم بعثة عملية . ولهذا فأنا لا أرى ضرورة تأسيس لجنة لدراسة الموضوع كما هي العادة في إنشاء الأعمال . ومن ناحية أخرى ليس من السهل أن تقبل التبرعات لمشروع ، لا بد أن يتحول — لكبره — إلى مشروع إستثماري . يجب ، إذا سارت الأمور على ما

برام ، أن نرجع هذه الأموال التي تُبُرِّعَ بها إلى أصحابها الذين تقدموا لدفعها عند إنتهاء المؤتمر ، أو نتبرع بها إلى الصندوق القومي . لذلك فأنا أرى أن يوضع تبرع جمعية الإستعمار اليهودي الذي يبلغ حوالى الثمانية آلاف جنيه ، كتأمين تحت حساب منفصل لبعثة شرقي إفريقيه في بنك الصندوق القومي اليهودي في لندن . فإذا تقرر فيما بعد تأسيس شركة يهودية لشرقي إفريقيه – ودعيت جمعية الإستعمار اليهودي للإشتراك بتأسيسها – ترجع الشركة هذه التبرعات . أما إذا لم تؤسس شركة مثل هذه ، فعلى جمعية الإستعمار اليهودي أن تعتبر تبرعها ضائعاً ، ولكنها لا بد أن تجد تعويضاً في نتائج الحملة لأن تطمينات الحكومة الإنجليزية ستخلق أسساً قوية للعمل على عمل الخير في إقامة المستعمرات . وإذا تبرعت جمعية الإستعمار اليهودي لمصاريف الحملة بالطريقة المذكورة سابقاً فسوف تستلم تفاصيل حسابات الحملة مع تقارير عن أعمالها . » (ص ١٥٦٣) .

لكن رفاق هرتزل عارضوا مشروعه لاستعمار شرق إفريقيه معارضة شديدة ، مما جعل هرتزل ، بعد حين (في ٤ – ١٢ – ١٩٠٣) يكتب عنهم هذه الأسطر :

« إن أعضاء لجنة العمل الروس ، خاصة أوسيشكين وجاكوبسُن وغيرهما قد أعلنوا عصيانهم . وهم يريدون أن يعطوني إنذاراً أخيراً لأتخلى عن فكرة شرقي إفريقيه . (مع أني ، أو لأنني ، في « إدلاخ » أريْتُ بلكوفسكي الرسالة التي كتبها بليفيه في ٥ أيلول) . لقد اكتسبوا كل صفات السياسيين السيئة . سأحرض جموع الشعب البسيطة ضد عصيانهم : وقد بعثت بالتعليمات إلى أوينوفيسكي في أودِسّا . وسأقطع عنهم المال » . (ص ١٥٧١) .

وبينما كان هرتزل ينتظر إجابات أصدقائه من المسؤولين في روسيه والنمسه وألمانيه الذين كتب لهم ، أجرى إتصالات مماثلة مع المسؤولين البريطانيين والإيطاليين . ففي ٢٢ – ٩ – ١٩٠٣ أبرق إلى جولدسمد يطالب

منه التوسط مع ملك بريطانيه . وفي ١٩-١٠- ١٩٠٣ طلب موفد له موعداً من ملك إيطاليه . وكتب في اليوم نفسه أنــه سيجري إتصال مماثل مــع البابا (ص ١٥٦٥ – ١٥٦٦) . ولم يترك لوزير الداخلية الروسي مجالاً للنسيان . أمطره برسائله الملحة . كتب إليه في ٢٤ – ١٠ – ١٩٠٣ :

« في الحقيقة أن الجميع ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة العمل الموعود به . وصيغة المساعدة التي سمحت لنفسي بأن أقدمها إلى سعادتكم مبنية على ملاحظاتي واختباراتي في الشرق . إن صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان لا يتأثر بأقل من هذه التوصية ، فقد تعود الباب العالي على إستلام مثل هذه التوصيات التي لا تغير مجرى الأمور في شيء . ولن تهتم الحكومة العثمانية بالأمر الذي سيعود على الخزينة بفوائد مالية إلا إذا جاءها الأمر من السلطان الذي يمكن أن يفعل ذلك بإيعاز من صديقه القوي إمبراطور روسيه . ومهما يكن من أمر فلن أسمح لنفسي بأن أشدد على صيغة التوسط هذا ، مع أنني أعتقد بأن الصيغة التي اقترحتها هي الوحيدة التي يمكن أن تعطيني أملاً بالنجاح . أظنك يا صاحب السعادة ترى ضرورة تقديمي أولاً للأمبراطور وبعد هذا الإجتماع الذي سيعرف به السلطان ، أذهب إلى القسطنطينية من أجل التفاوض .

أنا على كل حال طوع أوامرك وسأكون في انتظار الإقتراحات . إن قلقي وعدم صبري ليس من أجل نفسي ، ذلك أن غضب وبؤس شعبنا المسكين يزداد يوماً بعد يوم ، وقد تقع الكارثة إذا تحوّل يأسهم إلى تبني الأفكــار الهدّامة .

ولكن الهجرة الدائمة هي الحل لجميع هذه المشاكل ، والهجرة المعقولة هي التي يكون هدفها فلسطين » . (ص ١٥٦٩) .

وأخيراً وعده الوزير الروسي ، في ٥ – ١٢ – ١٩٠٣ ، بأن السفير الروسي في تركيه « سيقوم بالتوسط خلال الأيام القليلة المقبلة » (ص ١٥٧٢) . فكتب هرتزل إليه شاكراً وطالباً المزيد ، في ١١ – ١٢ – ١٩٠٣ :

« وصلتني الرسالة التي شرفتني بتوجيهها إلي في ٢٣ تشرين الثاني و ٦ كانون الأول . فاسمح لي أن أقدم عميق إمتناني لما قمتم به من أجل الصهيونية في القسطنطينية ومن أجل الثقة التي توليني إياها . طبعاً لن أعلن هذه الرسالة بدون تصريح رسمي . ولكن ما هي الطريقة التي يمكن بها أن يُعرف هـذا العمل . وأنا هنا أعترف بأنني لا أعتمد كثيراً على ما ستكون نتيجة التوسط بتلك الصيغة ، لأنني أعرف الكثير عن الطرق والعادات الديبلوماسية التركية المـاهرة .

إن توسط السفير الروسي بما يحمله فيه من طيبة قد يكون مصيره الإهمال مع غيره من الوثائق والوساطات الأخرى غير المثمرة التي تدخل سجلات الباب العالي . وأنا أرى أن الطريقة الوحيدة التي تجعل السلطان ينظر إلى القضية بجد هي إذا تدخل إمبراطور روسيه شخصياً ، إما عن طريقة رسالة يبعث بها إلى السلطان أو عن طريق مقابلة تمنح لي معه ويسمح لي بإعلانها رسمياً . ومع أنني أعود إلى ذكر هذه الفكرة فأنا مستعد أن أقبل بكل إحترام أي رفض لها ». (ص ١٥٧٣) .

وأسرع هرتزل ينقل الخبر « السار » إلى دوق بادن الكبير . كتب له في ١٤ ــ ١٢ ــ ١٩٠٣ :

« إن التنويه الذي ورد في رسالة لكم يا صاحب السمو ، مؤرخة في ٣٠ أيلول من هذه السنة ــ بأن وساطة روسيه مع القسطنطينية من أجل الصهيونية لها أكبر الأثر ، كان نقطة إرتكاز سرت منها في جميع جهودي . ولذلك فأنا اليوم أتقدم إليك باحترام لأخبرك بأننا قد أحرزنا شيئاً من التقدم في هذا المضمار . فقد علمت أن سفير روسيه في القسطنطينية سيقدم في الأيام القليلة القادمة ــ أو هو قد فعل ــ إلى الباب العالي رغبة حكومته بأن تتم الإتفاقية مع الحكومة التركية بخصوص إستيطاننا في فلسطين .

فهل تسمح لي الآن أن أتقدم ثانية إلى لطف سموك الذي تعودنا عليـه

بطلب مساعدتنا مرة ثانية في هذه الفترة المهمة في حياة حركتنا ؟ إن مساندة الإمبراطورية الألمانية ربما تعمل على حمل السلطان المتردد أن يبت في المسألة . ووساطة فون مارشال سيكون لها أكبر الأثر الآن ، هذا ومن المفروض أن نعتمد على مساندة إنجلتره بعد عرضها الكريم لنا بتقديم مقاطعة في شرقي إفريقيه » . (ص ١٥٧٩) .

وأخذ هرتزل يستبشر للحركة الصهيونية خيراً من روسيه فكتب في يومياتـــه :

« إن الأمور تسير الآن في صالحنا أكثر من ذي قبل . إذا ساعدتنا روسيه بالفعل فقد تصبح أُمورنا على ما يرام .

إلتقيت أمس في الشارع بالجنرال شكري باشا الملحق العسكري التركي وابن وزير الحربية ، مشى معي وهو يفكر بصوت مرتفع . طلبت منه أن يكتب لأبيه بأنني قد تخلصت من الصعوبات الدولية وأن روسيه لن تعارضنا بعد ، بل ستساعدنا . وعد أن يفعل ذلك . ثم تكلمنا عن أُمور أخرى ، عن جودت وعن السفير الذي صفعه . وأخذ شكري يقدح بمحمود نديم ويقول بأني يجب أن أُخرجه من فينه وأني إذا تمكنت من إخراجه سيكون ، أي شكري ، صديقاً لي للأبد ويقدم لي أي مساعدة أريد . وعدته أن أُفكر في ذلك » . (ص ١٥٨٠) .

وتقوت علاقاته مع المسؤولين الروس . كتب إلى سينوفيف في ٢٦ – ١٢ – ١٩٠٣ :

« بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني /٦ كانون الأول ١٩٠٣ ، شرفني مسيو دي بليفيه بأن أرسل إلي الخطاب التالي :

.... « إتفقت مع الكونت لامسدورف أن نخبر الباب العالي بواسطة السفير الروسي في القسطنطينية عن القبول الحسن الذي لقيه المشروع الصهيوني ، عند

حكومة الإمبراطورية لإعادة تسكين أقربائهم في الدين في فلسطين .

وفي الرسالة التي سيبعث بها وزير الخارجية بهذا المعنى إلى عضو مجلس الملك بالوكالة سينوفيف تُذكر الحقيقة التالية وهي أن الباب العالي بقبوله لطلب الصهيونية يعمل على تقوية الصداقة التي هي قائمة بين الإمبراطوريتين » .

أما بالنسبة لنا نحن الصهيونيين ، فإن كل ما نطلبه من صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان هو إمتياز لاستعمار سنجق عكا . ومقابل هذا نتعهد للحكومة التركية بدفع مبلغ سنوي قدره مئة ألف ليرة تركية .

فهل تسمح لي يا صاحب السعادة أن أسألك ما إذا كنت قد تفضلت بالإتصال لنا مع الباب العالي وماذا كانت النتيجة .

أنا مستعد أن أذهب إلى القسطنطينية إذا لزم الأمر وعندها لن أتأخر في طلب نصيحتكم » . (ص ١٥٨٢) .

وكتب إلى بليفيه عدة رسائل بين ٢٧ ـ ١٢ ـ ١٩٠٣ و ٤ ـ ١ ـ ١٩٠٤

« إسمح لي أن أشكرك على حسن استقبالك لصديقي مستر كاتزنلسون . أخبرني عن الحديث الذي دار بينه وبين سعادتك ولمست في ذلك اللطف الذي تشرفني به .

كتب لي كاتزنلسون يقول إن سعادتك تعجب لأني لم أذهب بعد إلى القسطنطينية . لا أستطيع أن أذهب بدون أن تأتيني دعوة من السلطان ، ذلك أنني سبق وذهبت إلى هناك ثلاث مرات كنت أُدعى في كل منها .

... كذلك يجب أن أشكر لسعادتك مساعدتنا في مشروع تأسيس فرع روسي لصندوق الإستعمار اليهودي. إن هذا الفرع سيرتكز عليه تمويل الهجرة. فإذا كنا سنحصل على البلد يجب أن يكون هذا الفرع حاضراً وفي الوقت نفسه يقوم أعضاء مجلس إدارة هذا الفرع بتمثيل حركتنا ، وإلا أصبح من الضروري

وضع إجراءات سياسية معقدة » . (ص ١٥٨٤) .

« لي الشرف بأن أقدم إليك المعلومات التي حصلت عليها في القسطنطينية :

وصل الجواب التالي للممثل الذي عهدتُ إليه سراً بأن يوصل رسالة إلى صاحب السعادة مسيو سينوفيف ، السفير الروسي ، يقول السفير في جوابه :

« لقد كتبوا لي عن الأمر من سانت بيترسبرغ ، ولكني للآن لم أعمل شيئاً بخصوص ذلك ولن يكون من السهل عمل أي شيء » .

وهكذا بالنسبة للظروف الحاضرة ، ومع ما عندي من نية طيبة ، لن أستطيع أن أقوم بأي شيء من أجل الهجرة وستظل حالة اليهود على ما هي عليه من بؤس ويأس .

هذا وإن في جواب صاحب السعادة مسيو سينوفيف صحة للتحسبات التي سبق وسمحت لنفسي بأن أقدمها إلى سعادتكم . ذلك أن وساطة عادية مع الباب العالي لن تأتي بأي فائدة ترجى ولهذا لم يرغب حتى في محاولتها » . (ص ١٥٨٧) .

شجعته هذه الإتصالات على إحياء مشروعه القديم في تركيه الذي كان قد وضعه في ١٦ ــ ٢ ــ ١٩٠٣ :

« زارني شكري باشا اليوم وطلب مني مذكرة لوالده ، وزير الحربية . يكون شكري صديقي اذا تخلصت من محمود نديم .

سأعطيه مذكرة ١٦ شباط ١٩٠٣ . ويمكن اختصار المشروع كما يلي :

الاقتراح : كل ما نطلبه هو ان نستعمر سنجق عكا مع اراضي التاج. ومقابل الحصول على امتياز يعطى لصندوق الاستعمار اليهودي في لندن من اجل سنجق عكا المذكور سابقاً ، نتعهد بان ندفع جزية سنوية بمبلغ مئة الف ليرة تركية . وهذا المبلغ السنوي يمكن ان يكون اساساً لقرض نؤمنه لحكومة الامبراطورية . ويصبح المستعمرون رعايا عثمانيين . وفوق هذا فنحن

مستعدون ان نؤسس بنكاً جديداً تكون فروعه المسجلة في القسطنطينية وفي لندن ليقوم على مصالح تركيه المالية . » (ص ١٥٨١) .

وقد جد آنذاك عاملان شجعاه على الذهاب إلى رومه لاستقطاب تأييد ملك إيطاليه والبابا . فقد استلم خبراً بأن ملك إيطاليه مستعد لاستقباله . ثم تعرف على رسام (ليباي) صديق للبابا . وعده بالتوسط له فذهب هرتزل إلى رومه في ٢٢ ـ ١ ـ ١٩٠٤ .

« سأرى في الصباح وزير الخارجية ، ميري دل فال ، وربما تمكنت من ان أرى البابا قبل ان ينقضي النهار .

أخبرني ليباي أنه اعطى كليهما معلومات كثيرة عني . وانه هيأ الجو لأمور اخرى . وأن اهتمامي بيسوع المسيح ترك أكبر الأثر في نفسيهما (كان ذلك في اجتماع لنا في البندقية عندما شرحت له نظرتي الفنية والفلسفية لشخصية المسيح المؤثرة الذي اعتبره انا يهودياً) . قال انه يجب ان أخبر ميري دل فال ان نظرتي هي نظرة كاثوليكية . قلت بحزم : لا يا سيدي ، هذا ما لن افعله ابداً، وبعد فانا لست ذاهباً الى الفاتيكان بصفة معتنق لدين او مهتدٍ حديثاً، ما انا الا رجل سياسة اتكلم بلسان شعبي .

بعد ذلك حاول محاولة اخرى ، وهي ان اطلب من البابا ان يتولى رعاية المحمية . ولا هذا اقبل به ! انا لا انوي ان أطلب منه اي شيء يوقعه في حرج ، سأطلب ما هو ضمن الممكن.اريد منه فقط ان يقدم منشوراً عاماً يقول فيه إنه لا يعارض الصهيونية شرط أن تبقى الاماكن المقدسة خارج نطاق الحكم .

اما الكونت ـ الذي بدأت احبه اكثر فاكثر والذي وإن كان يستفيد من عمله هذا في الخارج لجمع شيء من المال كفنان متأثر بجمال قضيتنا ـ فقد اخبرني ايضاً أنه مستعد ان يعمل ما في وسعه من اجلي في القسطنطينية .

« وماذا يكون لي مقابل هذا ؟ »

« ما تريد ، فما عليك إلا ان تذكر المبلغ ! »

واتفقنا على ان نتحدث في هذا بعد المقابلة » . (ص ١٥٩١) .

وفي رومه قابل هرتزل كلاً من وزير خارجية البابا (٢٢ – ١ – ١٩٠٤) وملك إيطاليه (٢٣ – ١ – ١٩٠٤) . فكتب عن المقابلة الأولى :

« أخبرته بما أريد ، وبالسلام والغاية المقدسة لقضيتنا .

قال : « لا استطيع ان أرى ماذا يمكننا ان نعمل للقضية . طالما ان اليهود ينكرون الوهية المسيح لا يمكننا ان نعلن اننا معهم ، مع أننا لا نحمل اي عداوة في قلوبنا لهم ، بل على العكس ، لقد حمتهم الكنيسة دائماً . فهم بالنسبة لنا شهداء كلمة الله على الارض ، ولكنهم ينكرون طبيعة المسيح الإلهية ، فكيف نستطيع اذن وبدون ان نتخلى عن أسمى مبادىء ايماننا ان نرضى بأن يأخذوا الأراضي المقدسة مرة ثانية ؟ »

« إننا نطلب الأرض غير المقدسة فقط ، اما الاماكن المقدسة فسوف تظل خارج نطاق حكمنا » .

« ولكن لا يمكننا أن نتصور هذه الاماكن المقدسة مقطوعة مسدودة المسالك هكذا »

وسألته : « ولكن هل الحالة الراهنة في هذه الاماكن أفضل للعالم المسيحي يا صاحب النيافة ؟ الا تظن أن نظاماً غير هذا التي هي عليه الآن يكون أفضل لمشاعر الطوائف المسيحية المختلفة ؟ »

إن مجلس الكرادلة لم يتعرض يوماً لمثل هذا الأمر . طبعاً عرفنا عن هذه الحركة من الصحف ، لكن مجلس الكرادلة لن يعنى بتفصيل هذا الموضوع إلا اذا قُدم اليه مذكرة عنه .

قلت : « يا صاحب النيافة ، إن إعلان الفاتيكان مناصرتنا ، او على الأقل

عدم معارضتنا لا يتناقض وسياسة الكنيسة . ولقد كنت ولا ازال معجباً بالكنيسة الكاثوليكية ، التي اعرف عنها الكثير من خلال قانونها وفنّها ، معجباً بحيويتها العظيمة واتساع افق نظرها . تستطيعون الآن ان تحققوا انتصاراً خلقياً عظيماً . »

اجاب : طبعاً ، ان اليهودي الذي يُعمّد نفسه عن ايمان هو المثل الأعلى بالنسبة لي . في مثل هذا الشخص أرى مزايا شعب المسيح مقرونة مع روحانيته ، واليهودي الذي يعترف بالوهية المسيح – هو مثل القديس بطرس والقديس بولس . وتاريخ بني اسرائيل هو تراثنا ، والاساس الذي بنينا عليه . لكن لا يمكننا أن نقف الى جانب اليهود كما تريد ، إلا اذا هم اعتنقوا المسيحية.

قلت : فكر يا صاحب النيافة باليهودي التائه وعباءته : لم تستطع الريح ان تأخذها منه ، ولكن الشمس ابتسمت له فسحبتها عنه . لقد تحملنا الاضطهاد وبقينا نعيش بعده .

قال : هذه حجة لها قيمتها ، ولكني ما زلت لا أرى اي امكانية لنا في ان نبدأ هذه المساندة .

قلت : لا أحد يطلب منكم ان تبدأوا يا صاحب النيافة . ستقوم بالبدء هذا احدى القوى الكبيرة . ما عليكم إلا ان تعطوا الموافقة . لو كنت اهتم فقط بالناحية المؤقتة المادية لكنت ذهبت من قوة الى أُخرى لاحصل على قبولها ، وبرهان على هذا رسالة بليفيه (الاخيرة) لي . ولكن اريد ايضاً أن احصل على قبول معنوي من الكنيسة الكاثوليكية .

وقرأ رسالة بليفيه بتمعن وخاصة الصفحة الأولى منها و كأنه يريد ان يحفظها غيباً . ثم وعدني ان ينظر في طلبي . واعطاني اذناً بان آتي اليه مرة ثانية .

ورجوته أن يسمح لي بأن اضع احترامي عند قدمي قداسة البابا ، فوعد

ان يسأل لي البابا ان يمنحني مقابلة . دامت المقابلة ثلاثة ارباع الساعة ، مما أثار تعجب ليباي(وكــانت قــد دامت الى ما بعــد وقت عشاء الكاردينال) » . (ص ١٥٩٣) .

اما المقابلة الثانية ، مع ملك إيطاليه ، فقد كانت مشجعة بالنسبة إلى هرتزل وقد وصفها بما يلي :

« اخبرته كل ما هو مهم وتحدث هو في مواضيع مختلفة ـ مثلاً : قال : « نحن لا نفرق في بلادنا بين اليهود والمسيحيين ، يمكن لليهود ان يكونــوا في اي شيء ، في الجيش وفي الاعمال الحكومية وحتى في السلك الديبلوماسي ـ كل المجالات مفتوحة أمامهم.ومع انه بالنسبة الى عددهم يجب ان يكون لهم مقعد واحد في البرلمان او ربما نصف مقعد فان لهم ثمانية عشر مقعداً . وقد كان لهم تقريباً وزير في كل وزارة.في الوقت الحاضر عندهم لوزاتي ، ومن قبل كان الجنرال اوتولنغي ووُليمبورج ، الى ما عندهم من المناصب الاصغر . نحن الأمة الوحيدة التي تسمح لليهود باخذ مناصب ديبلوماسية.» قلت : واميركه ايضاً يا سيدي .

قال : «أنا اتكلم عن الممالك الاوروبية ، عندنا اليهود ايطاليون تماماً .» (وأخذ يعدد اسماء كثيرة .) ولا تفرقة ابداً بينهم وبين الايطاليين في شيء إلا في مدينة واحدة : هي ليجهورن ، لأنهم هناك أغنياء كثيراً ، ولكن لا دخل لهذا بالدين او غيره .« مثل هذه الأمور هي حماقات » وكان مولعــاً باستعمال كلمتي احمق وابله ، يلفظهما بلكنة ايطالية قوية .

ثم أخذنا بالحديث عن فلسطين ولا ادري كيف بدأنا في الموضوع .

قال : اعرفها جيداً ، ذهبت الى فلسطين عدة مرات ، كانت احداها في الوقت الذي قتل فيه والدي . وقد اصبحت البلاد يهودية الى حد كبير ، ستكون لكم ويجب ان تكون ، المسألة فقط تحتاج الى وقت ، انتظروا حتى يصبــح عددكم هناك نصف مليون . قلت : « ان اليهود ممنوعون من الدخول يا سيدي.»

« كل شيء يمكن ان يكون بالبخشيش »

ولكني لا اريد ذلك . « إن مشروعنا يقوم على الاستثمار والتحسين ، ولا اريد أن نبدأ بشيء من هذا اذا لم تكن البلاد لنا » .

فضحك وقال مثلاً ايطالياً معناه : « نعم سيكون ذلك إقامة تحسينات في بيت غيرك » .

قلت : « أُريد اولاً أن أحصل على قبول السلطان . » . قال : « إن الشيء الوحيد الذي يؤثر عليه هو المال ، اذا وعدته بنصف أرباح الغلة التي تكون من وادي الاردن فسوف يعطيك اياه » .

« نعم ، ولكن نريد حكماً ذاتياً » .

« لن يرضى بسماع هذه الكلمة ، إنه يكرهها » .

« سأرضى بأي شيء وليسموه ما يريدون . والآن إسمح لي سيدي بان أقدم طلبي الى لطفكم » .

فضحك وقال : « قل فانا مصغ » .

فأريته رسالتي بليفيه والدوق الكبير ، حتى يرى مدى التمهيد الذي وصلنا اليه .

وعندما وصل الى المقطع السرّي في رسالة بليفيه قال : « لن ابوح بكلمة ، وأتمسك بصمت القبر » .

وعندما انتهى من قراءته قال : « هذا يمثّل نجاحاً عظيما وانا اعجب كيف اعطوك مثل هذه الوثيقة » .

ثم طلب مني ان اترجم له رسالة دوق بادن وذلك لأنه يجد صعوبة في فهم الألمانية . شرحت له كل ما فيه واخيراً قدمت طلبي قائلا :

« إن توسطك لدى السلطان يا سيدي ، يساعدنا كثيراً ، اكتب له رسالة بذلك . »

قال : «كنت أرضى بكل سرور، ولكني لا استطيع أن اعمل ما أريد . لا أُريد أن أعدك بشيء ثم لا استطيع ان أفيه — يجب اولاً أن أستشير . وأتحدث مع تيتوني ايضاً . سأراه هذه الليلة وسأهيئه لزيارتك . إني اعدك فقط بنواياي الطيبة ولكن لا اعد بعمل اي شيء » .

وعدنا حالاً للحديث عن فلسطين . أخبرته عن مشاريعي لمستقبلها ، وعن كتاب « الارض الجديدة القديمة » . طلب مني الكتاب ، وإذا امكن بغير الألمانية لأن قراءته بالالمانية تصعب عليه . تكلمنا عن نهر الاردن ، وعن قنال البحر الميت ، فعلّق — وله حق — « وماذا تفعلون بالملح ؟ » قلت : هذا ما سنترك أمره لخيال المتخصصين .

ثم عدنا الى الحديث عن السلطان . قال : « أعرفه . إنه داهية » .

انا : « ولكنه شكّاك . يخاف من كل شيء » .

هو : « يرتجف خوفاً ، يخاف أن يقتل ، ولا يثق بأحد » .

وفجأة وجدنا نفسينا نتحدث عن ساباتاي زيفي ، وكان الملك يعرف قصته جيداً ، وفي هذا الموضوع اخبرني ما يلي : إن أحد اجدادي ، جد حادي عشر او ثاني عشر ، واسمه تشارلز عمانوئيل اشترك بمؤامرة مع زيفي ، اراد أن يصبح ملكا لمقدونيه او قبرص — لا اعرف تماماً اراد ان يكون ملكا ، كان احمق قليلاً ولكنه كان طموحاً جداً . ثم سأل عن المسيح المنتظر (بشيء من الخبث) ما اذا كان بعد هناك يهود ينتظرون المسيح .

— « طبعاً ، يا صاحب الجلالة ، في الاوساط الدينية ، اما في اوساطنا نحن المثقفين المتنورين ، لا أحد يفكر بمثل هذا » .

تبينّ لي أنه كان في البدء قد ظنني حاخاماً .

« لا ، لا يا سيدي ، ان حركتنا قومية صرفة». وهنا سليته بان اخبرته انني عندما كنت في فلسطين تحاشيت ان اركب حماراً او حصاناً ابيض لئلا يظنني أحد المسيح ويحرجني . فأضحكه هذا .

ماذا أيضاً ؟

اخبرني كيف حاول الجنرال اوتولنغي أن يحصل على عدد كاف لاقامة الصلاة في نابولي ولم ينجح . وتكلم عن اليهود في إريتريه وفي الصين ، الخ . واخبرني عن مدى اهتمامه بشعبنا العريق ؛ قال : « يزورني احيانا يهود يبدو عليهم معالم الاضطراب إذا استعملت الكلمة « يهودي » . اني لا احب مثل هؤلاء لاني بالفعل اذا ما تصرفوا هكذا ابدأ بالتكلم عن اليهود . إني احب الذي لا يحاول ان يكون غير ما هو . »

ماذا ايضاً ؟

شرحت له مخططي الأول بخصوص مشروع سيناء .

ثم أوغنده .

قال : « يسرني أنكم تخليتم عن أوغنده . إني أُحب حبكم هذا للقدس . كذلك احب محاولة قتل نوردو ، مع أنها كانت عمل مجرم أحمق . ولكنها تدل على تعلق بفكرة . انا نفسي رأيت يهوداً يبكون على حائط المبكى . كنت أظن ذلك تمثيلاً حتى رأيته بعيني ، لم يكونوا شحاذين ، انما رجال مثلك كانوا بالفعل يبكون .

ثم تكلم عن المجلس اليهودي الاعلى الذي أنشأه نابوليون سنة ١٨٠٦ (أظنه كان سنة ١٨٠٤ . وقد أخذ دوراً في ذلك ، اوتولنغي – مويس ، من بادوا) .

قلت : « لقد فكر نابوليون بارجاع الأمة اليهودية ، يا سيدي . »

قال : « لا . إنه اراد ان يستخدم اليهود الذين كانوا مشردين في جميع انحاء الارض لاغراضه الخاصة . »

قلت : « فكرة لمستها في تشمبرلين أيضاً . »

قال الملك : « فكرة واضحة تماماً . »

وأخيراً فتحت موضوع مشروعي لطرابلس ايضاً : « أن توجه هجرة اليهود الفائضة نحو طرابلس الغرب ضمن قوانين ايطاليه وأنظمتها الحرة . »

قال : « ولكن هذه ايضاً دار غيركم . »

قلت : « ولكن تقسيم تركيه سيكون لا محالة ، يا صاحب الجلالـــة . »

قال : « متى ؟ صحيح أن شعباً مثلكم يستطيع أن ينتظر حتى مئة سنة ، ولكني ، انا وانت لن نعيش لنراه . »

وتكلمنا عن أمور أخرى ، نسيتها الآن . هكذا كان حديثنا يقفز من موضوع الى آخر .

وصرفني عند الساعة الثانية عشرة والربع ، قائلاً ان عنده اعمالاً عليه ان يقوم بها ، وذكرني بان ارسل اليه الكتاب . « وإذا اتيت ثانية الى رومه ، دعني اراك . »

وسار معي الى الباب ومد لي يده . وعندما تركته قلت « تستطيع ايطاليه ان تعمل الكثير من اجلنا ، لأن السلطان يخاف ايطاليه » .

فوقف مفكراً وقال : أتظن ذلك ؟ ربما كنا في طريقه – على كل حال تكلم مع تيتوني . لا استطيع ان أعدك شيئاً ، ولكني سأتكلم عن قضيتكـــم كلما التقيت برجل تركي .

وهزّة ثانية ليدي ، وابتسامة ، كنت بعدها قد خرجت.»(ص١٥٩٦).

وعلى أثر هذه المقابلة كتب هرتزل إلى دوق بادن الكبير في ٢٥ ـ ١ ـ ١٩٠٤ ، يبلغه تفاصيلها ويطلب مساعدته مع قيصر ألمانيه :

« زرت ملك ايطاليه منذ يومين ، ومن خلال حديث طويل جرى بيني وبينه في عدة نواحٍ من الموضوع استطعت أن أعرف ان الملك يعطف على قضيتنا .

سأقابل البابا اليوم في اجتماع خاص ، وكنت قد تحدثت من قبل مع الكاردينال الذي هو وزير الخارجية . وغداً سأقابل وزير الخارجية في ايطاليه سينيور تيتوني . ولذلك، إن لم أكن مخطئا، فان القضية قد تقدمت خطوات في البلاط الملكي وفي الفاتيكان . ويبدو لي اننا قد تخطينا الآن معظم الصعوبات الكبيرة التي كانت قائمة ، والتي كانت قبل ست سنوات تقف حائلاً في وجه مساعدة المانيه لنا . يبدو لي هذا بعد الذي قد قدمته لك في تقرير منذ بضعة شهور عن موقف انجلتره وروسيه والنمسه وخاصة بعد اعلان الحكومة الروسية الذي أُعطيتُه للنشر ـ وهو قبول تأسيس دولة يهودية في فلسطين.وسوف يسرني جداً لو سُمح لي بان اقدم تقريرا شفهياً عن تطور الاحداث الراهنة لصاحب الجلالة قيصر المانيه . فحبذا لو طلبت لي يا صاحب السمو موعداً من القيصر كي أذهب الى برلين لهذه الغاية . » (ص ١٦٠١) .

في ذلك اليوم نفسه ، ٢٥ ـ ١ ـ ١٩٠٤ ، إجتمع هرتزل إلى البابا في رومه . وقد وصف المقابلة في يومياته بما يلي :

« إستقبلني واقفاً ومد لي يده ، التي لم اقبلها . كان ليباي قد قال لي انه يجب ان اقبل يده ، ولكني لم أفعل . أظن اني استفززت غضبه ، لأن كل من يزوره يركع ، او على الأقل يقبل يده .

« لا نستطيع أن نقبل بهذه الحركة . لا نقدر ان نمنع اليهود من الذهاب الى القدس ـ ولكن لن نرضى به رسمياً أبداً . إن تراب القدس ، إن لم يكن

دائماً مقدساً ، فقد قدسته حياة المسيح الذي عاش عليه ، وكرئيس للكنيســة لا استطيع ان اقول غير هذا . لم يعترف اليهود بسيدنا ولذلك لا نستطيع ان نعترف بالشعب اليهودي . »

وهكذا ابتدأ مرة ثانية النزاع بين رومه ، التي يمثلها البابا، وبين القدس التي امثلها أنا .

وحاولت في البدء ان اكون مسالماً وتلوت عليه مقطوعتي عن إخراج مدينة القدس عن نطاق حكم الدولة ، وإبعاد الأماكن المقدسة عن مناطق العمل . ولكن ذلك لم يترك فيه اي أثر ، وأعاد قوله ان القدس يجب ألا تكون بايــدي اليهود . فسألت : « وحالتها الراهنة ؟ يا قداسة البابا »

قال : أعرف أن كونها الآن في حوزة الأتراك سيء ، وهذا ما علينا ان نتحمله ، ولكن لا يمكن ابداً أن ندعم اليهود في الاستيلاء على هذه الاماكن المقدسة .

قلت ان غايتنا هي فقط لتخفيف آلام اليهود ولا غاية دينية لنا أبــداً .

اجاب : « نعم ولكننا ، وخصوصا انا كرئيس للكنيسة، لايمكن أن نقبل بهذا . أي ان هنالك امكانيتين . امّا ان يظل اليهود متمسكين بايمانهم ويظلون ينتظرون المسيح ، الذي بالنسبة لنا قد جاء ، وبهذا يكونون منكرين الوهية المسيح ولا نستطيع ان نساعدهم ، او يذهبوا الى فلسطين بدون اي ايمــان ، وهذا بالطبع يجعلنا أقل عطفاً عليهم ونصرة لهم .

إن ديانة اليهود هي اساس ديننا ولكنها قد الغيت بتعاليم المسيح ، ولا يمكن أن نقر لها باكثر من هذه الحقيقة . فاليهود الذين كان يجب ان يكونوا أول من يعترف بالمسيح لم يعترفوا به حتى اليوم . »

وكدت أن أقول : « هذا ما يحدث في كل عائلة ، لا أحد يؤمن بأقربائه » ولكني عدت فقلت : « ربما كان ذلك بسبب التخويف والاضطهاد ، فهما

ليسا افضل وسيلة لتنوير اليهود . »

وهنا اكمل حديثه بكثير من البساطة :

« ولكن الهنا جاء بدون قوة ، كان فقيراً ، وكان مسالماً ، لم يضطهد احداً وانما أُضطُهِد وتخلّ عنه حتى تلاميذه . ولم يقوَ إلا بعد مدة ، وقد مرّت ثلاثة قرون حتى تأسست الكنيسة ونمت ، لذلك كان هناك وقت مع اليهود كي يعترفوا بالمسيح بدون ضغط ، ولكنهم لم يفعلوا حتى اليوم . »

قلت : « ولكن اليهود يا صاحب القداسة في حالة سيئة جداً ولا ادري إذا كانت قداستك تعرف عن مدى سوء هذه الحالة . نريد ارضا لهذا الشعب المضطهد . »

« أيجب ان تكون هذه الارض القدس ؟ »
« نحن لا نطلب القدس ، نطلب فلسطين ، الارض غير المقدسة منها »
« لا يمكننا ان ندْعَمَ هذا . »
« هل تعرف قداستك شيئا عن حالة اليهود ؟ »

« نعم ، منذ أيامي في مانتوا . كان فيها يهود ، وكنت أنا على علاقة طيبة معهم. منذ يومين فقط زارني رجلان يهوديان . وبعد فهناك علاقات أخرى غير العلاقات الدينية ، الاحترام والخير . نحن لا ننكر على اليهود مثل هذه الأمور . إننا نصلي من أجلهم كي تستنير عقولهم . واليوم بالذات تحتفل الكنيسة بعيد ذلك الرجل الذي لم يكن مؤمنا والذي إهتدى باعجوبة ، وهو في طريقه الى دمشق ، الى الايمان الحق . لذلك فان ذهبتم الى فلسطين واستوطن شعبكم هناك ، فسوف نهيء الكنائس ورجال الدين لتعميدكم جميعاً . »

وهنا أُعلِنَ عن قدوم ليباي ، وسَمَح له البابا بالدخول فدخل وركع وقبل يده ثم اشترك في الحديث فاخبر عن التقائنا «العجائبي» في قاعة باور بير في البندقية . كانت الاعجوبة في انه كان قد قرر في الاساس أن يصرف

ليلة في بادوا ، وصدف ان طلبت انا أن يسمح لي بتقبيل قدم قداسة البابا .

هنا بدا على وجه البابا الامتعاض ، ذلك أني لم اقبل حتى يده . وأكمل ليباي حديثه بان اخبره بأني أبديت اعجابي بمزايا يسوع المسيح النبيلة . وكان البابا يستمع وهو بين الآونة والأخرى يشم عطوساً ويعطس في منديل كبير احمر . إني احب فيه هذه اللمسات الريفية واحترمه من أجلها . بمثل هذا الحديث كان ليباي يروي له اسباب تقديمي اليه وكأنه يعتذر له عن ذلك . ولكن البابا قال : « بالعكس انا مسرور لأنك احضرته الي . »

اما بخصوص الموضوع الذي جئت من اجله فقد اعاد ما كان قد قاله : « لا لا نستطيع . »

وحتى بعد أن أمر بانصرافنا ظل ليباي راكعاً أمامه وكأنه لا يشبع من تقبيل يده . وهنا عرفت ان البابا يحب مثل هذا ولكني حتى عند الوداع لم ازد على ان شددت على يده بشيء من الدفء وانحنيت انحناءة قليلة .

دامت المقابلة ٢٥ دقيقة .

وفي غرف رافاييل ، التي قضيت فيها بعد ذلك ساعة ، رأيت صورة أحد الاباطرة راكعاً أمام بابا جالس يضع على رأس الامبراطور تاجاً .

هذا ما تريده رومه . » (ص ١٦٠٢) .

بعد ذاك قابل هرتزل وزير الخارجية الإيطالية ، تيتوني ، في ٢٦ – ١ – ١٩٠٤ :

« دامت المحادثة عشر دقائق فقط ، ولكنها كانت ممتازة . إن الملك الشجاع كان قد هيأ لكل شيء ، فذكاؤه وفروسيته عظيمان بقدر ما قامته صغيرة . لم يكن قد وعدني شيئا . لكن تيتوني – بناء على تعليمات من الملك – صرّح بأنه مستعد أن يفعل كل ما يستطيع .سيكتب الى السفير في الاستانة كي

يسير في العمل مع روسيه . طبعاً لم يكن توسط الملك ليقدم لو لم يُتأكَّد من قبوله . » (ص ١٦٠٦) .

وفي ٤ ــ ٢ ــ ١٩٠٤ قدم هرتزل إلى الوزير الإيطالي مذكرة بمطالبه بناء على طلب الوزير :

« ان الحركة الصهيونية التي تمثلها المؤتمرات السنوية والتي يحضرها مندوبون من جميع البلدان ، هدفها ان تؤسس وطنا شرعياً للشعب اليهودي . وأنا بصفتي رئيساً للجنة العمل قد إتصلت بجميع الحكومات التي يهمها هذا الأمر . وعملت جهدي قبل كل شيء أن اقيم علاقات مع الحكومة العثمانية ، وقد اجتمعت بالسلطان في مقابلة خاصة ودعاني في مناسبات مختلفة أن أذهب الى الإستانة ، وقد ذهبت ، ولكن عندما رأيت أن هذه المحادثات لم تؤد الى تقدم ملموس ، حاولت أن أتصل بالدول الكبرى التي يهمها الأمر . كانت المانيه أول من ساند الفكرة الصهيونية . وقد استقبلني القيصر رسمياً في القدس سنة ١٨٩٨ كمندوب للحركة الصهيونية ووعد بان يكون معنا . وقد ظلت الحكومة الألمانية تعطف علينا منذ ذلك الوقت ، وجاء التوكيد على هذا في رسالة بعث بها الي دوق بادن ، في ٣٠ ايلول ١٩٠٣ .

كذلك أبدت الحكومة الانجليزية اهتمامها بالحركة الصهيونية فقدمت لنا رسمياً مقاطعة كبيرة من الممتلكات البريطانية في افريقيه الشرقية . والحكومة النمساوية تعطف ايضاً على جهودنا كما أكدّ لي رئيس وزرائها كويربر في رسالة بعث بها الي في ٢٨ ايلول سنة ١٩٠٣ . ولكن أهم مساندة تأتينا من روسيه . كتب لي الوزير فون بليفيه رسالة في آب ١٩٠٣ ــ تجد طي رسالتي هذه نسخة عنها ، يقول فيها ان هذا البيان الحكومي يقدّم الي بأمر من صاحب الجلالة الامبراطور ويصرح لي باعلانه للعموم . وفي ٢٣ تشرين الثاني ــ ٦ كانون الأول ١٩٠٣ ، اخبرتني الحكومة الروسية أن السفير الروسي في الاستانة قد تلقى تعليمات كي يتوسط مع الباب العالي من أجل المقترحات الصهيونية . ان

بيان الحكومة الروسية الصادر في ٣٠ تموز ـ ١٢ آب يعطينا اكثر مما طلبنا نحن . نحن لم نطلب دولة مستقلة في فلسطين ، خوفاً مما قد يسببه لنا مثل هذا الطلب من صعوبات ، كل ما نطلبه هو ان يستوطن الشعب اليهودي في فلسطين تحت امرة صاحب الجلالة السلطان ، ولكن بشرط الحماية الشرعية ويكون لنا أمر ادارة مستعمراتنا . واحتراماً لمشاعر جميع المؤمنين تخرج الاماكن المقدسة عن نطاق الحكم الى الأبد .

وكل ما نطلبه من الحكومة العثمانية هو امتياز باستعمار سنجق عكا ، ومقابل هذا نتعهد بأن ندفع للخزينة العثمانية جزية سنوية قدرها مئة الف ليرة تركية . لذلك فان اقتراحنا سيعود على الحكومة العثمانية بفوائد مهمّة . فبينما يسهل ذكر هذه الفوائد ، يصعب جداً أن يتمكن الانسان من وصف الحالة السيئة التي يقاسي منها يهودنا المساكين في روسيه ورومانيه وجاليسيه ، وغيرها .

الهجرة الى اميركه لا تقدم حلاً ، اينما يذهب اليهود يجدون أنفسهم في المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية نفسها ، حتى في البلدان الحرة ، التي بدأت ايضاً تغلق ابوابها في وجه الهجرة .

اللاسامية تصعب على اليهود حياتهم في كل مكان . أما بالنسبة لايطاليه فان هذه المشاكل والمآسي إنما هي صدى بعيد ، والمسألة اليهودية لم تطرق ايطاليه أبداً ، ولهذا السبب بالذات تستطيع حكومتها أن تقدم للانسانية خدمة عظيمة وذلك بمد يد المساعدة لحل هذه المسألة المملوءة بالأحزان .

إن رسالة من صاحب الجلالة ملك ايطاليه الى صاحب الجلالة السلطان يوصي فيها بمقترحاتنا ويقدم نصيحة حبيّة بأن ينظر في هذه المقترحات ـ اقول رسالة مثل هذه سيكون لها الأثر الحازم في اعادة فتح باب المفاوضات . والشعب اليهودي ، الذي بقي قوياً مستقيماً بالرغم من المآسي والاحزان ، سيحفظ لايطاليه وملكها النبيل مثل هذا الجميل الى الأبد . » (ص ١٦٠٩) .

في ٢٧ – ١ – ١٩٠٤ حصل تطور مهم بالنسبة إلى هرتزل : إستلم برقية من جرينبرج بأن بريطانيه منحته إمتيازاً للحصول على إفريقيه الشرقية . وفي ٩ – ٢ – ١٩٠٤ إستلم برقية أُخرى في الموضوع نفسه :

« ابرق جرينبرج يقول : يبدو من حوادث الليلة الماضية ان الحكومة ستنهار في خلال الايام القليلة المقبلة . ارجوك ان تخولني رسمياً بان أقبل عنك عرض وزارة الخارجية الذي يجب ان ننظر فيه بالنسبة لشروط الامتياز وتقرير البعثة ، وان اقول بانك ستعد التنظيمات للبعثة كي تبدأ حالاً .

وها انا أجيب عليها : يمكنك ان تقبل عرض ماندل (وزارة الخارجية) ليتوازَن مع شروط الامتياز وتقرير البعثة . ولكني أُعطيك هذا التوكيل الرسمي شرط ان لاينشر شيء عن الموضوع قبل ان نرضى عن شروط الامتياز . ارجوك ان تبرق لي بهذا الوعد . » (ص ١٦١١) .

أما رأيه بالمشروع فقد سجله عبر محادثات مع رفاق له في ١٠ – ٢ – ١٩٠٤ :

« في اجتماع ١٠ الجاري وافقني الدكتور كاهن ومرمورك على رأيي بان الاقتراح الحالي هو تماماً مثل الذي قدم للمؤتمر مع ان المساحة لم تحدد على خط سكة الحديد . كريمنزكي وكوكش حسباه مشروعاً جديداً . إذا كان المشروع مشروع افريقيه الشرقية – وهو كذلك بدون شك – كان لي الحق وكنت مجبراً ان اقبل به ، وذلك مع التحفظات التي قدمتها . ومع هذا فلن أدع جرينبرج يجبرني على شيء . » (ص ١٦١٢) .

ولم يكن هرتزل ليقطع الأمل بتركيه ، مهما حصل ومهما تعددت المشاريع الأخرى . فبدأ في ٢ – ٣ – ١٩٠٤ إتصالاً جديداً مع السلطات التركية بواسطة كرسبي . كما أوكل الدكتور كاهن في ١٢ – ٣ – ١٩٠٤ بأن يكون ممثلاً له في « مفاوضات مع حكومة الإمبراطورية العثمانية من أجل إستئجار المحصولات

الإدارية لسنجق عكا ومن أجل الحصول على قرض للخزينة الإمبراطورية . » (ص ١٦١٧) . ثم أرسله إلى تركيه للمباحثة في الأمر ، في ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٠٤. وقد صمم أن يلجأ إلى العنف في علاقاته مع السلطنة إذا فشلت هذه المحاولة .

ومع أنها فشلت بالفعل ، قام بمحاولة أخيرة بواسطة النمسه : إجتمع الى وزير الخارجية النمساوية في ٣٠ ـ ٤ ـ ١٩٠٤ وكتب رسالة إلى مدير عام الوزارة ، ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٠٤ ، يطلب مساعدتهما مع تركيه :

كتب هرتزل عن إجتماعه بالوزير النمساوي :

« قدمت له باختصار خطتي : يستلم صندوق الاستعمار اليهودي التنازل وعلى اساسه يؤسس شركة الأراضي برأس مال كاف لها . تدير شركة الاراضي امور المقاطعة باسم السلطان ، تدفع له الجزية ، وتجبي هي الضرائب. يصبح المستوطنون رعايا عثمانيين ، وتكون الاماكن المقدسة خارجة عن نطاق الحكم .

اعجبه كل هذا ، لكنه ظل يفضّل ان تقوم بالخطوة الاولى انجلتره ، كذلك فقد أشار علي أن أؤمن مساندة هنغاريه . ولما أخبرته ان كويربر يعطف على القضية ، كان جوابه إيماءة عدم اهتمام وعاد يقول : « يجب ان تؤمنوا المساندين لكم في هنغاريه . » (ص ١٦٢٦).

وكتب إلى مدير عام الوزارة :

« تلطف جولوتشوسكي فوعدني بمساعدة اذا تطور الأمر الى حد يضمن تكتل عمل القوى الكبيرة . وعندها يجب ان يطلب من تركيه ان تعطي مساحة من فلسطين وما يجاورها تكفي لتوطين خمسة او ستة ملايين من اليهود .

ولا يريد الكونت جولوتشوسكي ، لاسباب مختلفة ، ان يترأس مثل هذه الحملة في الوقت الحاضر . إنه يفضل ان تبدأ انجلتره العمل ، وهو يسير فيه ، وقد أريتُه الوثيقة السرّية التي كانت معي والتي تقول فيها روسيه انها مستعدة

ان تحذو حذو انجلتره . كذلك يمكن أن نعتبر قبول المانيه وايطاليه مؤكديـــن. وسأقدم اليك جميع هذه الوثائق السرّية . يبقى الآن الطريقة التي يمكن بها وضع هذا الأمر دبلوماسياً . ولقد هيأت المسودة التالية التي أعجبـــت الكونـــت جولوتشوسكي .

يكون تأسيس صندوق الاستعمار اليهودي في لندن عن طريق احـــدى المؤسسات التي اقمناها منذ بضع سنين لتهيء لهذه الغاية متى جاء الوقت . وهذا الصندوق يموّل شركة للأراضي برأس مال كاف . وقد أمّنا بعض المشتركين من اصحاب البنوك المعروفين في انجلتره وأميركه . تتعهد شركة الأراضي بامور التوطين في المناطق المذكورة وبامور الإدارة تحت حكم السلطان . تدفع شركة الاراضي جزية سنوية للخزينة التركية تجمعها من جبي الضرائب. ويصبح المستوطنون بواسطة طريق شركة الاراضي رعـــايا عثمانيين . تُعلـــن الأراضي المقدسة خارجة عن نطاق الحكم . ويكون سنجق عكا القاعدة التي يجري فيها تنظيم التوطين . هذه هي بصورة عامّة أهم الأمور . وبما ان البارون كالس هو في فينه الآن ، فانه من المفيد جداً ان تخبره وتكسب عطفه الفعلي . كذلك من المستحسن أيضاً أن تطلب من الكونت منسدورف الآن أن يتصل بلورد لانسدون الذي يبدو لي مما لمسته من المحادثة التي جرت مع اللورد ، انه سيجد السبيل ممهداً لذلك . »(ص ١٦٢٩) .

كانت هذه الاسطر من اخر ما كتبه هرتزل في يومياته . فقد توقفت يومياته بعد يومين من كتابة تلك المذكرة .

الفصل الثاني

وسائل هرتزل

منذ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ وضع هرتزل قائمة بوسائله التي سيسلكها للوصول الى هدفه : انشاء دولة لليهود .

« ترتيب الاجراءات :

١ ـ جمع المال (النقابة) .

٢ ـ بدء الدعاوة (وهذا لن يكلف شيئاً ، لأن اللاساميين سيسرون بالأمر وسوف أقضي على معارضة الأحرار وذلك بتهديدهم بالمنافسة) .

٣ ـ ألإكتتاب لمريدي الأرض .

٤ ـ دعاوة أكثر وأوسع . تضحك منها أوروبه ، وتلعنها ، وباختصار تتكلم عنها .

٥ ـ ألمفاوضة مع صهيون .

٦ ـ إتفاقات على بيع الأراضي .

٧ ـ إصدار الأفضليات في الأراضي (بليون) .

٨ ـ شراء السفن وبنائها .

٩ — إكتتاب مستمر لكل من يتقدم ، توظيف ، وتعيين وتدريب .

١٠ — إبتداء نشر خبر الإشتراك .

١١ — إبحار الحملة لتستولي على البلاد ، مع موظفين للاخبار لكل الصحف .

١٢ — إنتقاء الأراضي وتعيين البقع الصالحة للمدن الرئيسية .

١٣ — يكون العمال من روسيه وغيرها قد بنوا ثكنات للتسفير على شواطىء إيطاليه وهولنده ، أولا لأنفسهم ثم لمن يأتي بعدهم .

١٤ — عقود سفر وشحن مع السكك الحديدية ، وهنا يجب أن نربح في النقل .

١٥ — بدء تبديل المواد القديمة بمواد جديدة .

١٦ — وهكذا ، عندما تبدأ عجلات العمل تدور ، سوف تبقى بالطبع تسير ، وبالتدريج يزاد عليها جميع ما في برنامجي من أمور ، حتى تصبح الآلة بكاملها تعمل .

١٧ — ولقيصر المانيه (طلب إمتيازات خاصة منه) . » (ص ٣٤) .

لكن هذه القائمة ليست إلا مظهرا محترماً وخداعاً للوسائل التي اعترف هرتزل باتباعها ، في اماكن متقطعة من يومياته .

فهو يؤمن ، اولاً ، بالاستغلال : استغلال كل فئة او جماعة او مؤسسة تضمن له وصوله الى اهدافه او تقرّبه منها . يستغل رجال الدين :

«يجب أن يؤتى بحاخام العجب من ساداجورا وينصب هنا كما لو كان مطران البلاد . بهذا نكسب كل الكهنة . »(ص ٣٤) .

ويستغل كبار الاثرياء اليهود ويتنقل من واحد منهم الى آخر :

«لقد إتصلت بهيرش ، وأنا ذاهب إلى روتشيلد ، كما ذهب مولتكه من الدنمرك إلى بروسيه . » (ص٣٦) .

«لن أعتمد على آل روتشيلد ــ أُفضل أن أجعل منهم هدفاً فقط لأني أستطيع أن أجمع كل الأموال في امسية واحدة بواسطة خطة من قلمي.»(ص٣٨).

«أما البارون هيرش (الذي سيقف موقف المعارضة الشديدة بعد أن أتم الاتفاقية مع آل روتشيلد) فيجب أن أرد عليه بلباقة الملوك (لا بأس من إقالته بلطف لأنني لست بحاجة إليه بعد) « إنك شخص قادر وخبير ، لقد أحببتك كثيراً منذ البدء . يجب أن نتفاهم ، وأنا أُصلح بينك وبين آل روتشيلد. علينا أن نكون متضامنين الآن . وأخيراً سأُهدده بالمتعصبين الذين سأذمه لهم.» (ص ٤٣) .

«إن آل روتشيلد لا يعرفون مدى الخطر الذي يحيق بثروتهم. إنهم يعيشون في وسط سطحي بين حاشية وخدم ومستخدمين ومتسولين ومنتفعين ارستقراطيين.

إنه حلّ لأنه يرضي الجميع : يرضي الفقراء والأغنياء والعمال والمثقفين والحكومات والشعوب اللاسامية . » (ص ٤٤) .

« وهذا لمجلس العائلة : [آل روتشيلد] .

أنتم تعطون الفقير مئة فرنك وأنا أُعطيه عملا ، حتى ولو لم يكن عندي ، وقد اخسر مئة فرنك لذلك . ولكن بهذا أكون قد أوجدت مخلوقاً نافعاً ، أما أنتم فشحاذاً . ومع العمل أؤمن سوقاً لذلك يجب أن أقوم بما يقول به الملتزمون إني أحصل ما أريد . » (ص ٤٥) .

يستغل كل شيء ، حتى مهر الفتيات .

«أما مكافآت جنودنا الشجعان ، وفنانينا الطموحين ، والمخلصين الموهوبين من موظفينا فستكون من مهر فتياتنا الغنيات . . يجب أن نتعاطى السياسة حتى في الزواج .» (ص ٥٥) .

« سأقول لأصحاب البنوك الذين يحترمونني : أُحب أن أراكم تزوجون

بناتكم للشبيبة الناشئة الأقوياء . أريد هذا لصالح الدولة . إنه تخصيب ذاتي للامة . »(ص ٥٦) .

ويستغل سذاجة اتباعه وحبهم للالقاب وللمظاهر :

« إن منح القاب الشرف والحقوق الخاصة كفيل بأن يجعل الناس يقومون بتضحيات كثيرة . »(ص ٦٣) .

«في «التافرن رويال » عدة مدراء هم في الحقيقة خدام موائد . وهذا تدبير لبق لأنه كلما قدم واحد من هؤلاء المدراء الذين لا يلبسون زي خدام الموائد صحناً لزبون ، يشعر هذا الأخير بسرور ويظن أنه احترم أكثر من الآخر ،وقد جربت هذا أنا نفسي . وبالطريقة نفسها سنعطي المهاجرين منا إهتماماً وخدمة لبقين . فاليهود يتوقون دوماً للاحترام لأنهم شعب مرذول ، فإذا ما اهتممنا بهذا نستطيع أن نسيرهم كيفما نريد . » (ص ٢٠٨) .

«سنلبس اللباس الرسمي عند كل عشاء ونحن في السفينة، وكذلك يجب ان نهتم باناقتنا هناك ايضاً . اما الغاية من هذا فهو لاننا لا نريد ان يظن اليهود إنهم ذاهبون إلى الصحراء . إن هــذه الهجرة يجب أن تسير مع ركب الثقافة، سنبقي جزءاً من المدنية أثناء هجرتنا . وبعد فنحن لا نريد دولة بوير إنما نريد دولة مثل البندقية . »(ص ٢١٢) .

لذلك لم يكن غريباً ان لا يكتفي باستغلال اليهود بل ان يستغل العالم باسره ويخدعه عن طريق خدع حكوماته .

«لمجلس العائلة :

إذا استطعت العمل معكم فسوف نؤمن بدء سرية العمل . بعد ان توضع الأنظمة وتعين قطع الأرض مباشرة . استطيع أن أذهب إلى الحكومات واقول لها : آل روتشيلد يعملون هذا (ضريبة شخصية غير مباشرة) ليرفعوا عنكم عبء الفائض من اليهود . يجب أن نستعمل كلمة الفائض وإلا لن يسمحوا لنا

بنشر الدعوة والخروج .

في البدء يجب أن نظهر بمظهر من يريد أن يقدم خدمة للحكومات . نحن نضحيّ ببليون من أجل إيجاد حل للمسألة اليهودية . ومقابل ذلك نأخذ طلبات نريدها كالعفو من الخدمة العسكرية وما شابهها . وفوق كل شيء نريد السماح بدعوتنا ، وأحياناً (بطلب منا) بعض القسوة ، ولكن ضمن حفظ للنظام .

في خلال عشر سنوات لن يقف شيء في طريق الحركة ، سيركض اليهود إلينا حفاة في الليالي الحالكة ، ولن يؤخرهم شيء ، وخاصة في البلاد التي لهم فيها حرية التنقل . وإذا حاول أحد منع هجرة اليهود ، فسوف نعبىء الرأي العام في العالم (الأحرار والاشتراكيين واللاساميين) ضده . وسيعمل أيضاً دبلوماسيونا (سنعطيهم الامتيازات بشكل قروض ومنح خاصة) . ومتى خرجنا الى هناك سوف نضع أملنا في جيشنا وفي أصدقاء نشتريهم وفي أوروبه التي ستقسمها وتضعفها الاشتراكية والعسكرية . هذا هو تحرير اليهود » . (ص٥١) .

ولم يكن غريباً ايضاً ان يفكر باستغلال اللاساميين في العالم :

« سيساعدنا في البدء اللاساميون . لأني متأكد بأنهم لا يتوقعون النجاة وسيريدون أن يستغلوا انتصارهم » (ص ٥٦) .

وفي ما كتبه عن تخيّله لعلاقات دولته مع جاراتها في اميركه الجنوبية (كان انذاك لا يزال يعتقد امكان تأسيس دولته في اميركه الجنوبية لا في فلسطين) يبدو لنا بوضوح نواياه في استغلال العالم غير اليهودي :

« سنمنحهم قروضاً مقابل امتيازات أرض وضمانات لنا . ومن الامور التي عليهم أن يقبلوا بها هو السماح لنا بأن تكون لنا قوات دفاع . سنحتاج إلى إذن منهم في البدء ولكننا سنقوى بالتدريج ونمنح أنفسنا ما نريد ونصبح قادرين على مجابهة كل إنسان .

في الوقت الحاضر يجب أن نكون تحت حماية القوات التي سنعيش فيها، إلى أن نصل إلى معاهدة مستقلة معها يجب أن تكون لنا سياسة جنوب أميركية، وسياسة أوروبية . إذا كنا في أميركه الجنوبية فإن تأسيس دولتنا يجب ألا يعرف في أوروبه مدة من الزمن . في أميركه الجنوبية يجب أن نعيش في البدء حسب قوانين البلاد ومعاهداتها الخ . وكذلك في أوروبه .» (ص ٧٠) .

ولعل هذه الاخبار والحوادث والأقوال التي سجلها هرتزل على صفحتين متتاليتين تلقي انوارا اخرى على محاولات هرتزل لاستغلال كل شيء :

« كل ما يهمني هو أن تتكلم ، حتى ولو تكلمت ضد الصهيونية ، لكن لا تصمت ازاء الموضوع . الحديث عن الشيء ، ولو بتفاهة ، يعرضه على انظار الناس . هذا هو فن الخطابة .» (ص ٥٠٧) .

« ظهر شخص جديد في تطبيقاتي : الرسام كوباي . لقد رسم عدة لوحات لامبراطورة روسيه إلى جانب عدة رؤوس متوجة . أود ان اجعله وكيلاً لفكرتي وأن ادفع له علناً . وستكون هي اول مرة اقوم فيها بالدعاوة لاحد . والمسألة تستأهل ذلك . » (ص ٥٠٧) .

« ابتسمت الاميرة عندما ذكر [كوباي] الشائعة بانها ستصبح امبراطورة روسيه . فقال « اذا اصبحت ، يا صاحبة السمو ، امبراطورة ، يجب ان تعينيني رسام القصر » . فوافقت بابتسام .

ساحاول الآن ان اقوم بالدعاوة له ليصبح رسام القصر . آنذاك سوف يخدم القضية اليهودية في البلاط الروسي .

سوف اصنع بنفسي ادواتي التي ساقوم بالعمل بواسطتها .

هل سيتذكر واجبه المعنوي تجاهي بعد أن أكون قد صنعته ؟ ساخاطر ، ولو أدت مخاطرتي إلى نكران جميلي .» (ص ٥٠٧) .

« أخبرني [نيولنسكي] ان الباب العالي غاضب علي لأني لم أحصل لهم على

التأييد الصحافي الذي وعدتهم به في القسطنطينية . بل إن هناك اعتقادا بأن حملات الصحف الأوروبية على الحكومة التركية تصدر عني انتقاماً مني لعدم رغبتهم في بيع فلسطين لنا . لكن هذا الاعتقاد التركي الخاطىء لم يزعجني . فانه دليل على أنهم يعتبروني قوة كبيرة . » (ص٥٠٨) .

« أخبرته أن وعدي بتأييد الصحف لهم كان مشروطاً بالطبع . اننا ندافع عن تركيه في الصحف اذا دخلت هي في مفاوضات معنا . خذ واعطِ . لا نريد ان تخدعنا السياسة التركية باعطاء الوعود بدون تنفيذ حقيقي لها .

قال نيولنسكي : « اذا هاجمت الصحف تركيه أصبحت لا سامية » .

لست أخاف من ذلك . اذا اصبح الباب العالي لا سامياً أثار غضب دور البورصة كلها ضده وحرم نفسه من أي مال . وعندها يصطف كل رجال المصارف ورائي . » (ص٥٠٨) .

ان الاغلبية الساحقة مما تقدم من اقوال انما كتبها صاحبها في شهر حزيران (يونيو) ١٨٩٥ ، اي قبل ان يبدأ العمل الرسمي لتحقيق اهدافه . مما يدل على ان الاستغلال كان وسيلة اساسية في مخططه السياسي العملي .

ومع الاستغلال ، فكر هرتزل بالرشوة . الرشوة عنده سلاح رئيسي ، ينتصر به على اخصامه وعلى الناس اجمعين ، افرادا كانوا ام حكومات . ولو عدنا الى كتابات شهر حزيران (يونيو) ١٨٩٥ لوجدنا الدليل على انه يضع الرشوة في مكان خاص بين مجموعة وسائله . والواقع انه يقول ، في بدء مذكراته ، انه فكر بالرشوة من قبل ١٨٩٥ ، من قبل بدء تخطيطه للدولة اليهودية ، منذ ١٨٩٣ بالذات ، حينما فكر برشوة البابا في رومه وذلك عن طريق وعده بجعل اليهود مسيحيين ان هو حقق لهم رغباتهم !

« اردت منذ سنتين ان أجد حلاً لمسألة اليهود ، على الأقل في النمسه ، وذلك بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية . اردت أن أصل إلى البابا ــ بعد ان أتأكد

من مساعدة شيوخ الكنيسة النمسوية وأقول له : ساعدنا ضد اللاسامية وأنا أعد بأن أقوم بحركة شريفة حرة لاعتناق اليهود للمسيحية . كانت الحركة لتكون حرة شرفية طالما أن القائمين عليها — وخاصة أنا — سيظلون يهوداً ، وكيهود ينشرون الدعوة لاعتناق مذهب الأكثرية . وكانت الخطة أن يكون الاعتناق هذا في وضح النهار ، ايام الآحاد عند الظهر في كاثدرائية سانت ستيفانوس ، وأن يُقام معها احتفال وسط قرع الاجراس . ولم يكن العار ليمس هؤلاء المعتنقين ، بل ستسير معهم تحيات الافتخار . ولما كان رؤساء اليهود سيظلون يهوداً ، وسيسيرون مع الناس إلى عتبة الكنيسة فقط ، ليظلوا خارجها ، كان الاحتفال سيكلل بهالة من الطهر والقدسية .

وكان علينا ، نحن المتمسكين ، أن نكوّن الجيل الأخير. نظل نحن أنفسنا على إيمان آبائنا ، ولكننا نجعل ابناءنا يعتنقون المسيحية وذلك قبل أن يصلوا السن الذي فيه يستطيعون أن يقرروا لأنفسهم ، والذي يبدو الاعتناق فيه جبناً ومصلحة . ولقد قمت — كعادتي — بترتيب الخطة حتى تفاصيلها الصغيرة . استطعت أن أرى نفسي مع رئيس اساقفة فينّه ، وفي خيالي وقفت أمام البابا — وكأني بالاثنين يأسفان لكوني لا استطيع إلا أن أكون واحداً من الجيل الأخير من اليهود — وأرسلت هذا النداء الداعي إلى الاختلاط بين الشعوب في انحاء الدنيا .

ولما سنحت لي فرصة التحدث في الموضوع مع ناشري الجريدة الحرة الجديدة ، اردت أن أقنعهم بخطتي هذه . وكنت قد كتبت لهم قبلا من باريس اعطيهم بعض النصائح التي لم يأبهوا لها بسبب تحزب حزب الأحرار علي ، وقبل حوالي سنة من الحملة التي قام بها الاشتراكيون لاصلاح الانتخابات أشرت بأن تكون افتتاحية عيد الميلاد في موضوع المطالبة بانتخابات عامة ، وبهذا يستعيد الأحرار مركزهم الذي فقدوه بين الناس وبين الاذكياء من بين الطبقة العاملة . غير أن الاضطراب على الاصلاح الانتخابي ما لبث أن وصل

ناشريّ من الخارج ولم يكن رد الفعل عندهم عليه حسناً . وأنا اعترف باني لم اكن ذا تأثير على كتاب الافتتاحيات ، اذ ما كانوا يعتبرونني إلا متكلما وكاتبا .

وهكذا رفض بينيدكت ايضاً فكرتي بخصوص البابا لما أخبرته عنها هنا في باريس ، كما رفض ، من قبل ، باشر فكرتي بخصوص الانتخابات العامة . ولقد استرعى اهتمامي أمر صحيح في جواب بينيدكت إذ قال : لقد استطاع نسلكم ان يحتفظ بيهوديته مئة جيل ، والآن أنت تقترح أن تضع نفسك في نهاية هذا التراث . هذا ما لا تستطيع عمله وليس لك الحق ان تعمله . وفوق هذا فالبابا لن يستقبلك .

ولكن هذا كله لم يمنع الجريدة الحرة الجديدة والاحرار النمسويين فيما بعد من طلب تدخل البابا ضد الحركة اللاساميّة . كان ذلك في الشتاء الماضي بعد سنة ونصف السنة من حديثي مع بينيدكت ، وإن كانت في ظروف غير مناسبة ومناقضة للمبادىء المطلوبة — وذلك عندما ذهب الكاردينال شونبورن إلى رومه ليطلب من البابا أن يقف ضد ذلك الشعور اللاسامي الذي بدأ يضايق الاكليروس والحكومة . هذه الاعمال المناقضة جعلت الاحرار يقبلون ما كانوا يرفضونه من قبل ، وهو حق البابا بالتدخل في شؤون النمسه الداخلية. كانت نتيجة هذا الاعتزال لا شيء .

وكنت أنا قد عملت لامر يختلف عن هذا تماماً : وهو معاهدة سلمية نصل اليها بصورة سرّية » . (ص٧) .

كان يرشو الافراد ، مثل جودمان الذي وعده بان يجعله اول كاهن للعاصمة العتيدة (ص ٣٧) ، والدول ، مثل حكومات اميركه الجنوبية التي فكّر برشوتها في ١١ — ٦ — ١٨٩٥ .

« سنحتفظ على صداقتها بالهدايا والرشوات والقروض ، الخ .. » (ص ٧٠) .

« يجب أن نؤثر على جمهوريات امير كه الجنوبية بالمال . يمكننا أن نعطيهم مساعدات مالية سنوية ، ولكن لمدة عشرين سنة فقط ؛ إلى أن نصبح أقوياء نستطيع أن نحمي أنفسنا ، وإلا أصبحت هذه ضريبة لا تتناسب وكرامتنا في المستقبل أو قد يسبب توقفها حرباً . إن مدة هذه المعونات يجب أن يُعينها قائد جيشنا الذي يقرر الوقت الذي تستطيع فيه أن تصبح دولتنا صنواً لجميع هذه الجمهوريات معاً . ولكن في البدء وقبل أن يعرفوا أننا ذاهبون إلى هناك نستطيع أن نحصل على امتيازات كبيرة مقابل الوعد بقروض نأخذ عليها فائدة أقل . هذا ويجب أن نقوم بدراسة وبحث دقيقين محكمين لمعرفة الحاجات المادية والاوضاع السياسية الداخلية في جمهوريات امير كه الجنوبية ، هذه.وعلى العموم سيكون التخلي عن الأراضي عن طيب خاطر ». (ص ٩٢) .

الرشوة ، منذ البدء ، هي سبيله الى كل شيء . لذلك لمّا اخذ يتصل بالحكومات الاوروبية وبالسلطنة العثمانية ، كما رأينا آنفاً ، كانت الوعود بالمساعدات المادية هي سلاحه الاقوى . كتب في ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٨٩٥ .

« يعتقد بينيدكت ان الحكومات ستسرع في منع الهجرة، ولكني من أجل هذا تماماً سوف أؤسس الجمعية التي ستقوم بمباحثة هذه الحكومات ودفع التعويضات لها . » (ص٢٤٧) .

وفي ٩ ـ ٤ ـ ١٨٩٦ تبنى مشروعاً لرشوة اهل الشرق :

« قدم الدكتور بير هوفمان الفكرة التالية « لمؤسسة أولية » : كلية للطب كبيرة تقصد من جميع انحاء آسيه وفي الوقت نفسه تكون مركز تحسين وتقدم صحيين . ولديه ايضاً تصميم لتمثال موسى يفجر الماء من الصخرة .» (ص ٣١٨).

وكان يأمل برشوة تركيه بوجه خاص . قبل ان يموت المليونير اليهودي هيرش بساعات (في ٢١ ـ ٤ ـ ١٨٩٦) كان هرتزل يسعى لاخذ مال منه لرشوة الاتراك .

« كتبت لنوردو أوكله بعمل ديبلوماسي ، وهو أن يحاول جس نبض هيرش . لأنه اذا أعطانا هيرش بضعة ملايين نستطيع ان نثبت القضية ونذيعها ونستعمل بعض المال هذا (بخشيشاً) لتركيه . » (ص ٣٢٢) .

وكان احياناً يصوّر الرشوة باشكال اخرى ، وكأنها مساعدات «تمدينية» للشرق تسهم في رفع المستوى الاجتماعي والثقافي والعلمي في الشرق ليصل الى المستوى الذي كانت أوروبه قد وصلت اليه . كان هرتزل يريد ان يمثل دور الجسر الذي ستمر من فوقه حضارة اوروبه الى الشرق . كتب في ٢٤ ــ ٤ ــ ١٨٩٦ رسالة الى دوق بادن الكبير قال فيها :

« إذا كانت مشيئة الله أن نعود إلى وطننا التاريخي ، فنحن نرغب أن نعود إليه ممثلين الحضارة الغربية فنحمل معنا النظافة والنظام الحسن من الغرب إلى تلك البقعة المريضة الموبوءة في الشرق . يجب أن نفعل هذا حتى نتمكن من العيش هناك . » (ص ٣٤٣) .

وكتب في ١٧ ــ ٦ ــ ١٨٦٩ :

«وفي المساء جلست مع نيولنسكي في قاعة الطعام في القطار ولخصت له الترتيبات المالية للعشرين مليون جنيه : مليونين منها سيقدمان كدفعة أُولى لامتلاك فلسطين ، أما الثمانية عشر مليونا الباقية فتخصص لتحرير تركيه من حماية البعثة الاوروبية » . (ص ٣٦٩) .

« يعتقد نيولنسكي اننا لن نستطيع أن نقدم للسلطان عشرين مليون جنيه ثمن فلسطين ، لان هذه هي قيمة الارض التجارية فقط ، ولكن يمكننا أن ندفع قسطاً . وربما استطعنا أن نساوم على إمتيازات اضافية تساعدنا على رفع الاقساط ، مثلاً ، احتكار القوة الكهربائية لكل تركيه وغيرها ولكن هذا التقسيم الثلاثي يجب أن يحافظ عليه . » (ص ٣٦٩) .

لذلك كان مشروعه الذي قدمه الى تركيه ، عند زيارته الاولى لها في

حزيران (يونيو) ١٨٩٦، مجرد رشوة مالية مفضوحة : رشوة للدولة، ورشوة للحاشية ، ورشوات للخدم ، ووعود :

« اقترحت على نيولنسكي أن نعمل جهدنا لاحراز بعض النجاح المبدئي عند الناس في القصر وفي الباب العالي . ساحاول أن أحملهم على أخذ قرض بمليون أو مليونين ، لأني لا أعتقد بأن مثل هذا العمل يعرض مشاريعنا المستقبلة للخطر . سنرمي هذا المال في بئر لا قاع له ، ولكننا بذلك نرسخ أنفسنا ونصبح محبوبين . » (ص ٣٨٢) .

« سيسرني جداً اذا نجحت من خلال جريدتي أن أنقل للغير انطباعاتي الحسنة التي احملها من القسطنطينية . وقد قررت أن أكتب سلسلة مقالات عن الاوساط السياسية في تركيه وآمل أن يكون منها فائدة ....

نبهني نيولنسكي من قبل عن ضرورة اعطاء بخشيش لجميع الخدم . اعطيت خادم عزت في ممر الطابق الثاني مجيديين وأعطيت الخادم الذي حمل عصاي في الطابق الارضي مجيدياً واحداً » . (ص ٣٨٥) .

حتى أصحابه ومعاونوه ، كان يعدهم بالمال وبالأرباح ليضمهم إلى صفه ويستخدمهم في أغراضه . استعمل هذا الأسلوب مع نيولنسكي ، كبير معاونيه في تركيه ، ونجح :

« قضى نيولنسكي ساعة ونصف الساعة معي هذا الصباح ، وقد فرضت عليه نقاشاً حاولت فيه أن اضع فيه الثقة بقضيتنا . يظهر أن شجاعته خانته في لندن وكذلك هنا . وقد استعملت معه كل قوتي فتكلمت بصوت عنيف فيه تصميم واستبداد ، واستعرضت أمامه جميع ما نمتلك ونصحته أن يعمل معنا الآن ، ونحن في بدء أعمالنا ، حتى يتمكن من الاستفادة منا . » (ص ٣٦٢) .

« وأخيراً ، حصلت على ما اريد منه لما أخبرته على أنني مصمم على الذهاب إلى القسطنطينية ولو لوحدي . لاني قدّرت باني استطيع أن أثير اهتمامه

بهذه الطريقة لأنه سيخاف أن آخرين سينالون المنافع التي ستكون له إن هو ساعدني . » (ص ٣٦٤) .

كانت مطاليب نيولنسكي تزداد مع الأيام :

« أحضرت اليوم تذكرة السفر إلى تركيه لنيولنسكي . ان هذه الرحلة ستكلفني كثيراً . وطلب أيضاً نيولنسكي أن نأخذ معنا فواكه نقدمها للبلاط التركي ... إن هكلر المسكين كان أقل طلبات لما سافرنا معاً ».(ص ٣٦٦) .

ومع هذا كان هرتزل مستعداً لإعطائه المزيد ، ما دام نيولنسكي هو سبيله الوحيد إلى السلطان ، حتى أن هرتزل قطع على نفسه هذا العهد :

« اذا استطعنا بواسطته ان نأخذ فلسطين فسوف نعطيه ولاية في جاليسيه مكافأة شرفية . » (ص ٤٠٤) .

واعترف هرتزل في رسالة منه إلى إدموند روتشيلد في ١٩ ـ ٧ ـ ١٨٩٦ بأن نيولنسكي وغيره يعملون له من أجل المال :

« لقد أخبرته بان هناك ثلاثة يساعدوني ، وأدفع أنا عنهم تكاليف السفر : رجل سياسي (نيولنسكي) وصحفي (سيدني ويتمان) وقس انجليزي (هكلر) لم اسمهم له . وقلت إن القس لا ينتظر أي مكافأة . أما السياسي فعلينا أن نشتري له مقاطعة وأما الصحافي فنعطيه مكافأة محترمة ». (ص ٤٣٠).

هذا مع أن هرتزل لم يكن يثق بنيولنسكي كثيراً . كتب عن محادثاته معه :

« أوافقه الرأي بأننا يجب أن نعمل من رومه . إلا أنني ، وبالرغم من ميلي لنيولنسكي ، لم أشأ أن يلاحظ كم يناسبني ذلك الاقتراح . وذلك لأن له عقلاً كهنوتياً ولأنه يوالي البابا أكثر مما يواليني . » (ص٤٥٠) .

« سألني نيولنسكي اذا كنا نقنع بفرمان أقل ، يدعو السلطان فيه اليهود إلى تأسيس المستعمرات ، اذا أجاب الاتراك بالنفي لمشروعنا . شممت في سؤاله

رائحة رغبته في العمل مع ادموند روتشيلد والجمعيات الصهيونية التي يظن أنها مضمونة مالياً . وقلت له : « اذا ظهر أنه من المستحيل الحصول على اساس لانشاء دولة طلبت منك الاتصال بالصهيونيين وادموند روتشيلد (خوفا من أن يحاول ذلك بنفسه) ، لكني الفت نظرك إلى ما يلي : في حالة الاستعمار هذه يأخذ الوسطاء ، بادىء الامر ، بخشيشا قليلاً . إلاّ أنني ضد هذا الشكل وسوف أحاربه بشدة فيما بعد . فقط حافظ على ثقتك بالقضية . » (ص ٤٥٣).

هكلر ، القس الإنجيلي البريطاني ، مثل نيولنسكي . كان كلما دبر هرتزل موعداً مع شخصية ما أخذ مكافأة . ولذلك لما رتّب هرتزل موعداً مهماً مع شخص مهم ، مع سفير ألمانيه في فينه ، في ١٦ ـ ٩ ـ ١٨٩٨ ، أخذ مكافأة كبيرة :

« سيأخذ هكلر مكافأةً على خدماته السابقة ، تكاليف رحلته إلى فلسطين ــ ١٠٠٠ جيلدر كمبلغ أوليّ . » (ص ٦٦٥) .

فقد كان هرتزل يشتري الناس بالمال . كتب بذلك بصراحة في ٢٠-٦ ـ ١٨٩٧ :

« تناولت طعام العشاء أمس مع زيشيني باشا وزوجته . وهي امرأة مشرقية وذات علاقات حميمة مع أخت السلطان . وقد كسبتهما للقضية ، وسمحت بأن يفهم أنه يستطيع أن يربح بعض المال بذلك . » (ص ٥٦٨) .

وكان قبل ذلك بسنة تقريباً قد كتب :

« شنايرر يعلم أننا ندفع ، من أجل كل بيت يُبنى في فلسطين ، الفي فرنك كبخشيش . » (ص ٤٥١) .

جنباً إلى جنب الإستغلال والرشوة ، سلك هرتزل في مساعيه نحو تحقيق أطماعه الصهيونية في فلسطين سبيلاً ثالثاً ، هو العنف . كان يؤمن بأن ما لا يناله باللين ، أي بالإغراء والتملق والإرشاء ، يجب أن يناله بالقوة ، أي

بالتهديد والوعيد . يمكننا أن نستشهد على ذلك بما كتبه منذ الأيام الأولى لوضع مخططه ، منذ شهر حزيران (يونيو) ١٨٩٥ .

« وفي الوقت نفسه ، اذا حزت على نصرة آل روتشيلد، لن أتخلى عن البارون هيرش المسكين . سأعطيه منصب نائب رئيس (اعترافاً بخدماته السابقة ولأنه يعرف شيئاً عن خطتي) . أما عدا هذا فلست خائفاً من افشائه خبر رسائلي الثلاث. ولكنه ان فعل فسوف أنتقم،سوف أثير ضده التعصب الشعبي ، وسوف أُقيم عليه حملة في الصحف (سأخبره بهذا إن لزم الأمر)».(ص٣٦).

« اني أحمل للآل روتشيلد ولكبار اليهود ، قضيتهم التاريخية . سأجمع كل ذي نية طيبة – يجب أن نكون متحدين – وسنقضي على كل ذي نية سيئة ، هذا ما سأهدد به أمام المجلس العائلي . » (ص ٣٧) .

« الأمر الاساسي الاول : أحل المسألة إما بالمحافظة على ثروة آل روتشيلد أو العكس .

والأمر الاساسي الثاني : إذا لم أستطع الوصول إلى ما أُريد مع آل روتشيلد سأصل إليه بمعاكستهم. » (ص ٣٩) .

« ان حفظ ثروتكم هذه سوف يدر عليكم أعظم ربح استطعتم أن تحصلوا عليه . لهذا أريد أن يأخذ اليهود بعض هذه الثروة ، إما عن طريق اصدار ثان فقط لهؤلاء المشتركين الذين هم مؤهلون له ، أو عن طريق أسهم لأوائل المحتلين للارض (هذا وإن العملية الثانية افضل وأكثر اشتراكية) . وسوف لا نعدم الطريقة الصحيحة . وهذا أيضاً من صالحكم . وإلا فسوف يحقد عليكم اليهود في المستقبل حقداً شديداً . » (ص ٤١) .

«لا تستطيعون الا أن تكونوا أصدقاء لي أو أعداء . لا يمكن بعد أن تكونوا بين بين » . (ص ٤٤) .

« سآخذ معي كل الشحاذين والفقراء وصغار الباعة . ليذهب من يريد البقاء هنا إلى الشيطان » (ص ٤٤) .

« سيقول آل روتشيلد : نحن لا نقلق على ما يمتلكه هرتزل. ما شأنك بثروتنا؟

مهلاً ، انها شغلي الشاغل ، كل سياسي لا بد أن يعتبر زيادتها خطراً على الشعب . وأنا قلق بسببها لانها خطر أكيد على اليهود ، ولأني اعتبر نفسي ولي أمر اليهود .

ثم أقول بلطف أكثر أمام مجلس العائلة :

« سوف أتكلم أثناء المناقشة عن ثروتكم ، هل ترضون باعطائي هذا الحق أم تريدونني ان أشرح لماذا أُريد هذا ايضاً » ؟ (ص ٥٩) .

وسنرى الآن كيف قوي إيمانه بالعنف بعد أن بدأ يدعو لفكرته ، وأصبحت مشاريعه ترتبط بالعنف إرتباطاً وثيقاً . فقد أخذ يفكر بتأسيس جيش يفتح به البلد الذي يريده وطناً لليهود في الوقت نفسه الذي أخذ يفكر فيه بوجوب إنشاء هذا الوطن ، كما نرى في مجادلاته مع هيرش في ٢ ـ ٦ ـ ١٨٩٥

« لقد تكلمت عن جيش ، وقاطعتني عندما بدأت أتحدث عن التدريب الخلقي اللازم للهجوم ، وتركتك تقاطعني ، ولكني كنت قد وضعت الخطة كلها حتى تفاصيلها الصغيرة ، أعرف كل ما تتضمن من مال ثم مال ثم مال ، ووسائل النقل ، وإكفاء جماهير غفيرة ، (ليس فقط بالطعام والشراب كما في أيام موسى البسيطة) وحفظ النظام ، وتنظيم الدوائر ، ومعاهدات الهجرة مع رؤساء الدول ، ومعاهدات السماح بالدخول مع بعض الدول الاخرى ، وتعهدات رسمية منهم جميعاً ، وبناء مساكن جديدة جيدة . يسبق هذا ، دعاوة قوية ، ونشر الفكرة من خلال الصحف والكتب والكراريس والمحاضرات التي يقوم بها محاضرون متجولون ، والصور والاناشيد . ويجب أن يوجه هذا كله من مركز واحد ويكون معتمداً على غاية واضحة وبعد نظر . ولكنه لا بد لي أن أُخبرك عن الراية التي سأرفعها وكيف ، وعندما ستسألني هازئا : راية ، ما الراية ، خشبة مع شريطة عليها ، لا يا سيد الراية هي أكثر من ذلك ، بالراية يستطيع الانسان أن يسيّر الناس اينما يريد حتى إلى أرض الميعاد . من أجل الراية يعيش الناس ويموتون ، هي الشيء الوحيد الذي يموتون من اجله جماعات ، هذا اذا دُرِّبوا على ذلك . وصدقني إن سياسة شعب

بكامله ـ خاصة اذا كان متشردا في انحاء الدنيا ، يمكن تحقيقها بواسطة هفّاف في الهواء الخفيف . هـل تعرف كيف كانت الامبراطورية الالمانية ؟ احلام وأناشيد وخيالات وشرائط سوداء وحمراء وصفراء ، وفي وقت قليل . لقد اكتفى بسمارك بهز الشجرة التي كان الحالمون بالقضية قد زرعوها .

ماذا ! الا تفهم معنى هذا الهفّاف ؟ ما هو الدين اذن ؟ حاول أن تفكر بما تحمّله اليهود من أجل هذا الحلم مدة الفي عام . نعم ان مثل هذه الرؤى وحدها تستطيع ان تمتلك أرواح الرجال ، ومن لا يستفيد منها قد يكون عظيماً قديراً وذا عقل عملي ، وقد يكون رجل خير وبر كبير ولكنه لن يكون يوماً زعيما ولن يبقى منه شيء .

على أنه لا بد للرؤى أن تستند على أسس متينة . هل تظن انني لا اعمـل بحسب أفكار عملية لكل التفصيلات المختلفة ، تفصيلات هي بالتأكيد نفسها ذات ابعاد عظيمة ؟

ان الخروج إلى أرض الميعاد يحتاج إلى عملية نقل ضخمة لم يسبق لها مثيل في العالم الحديث . هل قلت نقلا ؟ انها عملية مركبة تشمل كل أنواع المجهود الانساني تتلاحم وتتداخل كما في دوران العجلات المسننة بعضها فوق بعض . وهذا المشروع ، حتى في مراحله الأولى ـ سيؤمن العمل للجماهير الناشئة ، لكل المهندسين ، وللمعماريين والفنيين والكيماويين والاطباء والمحامين الذين خرجوا من المعسكرات خلال ثلاثين السنة الماضية والذين ظنوا أنهم يستطيعون أن يحصلوا على معيشة شريفة خارج نطاق المهن اليهودية المشوشة . أنهم لا بد الآن يفتشون في يأس وقد بدأوا يؤلفون طبقة البروليتارية المثقفة ولكني أكن لهم كل الحب وأنا أريد أن أزيد عددهم كما تريد أنت ان تنقصه . فيهم أرى المستقبل وقوّة اليهود التي ما تزال نائمة . انهم بالاختصار النوع من الرجال الذي أؤمن به . ومن هذه الطبقة البروليتارية المثقفة سأجمع الموظفين ونواة الجيش الذي سيبحث ويكتشف ويأخذ البلاد . إن غيابهم سيفسح المجـال

للتنفس بين الطبقة الوسطى في البلاد اللاسامية وهكذا يخفف الضغط .

ألا ترى أنني بضرب واحد سأحصل على المال والعمل اليهوديين لخدمة أغراضنا ؟ كذلك سأحصل على تأييدهم عندما يعرفون كل شيء . » (ص ٢٧) .

وكتب عن الجيش في يومياته في ٥ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« لما قرأ السكرتير علي التقرير الرسمي لوزير الحربية كان كل ما أفكّر به هو جيشنا ... يجب المحافظة على الجيش ... » (ص ٣٣) .

« في مدى عشرين سنة « وقبل أن تظهر » يجب أن أدرب الشباب ليكونوا جنوداً ، وسيكونون جيشاً محترفاً . القوة : عشر عدد الذكور ، إذ أن أقل من ذلك لن يكفي في الداخل .

ساعلمهم جميعاً أن يكونوا احراراً ، أقوياء ، مستعدين أن يتطوعوا للخدمة عند الحاجة . وسيكون التعليم عن طريق الاناشيد الحماسية ، والمكابيين. والدين ، والمسرحيات البطولية والشرف وغيرها . » (ص ٣٨) .

ما أن يصل اليهود إلى « أرض الموعد » حتى ينشئوا جيشاً لحماية أنفسهم ، كما تخيل هرتزل في ٨ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« ولن يؤدي هذا التخلص إلى شعور بالخسارة إلا فيما بعد ، ولكن في ذلك الوقت سنكون قد تمركزنا هناك وأصبح لنا جيش وجهاز ديبلوماسي . » (ص ٤٤).

بل إن المشروع كله هو « حملة عسكرية » كما يراه هرتزل في ٩ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ (ص ٤٨) . ومنذ ذلك النهار نفسه وهرتزل يخطط لتنظيم الجيش الصهيوني :

« سأحمس الشبان الأغنياء المتأنقين على حب الرياضة وبهذه الطريقة اهيئهم للجيش . » (ص ٥٦) .

وخطط هرتزل أيضاً ، في ذلك النهار ، طريقة إستعداد الجنود اليهود عسكرياً حتى قبل ذهابهم إلى الدولة التي سيؤسسها هولهم :

« اذا لم نكن قد هاجرنا عند وقوع الحرب القادمة فسوف يضطر كـل اليهود إلى الذهاب إلى جبهة القتال بغض النظر عما اذا كانوا قد تخطوا سـن الجندية أو إذا كانوا بعد في السن ، وعما اذا كانوا أصحـاء أو مرضى . سيتوجب عليهم أن يجروا انفسهم إلى جيوش أوطانهم الحاضرة.وإذا حدث أن كانوا ينتمون إلى جيوش متعادية فانهم سيضربون بعضهم بعضاً .

قد يعتبر بعضهم هذا عملاً مشرفاً ، وقد يعتبره الآخرون ثمناً يدفع سلفاً من أجل مجدهم المقبل ، ولكن عليهم جميعهم أن يشتركوا في هذه الحرب . » (ص ٧٢) .

وهذا ما أعلنه هرتزل أيضاً مرة أخرى في رسالة بعث بها إلى روتشيلد في ١٥ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« كل من يبقى في بيته حتى وقت إشتعال الحرب ، يجب أن يبقى فيه حتى انتهائها ، وبالطبع يجب أن يحمل السلاح مـع الآخرين ولكن بعد الحرب سنقبلهم مسرورين ونكرمهم لأنهم يكونون قد حاربوا من أجل عزة اليهود . » (ص ١٧٢) .

إلى جانب هذا الجيش الصرف ، كان هرتزل يفكر بإنشاء جيش مـن العمال ، يحقق الأغراض العسكرية والإقتصادية للصهيونية في آن واحد .

كتب في الفترة بين ١٠ و١٣ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ هذه الأفكار :

« يجب تنظيم كتائب العمل ضمن تنظيمات الجيش بقدر الامكان . » (ص ٦٣) .

« ستسير وحدات العمل كجيش بين قرع الطبول وترجع بعد انتهائهـا بالطريقة نفسها » (ص ٦٧) .

« إن اليهود الروس الذين يكوّنون أكبر مصدر للعمّال غير المدربين ، سينظمون في كتائب العمل . سيعطون مراتب في العمل كما في الجيش ، وربما شعارات تصنفهم ، يرفّعون بحسب مقدرتهم واوليتهم ، وسيكون لكل منهم عصا ماريشال في عدته . » (ص ٨٥) .

في أيلول (سبتمبر) ١٨٩٥ إلتقى هرتزل ، في ميونخ ، بشخص عدّد له أسماء يهود يعتقد أنهم مؤهلون للعمل معه . أحدهم إسمه جولد سمث (وقد اتضح أن اسمه جولد سمد) .

« هناك يهودي آخر في انجلتره ، هو الكولونيل جولد سمث ، الذي كان صهيونياً متحمساً واراد مرة أن يستأجر سفناً للتغلب على فلسطين ثانية . سأفكر في هذا الكولونيل . هذا جميعه يؤكد لي صحة تفكيري ، فنحن لدينا الثروة العظيمة من الرجال المؤمنين » . (ص ٢٤٣) .

فتحمس هرتزل لرؤية الرجل ، وقابله بالفعل حينما قام بزيارة إنجلتره في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥ . وقال جولد سمد لهرتزل :

« ان بدأت الحركة فإنه سوف يترك خدمته العسكرية الإنجليزية وينضم إلى الخدمة العسكرية اليهودية » . (ص ٢٨١) .

هذا ما جعل هرتزل يدعو جولد سمد إلى أن يصبح قائد الجيش الصهيوني في فلسطين :

« يجب أن تنضم ، أيها الكولونيل ، إلى السلك التركي العسكري كجنرال مثلما فعل ودز وكامبهوفنر وجولتز وغيرهم من الضباط الاجانب . وبتلك الصفة تصبح القائد في فلسطين تحت سيادة السلطان . وعند تقسيم تركيه تسقط فلسطين في أيدينا أو في أيدي أتباعنا كدولة مستقلة . » (ص٥٣٣) .

ومرة أُخرى في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٣ ، فكّر به قائداً للجيش اليهودي في العريش فيما لو نجح مشروعه . (ص ١٣٨٦) .

وكان هرتزل قد طالب ، بصراحة ، بإنشاء جيش صهيوني في أول إجتماع رسمي له مع جمعية أحبة صهيون بلندن في ١٤ - ٧ - ١٨٩٦ :

« سئل ما إذا كان سكان المستعمرات تحت الحماية وكان الجواب لا .

وتمسكت بهذه الفكرة لما جاء دوري في الحديث.قلت : نريد نوعاً من الاستعمار نستطيع معه أن نحمي أنفسنا بواسطة جيشنا اليهودي . وقد اضطررت أن أُعارض التسرب ، لا اود أن اتدخل في جهود الجمعيات الصهيونية إنما أُريد أن أضع حداً لهذه التسلية التي يقوم بها إدموند روتشيلد . اذا اتبع نفسه في القضية القومية فلن استعد فقط لأن اعطيه أعلى مركز ولكني سأعمل من أجل تزعمه بتخليّ انا عن كل رئاسة . » (ص ٤٢٠) .

أما التسرب الذي يذكره هنا فكان قد عارضه منذ ٢٢ - ٥ - ١٨٩٦ :

« دعاني المفوض بودنهايمر في كولون ، أن أذهب إلى مؤتمر الصهيونيين الألمان الذي سيعقد في برلين في حزيران. وها أنا ارد عليه :

اني معجب ومقدّر لجميع ما قام به الصهيونيون حتى الآن ولكني لا اوافقهم على مبدأ التسرب ابداً . اذا سمح للتسرب هذا ان يستمر ، فسوف يزيد ثمن الارض ويصعب علينا فيما بعد شراؤها . وفكرة اعلان الاستقلال « حالما نصبح أقوياء هناك » فكرة غير عملية لان الدول الكبرى لن تعترف به ، حتى ولو ضعف الباب العالي . أما مخططي فيقوم على وقف التسرب وحصر كل القوى لتملك فلسطين ضمن القانون الدولي . وهذا يتطلب مفاوضات ديبلوماسية وقد بدأتها منذ مدة ، كما يتطلب حملة دعائية واسعة النطاق . » (ص ٣٥٥) .

وهو ، وإن كان يزعم أنه ضد التسلل غير الشرعي إلى فلسطين ، فإنه يقول علناً بوجوب حماية المتسللين إلى فلسطين حماية عسكرية ، كما كتب في ١٤ - ٣ - ١٨٩٧ :

« قلت اني طرقت ايضا مع مخبري موضوع انشاء شرطة من هؤلاء

المستعمرين خاصة بهم . وأنه يعتقد أنه من الممكن أن يسمح لنا بتجنيد المسلمين كشرطة لنا .

اني أحرص على اثارة موضوع شرطة الامن ، الذي يبدو أن لا ضرورة له بعد ما حدثني أربيلا به عن بأس اليهود في فلسطين ، حتى أجد عـــذراً لتوقيف المفاوضات اذا دعت الضرورة إلى ذلك ، اي اذا غدر بي اولئك الذين يملكون المال . » (ص ٥٢٣) .

كما كان يقول علناً بوجوب تدريب اليهود عسكرياً . أعلن ذلك في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل ١٨٩٧ :

« قدم الحاخام سف أقتراحاً مهما : يجب تدريب اليهود الروس في أميركه. لدي فكرة توازي ذلك : أنشاء نواد سلاح يهودية . » (ص ٥٨٩) .

وفي ٢٤ ـ ٢ ـ ١٩٠٤ ، في آخر أيام هرتزل ، تعرف الزعيم الصهيوني على نوري بك ، قنصل تركيه العام السابق في فينه ، السويدي الأصل . قدم الرجل إلى هرتزل مشروعاً غريباً، بالحصول على مبتغى الصهيونيين بالقوة :

« كان الاقتراح الذي قدّمه لي أمس بين الساعة ٣٠ : ٩ والساعة ٣٠ : ١٢ في بيتي ما يلي : أبحروا إلى البوسفور في باخرتين، انسفوا يلدز، دعوا السلطان يهرب ، او اقبضوا عليه وعينوا سلطاناً آخر (مُراد او رشاد) ، ولكن قبل ذلك أقيموا حكومة موقتة ـ تعطيكم الامتياز لفلسطين .

أرواية هذه أم مغامرة ؟

ستكلف الباخرتان ٤٠٠,٠٠٠ جنيه ويكلف الباقي ١٠٠,٠٠٠ . والعملية كلها تكلف نصف مليون جنيه ، فإذا فشلنا فسوف نخسر المال ويخســـر المشتركون في المؤامرة حياتهم .

قال هذا كله بهدوء وبرود وكأنه يقدّم صفقة لشراء كمية من القمح .

قال إنه سيقوم بالرحلة هو نفسه ويصل إلى الشاطىء .

يمكن تحقيق المشروع بالف رجل ، والأفضل أن يكون أثناء السلاملك . تمر الباخرتان في الدردنيل في الليل وتبدأان النسف في الصباح .

أجبت : كانت فكرتي دائماً هي أن تدور المباحثات مع الحكومة الحالية ، لا مع حكومة غيرها مستقبلة . سأفكر في الأمر لأرى ما إذا كان من الممكن أن أهتم بعمل مثل هذا ، حتى ولو كان في حديث غير رسمي .

اما تحفظاتي بهذا الخصوص ، التي لم أُخبره عنها ، فهي ما يلي :

١ — يجب أن لا اشترك في أي مؤامرة اذا كان فيها قتل ونهب (مع أنه قال يمكننا أن نطلق الرصاص في الهواء فلا يتأثر أحد) !

٢ — اذا فشلنا فسوف توسم الحركة الصهيونية بما يسيء اليها لعشرات السنين .

٣ — قد تؤدي إلى قيام مذبحة لليهود .

٤ — أما الشرط بأنه لا يمكن للمشتركين أن يرتبطوا بأي واجب شرعي فكيف لي أن أحملهم على ذلك ، واذا لم يفوا بوعدهم ، إلى من أشتكي عليهم .

٥ — وان اجعله يعطيني قائمة ، فهذا سيء ، لأنني قد أُسأل عن أي نقض للثقة يقوم به أي واحد .

وأنا أُفضل حتى أن لا اعرف ما اذا كان نوري بك يهذي أو أنه على شيء من الجدية . إذا تولى الأمر في يلدز جماعته ، يمكن أن نستخدمها كواسطة . وبهذه الطريقة أكون قد هيأت قليلاً للاتصال بالقوة المقبلة ...

يجب أن يستعمل الانسان أي وسيلة للوصول إلى غاية .

أمس ، جاء نوري بك إلي ثانية .

ومرة ثانية تكلم عن مشروع البوسفور .

إنه على كل حال مغامر ومتآمر ذكي . أنه اشبه بفايكينغ بلباس رسمي . إن الطريقة التي يرتب فيها عبور الباخرتين في الدردنيل جميلة : ستسيران فيه بين سفن تجارية تبحر بينهما وبين الحصون . « سيقوم القبطان الواحد من هؤلاء بالعمل بمبلغ ٥٠ أو مئة جنيه . »

وهو أيضا يتحدث في أمور كثيرة متقطعة .

إن ما يخبرني به عن الخديوي طريف أيضاً . إنه يطمح ويحب أن يصبح سلطاناً . ألف ليلة وليلة ! ثم : هناك حركة عربية تهدف إلى جعل أحد أحفاد محمد خليفة . سرق الخلافة السلطان سليم ، ويجب ان ترجع الآن ، كنوع من البابوية. تكون مكة بمثابة رومه ! .

قال : إن الخديوي كان في البدء يعضد هذه الحركة .» (ص ١٦١٤).

قرر هرتزل أن يلجأ إلى مشروع نوري بك إذا فشلت مساعيه الأخيرة ، « السلمية » في اسطنبول :

« أرسلت كاهْن ولفنتن إلى الاستانة . اذا رجعا صفر اليدين فسوف يتبع ذلك قوس تل الثاني : علي نوري . »

وفي الوقت نفسه خسر الكولونيل جولد سمد ، الذي مات في ٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٠٤ . خسارة الكولونيل ، مع الخوف من نتائج المشروع ، جعلاه يعدل عن القبول به :

« كنت سأستخدم الكولونيل جولد سمد كقناع للعمل التركي . لكن جولد سمد مات منذ يومين في باريس . خسارة ....

بعد تفكير واعٍ — ولا أستطيع أن أتحدث في الموضوع مع أي انسان — رفضت بيني وبين نفسي ، مشروع نوري بك . مع أن كاهْن عاد من الاستانة صفر اليدين . ولكن الذي جعلني أقرر رفض اقتراح نوري بك هو المذبحة الهائلة التي سيمنى بها اليهود في تركيه . إن فشل المشروع . ولكني أفكر في

طريقة أُخرى أستفيد بها من نوري بك . مثلاً اذا هو قام بحملة في الصحف الثورية يشير فيها إلى ضرورة طلب المعونة المالية منا ، فان هذا سيكون له أثر على السلطان . » (ص١٦١٩) .

ولذلك ابرق الى نوري بك ، في ١٩ـ ٤ ـ ١٩٠٤ ، البرقية التالية :

« أعتذر عن عدم تمكني قبول أقتراحك .» (ص ١٦٢١) .

الاسلوب الرابع في المخطط الذي وضعه هرتزل منذ ١٨٩٥ لانشاء دولة لليهود على حساب اهل بلد ما هو أُسلوب الكذب والخداع .

وفيما يلي صور من هذا الاسلوب . كتب في ١٢ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« كان من بين ما كنت أحلم به في فترة القلق التي مرت بي هو إن أجرّ ليشتنستاين اوشونرراولويجير إلى مبارزة . فاذا قُتلتُ ، فسأترك رسالة أُخبر بها العالم بانني ذهبت ضحية هذه القضية الظالمة ، وبذلك ربما يُصلح موتي عقول الناس وقلوبهم . ولكن ان قَتلتُ غريمي فسألقي خطابا مؤثراً في المحكمة المنعقدة لذلك ابدأه بالأسف على « موت رجل كبير » كما فعل موريه عندما طعن القائد ماير وقتله . ومن ثمّ أسير إلى الكلام عن المسألة اليهودية ، فالقي خطبة لاسالية قويّة تؤثر في محلفي المحكمة وتبعث الاحترام في نفوس مقرري الحُكم مما يؤدي إلى العفو عني . وهنا سيعرض على اليهود أن ينتخبوني نائباً . ولكني لا أقبل ذلك محتجاً بانني لا أُريد أن أُصبح ممثلاً للشعب على أشلاء رجل ميت . » (ص ٨٣) .

وفي مباحثاته مع أحد اصدقائه ، اهرلش ، اعترف ان خطته قد تؤذي اليهود . ولم يمنعه ذلك من التصميم عليها :

« هو يظن أن المشروع قد يسبب أذية لليهود ، أي أن الهجرة ستؤدي إلى الاضطهاد . ولكن هذا التخوف الكبير من جانب اهرلش يؤكد لي أنني على حق في النقاط الاساسية . فاذا استطعت أن أجعل المشكلة حادة ، فهذا أقوى

سلاح أستخدمه وهو سلاح مخيف أيضاً . ولهذا وفي الوقت الحاضر يجب أن لا أضعه خطياً على ورق وإنما أقوم به عملياً . » (ص ٢٤١) .

وفي ٢٣ – ٤ – ١٨٩٦ ندم لانه حافظ على وعد بدر منه :

« كان هكلر مسروراً جداً بالنتيجة . وقال انه سيرسل في اليوم الثاني برقية من بازل إلى مجمع الانبياء في لندن يقول فيها انه قد تكلم مع ملكين عن الدولة اليهودية وان تعرف هذين على القضية مهم جداً . فطلبت منه ألاّ يرسل هذه البرقية لأن الدوق الكبير لن يرضى عنها . الآن أنا نادم لانني منعته من ارسال تلك البرقية . لو ارسلت لسببت ضجة في انجلتره ، وما كان الدوق الكبير ليذكر فيها . » (ص ٣٤١).

وفي الوقت الذي كان يتبجح امام الالمان انه نصيرهم وانه لذلك سيجعل الالمانية لغة المؤتمرات الصهيونية ، كان يتبجح امام الانجليز بانهم سيكونون اكثرية اعضاء جمعيته :

« هذه الجمعية ، ستكون مؤلفة من لجنة كبيرة يكون فيها يهود أصحاب نفوذ ، وليكن أكثرهم من الانجليز – وفي لجنة تنفيذية . » (ص ٣٥٧) .

فشل هرتزل في حزيران (يونيو) في مقابلة السلطان عبد الحميد إذ رفض السلطان أن يستقبله مع أن هرتزل بذل لذلك مجهوداً كبيراً . فطالب هرتزل بوسام من السلطان ليخدع الناس به .

« قلت لنيولنسكي بتردد وشعور سرّي بالخجل : اذا رفض السلطان أن يستقبلني فليعطني على الأقل إثباتاً على أنه بعد ان استمع إلى اقتراحي ورفضه ما يزال يريد أن يتبقى بيننا نوع من العلاقة . مثلاً وسام من رتبة عالية يبرهن على هذا ، ولكني أتوسل اليك الا تظن أنني أركض وراء الاوسمة . لم أهتم يوماً بالاوسمة ولا أهتم بها الآن ، ولكني أُريد شاهداً أمام من أتعامل معهم في لندن على أنني أحرزت قبولاً لدى السلطان ... عندما عدت للفندق بعد هذه الرحلة الحارة الجميلة قال لي نيولنسكي الذي كان جالساً يكتب رسائل :

لقد أرسل لك هذا وناولني علبة فيها وسام الكومودور من الرتبة المجيدية . »
(ص٣٩٧ – ٤٠٠) .

لكنه كان بعد أربعة أشهر فقط يسخر من ذلك الوسام حينما سلّمه السفير التركي براءته :

« ذهبت اليوم لرؤية محمود نديم باشا ، السفير التركي . استقبلني بحفاوة . ببراءة الوسام المجيدي ، وقال أنه يأمل أن يقدم لي نجمة الوسام لاضعها على صدري . تصرفّت كأني شعرت بفخر كبير . » (ص ٤٨٢) .

ولعل هاتين الحادثتين تعطيان فكرة عن أساليبه المخادعة ، سجلها في العاشر وفي الخامس والعشرين من آب (أغسطس) ١٨٩٦ :

« أرسل دهاس لي مقتطفات بينها واحدة من جريدة « دايلي كرونيكل » تربط بين رحلتي إلى لندن والحديث عن القرض التركي . لن أُصدر تكذيباً . ويقول دهاس في الوقت نفسه ان الشائعات التي تسري في لندن تقول أن أحد المصارف (باركلاي ، بينان وشركاهما) وضع تحت تصرفي مليوني جنيه استرليني للعمل . ولن أحتج على هذا السخف لأن الاساطير والنكات والكاريكاتور هي كلها وسائل نشر فكرة ما . » (ص ٤٥٢) .

« زارني نيولنسكي ليقدم صيغة نهائية للعرض . سافعل ذلك بالاسلوب التالي : الذي يتيح لعزت ، ولي ، فرصة انقاذ أعناقنا.أضع عدة شروط غامضة قد تؤدي العروض التي تقوم خلال مناقشتها إلىلا شيء . وبينما تدور المفاوضات مع السلطان سأقوم بترويض يهود لندن وباريس . أما الباقي فان عروضي تقوم قياما كليا على الاتفاقات الغامضة مع مونتاجو ولاندو وغيرهما.»(ص ٤٥٧).

وهذا مثال آخر على كذبه : دُعي إلى مؤتمر يعقده اليهود في باريس في ١٤ ـ ١٠ ـ ١٨٩٦ . فكتب للمؤتمرين يكذب عليهم زاعماً أنه يلقى نجاحاً كبيراً :

« سأختصر نتيجة مساعيّ حتى الان في كلمات قليلة : ان جميع طبقات شعبنا تتقبل فكرة الدولة اليهودية بحماس . وفي تركيه يوجد ميل نحو السماح بالاستعمار على نطاق واسع اذا دُفع الكثير من أجل ذلك . كما تلقى فكرتي ، في أعلى المستويات الحكومية لبعض الدول ، اهتمامات جدية وودية . » (ص ٤٨٠) .

مع أن الحقيقة كانت عكس ذلك . كتب في اليوم التالي بالذات ما يلي :

« يجب أن أعترف أمام نفسي بصراحة : اني مثبط العزيمة تماماً . لا مساعدة من أي جانب ، وهجمات من كل جانب . كتب نوردو من باريس أنه لا أحد يهتم بما يجري . واذا كنت لاصدّق تقارير دهاس المخلص فان مكابي لندن يزدادون خيالية ، ولا يوجد في المانيه غير المقاومين . وينظر الروس إليّ بشفقة وأنا أجهد نفسي ، ولكن ما من أحد منهم يمد يد المساعدة . وليس لي في النمسه ، خاصة فينه ، غير القليلين من المؤازرين . والذين لا مصلحة خاصة لهم من هؤلاء خاملون . أما الآخرون ، النشيطون ، فأنهم يعملون من أجل مصالحهم بواسطة محرر في الجريدة الحرة الجديدة . يضاف إلى ذلك حملة القدح التي يتزعمها شيد كما يبدو . وكل اليهود الاغنياء ضدي . بحيث أصبح لي حق الادعاء بأني أعظم اللاساميين . وكثيراً ما أذكر قول لفيسون : « ان الذين تسعى لمساعدتهم سيبدأون في تسميرك على الصليب بألم . » (ص٤٨١) .

ومع أنه كان يعرف أن صناعة الصحف الصهيونية كانت عملاً خاسراً من الناحية المادية زعم لأعضاء المؤتمر العكس :

« أقدم العرض الايجابي التالي . ليؤسس السادة ، أو ليشتروا ، جريدة يومية كبيرة في لندن وأخرى في باريس . هناك صحف تربح ربحا كبيرا وبامكان الصندوق الاّ يخسر شيئاً . يجب تنفيذ السياسة اليهودية بواسطة هذه الصحف ، سواء كانت السياسة مع تركيه أو ضدها ، حسب ما تمليه الظروف.

أما في الظاهر فلا ضرورة لأن تُعرف كصحف يهودية . » (ص ٤٨٠) .

مسألة الجريدة أمر مهم جداً عند هرتزل . لقد جرّب كل الوسائل للحصول على مال لإنشاء جريدة خاصة به ، ينتفع بها وينشر بواسطتها آراءه . وقد حملته رغبته في إنشاء جريدة إلى التودد إلى حكومة باديني الرجعية في فينه مراراً عديدة . كتب في أواخر تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٦ :

« أغتنمت فرصة زيارة جرنفلد لي وأخبرته بعض أخبار المفاوضات المعلقة مع باديني وكيف أُتيحت لنا فرصة تأسيس حزب يهودي بمساعدة الحكومة . لكننا نحتاج إلى جريدة . إلى جريدة . إنما المرء يحتاج إلى مال من أجل ذلك . لدي اعتمادات عائلية تبلغ أربعمئة الف جيلدر تحت تصرفي . أما الحاجة فلمليون . » (ص ٤٩٠) .

اما السبب الرئيسي لحماسه أنذاك لإصدار جريدة مع باديني فكانلمنافسة الجريدة الحرة الجديدة التي يعمل فيها ويزعم ولاءه لها !

« يريد [باديني] الجريدة بمنتهى السرعة ، لان الجريدة الحرة الجديدة تضايقه ولذلك يود لو يخرق احتكارها في فينه ، وبسبب الانتخابات المقبلة . » (ص ٤٩٢) .

لكن مشروعه فشل ولم يصل إلى إتفاق مع باديني في ١٤ - ١١ - ١٨٩٦ :

ارتاع ولفسن الطيب عندما وصفت له تقطع المفاوضات مع باديني — كوزميان . أنها لمأساة أني لا استطيع تأمين مبلغ المليون جيلدر قدر الضروري لتأسيس الجريدة وبالتالي للحصول على تأييد باديني والحكومة النمساوية كلها . مليون جيلدر فقط . ربما فقدنا اللحظة التاريخية التي كان يمكن أن تحل المسألة اليهودية بسبب عدم توافر هذا المليون . أن باديني يحتاجني الآن . وحتى اذا بقي في الحكم بعد الانتخابات لن يحتاجني أكثر ولن يدفعني بالتالي ، في روسيه ولا في تركيه . وهكذا نكون قد خسرنا الفرصة . » (ص ٤٩٦) .

وهذه حادثة أُخرى ، حصلت في ٣ ـ ٧ ـ ١٨٩٦ . تكشف عن قيمة أصدقاء هرتزل عند هرتزل : إنه يحتاجهم فيسعى وراءهم ، ثم لا يحتاجهم أحياناً فيتنكر لهم :

« التقيت أمس بهكلر وأخبرني أن الدوق الكبير موجود في فريبيرج وأنه طلب أن أذهب اليه إلى هناك . وبما أني لست محتاجاً للدوق الآن فقد طلبت من هكلر أن يبرق إليه بانني لن أتمكن ، بسبب ضيق الوقت وانتظار الاصحاب لي في لندن ، أن أذهب اليه الآن فهل يسمح لي بأن أُقدم تقديري له في طريق العودة ، وزدت أن طلبت أن يخبر الدوق بأن السلطان أبدى الرضا عن مشروعنا . » (ص ٤٠٥) .

أما الاسلوب الخامس في مخطط هرتزل لإنشاء الدولة فهو السرية ـ السرية التي تتيح له ، وتسهّل عليه أحياناً ، المضي بوسائله الاخرى ، غير المشرفة ، دون مراقبة الآخرين ، من معارضين ومن أعداء .

فهو ، منذ أن وضع أول خطة لأول مباحثات (مع البابا ، في ١٨٩٣ ، وكانت فاشلة ولم تر النور) أرادها خطة سرية . (ص ٨) . وكان في كل مراسلاته وأحاديثه مع الآخرين ، من اليهود أو من مسؤولي الدول الأوروبية ، يطالبهم بحفظ تلك المباحثات سرية ، ويعدهم بأن يفعل هو ذلك أيضاً . وهذه بعض الأمثلة على ذلك ، من خلال ما قاله لصديقه جودمان في ١١ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ مع أن المعلومات التي طلبها لم تكن خاصة :

« اسمح لي ، هنا ، أن أرجوك رجاء حاراً بان تكون مراسلاتنا وجميع خطواتنا المقبلة سرية تماماً . ان الأمر خطر جداً ، ويمكنك أن تعرف هذا من أنني لم أُخبر حتى والديّ وأقرب أقربائي . بهذا أتكل على حكمتك . »(ص٧٧).

وكتب في اليوم التالي يعتبر السرية أساس عمله :

« وفي أثناء رحلتي هذه سوف أدعو ، في كل مكان أتوقف فيه ، عدداً

من كرام اليهود (ليس أغناهم) ليأتوا لمقابلتي وأُحلفهم أن يبقوا الامر سرّاً وأُخبرهم بالمشروع الذي سأعرضه على مجلس العائلة . يلي ذلك اجتماع أكبر آخر يقرر جدول الاعمال فيه رجال الاجتماع الأول . في هذا الاجتماع سأعلن خطة الهجرة (التسلل) ولكن لن يكون فيه بعد ذكر الدولة ، وأقول لهم فيه بأننا نريد من ذلك ضمانة لرؤوس أموالنا وارضاً جديدة للعمل . ولكني سأكون حريصاً في كل بلد الاّ انخرط في أي «جمعية سرية ». ربما أضطررت لأن آخذ اوائل الذين أثق بهم واحداً بعد واحد واحلّف كلاً منهم على حدة . سأحرص على تجنب « الجمعيات السرية » في كل مكان . لهذا يجب أن تكون دعايتنا على يد أحذر الناس . وسنتستر بتقديم «تنظيماتنا السرية » للحكومات لكي توافق عليها . وبعد ، فاننا نريد أن نصل إلى موافقة الحكومات ، ولكن بدون ازعاج من البرلمان والصحافة . » (ص ٨٢) .

وكتب في ١٦ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« سنعمل في البدء لانفسنا ومع أنفسنا في منتهى السرية. » (ص ١٠٥) .

وقد شرح أسباب تلك السرية في رسالة إلى آل روتشيلد في ١٤ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ (ص ١٤٢) . وكان يأمل آنذاك أن تظل خطته سرية إلى أن يتحقق حلمه تماماً :

« بعد أن نقوم بالمراحل الأولية بمنتهى السرعة والحكمة ، وبعد أن نؤمن استقلال دولتنا بمعاهدات حكومية ، وبعد أن نؤمن شراء الاراضي ضمن القوانين المدنية ، وبعد أن تكون لنا وسائل النقل والاتصال اللاسلكي عبر البحار ، وبعد أن نبرم العقود بخصوص الضرائب والاجور – وبكلمة ، بعد ان نتمم كل شيء ضروري لإنجاز مشروع بأرخص ما يمكن ، بعد هذا كله نعلن على الملأ مشروعنا هذا بكامله . » (ص ١٨٢) .

لذلك حرص على حفظ مباحثاته مع رؤساء الدول وسياسييها بسرية تامة ، سواء في أوروبه أو في السلطنة العثمانية . فمثلاً ، كتب في ٢٦ ـ ٥ ـ ١٨٩٦ :

« قد أذهب إلى القسطنطينية . يجب أن يظل العرض سراً. »(ص ٣٥٧) .

وكتب في ٢ ـ ٩ ـ ١٨٩٨ ، بخصوص مقابلته الشهيرة مع دوق بـادن الكبير :

« تأخر هكلر بعد أن تركت بضع دقائق ليسأل اذا كان باستطاعتنا أن نذيع خبر المقابلة. سمح الدوق بذلك . لكني فيما بعد أخبرت هكلر ، الـذي سينقل الخبر إلى الدوق ، اني أفضّل الا أذيع خبر المقابلة حتى أعمل في منتهى السرية . اذا ذاع خبر اهتمام الدوق بالصهيونية فسوف يؤدي ذلك إلى مناقشات وشكوك خاصة قبل رحلة القيصر إلى فلسطين » . (ص ٦٦٠) .

وكان هرتزل يضحي ببعض المكاسب مقابل الحفاظ على مشاريعه بسرية تامة . كتب في ١٢ ـ ٥ ـ ١٨٩٦ :

« سيكون لهذا الاشتراك الموقت بعض السهولة كما سيكون لـه صعوبة . السهولة لأنه ستكون عندنا الشهرة معدّة لنا وفي متناول يدنا . أما الصعوبة فلأننا لن نستطيع أن نقول علانية أنها تثبيت لانفسنا ضد أصحاب البنوك الكبار لأننا يجب أن نتذكر أن الحكومة التركية قد تسمع بهذا فلا تحترمه .» (ص ٦٣٤) .

هذه هي إذن وسائل هرتزل الرئيسية في العمل السياسي ، الإستغلال والرشوة والعنف والكذب والسرية . وفيما يلي مقتطفات من كتاباته التي تعبر عن استغلاله لكل الشيء ، للناس وللأحداث وللظروف . كتب في ٢٤ ـ ٦ ـ ١٨٩٧ ، في تفسير إستغلاله للمصاعب :

« مهرجان الطلبة الصهيونيين ، الذي منع يوم أول أمس ، كان عقـده يؤذينا بين الماديّين الجبناء . كانت الريح غير مناسبة . وقد أسرعت إلى وضع القارب أمام الرياح بتبديل وضع الشراع . ان منع الاجتماعات الصهيونية يقتل حركتنا . وهي اليوم أضعف من أن تقاوم . ثم اني خفت أن يحُل الاتحـاد

الصهيوني بعد استنكارات الجالية اليهودية . هذا ما جعلني أُرسل لاندو إلى مكتب رئيس المجلس الوزاري ليطلب منه أمراً مستحيلاً : الاذن للمهرجان الممنوع . كنت أعلم استحالة حصولنا على الاذن – لكننا نستطيع استثمار المشاعر. ثم ان مجرد تقديمنا لطلب امتياز خاص يعطينا مظهر الشعب الذي له حق المطالبة . وهو ما حصل بالفعل إذا كان لاندو قد أبلغني ما حصل بالضبط : لقد حصل على أحدث التأثيرات من الدكتور روزنر ، وسمح باديني بعقد اجتماع لبحث الامور التي منعت سابقا ، شرط عدم حضور الطلبة. وفي الوقت نفسه أخذ باديني علماً « بولت » المعادية للاشتراكية ... على المرء ، في العهد السياسي ، ان يستغل المصاعب لمتابعة سيره . » (ص ٥٧١) .

وفي أيلول (سبتمبر) ١٨٩٧ قامت ضجة في أوساط البابا ضد الحركة الصهيونية بمناسبة إنعقاد مؤتمر بازل الأول . ولكن هرتزل لم يغضب ولم يحزن بل كتب يقول « إن ذلك دعاية عظيمة للصهيونية » (ص ٥٩١) . وحينما حاول روتشيلد طمأنة البابا غضب هرتزل على روتشيلد وفكّر بالإنتقام منه :

« يبدو أن رومه هدأت منذ ذلك الحين . كان انذاراً كاذباً . لعلهم صدّقوا قول روتشيلد بان الامر « لاشيء فيه » . لا بد ان ابدأ حملة ضد آل روتشيلد عاجلاً أم اجلاً . سيكون عنوانها المحدّد : بيت روتشيلد – عرض موضوعي للخطر الذي يهدد هذا الاخطبوط العالم به .» (ص ٥٩١) .

وكان دائماً يشعر بحاجته الى جريدة ليستغلها لحركته . كتب في ٢٦ – ٣ – ١٨٩٨ :

« ما أزال أُحارب بسيف من خشب مثل الأولاد. أُريد سيفاً من فولاذ، مثلاً جريدة كبيرة أقرّر بواسطتها سياسة ، وأُؤدي خدمات وأُقيم علاقات . لو تمكنت فقط من الوصول إلى الجريدة الحرة الجديدة لقمت بالعجائب . » (ص ٦٢٤) .

وتعطي هذه الحادثة صورة عن متاجرة هرتزل بصحة اتباعه وبحياتهم

ايضاً . كتب في ٢٩ – ٣ – ١٨٩٨ :

« سيذهب نيولنسكي إلى القسطنطينية غداً . ولما كان نيولنسكي يعاني من مرض في قلبه خطير فقد أرسلت معه الدكتور بوبورسكي ليكون معه دائما ؛ على أني سألت طبيبه الخاص عن مدى خطر الرحلة عليه فقال إنه معرض دائماً لنوبة قلبية سواء سافر أم بقي في بيته . كذلك تكلمت في الأمر بصراحة مع زوجته . نيولنسكي نفسه يريد الذهاب ويريد أن يعمل شيئاً من أجلنا ، وهو ينتظر ، وسنكون عند حسن ظنه بنا ان يكافأ على أعماله هذه . ولكني أشعر بمسؤولية كبيرة لأني أسمح له الذهاب ولكني مضطر إلى ذلك لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يؤمن لي مقابلة مع السلطان ، لذلك وليس بوسعي إلا أن أرسله . » (ص ٨١٢) .

لكن نيولنسكي مات اثر وصوله الى اسطنبول ، بعد اربعة ايام . كتب هرتزل :

« إن موت نيولنسكي صدمة كبيرة لي ، فمع أن رجله كانت في القبر فان زوجته ستحملني مسؤولية موته بغض النظر عن كل الاحتياطات التي اتخذتها من أجله . ولقد كنت سألت طبيبه الخاص بواسطة بوبورسكي عما اذا كان يستطيع القيام بهذه الرحلة فكان جوابه أن الرجل يموت أي لحظة حتى لو بقي في غرفته . ومع ذلك فانني سأُعد مسؤولاً . كذلك فموت نيولنسكي خسارة كبيرة لحركتنا فقد كانت له علاقات طيبة مع المسؤولين في القسطنطينية وفي رومه . إن خسارته في هذا الوقت لا تعوّض. » (ص ٨١٤) .

« قضيت ليلة قاسية ، لم استطع ان أُبعد نيولنسكي عن ذهني ، ذلك أني كنت أُفكر في مدى مسؤوليتي عن موته ، أكان يجب أن أمنعه من الذهاب في هذه الرحلة . كان يريد أن يسافر جنوباً ، ولكنه فضل رحلة القسطنطينية لأنها لم تكن لتكلفه شيئا ولأنها كانت تؤمن له مرافقة طبيب مجاناً وتأمّل أن تعود عليه بفوائد في المستقبل . منذ أن أصابته النوبة الاولى قبل أربع عشرة سنة

وهو معرض للموت ، ترى كم دفع من حياته ثمناً للرحلة هذه ، شهراً ، أم اسابيع أم اياماً أم ساعات ؟ لقد قلت له مراراً ، أن لا يذهب في هذه الرحلة إن لم يكن يريد ذلك ، ولقد تركته يأخذ الفي الجيلدر الذي أعطيته أياها لرحلة رومه ولم أُحاول يوماً أن أشير اليها ولو تلميحاً . أكان من واجبي أن امنعه من الذهاب ؟ » (ص ٨١٥) .

« لم يكن الرجل ذا شخصية قوية ، وكل الذين كانوا يستخدمونه من أمراء وحكومات كانوا دائماً يحتاطون في أن لا يعرف أحد أنهم يتعاملون معه . كان مثال الجاسوس في كل ما يطلب منه أو يقوم به . والآن تقف جثته حجر عثرة في طريقنا ويحمّلنا بعض الناس مسؤولية الكثير من تصرفاته الغامضة . ولكن لحسن الحظ أن أعمالنا نظيفة ، وإن كنا لم نكشفها بعد ، وأنا شخصياً أشعر براحة ضمير تجاهه . ولم يكن بيني وبينه أي علاقة سوى تلك الوساطة التي قدّمها لي عند السلطان . لقد كلفني الكثير من المال ، كذلك فانه استدان مبلغاً من اللجنة ، ولا أعلم حتّى هذا اليوم ما إذا كان قد عمل شيئاً من أجلنا لدى السلطان ، كما لا أعلم ما إذا كان بالفعل قادراً على عمل أي شيء بهذا الخصوص . اذ لم يبرهن يوماً على أنه استطاع أن يقوم بأي عمل استثنى من ذلك تقديمه إياي إلى بعض المسؤولين الاتراك . وقد يكون قدمني لهم، على أني محرر الجريدة الحرة الجديدة فقط . هذا سرّ حمله نيولنسكي معه إلى القبر .

وأما بخصوص دافعي « الشكيل » فان ضميري مرتاح لأني أوصيت لجنة العمل أن تدفع له اعانة مالية ، لأنه حتّى لو لم يكن بوسعه أن يساعدنا ، كان من الممكن أن يسبب لنا أضراراً كبيرة ، ذلك أنه أكثر من مرة كان يلمح إلى ما يمكن أن يعمله لغير صالحنا فكنت أسرع إلى جعله صديقاً لنا بدلاً من أن ينقلب عدواً . كان بوسعه لو كتب فقرة واحدة في « مراسلات الشرق » أن يجعل منا أعداء لتركيه أو على الاقل يعتبرنا ثرثارين لا قيمة لما نقول . » (ص ٨١٧) .

لم تكن محبة هرتزل لنيولنسكي محبة خالصة بل كانت للمنفعة والاستغلال . كتب هرتزل في ٨ – ٤ – ١٨٩٨ :

« زرت مدام نيولنسكي وتحدثت معها في أمور مالية ، إن الأرملة رزينة واعية وطماعة . وعدتها أن نستمر في دفع المعونة المالية التي بدأها زوجها (٢٠٠ جيلدر في الشهر) حتى المؤتمر الثاني بشرط أن تستمر في مراسلات الشرق . وبعد ذلك أحاول في المؤتمر أن أؤمن لها شيئاً مرضياً . ذلك إنه من المهم لنا أن تبقى الجريدة بعيدة عن أيدي أصحاب المصالح. » (ص ٨٢٣).

« زرت مدام دى نيولنسكي ، واستعرضنا معاً كتب زوجها . إن الموجودات عنده أقل حتى مما كنت أتوقع . أما « المراسلات » فيبدو أنها كانت مجرد خداع وغش . عدد قليل من المشتركين فقط ، وكل شيء ينتهي بمصالح . وقد بدا لي كل شيء وكأنني أكشف عن آلة تزوير في مطبعة مخبأة .

ومع ذلك فقد كان الرجل مفيداً لنا . إن أكبر خدمة قدمها لي هو أنه علمني أن لا أحترم الباشاوات. » (ص ٨٢٦) .

وهذه حادثة ثانية تصف استغلال هرتزل لكل شيء . كتب في ٧– ٤ – ١٨٩٩ :

« أخبرني الكس مرمورك أمس عن اكتشاف ما يزال سرياً وقال انني الوحيد الذي يطلعه على هذا السرّ بعد عائلته . إنه يؤمن بأنه وجد دواء للسل ، اذا كان هذا صحيحاً فان الأمر على غاية من الاهمية . قال إن تجاربه على الحيوانات قد نجحت وهو الآن ينوي أن يقوم بالتجارب على الانسان ، ولكنه قبل هذا يجب أن يطلع « دوكلو » رئيس معهد باستور ، لأنه لم يأخذ أي تعويض على مصل الستربتوكوكس لذلك فانه يريد قبل أن يعطي دواء السل أن يؤمن خمسين بالمئة من الأرباح التي سيحصل عليها معهد باستور ، ويقدر مرمورك هذه بمليون كل سنة ، انه يريد أن يصبح غنياً حتى يستطيع أن يعمل

شيئاً من أجل الصهيونية . أما إذا رفض معهد باستور طلبه هذا فأنه ينوي أن يأخذ اكتشافه إلى لورد ليستر في معهد جنر في لندن . أما أنا فقد نصحته أن يقدم عمله هذا إلى قيصر المانيه . وقال ألكس ، إنه سيدعوني في حالة رفض دوكلو إلى اجتماع لحل وسط ، نناقش فيه تفصيلات الخطى التي يجب أن تُتخذ ، لأنه من الطبيعي أن أستفيد أنا من الفائدة المعنوية من أجل الصهيونية .

هذا ولما كان الفرنسيون ، سواء تبنوا المشروع أو رفضوه ، سيتهمون مرمورك بأنه لا يعمل من اجل الفائدة العلمية وانما يعمل كتاجر يهودي ، فقد نصحته بأن يقدم مع تقريره الشفهي لدوكلو تقريراً خطياً يبيّن فيه أن يطلب أن يكون شريكاً في الارباح لأنه يريد المال لمشروع خيرّ يفيد أبنـاء جنسه خاصة وأن اليهود الاغنياء يرفضون مساعدة هذا المشروع . » (ص ٨١٩) .

ثم حصلت هذه التطورات :

« أخبرني أوسكار مرمورك بأن ألكس نجح في محاولاته لمعالجة السل في البشر . أنه أمر من العظمة لدرجة اني أشك به . من أجل تلك الروح الطيبـة والرجل المفكر الكبير الكس ، ومن أجل البشرية ، ولكن قبل كل شيء من أجل الصهيونية ، آمل أن يكون الامر صحيحاً .

كتبت إلى ألكس عن امكان استغلال اكتشافه لصالح حركتنا ، ربمـا بواسطة اعطاء البنك حق الاستغلال . » (ص ٩١٤) .

« يعتقد انه أكتشف الدواء . ويعتقد أنه سيتمكن من وضع الدواء بـين أيادي الجمهور في شهرين أو ثلاثة . لكني أعتقد أن ذلك وهماً . لقد مات طفل كان يعالجه . لكنه اذا وجد الدواء ونجح سيحول استغلاله التجاري إلى الصندوق الاستعماري اليهودي بناء على طلبي . فيُعمر الصندوق بضربة واحدة وتُشترى الاسهم في يوم واحد . وتحصل الصهيونية على الموارد اللازمة . لكن

ذلك سيكون أحسن مما يتوقع المرء . تصرّفت كمن يصدّق مع إني أعتبرهـا أوهاماً . » (ص ٩٥٠).

« أمس مع ألكس مرمورك . يريد أن يحوّل دواءه للسل إلى ريتلنجر في باريس ويقبل بنصف الارباح الصافية ، لأن ريتلنجر سيؤمن المئتي الف فرنك . أخبرته أن الصندوق الاستعماري يستطيع أن يقوم بذلك بدل ريتلنجر . فاذا قدم ألكس مسودة أتفاقه مع ريتلنجر حمينا أنفسنا ، هو ونحن ، من أي اتهام . ولذلك (لأني متأكد تماما من ذلك وسوف أقنع ألكس بترك المسألة لنا) سوف أبيع الالفي سهم التي لي . وعند ذاك سوف يسجّل اني لم أطلب من ألكس تقديم هذه التقدمة إلى البنك لمصلحتي ... طبعا ذلك أمر أكثر من اللزوم . لكنه ضروري لأنه الطريقة الوحيدة لانال السلطة لتأمين هذا الاجراء بصورة فعّالة .... السؤال هو : هل الدواء صالح ؟

الثالث من نيسان :

زارني أمس الكس وأسكار وازدور مرمورك . أعطوني الاسباب الصحيحة لعدم تمكنهم من تحويل الدواء الذي اكتشفه ألكس إلى الصندوق الاستعماري اليهودي : ان الاطباء الذين سيخسرون ، بسبب الدواء ، سيغتنمون الفرصة ويتّهمون البنك الصهيوني بأنه غررهم . وقد أقنعوني بحجتهم .

إلا أنه خطر لي حل آخر : يخبر ألكس ريتلنجر بأن لديه عرضاً مـني لكنه سيرفضه حتّى لا يثير الشك بأنه يستغل مركزه في لجنة العمل لعقد صفقات تجارية . غير أنه يود لو يعود ببعض الربح على الحركة . لذلك يشترط عـلى ريتلنجر أن يمنح الصندوق الاستعماري اليهودي فرصة لشراء حصة بمليون فرنك حينما تبلغ كمية الاستلامات مليونا ومئتي الف فرنك. » (ص ١٠٧٧).

« جاء ألكس مرمورك لرؤيتي أول أمس قبل أن يسافر إلى لندن واقترح أن آخذ عُشر المبلغ الذي سيدفعه ريتلنجر من أجل دواء السل . فرفضت رأساً لأني لا أُريد مساعدات مالية منه . فقال أنه يفكر في أبنائي . مع هذا لا أُريد

ذلك . والآن زوجتي تلومني على ذلك . ولعل أبنائي سوف يلومونني يوما ما إذا أعطى دواء ألكس ربحاً كبيراً . لذلك كتبت له الرسالة التالية ، ليس بدون تردد :

عزيزي ألكس ، لم أكن حذراً كفاية فاخبرت زوجتي أنك أردت أن تحطيني فرصة للاشتراك في مشروع أعتبره عظيما واني رفضت عرضك لأننا أصدقاء . والآن هي تحرمني السلام بتقريعاتها . وتقريعها لا يهمني ، لكنها مصيبة في ناحية واحدة : منذ سنوات لم أفكر بمصلحة أبنائي . بل أني أوقعت فيهم أذى ماديا كبيراً بسبب نشاطي الصهيوني . والآن ، اذا نجح دواؤك لا سمح الله (ما رأيك بذلك ؟ !) ونجحت امالك وأمالي اضطررت لسماع اللوم طول حياتي . باختصار ، اني أقبل عرضك . » (ص ١٠٨٠) .

والرشوة سبيل ثانٍ ، الى جانب الاستغلال ، سلكه هرتزل نحو دولته الصهيونية في فلسطين . وهي بالمال بالوعود على السواء .

« سيذهب هكلر إلى برلين ليحضر المؤتمر الكَنَسي . وقد طلبت منه بالحاح أن يقنع القيصر بأن يقابلني . وعدته اذا استطاع أن يحصل لي على مقابلة مع القيصر ، بأن يرسل إلى فلسطين على حسابنا عندما يذهب القيصر في رحلته إلى هناك في الخريف .

أحس هكلر مدى الاهمية التي أُعلقها على هذا الاجتماع مع القيصر وطلب مني أن أذهب غداً الأحد إلى الكنيسة وأُصلي معه (هذا لا أكثر ولا أقل).

وهنا بدأت أن أتكلم عن العشب الذي في حديقتي التي كنا جالسين فيها بدون أن أتطرق إلى اقتراحه . وفي اليوم التالي كتبت له أنه سيذهب إلى فلسطين إذا دبر لي موعداً مع القيصر . » (ص ٦٣٦) .

« وصل الليلة قبل الماضية هكلر الطيب إلى هنا وجاء يزورني . قلت له :

« إذا كان لي أي رأي في تعيين مطران أبرشية القدس القادم ستكون أنت المرشح عندي لهذا المنصب . » (ص ٧٤٦) .

كان كل الناس يطلبون خدمات منه مقابل خدماته لهم ، مثلما كان يفعل هو — حتى سفير المانيه بالنمسه ، الكونت اويلنبرج :

« وشكرته بكلمات قليلة ولكن بحرارة ، وهنا نظر إلي اويلنبرج بعينيه الفولاذيتين وقال : ربما جاء الوقت الذي أطالبك فيه بخدمات .

فقلت : ستجد في منذ الآن الرجل الممتن لك المخلص دائماً .

قال : أنا سعيد بشعورك هذا .

أنا : ليعتمد عليّ سعادتكم ولعلك تسمح لي بأن أبرهن لك عن هذا الآن .

فأشار بيده أن لا . وقال : ليس الآن ، قد يأتي الوقت يوماً ما ، ولكنه ليس الآن .

ورجوته أن يظل متأكداً من اخلاصي له في كل الاوقات. » (ص ٦٨٩).

« إني أجهد عقلي بالتفكير بما قد يكون اويلنبرج قد عنى بكلمة « مطاليب». ان اويلنبرج سيأخذ ما يطلب مهما كانت مطاليبه وبأي طريقة كانت . سينال كل من تكون له علاقة معي عكس ما هو رأي اليهود التقليدي.»(ص ٦٩٣).

اما في تركيه فان كل محاولات هرتزل مع السلطان وكل معاملاته كانت تقوم على اساس الرشوة . ولنأخذ ، كمثال على ذلك ، ما قاله نوري بك ، سكرتير عام وزارة الخارجية التركية ، لهرتزل عن صديقي هرتزل نيو لنسكي ومحمود نديم ، في ١٧ — ٦ — ١٨٩٩ .

« قال ان نيولنسكي قد خدعني ولم يحمل مقترحاتي إلى السلطة قط ، ولكنه على العكس ، عرض التجسس علينا . أما محمود نديم فينسجم مع نيولنسكي في كل شيء لأنه ينام مع زوجته .

وحينما أصبح الحديث بيننا حميما بفضل الشامبانيا ، قال نوري : لنتكلم بصراحة ، ان نيولنسكي هذا هو القذارة بعينها . ثم أصبح الحديث حميماً جداً . وحينما رأى نوري أني متردد وأدور حو ل النقطة سهّل علي المسألة وتكلم بصراحة : « هناك أناس يريدون أن يكسبوا . سوف أؤلف لك جمعية تعمل لك في يلدز . لا قيمة للباب العالي . يجب دفع هذا المبلغ لهذا الرجل وذاك المبلغ لذاك الرجل . واني صديق لهم كلهم لأني أعرف كيف أتعامل مع كل واحد منهم . فمثلاً لا أزال أعامل عزت بك ، غير المرضي عنه حالياً ، بالتكريم نفسه الذي كنت أعامله به من قبل . وأقدم له الهدايا نفسها . فهو أذكى من أن لا يعود إلى الحظوة ثانية . أنذاك سوف يكون شاكراً لي . » (ص ٨٤٧) .

وهذه تفاصيل مفاوضات مع السلطان عبر رجال هرتزل في تركيه ، في خريف ١٩٠٠ ــ ونرى فيها ان الرشوة هي السلاح الاقوى بيد هرتزل الذي كتب :

« أستلمت رسالة من كرسبي (نوري) يقول أن حكومته بحاجة ماسة إلى ما بين سبعمئة وثمانيمئة الف جنيه تركي ، وتريد أن تعطي عائدات الجمارك كضمانة ، بفائدة قدرها ستة في المئة أو ستة ونصف في المئة . علي أن أظهر كاله من الآلهة ، لاساعدهم، ثم يستقبلني جلالة السلطان بعد أن يتم العمل .

أُجيب بالبرقية التالية : يمكنك أن تقول أننا سوف نقدم عروضاً بتأمين السبعمئة مقابل الضمانة المذكورة في رسالتك ، شرط أن أتفاوض مباشرة مع ٣٦٣ . يمكن أجراء المسألة في وقت قصير جداً . لكن لاحظ اني لن أفعل شيئاً ما لم يدعني ٣٦٣ لتقديم عروضي له شخصياً . اني أطلب ستة ونصف في المئة حتى يبدو الامر معقولاً فلو اني تساهلت في الشروط بدا الامر غير معقول . » (ص ٩٨٥) .

« كرسبي ، رجل نوري القش ، يعرض خدماته ، لأنه هو السلطة الحقيقية. يريد أن يأتي إلى فينه . وبالتالي هي مسألة نفقات السفر ... سوف

يحصل على الف فرنك مني اذا كان لديه بالفعل اقتراح جديّ. » (ص ٩٨٦).

على أثر ذلك تلقى هرتزل برقية من كرسبي تقول :

« اذا كان بامكانك ثاني يوم استلامك رسالتي أن تودع على الحساب مئتي الف جنيه تركي لقرضٍ من سبعمئة الف بربح ستة في المئة ، سوف ارفع مقترحاتي إلى قدم جلالته قبل رمضان . آمل أن تستطيع أنذاك من أن تُدعى إلى القصر . » (ص ٩٨٧) .

فوافق هرتزل :

« تتكلم الآن عن ستة في المئة بعد أن كنت تتكلم قبلا عن ستة ونصف . لكني قد أتغلب على هذه العقبة اذا اقنعتني أن ميل ٣٦٣ يتجه لمصلحتنا . ودع مئتي الف كقسط من قرضنا بسبعمئة سيتم خلال اسبوع بعد أستقبالي . » (ص ٩٨٧) .

ثم جرت اتصالات اخرى في ٣٠ ــ ١١ ــ ١٩٠٠ :

« رسالة منيرة من كرسبي . لقد درس الامر مع الصدر الاعظم والامين الاول ووزير المال. سيكون القرض تحت شروط البنك الالماني في العام الماضي. وقد أبلغ الامين الاول كرسبي ان فامبري أثنى على مقترحاتي لدى السلطان . الا أن الامين يخشى من المتاعب اذا دُعيت رسميا ولم يتحقق القرض . فقال كرسبي ان بامكان المرء أن يتحرى عني لدى القيصر الالماني . » (ص ٩٩٥).

وفي ٣ ــ ١٢ ــ ١٩٠٠ ذهب كرسبي الى فينه وقبض مالا من هرتزل:

« مبلغ ثمانين الف جنيه ، كمبلغ هامشي عنى له شيئاً رأساً ، وقرر أن يقدم تقريرا إلى نوري ووزير المال . أما بخصوص الصهيونية فهو يعتقد أن السبب الوحيد لتمنع الاتراك هو أنهم يخافون من التدخل الاجنبي . فاذا سُمح لليهود بالمهاجرة أرسلت الدول ، رأساً ، سفنها الحربية إلى يافا لاحتلال فلسطين . قلت اننا سنحرص على تهدئة الدول . فقال اني اذا تمكنت من افهام السلطان

ذلك ربحنا القضية . فهذا هو الامر الوحيد الذي يقلق السلطان ...

قال انه بامكاننا أن نحصل على امتياز البحر الميت بسهولة ، اذا تعهدنا للسلطان بنصيب في الارباح الصافية للمصانع . وقال ان السلطان لم يتمكن بعد من تسليم القيصر الالماني المنطقة من القدس التي وعده بها لمعارضة شيخ الاسلام [وهي جنوب أسوار البلدة القديمة ، حيث يعتقد أن مريم العذراء ماتت] . وقال اني عندما اتصل بالسلطان استطيع أن أطلب منه أن يؤلف لجنة من كل الوزراء لدرس المطاليب الصهيونية . ثم جاء كريمنزكي ، الذي كنت قد ارسلته ليدفع الف فرنك لكرسبي كبدل سفر . وقد وضعت توكيدا خاصا على هذا الانتباه الخاص . نريد منه أن يرى وأن يذيع سهولة وسرعة دفعنا المال لاصدقائنا . » (ص ٩٩٧) .

اما ثمن ذلك فكان وعداً من كرسبي الى هرتزل بان يحصل له على موعد مع السلطان ، وعدداً من النصائح :

« قدم مقترحات ليست سيئة . مثلاً : علي أن أحصل من الحكومة البريطانية على دعوة بأن أقود المهاجرين اليهود إلى الترانسفال . سوف يؤثر عمل كهذا في السلطان تأثيرا جيداً . لذلك ساكتب بهذا المعنى ، اليوم ، إلى كون ، قائلاً أن على فرانسس مونتفيوري أن يطلب دعوة مثل هذه من السير بارينجتون .

أمس ايضا أبرق كرسبي إلى القسطنطينية ، لكن لم يؤد ذلك إلى شيء . انه يفسر ذلك بأنه ربما كان مجلس الوزراء قد تحمس للموضوع في اجتماعه يوم الاحد ، لكنه عجز عن اقناع السلطان بدعوتي ، لأن أنفة السلطان تمنعه من طلب النقود ، وهو يقول للوزراء الذين يشكون من فراغ الخزينة : ابحثوا عن المال بانفسكم ، والا لماذا عينتكم وزراء ؟ ابحثوا عن المال في أي مكان .

لقد شكا وزير المال لكرسبي بأنه لا يوجد في الخزينة الا عشرة الاف جنيه بينما يجب صرف مئة وخمسين الفا من أجل رمضان ، ثم يجب صرف مئة

وثلاثين الفا في عيد الفطر بعد أسابيع . هذا إلى جانب الديون ومعاشات الموظفين وغير ذلك . يذكرني هذا الكلام بمالية لجنة العمل ...

يبدو أن كرسبي عنيد شرقي . ولعله أيضا رجل ثقة . أمس زارني مرتين ، ومعه ديرسزتي . يطالب بمبلغ مقطوع من المال للمصاريف وما شابهها . فرفضت بصراحة . قلت له ن عليه أولاً ان يبرهن على ما يستطيع أن يفعله ، وعندها يمكن أن يحصل على بعض المال مني . ولكن لا شيء مقابل لا شيء . وبعد الظهر زارني وأحضر معه رسالة من نوري يقول فيها أن البنك الالماني قدم عرضا قُبل مع أن نسبة القرض من ٧٥ إلى ٧٨ في المئة ، بالنسبة إلى عرضنا بـ ٩٠ في المئة . كتب كرسبي برقية ، أمامي ، إلى الصدر الاعظم يناشده باسم مصلحة الحكومة وجلالة السلطان ، الا ّ يوقع لان لديه عرضاً أفضل . » (ص ٩٩٩ — ١٠٠٠) .

ولكن كرسبي خدع هرتزل وعمل لمصالح أخرى (ص ١٠٠١) مما جعل هرتزل يكتب الى السلطان ليحرضه ضد كرسبي :

« علماً بعمق اهتمامكم بالامور التركية ارى واجباً عليَّ عرض ما حصل مؤخرا عليكم . لقد نصحني رجل أعمال من القسطنطينية اسمه السيد كرسبي يبدو أن له صلات بحكومة صاحب الجلالة السلطان وكان قد عرفني عليه القنصل العام في فينه السيد ديرسزتي ، بان الحكومة العثمانية تنوي أن تقترض سبعمئة الف جنيه تركي . وقد اعتقدت أن الوقت قد حان لان أبرهن لحكومة جلالته على أنها تجد فيَّ صديقا مخلصا مستعداً لتأدية الخدمات في كل وقت للملك عامل رعاياه اليهود معاملة حسنة دائماً ويمكن له ، بثاقب نظره ، أن يسمح بادخال المهاجرين اليهود إلى داخل امبراطوريته . ومن الاكيد أن هؤلاء سوف يحملون له ، بعرفان جميل وولاء لا حدود له ، قواهم الصناعية والمالية لمصلحة تركيه العظيمة ، المتسامحة والمضيافة . واذ أنه من الضروري دائماً اغتنام فرصة عرض النوايا الحسنة أينما كانت ، أقنعت بعض الماليّين من أصدقائي ، بان

يقدموا لي ، للحكومة السلطانية ، قرضا بشروط خاصة مناسبة . والحقيقة أنه بينما تمكنت الحكومة الهنغارية منذ أسابيع من الحصول على قرض بنسبة ٨٧ في المئة فقط حصلت أنا على عرض للحكومة التركية بنسبة ٩٠ ٪ . لم يكن الامر صفقة تجارية بل كان خدمة لجلالة السلطـــان ليرى من هم أصدقاؤه الحقيقيون الذين يستطيع أن يعتمد عليهم في الملمات .

لكن ما أعظم دهشتي عندما علمت أن هذا العرض الذي نقله اليّ القنصل العام في فينه والذي أراه عميلاً شبه رسمي ، لم يؤخذ بعين الاعتبار . يبدو لي من المستحيل ايجاد النقود بشروط أفضل . وبامكانك ، بواسطة صلاتك بالقسطنطينية ، العثور على تفسير لهذا الاجراء بسهولة . » (ص ١٠٠١) .

ومهما يكن من أمر فان هرتزل لم يتخلّ عن كرسبي . ظل يتصل بـــه ويرشوه الى أن عينّ له راتبا شهريا في ١ ــ ١١ ــ ١٩٠١ ، كما كتب له (ورقم ٣٦٣ في الرسالة هو السلطان) ! .

بالرغم من هذه المعلومات المهمة الاكيدة ، لا يقدّر ٣٦٣ خطورة الحالة وهي على اسوأ ما تكون عليه . والاّ لكان أرسل ورائي ، لأني الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يساعده ... وبفضل الصلات الحسنة التي بيننا ، أنوي أن أرسل لك مبلغ خمسمئة فرنك كل شهر ابتداءً من الآن ، تعويضاً عن المراسلات بيننا . الا أني أريدك أن تكتب لي مرة على الاقل في الاسبوع لتخبرني بكل ما قد يهمني . » (١١٨٣) .

ولم يكن وضع فامبري احسن من وضع كرسبي . كان هو الاخر لا يخدم الصهيونيين الا بالمال . في ايار (مايو) ١٩٠١ ذهب هرتزل الى العاصمـــة العثمانية . ومر ، في طريقه ، ببلدة بست لمقابلة فامبري . واختلف الرجلان على مقدار الرشوة التي يطلبها ثانيهما من الاول . اراد فامبري كل ما كان هرتزل يحمله من مال بينما قرر هرتزل اعطاءه الثلث وترك الباقي لعملائه الاخرين في

اسطنبول (ص ١١٠٢ – ١١٠٤) . وما ان وصل العاصمة حتى بدأ بالفعل يوزع الرشوات .

« بالطبع سأحلّ نفسي من وعدي – مع أن فامبري أخبرني أن الجماعة لم تفعل شيئاً وليس بامكانها أن تفعل شيئاً. لكني أُريد خدمات في المستقبل. فتصلّف وأراني رسالة من ديرسزتي يعد كرسبي فيها بمرتب شهري قدره الفا وخمسمئة فرنك ، مني ، اذا تحقق الموعد [مع السلطان] . قلت : « نعم ، اذا سُمح لي بتقديم الخطة كلها إلى السلطان واذا عينّ لجنة لها . »

لكني سريعا ما لمست بتهديدات ومؤامرات معاكسة في كلمات هذا الافاك ، وسريعاً ما لان حينما قلت : لن اتباخل معك اذا رضيت بما سيحصل يوم الجمعة .

وأخذت أفكر بالموضوع في الليل : لا بأس اذا منحته هذه الهبة في الاشهر القادمة الاولى إلى أن ينفضّ المؤتمر ، والاّ فأنه سوف يحتال علي.سوف أعده بألف فرنك أولاً ، ثم بألف وخمسمئة شهرياً بعد انشاء لجنة دراسة الصهيونية .

بالمناسبة ، استطعت أن اشترط بان يعطيني نوري وصلاً عند استلام المال ، مثلما حصل في فينه . ولم أذكر ثلث تحسين في الوقت الحاضر . وربما كان اخفاء خبر التقدمة لتحسين عن جماعة نوري ، الذين ينتمون إلى حزب عزت ، يستحق مبلغ عشرة الاف فرنك . والاّ فانهم سيستعملون الخبر ضد تحسين . كل ما علي هو أن أقنع زملائي بالموافقة على زيادة هذه المصاريف .

أما بخصوص الامور الاخرى فقد أعلن كرسبي ، ولعلها الكلمة الصادقة الوحيدة التي قالها ، أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لي قبل المقابلة . بل ان نوري يجب الاّ يقحم نفسه في المسألة . لا يقدر أن يظهر الا فيما بعد . وبالتالي لا يقدر أن يتدخل لمنحي وساما أعلى . لكن لماذا لم أرفض وسام الدرجة الثانية ؟...

كان اقتراحه برفض الدرجة الثانية يستحق بعض المال . في الصباح طلبت

من ولش أن يخبر تحسين اني لا أُحب الاوسمة . قبل خمس سنوات أرسلوا الدرجة الثالثة من هذا الوسام إليّ ، إلى بيتي ، دون أن أطلبه . لم أرفضه تأدبا . لكنهم اذا شاءوا منحي وساما الان لن أقبل بأقل من الدرجة الاولى ان لم أشأ أن أجعل نفسي أضحوكة . » (ص ١١٠٨) .

والواقع أن هرتزل لم يكن يجهل حقيقة المتعاونين معه . كان يعرف أن رجاله يكذبون عليه ، وكان يقبل بذلك ما دام هو المستفيد . كتب ، مثلاً ، الى نيولنسكي :

« لقد ألغيت الرحلة المقررة إلى رومه أيضاً ، ففي نابولي أستلمت أخباراً عن نيولنسكي : انه مريض جدا ولذلك لا يستطيع أن يسافر .

أظن أن هذا من قبيل الاعتذار ، إما أنه لا يعرف أحداً في رومه كما إدّعى أو لأنه يريد أن يأخذ الفي الجيلدر التي دفعتها له . ومع هذا فأنا لست حاقداً عليه ، حتى لو عرفت أنه كان يكذب عليّ طيلة الوقت ، لقد كنت أستفيد أحياناً من كذبه ، لأنه كان يعطيني به حافزاً للعمل . ففي الامور التي كنت أقدر أنها صحيحة كنت على الأقل أجد فيه زميلاً في العمل ، أرجع اليه عند الحاجة . ولذلك لم أكن أهتم بأن ادقق دائماً في ما يقوله . ما دام ان السبب الوحيد الذي من أجله أردته أن يذهب إلى رومه كان لأبعده من التدخل في شؤوني في القسطنطينية ، لذلك لم أهتم لتغير الخطة في رومه . » (ص ٧٦٨) .

كما ذكرنا من قبل ، استعمل هرتزل سلاحاً آخر ، هو الخداع والنفاق والازدواجية ، كوسائل يسعى لان يبررها له هدفه الذي يسعى نحوه. وفيما يلي مجموعة من الحوادث التي تدل على هذا الاسلوب . كتب هرتزل في ١٣ ــ ١٠ ــ ١٨٩٩ .

« أدين بفكرة للمستقبل إلى الدكتور الفرد ستيرن ، مستشار الجالية اليهودية في فينه ونائب رئيسها . لقد طلب مني ذات يوم الا أسمح لطلابنا بتخريب

اجتماعهم الاحتجاجي في بولنه . فوعدته بذلك شرط أن يسمح لنا بوضع خطيب منا لبحث موضوع مصير المنفيين والمنكوبين في بولنه وكثنبرج وغيرهما : الا يجب البدء بحملة لمساعدتهم ؟ رجاني ستيرن ، بخوف ، أن أعدل عن الفكرة . ذلك سيكون مساوياً لتأليب بوهيميه كلها . أي أن يهود بوهيميه كلها ، المساكين ، سيأتون إلى فينه بحثا عن مساعدة ، مما سيزعج الطبقة العليا من يهودها المحليين . تظاهرت اني تراجعت لكني للحال أخذت ملاحظة بذلك لاستعمالها في المستقبل . فما أن يحين موعد الميثاق حتى أُهدد الطبقة العليا من يهود فينه ولندن وباريس بمسيرة بؤس . بسهولة أستطيع أن أعطي شارة الانطلاق ، كما حصل مؤخرا في كريسوت . (ص ٨٧٩) .

ويروي (ص ١٢١٦) أنه كان يختار اسوأ الناس كعملاء له ، ويعطيهم اخبارا يريد ان تذيع عن لسانه بطريق غير مباشر ، وكأنها اسرار !

ويعترف (ص ٦٤١) انه يترك الناس على جهلهم به ، وفي (ص ٦٤٥) أنه يستعمل الاساليب البراقة لخدع الناس . وفي ٣١ – ٧ – ١٨٩٨ اعترف بصراحة أنه لا يأمل تحقيق اهدافه بالوسائل التي يعلن عنها (ص ٦٤٦) .

ولعل هذه الحادثة تعطي الفكرة المطلوبة عن كذب هرتزل : في اوائل ١٩٠١ فضحت احدى الصحف استغلال هرتزل لعلاقاته مع الحكام الالمان. فقابل هرتزل السفير الالماني في النمسه ونفى له ان اخبر انسانا ما بما جرى له مع القيصر الالماني . واتهم هكلر بفعل ذلك . (ص ١٠٢٠) . والواقع ان هرتزل هو الذي اذاع الخبر !

يقودنا الكذب الى الكلام عن الازدواجية في اسلوب هرتزل في العمل . فهو ، مثلاً ، مع كل صلاته مع السلطان ، يصغي لاقتراح بتحريض الحزب المعارض للسلطان ، تركيه الفتاة ، للحكومة . كتب في ٢٥ – ١١ – ١٨٩٩ .

« أمس كان كارل هيربست ، من صوفيه ، هنا ، واقترح هذا الاقتراح

العظيم : جعل رجال تركيه الفتاة يؤثرون على السلطان . يجب أن نجعل صحف تركيه الفتاة تنتقد الحكومة على إهمالها بعدم قبول عروض الصهيونيين المفيدة ». (ص ٨٨٩) .

ثم كتب في ٣٠ ـ ١ ـ ١٩٠٠ ، اي بعد شهرين تقريبا ، الى نوري بك ، يدّعي انه صديق السلطان ضد الحزب المعارض .

« يوجد الآن نقاش جديد قوي جدا . يقول محمود داماد باشا ورجال تركيه الفتاة في كل مكان ان الحكومة الحاضرة عاجزة عن العثور على الموارد وعن تحقيق الازدهار في البلاد وعن انشاء الاسطول الضروري. كل هذا يمكن اجراؤه بوقت قصير بالمساعدة التي يمكن أن نؤمنها ...

لقد بدأ بحث امكان تبديل الحكومة التركية باكملها ، في أوساط الرأي الاوروبية، وإلى حد أقل علانية في بعض الدوائر السياسية. إقبل هذا التحذير من صديق وفي وامين . » (ص ٩٠٢) .

وفي ربيع ١٩٠٠ عقد اتصالات مع رئيس الحكومة النمساوية ، كويربر. ولكن لمّا لم يكن للنمسه مصالح في الشرق خدم هرتزل الرجل بامور داخلية (ص ٩٢٨) . ومن بين خدماته التجسس للنمسه على المانيه ، مع أنه كان صديقاً حميماً لحكومتها . ففي ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٠٠ قابل دون بادن الكبير وجرى بينهما هذا الحديث :

« قال ان الاحوال مختلفة . إن حرب جنوب افريقيه في وضعها الحاضر خطر على المانيه ـ خطر على السلام العالمي في الحقيقة . قد تأتي اللحظة التي تدرك انجلتره فيها أنها لا تستطيع مجاراة البوير . وعندها ستبحث عن ذريعة للتخلي عن الترانسفال . بل منذ الآن ربما كانت انجلتره حريصة على تحويل الاتجاه إلى حيث لها القوة السائدة . أنها تحذر من الاشتباك مع روسيه . وفرنسه أيضا قوية بالنسبة اليها في البحار . من الجهة الاخرى قد لا تكون غير ميالة إلى القاء نفسها على المانيه ، التي لا تزال غير قادرة على حماية نفسها في البحار والتي تقدّم منطقة مهمة للهجوم عليها عبر تجارتها النامية .

تولد لدي إنطباع قوي ، خلال هذا العرض ، بأن أحدهم كان يتكلم على لسان الدوق الكبير ، وأنها هي السياسة الألمانية الرسمية . اللطف ، وخاصة لطف ابلاغي هذه الامور ، كان لطف الدوق الكبير ، لكن المعلومات ، تقارير الاتجاهات في كل الوزارات ، والتفكير الذي صاغها كلها في حجج قوية ، كانت من عمل السفراء الالمان وبولو .

وقال الدوق الكبير ان المانيه تسعى حالياً لتجنب التعقيدات عموماً . وخاصة ما قد يُعطي انجلتره حجة لاحداث المتاعب التي تسعى لاحداثها ... ومن الغرابة بمكان ان المانيه تشعر بتهديد انهزامات انجلتره في جنوب افريقيه عليها . ما كنت لاستخلص هذه الخلاصة من الوضع . لكني رأيتها بوضوح من خلال أقوال الدوق الكبير .

قال انه يوجد عدم رضى كبير على تقدم المانيه في الصناعة والتجارة العالمية في انجلتره وسوف يسر الانجليز لو يعثروا على بعض الفجوات فينا . لا تستطيع فرنسه وروسيه الا أن تشجعانا . واذا تحطمت صناعتنا وتجارتنا البحرية واسطولنا التجاري سيناسب ذلك الانجليز مناسبة تامة . ان هذا الخطر من حرب بحرية ، وما فيها من امكان لتحطيمنا اقتصاديا وتحطيم وسائل عيش الكثيرين ، هو أحد أضخم متاعب الحكومة الالمانية . فبالرغم من قوة المانيه البرية كانت معرّضة لخطر بالغ ، ولعله لم يكن من حلف يعدها ببعض الاطئمنان الا مع اميركه . على أي حال ، من الضروري أن تتخذ المانيه أقصى الاحتياطات . وليس بوسعها أن تعرّض نفسها لامكان اتخاذ انجلتره انشاء محمية المانية في القدس حجة للتحول من أفريقيه الجنوبية إلى «هذه المسألة الاكثر أهمية . »

ذكرت له علاقتي بكويربر قائلاً إني أعتقد اني استطيع أن أحصل على توصية للسلطان بواسطته . لكني أعتقد أن سياسة النمسه الخارجية تقع تحت النفوذ الكاثوليكي ، وأن البابوية ليست ميّالة للخطة الصهيونية . وذكرت الرسائل التي بعث بها إليّ البارون جليشن – رسورم (حفيد شلر) عن احاديثه مع رجالات الكنيسة حول المسألة الصهيونية . كما ذكرت اني جندّت مؤيدين لقضيتنا في الحلقة التي تحيط بالسلطان ...

ان المانيه [على حد رأي الدوق الكبير] لا تريد أن تكشف عن نفسها تحت أي ظرف . ولا يستطيع السفير الالماني أن يفعل شيئاً . عليّ أن أحصل على توصية للسلطان من النمسه . وأسهم روسيه مرتفعة في تركيه منذ خط حديد بغداد . فقد حاولوا اقناع السلطان بأنه من الافضل الا يعتمد على صديق واحد (المانيه) يطالب بامتيازات مثل هذه لنفسه . والنفوذ الروسي قوي في القسطنطينية حالياً .

وأخيراً سألني « متى ستذهب إلى القسطنطينية ؟ »

« لست أعلم بعد يا سمو الامير . سأذهب أولا إلى لندن . سأحاول أن أتكلم مع اللورد سولزبري اذا كانت متاعب جنوب افريقيه تترك فراغا في رأسه لامور أخرى . ولعلني أستطيع اثارة اهتمامه بالصهيونية . ان لفكرة الصهيونية الصرف بدون الحماية الالمانية أصدقاء عديدين في انجلتره . وخاصة في الكنيسة . وبكل تأكيد لها نفوذ اجتماعي ، وربما نفوذ سياسي أيضاً .

فهز رأسه موافقاً .

« اذا نجحت في كسب اللورد سولزبري ، هل توجد فرصة بأن تتدخل المانيه لمصلحتنا ؟ لانه يبدو أن هذا هو الاعتراض الوحيد الذي يدعو للقلق . »

فقال الدوق الكبير « في تلك الحالة يجب أيضاً اقناع الكونت بولو . »

قلت « لسوء الحظ أن الكونت بولوخصم للصهيونية »

قال الدوق الكبير « انه مجرد حذر . ثم انه يجب أن يكون كذلك . »

« لكني اذا تمكنت من حمل اللورد سولزبري على ارسال كلمة إلى برلين وربما خطياً ، بأن ليس لديه شيء ضد مشروعنا ، الن يعدّل ذلك من موقف المانيه لمصلحتنا ؟ »

« نعم ، قد يكون ذلك مختلفاً » .

« سأحرص على وضع تقرير اذا حصل شيء له أهمية في لندن » .
(ص ٩٢٩ – ٩٣٢) .

وفي الوقت نفسه كان هرتزل يتآمر على الدوق الكبير :

« أظن اني لم أكن قد وصلت غرفة الحرس حينما كنت قد قررت أن استغل هذه المحاولة الفاشلة ، بأن أُخبر كويربر في فينه بهـذا الاستعراض للسياسة الالمانية التي تهم النمسه كثيراً . أما إلى أي حد استطيع أن أستغل ما صرح الدوق الكبير به عند اللورد سولزبري فلست أدري حالياً » .(ص ٩٣٤) .

وذلك بان نقل لرئيس الحكومة النمساوية اقوال دوق بادن الكبير واراءه :

« قال [كويربر] انه أبلغ الامبراطور والكونت جولوتشوسكي برسالتي الباريسية . وسيقابل جولوتشوسكي بعد الظهر ويبلغه المعلومات التي سوف أُبلغها له الان . قلت ان الناس يعللون سياسة المانيه الموالية لانجلتره بأنها حصلت على شيء ما ، جزيرة أو ما شابه . أما أنا فاعتقد أنهم حصلوا على شيء ما – على الهلع . أنهم يخافون من حرب بحرية مع انجلتره تحطم تجارة المانيه وصناعتها ولذلك هم حريصون على عقد حلف ثلاثي .

قال كويربر انه سوف يبلغ جولوتشوسكي ذلك . » (ص ٩٤٣) .

لماذا فعل ذلك كله ؟ لماذا افشى اسرار المانيه الى النمسه ؟

« فعلت ذلك فقط لكي يوصي به إلى جولوتشوسكي ، ولكي يوصي جولوتشوسكي بي إلى السلطان . » (ص ٩٤٨) .

وكانت علاقاته مع السلطان تقوم على الخداع أيضاً . فمثلاً كان يكتب عشرات الرسائل الودية ويملأها بتعابير العبودية ويرسلها الى السلطان لينال منه موعدا ، حتى اذا رفض السلطان يرسل له رسالة تهديد مثل هذه التي كتبها في ٣١ – ١٢ – ١٩٠٠ .

« اذا لم استطع أن أحني القوى العليا ساحرّك العـــالم الادنى . سأبدأ في أواسط كانون الثاني رحلة بين أصدقائي من رجال المال لاقنعهم على حرمان الحكومة التركية من جميع الموارد المالية . لعل ذلك يبرهن لهم على أن « دوري» [أي هو] ليس كمية مهملة . إلا أنني ، كيهودي حقيقي ، أود أن أقـــدم فرصة أخيرة لاتفاق ودي . ما أُريده هو أن تكتب إلى كوهين [أي السلطان] رأساً انذارا ودياً يحمل هذه النقاط ولكن بكلماتك أنت ، فتكون الرسالـــة أكثر مهارة وتركيةً مما لو كتبتها أنا :

عزيزي كوهين ، بفضل صداقتي الحميمة مع دوري استطيع أن أبعـــث اليكم بهذه المعلومات التي قد تجدون منها فائدة — أي تتجنبون بها بعض الاذى . منذ سنوات ودوري واصحابه يؤدون لكم الخدمات ، أو يعرضونها عليكم . وحينما إندلعت نيران الحرب اليونانية ، أرسل دوري خمسة أطباء إلى مسرح القتال على حسابه . وفي مناسبات عديدة كان يتغنّى بحمدكم في صحفه ، وكان يدافع عنكم ويقوم بدعاوة لكم . وكان أول شيء يفعله في مطلع كل مؤتمر أن يرسل لكم برقية ولاء . وعندما سمع أن حكومتكم تحتاج إلى مال حاجة مـــاسّة عرض للحـــال مبلغ سبعمئة الف جنيه بشروط أفضل كثيراً مـــن شروط السوق . ولكنه لم يتلق رســـالة شكر واحـــدة . بـــل انه ، كجواب على لطفه الاخير ، تلقى صفعة على الوجه من وكالة انباء شبه رسمية. قالت احدى نشراتها ان الحكومة التركية تمنع الاسرائيليين من دخول فلسطين لان الحركة الصهيونية تسعى لتأسيس مملكة يهوذا . وهذا باطل . كل ما يريد الصهيونيون أن يفعلوه هو أن يعمّروا بلاد فلسطين ، تحت سيادتكم ، بعمال مسالمين غير سعيدين أبدا في الاماكن الاخرى . انكم ، وامبراطوريتكم كلها ، سوف تنالون فوائد كثيرة من هذا . الا تريدون ذلك ؟ حسنا . لا احد يريد ، ولا يستطيع ، أن يفرض عليكم صداقة اليهود . لكن ما دام لا امل لليهود فيكم لا مجال لكم لتوقع أي شيء منهم . لقد ابلغني دوري مؤخراً أنه سيبدأ في أواسط يناير رحلة على أصحاب النفوذ من رجال الاقتصاد من أصدقائه ،

ليحملهم على عدم منحكم أي قرض حينما نكون بحاجة اليهم.وقد كتب الي ان المفاوضات تجري الآن مع الحكومة الكندية بشـأن الهجرة ، اذ أن هذه الحكومة تميل إلى تأييد الفكرة .

اذا كنتم ترغبون في سماع نصيحتي الرجاء استدعاء صديقي دوري رأساً ، قبل أن يشرع في أمر قد يوجد لكم المتاعب . كونوا لطفاء معه . اسمعـوا له على الاقل – ويظل بامكانكم رفض عروضه اذا لم تكن مناسبة . لكنكم ، بهذه الطريقة ، تحتفظون بصداقته ، هو الذي يستطيع أن يفعل بكم خيرا في عالم الصحافة والمال أكثر مما تتصورون . » (ص ١٠١٧).

وكان قبل أيام قد أبرق الى السلطان :

« لي الشرف ، باسم صهيونيي البلاد كلها ، أن أرفع إلى قدمي عرشكم أحرّ الأماني وأصدقها من أجل ازدهار حكم جلالتكم المجيد واستمراره . » (ص ٩٧٧) .

بينما كان له رأي اخر بالسلطان يكتبه بالسر . كتب عنه الى فامبري في ٢١ – ٦ – ١٩٠٠ .

« كلامك غير مريح . إنك تقول « باواش » [مهلاً] كأنك تركي أصيل . لكن لا وقت لي حتى أُضيعه . وبالطبع لا حاجة ليعرف « ابن الحرام » بأن الأمر جديد عليك . أعتقد أنه « بعد تفكير طويل ومعالجة عميقة » تستطيع أن توحي بهذا الحل أمامه كأحسن حل . وبالطبع لا حاجة لأن تحصي له عدد السجاير التي دخنتها وآلاف فناجين القهوة التي شربتها وأنت تفكر في الموضوع ...

من الطريقة التي وصفت بها صلتك به ، لست أرى لماذا لا تكتب إلى كوهين وتقول « إسمع ، أرسل وراء الرجل . إنه يقضي لك على مصائبك . أصغ له . تأمله . ثم تستطيع دائماً بعد ذلك أن تقذف به خارجاً » . (ص

٩٦٧ – ٩٦٨) .

وهذا تهديد آخر للسلطان ، في رسالة بعث هرتزل بها الى وكيله فامبري في ١٧ – ١ – ١٩٠١ :

« لقد انتهى موعد العرض . وبطل مشروع قرض الثماني مئة ألف جنيه . وانسحبت مؤسسة «لسّا وكان» مما يلغي كل وعود اللجنة السابقة . لقد تحملت العار أمام هؤلاء الماليّين بسبب الخداعي بكوهين وزملائه في القسطنطينية . يجب عدم الإهتمام بالعملاء هناك . تصوّر أنهم ، في اللحظة الأخيرة ، طالبوني بزيادة البخشيش عما اتفقنا عليه مسبقاً . بالطبع كان ذلك هو القشة الاخيرة « التي قصمت ظهر الجمل » . .

لعلك تذكر اني كتبت لك ان رئيس الصندوق الاستعماري ادخل مؤسسة «لسّا وكان» فقط من أجل هذا القرض الصغير . اما مشروعنا العظيم فلا بد أن تديره سلطة مالية أكبر . لكني اعتقد اننا يجب أن نبدأ بارهاق كوهين اولاً حتى يستجيب لنا . » (ص ١٠٥٥) .

ومن أكبر الادلة على خديعة هرتزل للاتراك أنه كان يستاء من أخبار تحسن أوضاع تركيه . مثلاً في ٥ – ٥ – ١٩٠١ كتب ما يلي :

« في « الجريدة الحرة الجديدة » اليوم رسالة من رومه ، عن استجواب دي بالزو في مجلس النواب حول منع هجرة اليهود إلى فلسطين . يبدو منه أن الحكومة التركية طلبت من الدول في العام ١٩٠٠ مرتين منع الهجرة اليهودية . ولم تجب الدول . غير أن أسوء شيء اليوم هو ارتفاع السندات التركية في البورصات . يبدو أنها الضربة التي من أجلها ذهب توسج ، ذلك المحتال ، الى القسطنطينية . وانا عاجز . فقط لو كانت عندي الجريدة التي خسرتها في كانون الثاني بغباء لا يوصف . » (ص ١٠٩١) .

ولم يكن لدى هرتزل أدنى مانع من استخدام أناس لا يرضى عنهم ،

امثال كرسبي ومحمود نديم . كتب عن أولهما :

« جاءني القنصل العام فشل فون ديرسزتي يحمل رسائل من كرسبي الذي يطلب معاشاً شهرياً بما بين ألف وألفي فرنك . أخبرته أنه أجدر بكرسبي ألا يتصرف بحمق . إني غير مهتم بأي علاقة معه قبل أن يحصل لي على موعد مع السلطان . أما بعد الموعد فلن يصعب توظيف كرسبي كمراسل براتب ألف إلى ألف وخمسمئة فرنك في الشهر . » (ص ١٠٦٠) .

وكتب عن كليهما بعد ذلك :

« ذهبت لرؤية ديرسزتي ، وهو يهودي قذر بقدر ما هو ثري ، من أصحاب التفكير الحر . وواضح أنه كان يكسب من كرسبي مقابل وعده لهذا النصّاب الشرقي بأن يوصيه لي . ولعله يريد الآن وساماً ما ، ما لم يكن يستعمله في مضارباته — هو الذي يحصل على مئات الألوف من الجيلدرات كراتب سنوي من عمه .

بالطبع ، تصرّفت وكأني لا أحتقره في نفسي . لكني طلبت منه أن يطلب من صديقه كرسبي ألاّ يكتب لي بأُسلوب سفيه ، وإلاّ قطعت علاقاتي معه رأساً وبدون ضجيج . ومن الطبيعي أني لا أُصدق كذبة كرسبي بأنه لم يحصل على شيء من الثلاثين ألف فرنك . بل اني لم أبحث إذا كنت قد خُدعت أم لا . لكن عليهم ألا يستغبوني ، حتى وإن كنت كريماً معهم . فوعدني ديرسزتي بأن يكتب حسب رغبتي .

ثم ذهبت لرؤية السفير محمود نديم بك الذي رحّب بي بهاتين الكلمتين « مبروك يا أفندي » . وسرعان ما انطلق وأخبرني بكل همومه وحماقاته . إذا كان هو ديبلوماسياً ، ماذا أكون أنا ؟

شكا من كل سكرتيريه ، الذين يتجسسون ويفترون عليه ولا يعملون شيئاً . لا أحد سوى الكذبة والحمقى والسفهاء . وقال إن السكرتير الأول في

السفارة يكتب تقارير إلى القسطنطينية يصوّره فيها كسكير يترنح طول النهار على أرجله الأربعة . على أرجلي الأربعة يقول الحمار .وليدلل على ذلك أمامي : نهض وأخذ يمثّل دور السكران . إستغرق تمثيله الهزلي هذا نصف دقيقة . وإذا كنت من قبل أنظر إلى عبثه كتظاهر ذكي بالبساطة فإنه بعد هذا التصرف المضحك لا يبقى مجال للشك بأنه حمار بالفعل .

ثم أخذ يفضح السكرتير الثاني الذي ، كما قال ، يأتي من عند خليلته في التاسعة والنصف صباحاً ، فيشعل عدداً من السجاير ، ثم يترك في الحادية عشرة ، وهكذا يكون عمل نهاره قد انتهى . ثم هاجم مستشار السفارة ، وهو مصري جاهل لا يكتب ولا يقرأ ، وزوج إمرأة مسلمة تحضر الحفلات الساهرة بفساتين تكشف عن جسمها . وهي أخت الخديوي. وقد طلبت منه أن يعرّفها على الإمبراطور . لكنه رفض لأن ذلك يعارض التقاليد الإسلامية .

ثم أخذ يشكو من الأوضاع في تركيه — سوء الإدارة والنصب . لا يزال له بذمتهم أربعة آلاف وخمس مئة جنيه كرواتب متأخرة . وعليه أن يدفع عُشر راتبه للمرابين . فتجاهلت الأمر . إذا أثبت يوماً أنه نافع لنا سأقرضه بفائدة أربعة إلى خمسة في المئة .

وتكلم سوءاً عن عزت الذي سماه « العبقري الشرير » . صحيح أن أسهمه سقطت عند السلطان مرة ، لكن السلطان لا يستطيع أن يقصيه عنه لأنه يشاركه أسراره . أما إذا اختفى فإن السلطان سوف يشعل أربع شمعات في كنيسة غير كاثوليكية . » (ص ١١٤١) .

وفي حزيران (يونيو) ١٩٠١ ، حينما كان هرتزل في أضعف أوضاعه وكان يجابه عقبات كبيرة وضعها زملاؤه واليهود عموماً في وجهه ، كتب إلى السلطان يكذب عليه قائلاً :

« لي الحظ أن أخبركم اليوم أن الأمور حسنة . وجدت تقبلاً عند أصدقائي يسمح لي أن آمل أن أعرض عليكم عروضي في هذا الشهر . لكن يجب ألا

أنكر أن هناك أيضاً يهوداً لا يشاركوني آرائي . بإمكان جلالتكم . بحكمتكم السامية ، أن تدركوا بسهولة غاياتهم والمصالح التي يخدمونها . لقد خطر لي ، بادىء الأمر ، أن أخلق رأياً عاماً موافقاً على مشروع مساعدة المالية العثمانية ، ومن أجل هذا الغرض سألقي خطاباً في لندن في الاسبوع القادم ، في نادٍ يهودي أنا عضو فخري فيه يقيم مأدبة لي . ومعروف عني في لندن، مثل غيرها، أني لا أسعى وراء مصالح شخصية ، وهذا ما يجعلني أؤمن بأنه سوف يكون لكلامي وقع خاص » . (ص ١١٥٧) .

وهذا مثل آخر على أساليب هرتزل الخداعة . في ٤ ـ ٣ ـ ١٩٠٢ كان يبتغي مساعدة ريتلنجر لتأمين مال كاف لمشروعه في تركيه . لذلك وعد ريتلنجر باعطائه مسؤولية العمل . ولكنه ، وفي اسفل الصفحة التي ذكر فيها ذلك ، كتب يسخر من الرجل :

« قد أتمكن ، بموافقة لجنة العمل ، من تسليم الدور الذي يريده كوهين لي إلى أحد رجالنا المخلصين والمعتمد عليهم ، شرط أن يقبل هو (كوهين) برجل آخر غيري . لكن على هذا الرجل الآخر أن يتقيد بما تقيّدت أنا به : التعهد بأن أي ربح يجب أن يذهب إلى صندوق الحركة . ما رأيك بذلك ؟ ...

سيعتقد ريتلنجر أني أعنيه هو . وبذلك أضمن سكوته فيما إذا لم يكن مخلصاً . » (ص ١٢٤٧) .

أن قيمة كل شيء ، عنده ، هي مدى خدمة الشيء له :

« ذهبت لرؤية فامبري . زيارة لا طائل منها بالمرة، كما كنت أعلم مسبقاً . لكني كنت مضطراً لتحمل مشاقّ زيارته . وإلاّ فإنه يعتقد أني لم أعد شاكراً له ولا مخلصاً . إنها تضحية بدون أي فائدة. » (ص ١٢٤٩) .

وهذا مثل آخر على الاساليب الخداعة . ذهب إلى مصر لمفاوضة اللورد كرومر والحكومة المصرية حول الحصول على أرض العريش لبناء مستعمرات

لليهود فيها ، في أذار (مارس) ١٩٠٣ . هناك أخذ يتلاعب بالالفاظ والتعابير لخداع السلطات ـ كتب في ٢٨ ـ ٣ ـ ١٩٠٣ :

« يقول كرومر إنه يجب أن نطلب التنازل الآن من الحكومة المصرية . أصلح ستفنس تخمينات كرومر الخاطئة بخصوص حجم سهل بلوسيوم وكمية المياه التي يحتاج إليها . وكرومر يعتقد أن منح التنازل هذا سيأخذ عدة أشهر ، على كل حال سيتم الأمر هنا وليس في لندن . وبهذا يكون قد هُزىء بـــه ، طبعاً أستطيع أن أرسل التقرير إلى لندن لو أردت أن أفعل ذلك .

ثم صَرَفَنــا .

وجد جولدسمد تعليقات كرومر مرضية . » (ص ١٤٥٣) .

« كان النائب العام كارتون دي فيارت هنا . أعطيته تعليمات . سنتخلى عن الكلمة « إمتياز » ولكن لن نتخلى عن الإمتياز نفسه . أظنه فهم .

وأعدت عليه ما قال تاليراند عندما كان نابوليون يبحث معه ومع سييس مواد الدستور .

قال سييس : « يجب أن يكون الدستور موجزاً و ... » فأكمل تـــاليراند جملته بقوله : « ومبهماً » . (ص ١٤٥٤) .

وقد حاول ، وهو في مصر ، ان يستغل أكثر من مشروع . ولذلك اهتم بالسير وليام ولكوكس ، خبير الري والقنوات في العراق . ودعاه إلى الغذاء واستمع إلى محاضرة له . ووصفه بقوله : « أنه يتصرف كمن يستطيع أن يحل جميع المشاكل . على كل حال أريد أن أبقيه إلى جانبي » (ص ١٤٥٤) . كما أهتم بوزير العدل ، البريطاني في مصر ، مالكولم مكلريت :

«أظنه شعر بأهمية الأمر عندما أخبرته أن تشمبرلين قد ساعدني وان لورد روتشيلد سيقوم بالتمويل . وذكرت فائدة مشروعنا لانجلتره . فسأل بشيء من السخرية «وما فائدته لمصر ؟ »

أجبت : ستستفيد مصر إقتصادياً ، على الأقل ، المال الذي ندخله سيبقى هناك .

قال مازحاً : نعم اذا لم يغرق هذا المال في بطن الأرض . وباختصار بقي حديثنا في منتهى الصراحة والاحترام .

وأكثر ما يضحك هو الطربوش الذي يلبسه على الطريقة الخديوية المصرية .

واتفقنا في النهاية أن نجتمع مع كارتون فيارت غداً ، الثلاثاء، لنقدم له مسودة التنازل . » (ص ١٤٥٥) .

وأتصل مع معظم كبار المسؤولين البريطانيين في مصر :

« رأيت بعد ظهر أمس النائب العام كارتون ، وأخبرني ان لورد كرومر بعث وراءه ليلة أول أمس وتحدث معه في المشروع مدة ساعة ونصف الساعة . وهكذا يبدو أن لورد كرومر يولي المسألة اهتماماً أسرع مما يتوقع » . (ص ١٤٥٦) .

« تكلمت أمس مع السيد روكاسيرا المدعي العام للحكومة المصريـــة ، وكانت الحكومة المصرية قد أوصت بأن يكون التنازل موجزاً (وهذا يوافقني تماماً) وأن يكون عقد ايجار وليس ملكا حراً . إني أطلب ايجاراً لتسع وتسعين سنة ، وتعيين التعويض وفقاً لمعدل عشرين السنة الأخيرة . » (ص ١٤٥٦) .

كتب هرتزل في يومياته ، وفي الصفحات الأخيرة منها بالذات ، هذه الكلمات ، في ٢ ــ ٣ ــ ١٩٠٤ :

« يجب أن يستعمل الإنسان أية وسيلة للوصول إلى غايته . » (ص ١٦١٦) .

من هذه الوسائل ، وعلى رأسها ، كمـــا رأينا سابقا وعشرات المرات : الرشوة . كانت الرشوة سبيله إلى الناس . وسنقدم عدة أمثلة على ذلك ، تتمة للامثلة التي قدمناها من قبل :

« بما أنه [برنارد لازار] أخبرني أنه ينوي الذهاب إلى القسطنطينية كمندوب عن وكالة الاخبار البرقية « الوكالة الوطنية » ، سألته اذا كان يحاول كسب السفير كونستان لصفنـا . يقال أن كونستان ينُال بـالمال . وبامكان المرء أن يوحي اليه بالنتائج الاقتصادية لتنظيم واسع النطاق في فلسطين نقوم نحن به : موانىء وسكك حديد وغير ذلك ، وبأنه قد يكون له نصيب مالي في هذا التنظيم . » (ص ٩٤٢) .

« أحضر برس ، معلم للفرنسية ، راهباً اسبانياً ملحقا بالسفارة الاسبانية اسمه دون ديجو لاستراس ، لمقابلتي . وهو بحاجة إلى ثلاثة الاف جيلـدر كتعويض للكهنة . فوعدته بأن أُفكر في طريقة للحصول على المبلغ . واعتقد اني سأتمكن من استخدامه في رومه في وقت من الاوقات . كنت اعطيته المبلغ لو توافر لي . لكني ساحاول تجميعه له . كان لاستراس أباً دومنيكياً ثم أصبـح قس ابرشية . اني أُريد كثيراً أن يكون لدي مساعد كاثوليكي ايضاً . » (ص ١٠٦٨) .

« بين المساء والصباح خطر لي اسم الشخص الذي سيستميل مجلس النواب الفرنسي لنا : روانيه ، الذي ، حسبما أخبرني ليفن في سالزبرج ١٨٩٥ ، قبض نقوداً لخطابه عن اليهود . » (ص ١٠٦٩) .

وحينما اجتمع إلى السلطان في شهر أيار (مايو) ١٩٠١ في أسطنبول ، تعمد هرتزل أن يوزع البخشيش على الفقراء امام القصر ليذيع الناس خـبر ثرائه :

« غادرت الصالون . وفي الخارج كانت اياد كثيرة تمتد نحوي طلبـا للبخشيش . فوزعت عليها قطع ذهب . » (ص ١١١٨) .

« هناك أيضا حصل عراك في طلب البخشيش . والتمّ جمع حول عربتي . فوزّعت ما كان لديّ من نقود . » (ص ١١١٨) .

وبعد المقابلة ، دفع مالاً لكل من كرسبي ونوري بك ، اللذين زعمـا

أنهما دبرا أمر المقابلة له :

« جاء كرسبي . انه وزميله في الجريمة ، نوري ، يطالبان بالمكافأة على ما قد فعله فامبري . عليّ أن أرضخ . اراد أن يصحبني إلى نوري . لكني رفضت صحبته وقلت علينا أن نكون حذرين فلا يرانا الناس معاً . وبعد نصف ساعة ذهبت إلى نوري ، الذي ، بالطبع ، تصرف كشخص مهم ، وكأنه هو الذي فعل ذلك كله . تركت له تخيلاته . فان أحد فنون العمل عند الزعيم العظيم أن يسمح لنفسه بأن يُسرَق . فقط أجعله يبتهج كلص- وهو لص على أي حال . » (ص ١١١٩) .

وحينما زار اسطنبول للمرة الرابعة ، في شباط (فبراير) ١٩٠٢ ، تعمد أن يوزع المال أمام القيصر . ولذلك لما عاد إلى اسطنبول مرة أخرى في تموز (يوليو) من العام نفسه كان الشحاذون لا يزالون يذكرونه :

« امتدت إليّ عدة أيد بقبضات مفتوحة قبل أن أصل بوابة قصر يلدز . وبما أننا في « بلاد العجائب » ، كما أقول دائماً لجو الطيب ، كان علي أيضا أن أرشّ قطعا من الذهب حيثما اذهب ، مثل أمير شرقي .

وأظن أن سمعة كرمي قد ازدادت بفضل هذه البخاشيش الصغيرة في الجو الاسطوري اللاهب لبلاد العجائب هذه . فلا بد أن تجتاح القصر ، كلما ظهرت ، حمىّ الذهب . ذلك لان أعيننا كثيرة ، ومعظمها أعين الجواسيس ، ترى هذا المطر من الذهب . فاذا كنت أعطي البواب هذا المقدار ، كم أعطيت أصحاب السعادة الذين اجتمعت بهم الاجتماعات السرية المطوّلة . كل يلدز يفكر هذا التفكير . وسريعاً ما يجاريه الباب العالي ، والمدينة ، والبلاد بأسرها . أن قطع الذهب هذه التي أفقدها على المدخل هي من ضمن استثماراتي المفيدة جداً ...» (ص ١٢٣١) .

« بدأ طالبو البخشيش عند مدخل يلدز يحيوني بابتسامة مألوفة . انهم يعرفون ما امطرهم به عند خروجي . » (ص ١٣١٣) .

وبالطبع كان كبار رجال الدولة العثمانية هم المنتفعون أكثر من غيرهم من أموال هرتزل وحركته الصهيونية . ولم يكن يتعامل معهم الا من خلال الرشوة ، أو على الأقل الوعد بها تلميحا أو صراحة . فحينما أعاد الاتصال بعزت بك ، في ٤ ـ ٦ ـ ١٩٠٣ ، بعد انقطاع عدة أشهر ، كتب له رسالة أخرى ، على ورقة منفصلة غير الرسالة الرئيسية الرسمية . كتب له بها :

« كم تريد لنفسك اذا نجح المشروع . أُطلب ما تريد واذكر على ورقة غير موقعة الطريقة التي تريدنا أن ندفع بها وابعث بذلك إلي في مظروف مختوم عليه اسمي فقط .

لن يعرف حامل الرسالة ما فيها ، تستطيع أن تعطيه طلبك هذا ، ويبقى كل شيء سراً بيني وبينك فقط . » (ص ١٥٠٣) .

وتعرف ، بعد اسبوعين (في ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٠٣) على تركي من أصل يهودي اسمه عادل بك . فوعده بألفي ليرة تركية «اذا نجح في الحصول على الامتياز » وبالفي ليرة أخرى لامين صندوقه (ص ١٥٠٨) لم يكن الرجل إلا نائبا عاما . أما عزت بك ، مستشار السلطان ، فان نصيبه سيكون أكثر بكثير . كتب له في ١٢ ـ ١٢ ـ ١٩٠٣ ، بعد أن اعتقد هرتزل أنه اقترب من الظفر برضى السلطان (بفضل ما وعده الروس به من التوسط لمصلحته مع السلطان)

« اذا توصلنا إلى اتفاقية فسوف اقدم لك عشرة آلاف جنيه في اليوم الذي تُوَقّعُ فيه الاتفاقية . وأنا مستعد أن أكتب هذا المبلغ بأي صيغة قانونية تريد : مثلاً باسم ابنك أو باسم أي شخص آخر .

كنت قد فهمتُ أن اعتبارات للسياسة الخارجية وخصوصاً مع روسيه منعت حكومة الامبراطورية من دراسة المسألة . ولذلك فقد سعيت جاهداً وبمساعدة أصدقاء لي في كل بلد أن أتخلص من هذه الصعوبات . وقد نجحت في ذلك وقضيت على الصعوبات وستبلغ بذلك رسمياً عن قريب ، اذا لم تكن

قد بُلغت حتى الآن . لذلك فأنا الآن أُقدم ثانية عرضي الذي إلى جانب ما سيكون فيه من دخل للخزينة الامبراطورية – في امكانية القرض – سيكون منه أرباح أُخرى ؛ يمكن ايجازها بكلمة هي : اعادة تنظيم اقتصاديات بلدكم العظيم الذي أُحبه كل الحبّ .

نستطيع أن نجد أرضاً في غير مكان . ولقد وجدناها ، ولا شك أنكم قرأتم في الصحف أن الحكومة الانجليزية عرضت علينا مقاطعة تتراوح مساحتها بين ستين الفاً إلى تسعين الف فرسخ مربع في افريقيه ، وفي بلاد غنية خصبة ممتازة . ولكني مع هذا أعود إلى ايجاد خلاص الشعب اليهودي بين إخوانه في الجنس واقربائه في الدين الذين يعيشون في ظل الخليفة لنحمل اليهم ما عندنا من روح العمل والصناعة والتقدم الإقتصادي . » (ص ١٥٧٤) .

وحينما أبلغه جرينبرج، موفده إلى مصر، أن الخديوي يعمل ضد محاولة هرتزل إقناع سلطات مصر بمشروعه في العريش في ١٦ – ٢ – ١٩٠٣ ،رد على موفده بأن يقنع الحكومة التركية برشوة (ص ١٤١٧) . ثم علق على ذلك بنفسه :

« إن فكرة تسكيت المقاومة التركية مع الحكومة المصرية بالبخشيش كانت نتيجة حديثي اليوم مع الدكتور عبد الله جودت بك . بدأت علاقتي الجديدة هذه بطريقة غريبة . شكرني جودت على مراجعتي لشعره التي نشرت في الجريدة الحرة الجديدة . وطلب مني موعداً ليراني . دعوته إلى عندي وسرعان ما تحول الحديث إلى التكلم عن مشروعي . عرفت من الحديث أن عبد الله جودت عضو في حزب تركيه الفتاة وأنه صديق لليهود . وفي حديث آخر توصلت إلى استخدامه في ترجمة رسالتي إلى السلطان ، وقد قبل ذلك . وأبرقت إلى « بادي » الذي كنت قد طلبت اليه أن يجيء من القسطنطينية وفي خلال ثلاثة أيام من العمل انتهى جودت من الرسالة ومن نص الامتياز الذي سيقدم للسلطان . وقد كافأته

على عمله هذا باهدائه زوج أزرار للقمصان مرصع بالماس ، تردد قليلاً في أخذه وسرّه أكثر أن يأخذ كتابي « الارض القديمة الجديدة » الذي أعطيته اياه أيضاً . وسأل ما اذا كنت أعرف أحداً من القسطنطينية يستطيع أن يتصل لي بالوزراء وقال إنه على علاقة طيبة جداً مع ممدوح باشا وزير الداخلية .

وسار الحديث بنا إلى مواضيع مختلفة . قال إنه كان أحد أعضاء حزب تركيه الفتاة ولكن ممدوح باشا « صالحه » وهو الآن يحصل على ١٥٠٠ فرنك شهرياً لمنصبه كطبيب السفارة . ثم وضع لي مخططاً لتقسيم الحصص – ولكني اصررت على أن لا يكون هذا إلا بعد أن يوقع الامتياز – كما يلي : الفا جنيه لكل من الوزير الكبير فريد ، ووزير الحربية حسن ، ووزير الداخلية ممدوح ووزير العدلية عبد الرحمن ووزير المالية ناصيف ووزير التربية جلال وشيخ الاسلام . وقد يزاد على هؤلاء آخرون . وقد وعدته أيضاً بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه ومبلغ مئة جنيه لكل من كاتبي ممدوح (فائق بك والدكتور بهاء بك) ومئة أخرى لسكرتير شكري باشا كابتن وصفي بك . أما الجنرال شكري باشا فله حصتان – لأنه ابن وزير الحربية . بالمناسبة سأزور شكري غداً لان جودت سيطلب اليه أن يكتب اليوم إلى أبيه كي يعمل على استمالة سائر الوزراء . إن وزير الحربية،كما يقول جودت ، مليونير ، ولكنه يقبل بأقل شيء حتى لــو كانت هدية بجنيهين .

قبلت بكل هذا ، لأنني لن أكون مسؤولا عن أي شيء إلا بعد التوقيع على الامتياز ، ولأني وجدت أسعار جودت رخيصة بالنسبة لاسعار القسطنطينية. جودت ذكر فقط مبلغ ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ جنيه لكل وزير ، ربما طلب مني هذه الاسعار الرخيصة لما بيننا من زمالة أدبية . أما بالنسبة له فقد قال إنه يعمل حباً في القضية ، سواء نال شيئاً أم لم ينل،وحينما عرضت عليه القيمة التي ستقدم للوزراء قال إن الفاً تكفيه . على كل حال أجده محبباً في كل ما قال ، ولا بأس أن يأخذ هو أيضاً فهذه هي طبيعة المحيط الذي يعيش فيه . وقد تعجب جداً

عندما أخبرته اني لا آخذ شيئاً لنفسي وانما كثيراً ما أضطر لأن أدفع من جيبي لأجل الحركة . أظن أن هذا جعله يشك في اخلاصي ، هل يمكن لشخص لا يأخذ شيئاً أن يكون مخلصاً وصادقاً ؟ . » (ص ١٤١٧) .

لكن الرشوة لم تنفع . وردته برقية أخرى من جرينبرج أزعجته كالأولى في ١٧ – ٢ – ١٩٠٣ :

« يقول إنه من المستحيل الحصول على امتياز من الخديوي . وانــه – جرينبرج – قدم مشروعا آخر كبديل للأول وأن هذا المشروع هو قيد الدرس الآن . وانه كان يعمل حسب تعليمات كرومر ، وانه في انتظار قبول الخديوي وانه يأمل أن يترك في اليوم التالي وانه ينوي أن يقوم فقط بما هو ضروري بالنسبة لتعليماتي بخصوص القوميسار التركي . » (ص ١٤١٩) .

ومرة أخرى ، كان علاج هرتزل للمشكلة هو الرشوة :

« رسالة إلى ولش : عليه أن يزور فائق بك ، السكرتير الخاص لمدوح باشا ، وزير الداخلية (ومعه بطاقة التوصية التي أعطانيها جودت بك) ، ليخبره ان كل وزير سيأخذ مبلغ ٢٠٠٠ جنيه مني ، اذا منحنا ما طلبته في رسالتي الأخيرة وسيكون لفائق بك هدية أيضاً (مئة جنيه) . » (ص ١٤٢٤) .

والحقيقة أننا نظلم رجال الدولة الأتراك إذا كنا نعتقد أنهم وحدهم الذين رشاهم هرتزل وتوصل إلى كسب رضاهم على مشاريعه بالأموال والوعود . فإن رجال هرتزل ، اليهود الصهيونيين ، هم أنفسهم ما كانوا يخدمونه إلا بالأموال ، وبالرشوات . هذه قصة واحد منهم ، حصلت عند البحث في إرسال البعثة إلى مصر في شباط (فبراير) ١٩٠٣ :

« وقعت أمس حادثة صغيرة مع البروفسور كلنر . اني أحبه من زمان . قبل أن يصلني تقرير جرينبرج الذي أضعف آمالنا ، وعندما كنت ما ازال أفكر بأقامة مدينة بلوسيوم – سيربون فكرت بأنه عند تأسيس المدن الجديدة

يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار الامكنة التي كانت فيها المدن القديمة وذلك بسبب الطقس لان المدينة هي نتيجة خبرات وملاحظات عن الرياح والطقس خلال حقب وأجيال . طبعاً قد يتغير الطقس في أيامنا هذه في مكان ما بواسطة ازالة الأحراج والتجفيف وغيرها من الوسائل الحديثة انما تظل مناطق البحر والشواطىء قليلة التغير ، ولا أظنها تغيّرت منذ وقت [الفرعون] بسماتيك ، عدا ذلك التغيّر الذي حدث بقطع ذراع النيل بحفر قنال السويس . لذلك أردت أن أبحث في الوثائق القديمة ، خاصة تلك التي كتبها مؤرخو اليونان، عن آثار الاماكن التي كانت صالحة للسكنى . وقد قررت ان أوكل كلنر الذي كنت سأعينه سكرتيراً عاماً على كل حال ، بتحضير تقرير عن بلوسيوم وبحيرة سيربون معتمداً على المصادر القديمة .

ولهذا السبب أدخلته في الحملة المصرية وشرحت له ما أُريد ، ولكن خاب أملي عندما جاءني جوابه . كنت أنتظر منه فرحاً وحماساً ، ولكن ذلك ربما لا يكون إلا من الاصغر سناً .

قال : لا أُريد أن أكون أحمق كالعادة . جوابي هو : خمسمئة جيلدر .

قبلت بذلك ، ولكن عندما وصلني تقرير جرينبرج الغيت هذا التعيين مؤقتا . صحيح أنه معلم مُتعب وفقير ، ولكني أنا أيضاً متعب وفقير ، كم يجب أن أطلب أنا إذن ؟ » (ص ١٤٣٠) .

وهذا ليباي صديقه الذي دبر له موعداً مع البابا ــ لم يخدمه إلا من اجل المال، في كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ :

« بعد انتهاء مقابلتي مع البابا ، قدم الي ليباي ورقة الحساب . إنه قلق ، يريد مالاً ، وقد توقعت ذلك ، يريد كثيراً من المال ، كمية من ورقات الالف لير . قال انه وقع تحت الدين بسبب اللوحة التي ترسم له ، لقد صرف عليها حتى الآن ما يقارب من ٣٠٠٠٠ جيلدر ، وسألني ما إذا كنت أعرف أحداً يستطيع أن يمدّه بهذا المبلغ . نصحته أن يذهب إلى سمسار لوحات فنية فقال

لا ، لا أحد يمكن أن يقدم هذا الدين إلا شخص من آل روتشيلد أو من آل جوتمان فهل لي أن أتكلم مع أحد من آل جوتمان عن هذا الدين ؟ طبعاً ولكني قلت اني لا أضمن النجاح . وقد رضي بوعدي هذا في الوقت الحاضر ، وأنا بالفعل أنوي أن أتكلم مع جوتمان عندما أذهب إلى فينه ، مع اني اشعر بشيء من الكره لمثل هذا العمل . وكل ما آمله هو أن يعرف الناس ما أنا عليه من عفة في الامور المالية . ان عمل ليباي هذا يدل على الدهاء، اذ لا عيب في الاستدانة عن حاجة . وما فائدة اليهود إذا لم يكن لمثل هذه الامور . أما ان لا تساوي الحاجة هذا المبلغ فلا يهم أيضاً ، لأنه يدل على غباء في اليهود . »(ص ١٦٠٧).

ونحن نرى في موقف هرتزل العدائي الشديد من شعوب العالم المختلفة ، بالرغم من تزلفه المستمر للحكومات ، صورة معبرة عن نوع السبل التي اعتمد عليها في الوصول إلى أهدافه .

وأول كل شيء ، كان هرتزل ضد ولاء اليهود للبلدان التي عاشوا فيها (والتي استثمروها وأثروا من خيراتها في معظم الأحيان على حساب شعوبها) . كتب في ٩ ــ ٦ ــ ١٨٩٥ ضد تجند اليهود في دولهم الأصلية (ص ٥٣) . لكنه في الوقت نفسه ، لا ينزعج من قيام حرب عالمية . وعلى العكس من ذلك :

« لاحظوا ان حرباً اوروبية ما لا تؤثر على مشروعنا . بل انها ستفيده . لان اليهود سينقلون ما يملكون إلى حيث يوجد أمان . » (ص ٦٥) .

وكتب في اليوم بعد التالي ، أي في ١١ ــ ٦ ــ ١٨٩٥ ، يشمت بدول العالم ويحرض أثرياء اليهود ضدها :

« لقد صرنا اداة تعذيب للشعوب التي اضطهدتنا ، إنهم يلاقون جزاء ما اقترف آباؤهم . ان اوروبه الآن تُعاقب على المعسكرات ، والحق اننا نتألم الآن بسبب الآلام التي نحن سببها ، انه جلد باذناب العقارب ، عقارب حية ، لا تلام اذا لم تتحول إلى اسود أو نمرة أو خراف . وبعد ألا تتعذب العقارب

من الجلد أكثر مما يتعذب الجميع . » (ص ٧٢) .

« لمجلس العائلة : انكم تقدمون هبات مالية يومياً لمشاريع خيرية تافهة وأحياناً لحكومات لا تعمل شيئاً لكم . ضعوا هذا المشروع تحت رعايتكم وفي خلال عشرين سنة سوف نشتهر في العالم بأسره . » (ص ٧٤) .

وفي اليوم الذي تلاه ، ١٢ – ٦ – ١٨٩٥ ، ناشد أثرياء اليهود خداع الشعوب الاخرى :

« أما تقدير الممتلكات وتصفيتها فافضل ما يجب أن تكون هو على يد شخص لاسامي . بذلك يبدو للناس اننا لا نريد أن نسبب أي خسارة للبلدان التي نتركها . » (ص ٨٣) .

وفي ١٣ – ٦ – ١٨٩٥ دعا آل روتشيلد أن يضغطوا على روسيه إقتصادياً إذا رفضت حكومتها أن تسمح لليهود با لهجرة منها :

« من المعقول أن يأتي وقت تشعر فيه الحكومة الروسية باستياء من جرّاء هجرة عدد كبير من الناس . في هذه الحالة يجب أن نعتمد على سياسة الدَّيْن التي سرتم عليها [الكلام لمجلس العائلة] لقد وضعتم قوتكم المالية مراراً في الماضي تحت تصرف روسيه . وأنا أسألكم لماذا ؟ فكروا في القوة السياسية التي تكمن في منحكم المال . وبالاختصار ، اذا كان عملنا منظماً وذا أهداف فسوف يسهل علينا أن نحوز على رضى الحكومة الروسية حتّى يكون آخر رجل منا قد ترك . » (ص ١٣٥) .

وهو يدعوهم أيضاً إلى سرقة الدول التي يهاجرون منها . كتب في الرسالة نفسها :

« تحُمل كنوز اليهود الفنية إلى الخارج ، وأنتم تعرفون أكثر من غيركم قيمة هذه الكنوز ، وقد تتدخل الحكومات لمنع اخراجها اذا لم تساعدونا باستخدام المعونات الديبلوماسية ، والاتصال بالشعب اليهودي بالاعلان . قد

تقوم الحكومات بما قامت به ايطاليه مؤخرا أعني به قرار منع تصدير المنتوجات الفنية .

كذلك فان حركتنا ستتأذى كثيراً اذا عملت الحكومات على توسيع نطاق المنع فشملت منع أخذ سائر الممتلكات المنقولة.هذا لن يؤثر على صغار اليهود ولكن كبارهم سيتأثرون كثيراً وستكونون أنتم، أيها السادة، آخر من سينزل بهم هذا القانون وأكثرهم تأذياً . لا تهملوا الناحية القانونية من قانون منع التصدير هذا . انه حرمان جزائي لحق التخلص من الشيء ، وحجز على حرية التصدير . » (ص ١٤٠) .

وقد احتوت تلك الرسالة إلى آل روتشيلد بعض نظرياته في القومية . فهو يعترف بأن ليس لليهود لغة واحدة ، وأن الدين فقط هو الذي يوحدهم. كتب في ١٥ ــ ٦ ــ ١٨٩٥ :

« قد يظن البعض أن عدم وجود لغة واحدة لنا سيسبب لنا متاعب . لا نستطيع أن نتحدث بالعبرانية ، من منا يستطيع أن يطلب بالعبرانية تذكرة قطار ؟ لا أحد ، ولكن الأمر بسيط . سيحافظ كل منا على لغته ، أنا يهودي هنغاري يتكلم الالمانية ، لا يعتبروني اليوم المانياً ، ولكن هذا سيظهر عندما نذهب إلى هناك . ليُبقِ كل واحد منا جنسيته المكتسبة ويتكلم اللغة التي أصبحت موطن أفكاره الحبيب . ففي سويسره البرهان الحي على أنه يمكن لدولة فدرالية مؤلفة من جنسيات مختلفة أن تقوم . أنا أؤمن أن الالمانية ستكون لغتنا الاولى . » (ص ١٧٠) .

« في الحقيقة ان الشيء الوحيد الذي ما يزال يجمعنا هو ايمان آبائنا .... الايمان يوحدنا » (ص ١٧١) .

وهذا هو تبريره العالمي لقيام دولة لليهود حسبما كتب في الوقت نفسه :

« إن أمة يهودية هي حاجة عالمية . إن العالم يحتاج إلى أمة يهودية لذلك يجب

أن تكون ، بمساعدتكم أيها السادة أو بدون مساعدتكم ، يجب أن تقوم عاجلاً ام آجلاً ، وعن حاجة ، حتى بدون هذا العرض . لن يتمكنوا من رمينا في البحر ، على الأقل ليس جميعنا ، ولن يحرقونا احياء ، إذ أن هناك جمعيات تمنع القسوة على الحيوان . اذن ماذا ؟ لا بد لهم في الأخير أن يجدوا لنا بقعة على هذه الكرة ، معسكراً عالميا في هذا العالم اذا صح التعبير .

هكذا ترون أن خطتي لا تخترع الحاجة ، هي فقط تبينها وتدل في الوقت نفسه على أن الامور يمكن أن تُنجز برضى الكل بدون اضطراب أو اجهاد أو ألم . لهذا فان خطتي هي حل . » (ص ١٧١) .

ولأنه يعتقد أن الخير ينتج عن الشر اعتقد أن على الشعوب الاخرى أن تلعب دوراً في مولد دولة اليهود .

« كيف ولماذا تسمح العناية الإلهية بانتشار الاوبئة ؟ لأن الاوبئة تعمل على ازالة المدن القديمة العفنة ليقوم مكانها مدن جديدة صحية زاهية ، ذات سكان يتنفسون بحرية أكثر . وكذلك الأمر مع اللاسامية ، ربما كانت عناية الهية لأنها تجبرنا على أن نتخلى عن الرتب ونتحد تحت الضغط وتجعلنا بسبب اتحادنا احراراً . » (ص ٢٣١) .

ولذلك كان هرتزل يتبنى رأي نوردو ، صديقه الصهيوني الرائد ، بأن اللاسامية لا بد أن تجبر اليهود على «محو فكرة الوطن القومي عند جميع الشعوب» (ص ١٩٦) .

لم يكن هرتزل يقبل بأن يكون لليهود ولاء آخر غير الولاء الصهيوني :

« على الإنسان أن يختار بين صهيون وفرنسه » . (ص ٢٧٢) .

كتب ذلك الكلام تعليقاً على قول كبير حاخامي فرنسه ، صادوق خان ، بأن « لمشاعره الفرنسية الوطنية حقاً عليه » (ص ٢٧٢) . بل إن هرتزل حكم

عليه بأن أمثاله لن يكونوا في عداد اليهود المهاجرين إلى « أرض الموعد » :

« لن تذهب أنت ولا أمثالك معي » . (ص ٢٧٢) .

وللسبب نفسه أعجبه اعتراف صموئيل مونتاجو (اليهودي البريطاني) له « بأنه يشعر أنه اسرائيلي أكثر منه انجليزي » (ص ٢٨٠) . واعتبر هرتزل الشعور القومي البريطاني لبعض يهود بريطانيه أهم نواحي المعارضة التي يجابه بها ويرفضها . (ص ٢٨١) . والواقع أنه لم يكن يجهل أن معارضة قوية قامت ضده بين اليهود بسبب دعوته لهم لعدم الولاء وعدم الإندماج مع الشعوب التي يقيمون بها بسبب الخطر اللاسامي الذي قد تعرضهم هذه الدعوة له :

« تكلمت مع باشر . عنده مخاوف خطيرة ومهمة . أهم خطر : قولي باننا لا نستطيع أن نندمج . سيتمسك اللاساميون بهذا ، كما سيتمسكون عموماً بكل قولٍ من أقوالي يستطيعون أن يستفيدوا منه وينقلوه عني .. » (ص ٢٨٩).

وبالرغم من كل هذا العداء للشعوب الأخرى ، وبالرغم من تخطيطاته الإقتصادية للإساءة للشعوب الأخرى ، كتب إلى المسؤول النمساوي باديني في ١٨ ــ ٢ ــ ١٨٩٦ ينفي أنه يريد تعريض اقتصاد الدول للخطر (ص ٣٠٣).

ألم يكن هرتزل قد كتب ، في مطلع يومياته ، في ٩ ــ ٦ ــ ١٨٩٥ ، إلى محرري مذكراته بعد موته يناشدهم أن يخفوا آراءه ومخططاته ، للدول الأخرى :

« يجب أن تحُذف تلك الملاحظات التي قد تزعج الحكومات الأجنبية . ولكن يجب أن يبقى تفصيل اسلوب المفاوضات ، حتى يعلم الشعب كيف قدت اليهود إلى بلدهم . » (ص ٥٥) .

الفصل الثالث

هرتزل واليهود

منذ الصفحات الأولى من يومياته أخذ هرتزل يبين بوضوح وبصراحة رفضه للوسائل التي كان غيره من اليهود يتبعونها في حل المسألة اليهودية ، سياسياً أو إقتصادياً أو إجتماعياً . كتب أواسط ١٨٩٥ :

« وفوق كل شيء ، صرت أرى محاربة اللاسامية خطرة ولا فائدة منها ، وان الخطب والكتابات المحصورة في أوساط منغلقة لا فائدة منها أبداً ، وقد يكون لها أثر مضحك . أنا لا انكر أن هناك إلى جانب المحترفين والمهووسين اناساً مخلصين جداً يعملون في « لجان الإغاثة » . إن هذه تشبه « لجان الاغاثة » التي تقوم بعد الطوفان وقبله ، وهي في ما تنجزه حقها تماما . ان النبيلة برتا فون ستنر على خطأ ولكنه خطأ يشرفها — عندما تؤمن بأن لجنة كهذه يمكن أن تأتي بنفع . تماماً كما هو الحال مع جمعيات السلم . ان الرجل الذي يخترع مادة متفجرة يخدم السلم أكثر بكثير من ألف داع له . » (ص ٦) .

وفي ثاني رسالة كتبها في ٢٤ — ٥ — ١٨٩٥ إلى المليونير اليهودي هيرش المحسن على اليهود الذي كان آنذاك يتزعم ، هو وروتشيلد ، رأس المال اليهودي والعمل الخيري اليهودي في العالم ، كتب هرتزل له هازئاً به وبوسائله في العمل :

« ان ما قمت به حتى الآن كان عظيما ، ولكن أسيء استعماله ، فكان

ثمنه غالياً وبدون فائدة . ما أنت إلا فاعل خير واحسان ، اريد أن اريك كيف تكون أكثر من هذا . ولكن اياك أن تظن انني صانع مشاريع ، أو انني نوع من الحمقى . » (ص ١٦) .

ثم لما اجتمع الرجلان ، للمرة الاولى ، في باريس ، في ٢ — ٦ — ١٨٩٥ ، قال هرتزل لهيرش بصراحة :

« هناك ، أول كل شيء ، فكرة الاحسان ، التي أعدها خطأ كبيراً ، انك بها تنشىء جيلا من المتسولين . اذ ليس هناك شعب أكثر من اليهود اتكالاً على التسول وتأثراً بالإحسان ، هذا ما يجعلني أفكر بخطر الاعتماد على هاتين الظاهرتين ، لأن الاحسان يدنيّ مستوى خلقنا القومي . » (ص ٢٠) .

وأخذ هرتزل يسخر من مشاريع هيرش بتهجير اليهود إلى الأرجنتين.قال له في ذلك الإجتماع :

« لقد سمعت أن يهودك الأرجنتينين يعيشون في غير نظام ، ولقد أذهلني أن هذا المأوى كان منذ البدء سيء السمعة ... أنت ترسل بهؤلاء اليهود إلى ما وراء البحار ، ليكونوا اعتقادهم بأنه يجب أن يعالوا في المستقبل ، وهذا آخر ما يمكن أن يجعل منهم رجالاً متشوقين للعمل . إن اليهودي المصدّر إلى هناك لا يفي بالتكاليف التي تصرفها على ذلك ، وبعد ، كم يهودي تستطيع أن تنقل إلى هناك ؟ خمسة عشر الفاً إلى ستة عشر ! إن عدداً أكبر من اليهود يعيش في شارع واحد في ليوبلدستاد . لا ، ليست الوسائل المباشرة هذه هي الافضل لترحيل جماهير من الناس . تستطيع أن تعمل أكثر بطرق غير مباشرة . إن جذب اليهود إلى مناطق ريفية يكون عن طريق تحبيبهم بها بقصص خرافية تخبر عن إمكان وجود ذهب فيها ، عليك أن تتحدث اليهم باسلوب خيالي كأن تقول : من يحرث فيزرع ثم يحصد يجد الذهب بين سنابله ، على كل حال ، أليس هذا صحيحا إلى حد ؟ غير أن اليهود يعرفون ان الذهب المغنم سيكون قليلا لذلك يجب أن تقول لهم وهنا بدون خيال ، من يعمل أحسن وأكثر ينال

مكافأة قد تكون كافية جداً . على اني لا أؤمن بأنه من الممكن توطين اليهود في أرياف البلدان التي يعيشون فيها الآن ، سيقتلهم الفلاحون بمناجلهم. ومن هنا نرى أن « هس » من أقوى معاقل اللاسامية وذلك لان اليهود فيهـا يشتغلون بالزراعة . لا تستطيع أن تبرهن على أي شيء بيهودك العشرين الفـا هؤلاء ، حتى ولو كان عملهم ناجحاً ، ولكن اذا فشلت هذه التجربة فانك تكون قد هيأت مأخذا على اليهود . » (ص ٢١) .

وقال هرتزل لهيرش رأيه بالهجرة عموماً ، التي كان بعض أثرياء اليهود يتعهدونها قبل قيام هرتزل :

« لذلك سواء بقي اليهود في مكانهم أو هاجروا يجب تحسين هذا الشعب بأسرع مـا يمكن . يجب أن يقووا كما لـو كانوا يستعدون لحرب ، وأن يُشجعوا عـلى العمل والفضيلة ، ومـن ثم يهـاجرون – إذا كان ذلك ضرورياً . ولتقوم بهـذا التحسين تستطيع أن تستخـدم مواردك أفضل مما قد فعلت حتى الآن . بدل أن تشتري اليهود واحداً بعد واحد يمكنك أن تقدم جوائز كبيرة ، في البلدان اللاسامية الرئيسية ، على أعمال خارقة ، مثلاً أعمال تنم عن جمال معنوي ، أعمال شجاعة ، وتضحية وتصرف مثالي ، على الانجازات البارزة في الفن والعلم ، تقدم جوائز للاطباء في حالات انتشار الاوبئة ، ولرجال الجيش وللاكتشافات والاختراعات التي تفيد المصلحـة العامة مهما كان ذلك ، وبكلمة موجزة ، جوائز لكل ما هو عظيم .

مثل هذه المكافآت ، لها فائدتان ، التقدم لكل انسان والدعاوة . الا ترى انه إذا كان العمل المستحق للمكافأة عظيماً ، سيكون مدار حديث في كل مكان ، وبهذا يعلم الناس أن هناك يهوداً مبرزين وان كثيراً منهم كذلك . ولكن الفائدة الاولى أهم ، التحسين العام . ان الافراد المكافأين لا يهمـوني كأفراد بقدر ما يهمني الآخرون الذين يحاولون أن يسبقوهم إلى نيل المكافأة ، وهذا كفيل بأن يرفع المعنويات العامة . » (ص ٢١) .

وبالطبع ، اختلف الرجلان في ذلك الإجتماع ولم يتفقا على عمل موحد .

وحتى الصفحات الأخيرة من اليوميات وهرتزل يشن حملة قوية ضد أثرياء اليهود وضد زعماء اليهود الذين لم يسيروا وراءه ولم يتبنوا مشاريعه ولا أمدوه بالمال. وينصب الهجوم الأكبر والأشد على آل روتشيلد. يتحدث أحياناً عن غبائهم (ص ٧١وص ٧٤) ويهددهم :

« إني بحاجة إلى آل روتشيلد. وماذا إن رفضوا ؟ سيلاقون عواقب ذلك . » (ص ٩٢) .

« أما كبار اليهود فسوف يُفشلون المشروع برفضهم ، ومن المؤكد انهم سيكونون أول من سيدفع ثمن ذلك . » (ص ٨٠) .

وحاول تحريض هيرش ضد آل روتشيلد :

« الطريقة الوحيدة هي أن يلتحم صغار أصحاب البنوك معاً ويؤلفوا معاً قوة ماليّة هائلة ونحارب آل روتشيلد فنسحبهم إلى جانبنا أو نحطمهم . » (ص ١١٦) .

دون أن يكتم رأيه بمشاريع هيرش نفسه :

« أما حلولك التافهة — عشرون الفاً في الارجنتين ، أو اعتناق اليهود للاشتراكية — هذه لا أقبلها . » (ص ١١٦) .

كان هرتزل يعالج المسألة اليهودية بناء على هذين الرأيين :

« ١ — نحل مسألة اليهود اما بصون أو بتصفية ثروات اليهود الاغنياء .
٢ — إذا لم نستطع ذلك بمساعدة هؤلاء اليهود الاغنياء فسوف نقوم به بالرغم منهم . » (ص ١٣٢) .

وخاطب آل روتشيلد مهدداً ، بعد أن طالبهم بمليون فرنك :

« الافضل لكم أن تذهبوا معنا ، اذا لم تذهبوا فلن نهتم بتصفية أعمالكم

في اوروبه ، نحن نُعنى فقط بالاموال والأعمال التي تخصّ هؤلاء الذيــن سيذهبون معنا خلال فترة معينة ولنقل خلال عشر السنوات الاولى . إذ يجب أن ننسحب من اوروبه ، لن نستطيع البقاء هنا بعد أكثر . » (ص ١٤٠) .

فإن مصير الذين لن يهاجروا معه إلى « أرض الموعد » سيكون سيئاً عليهم :

« هنيئاً لليهود الذين سيأتون معنا . وويل للذين يسمحون لأنفسهم أن يخرجوا بتأثير المجادلات الهدامة » . (ص ١٥٢) .

ورسالته الشهيرة إلى آل روتشيلد في ١٥ ــ ٦ ــ ١٨٩٥ أكثر ما يعبر عن رأيه بهم :

« من اعطاكم الحق لأن تعملوا هذا ، أي قضية انسانية تخدمون وعلى أي حال من أنتم . لأنه ليس هناك مكان تعطون فيه حقوقكم كاملة أو حتّى تعتبرون فيه مواطنين عاديين . وأنتم الذين تقدرون أن تشدوا أحزمة ما يقرب مــن ثلاثة ملايين من الجنود . أنتم وصناديق أموالكم يجب أن تقام الحراسة حولكم خوفاً عليكم من اناس لا يعرفون الحقيقة بعد . وما تزال ثروتكم الملعونــة تزداد ، أنها تزداد بسرعة تفوق ازدياد الثروات القومية للبلدان التي انتم فيها ، لذلك فان هذه الزيادة انما هي على حساب ازدهار الامة ، حتّى لو كنتم أنتم أنفسكم أحسن الناس خلقا .

لهذا السبب سوف لا تقبل الدولة اليهودية بثروتكم المخيفة هذه لأنهــا تحدّ من حرّيتنا الاقتصادية والسياسية حتّى ولو ذهبتم معنا . هل تفهموني ايها السادة ؟ وكيف نه قف ازدياد ثروتكم ونحن نعمل على ازدياد ثروة كل فرد ؟ هل نضمرلكم قوانين خاصة تقف ضدكم ؟ يا لنكران الجميل ويا للسخف اذا ساعدتمونا ! ايها السادة ، اذا لم تذهبوا معنا فقد نضطر أن نعلن خروجكم على القانون ، ونمنعكم من دخول بلادنا ، كما في فرنسه حيث يمنع دخول المطالبين بالعرش وجميعهم ورثاء عائلات فرنسية . ولكن ان ذهبتم معنا فسوف نغنيكم

فوق غناكم ، وسوف نشهركم شهرة لم يحلم بها المؤسس المتواضع لبيتكم ولا أحد من أولاده المتكبرين .

سنجعلكم أغنى بزيادة منحتكم ثلاثة أضعاف ، ذلك البليون الذي بدأنا به . ستعطي الدولة اليهودية حق فك رهن أسهم الجمعية خلال عشرين سنة بثلاثة أضعاف قيمتها الاسمية . هذه البلايين الثلاثة التي تكلمت عنها قبل قليل .

سنجعلكم عظماء لاننا سننتخب أول حاكم من بينكم . سيكون هذا الأمر منارة نضعها فوق برج ايفل ثروتكم عند انتهائه ، مما قد يبدو للتاريخ ان إشهاركم هو كل الغاية مما قمنا به . » (ص ١٦٤) .

وهو لا يكتمهم أنه سيستولي على ثرواتهم :

« ما هو مصير ثروتكم اذا ذهبتم معنا . الأمر بسيط جداً ، ان ثروتكم تقوم على شيئين : رؤوس الأموال الموجودة التي سنزيدها بليونين ، في خلال عشرين عاماً ستفك الدولة اليهودية رهن الاسهم بثلاثة أضعاف قيمتها الاساسية والاعتمادات أو الديون . أما رؤوس الاموال فلكم أن تبقوها ، لن نخاف عند قيام دولتنا ، من الغنى مهما بلغ . سيبقى جزء كبير منه في اوروبه ولكنه لن يكون عاملاً ، ستبقى ان أردتم قصوركم ومبانيكم الثرية ، ولكم أن تستعملوها في المستقبل عند زيارتكم اوروبه كلّما اراد أفراد عائلتكم السفر للمتعة أو للتمثيل الديبلوماسي .

سيكون تذويب ثروتكم طبيعياً عن طريق الزواج ، وتشعب العائلة والصرف . هذا وأنتم هناك ستكونون مثلاً حسنا للأغنياء باقامة معارض للفن وبناء البنايات والحدائق الجميلة . سنعمل بجد لدفع المتأخرين ثقافياً للتمدن .

أما بالنسبة للجزء الأهم من ثروتكم الذي هو قوة خطيرة من الاعتمادات الدولية فسوف نتسلمه نحن لصالح الجمعية اليهودية .

سنصفي أموال آل روتشيلد كما فعلنا مع أصغر وكلاء الشحن وأصحاب الدكاكين . هذا يعني أن الجمعية ستمتص بيت روتشيلد . وهذا أيضا سيكون بطريقة طبيعية جداً ، سيبقى ، في الوقت الحاضر جميع مستخدميكم كما هم وتنقبون أنتم أيضاً في رأس كل مكان ، حتى يأتي اليوم الذي نحتاج لأن نستفيد منكم ، أنتم آل روتشيلد اليوم في دولتنا كمدراء لشؤوننا المالية ، كموظفين حكوميين ، وحاكمي مقاطعات ، وممثلين لنا عند القوى الأجنبية .

ولما كانت لكم علاقات قوية مع الارستقراطية الاوروبية فانكم ستكونون خير من يعمل لنا في السلك الديبلوماسي . وبهذا أيضاً لا تكونون قد اجبرتم على خلع أنفسكم من الوسط الذي اعتدتم عليه. » (ص ١٦٦) .

ويحذرهم في رسالته ويهددهم ، مرة بعد الاخرى :

« سنكون حقاً فقراء لو أتينا اليكم نشحذ بليوناً . اذا لم تريدوا المساعدة فسوف نسير بالطلب إلى طبقة ثانية إلى اليهود متوسطي الغنى . سنرسل بضع نشرات عن الخطة إلى مراكز الغنى اليهودية الرئيسية ، ليطلع عليها المليونيرون المتوسطون ، وسيتخذ جمع المال حينئذ شكلاً آخر ، ستتحول جميع البنوك اليهودية المتوسطة الحجم إلى قوة مالية واحدة تناهض أصحاب البنوك الكبار باسم المثل القومي الأعلى . وسيهدف هذا العمل إلى جركم معنا أو العمل على كسركم ثم ادراجكم ، وفي الحالة الثانية يمكنكم ان تتأكدوا أنني لن يكون لي دور في إنجاز هذا لانني لا احب أن يكون لي دور في الامور المالية ...

لقد كانت هناك محاولات عديدة لتسخير الأموال الكاثوليكية ضدكم ، ولم يظن أحد يوماً بأنه تمكن محاربتكم بأموال يهودية.بمثل هذه الطريقة قد نغلبكم ...

على كل حال ، حتى اذا رفض أصحاب الثروا ت المتوسطة خطتنا ، هذا لن ينهي قضيتنا ، لا ، بل سيزيدها قوة ، لاني سوف احمل القضية للشعب

اليهودي في جميع انحاء العالم ، سأنشر هذا الخطاب ، وابينّ جميع الخطوات التي سرت فيها وردود الفعل لها . أعرف جيّدا أني سأعرض نفسي لنقد وسخرية الناس الذين سيقولون اني اريد ان اصبح ملك اليهود ، سيكرهوني ويتهموني بأني ما كنت إلا عاملاً لمصلحة ذاتية وصفقة عمل رابحة . طبعاً أنا لم أقم يوماً بعمل مصلحي ولم اسخر قلمي ابداً ، على أن هذا لا يبرهن شيئاً عن المستقبل . ولكن أعواني من الاشراف والفلاسفة والفنانين في انحاء العالم سوف يحموني ، لأنهم يعرفون أن هناك اقوالاً لا تكون إلا ممن يعنيها مخلصا . وسوف يصدقني الناس ، ليس فقط اليهود الفقراء ولكن كل الناس ، سيقوم هناك شعور بالغضب عليكم أنتم الذين تستطيعون أن تجلبوا الراحة للعالم وترفضون . وأنا متأكد أن كتابي سيقرأ كثيراً وسيصدق كلامي الناس وكذلك الحكومات وسيصلّى من أجل نجاح هذا المشروع في كنائس اليهود وفي كنائس المسيحيين ايضاً . سيرق لهذه القضية قلب صغار الناس والطبقة الوسطى ، والاشراف والكهنة والملوك والاباطرة . لان فيها راحة من ضغط قديم قاسى منه الجميع .

لا يا سادة آل روتشيلد ، لسنا بحاجة لكم من أجل هذا . أتعرفون من سيقوم بجمع رأس المال للجمعية اليهودية ؟ اناس من غير اليهود . وربما صغار اليهود ، الصغار جداً ، بينهم يوزع البليون إلى اقسام صغيرة جداً ، وهنا ايضاً أنا لا استطيع أن أقوم بهذه المهمة – ليس فقط لانها مسألة مالية (وأنا لا احب عادة مثل هذه المهام) انما لأن هذا المال لن يكون كافياً للاغراض الكثيرة التي كان يمكننا تحقيقها عن طريق أموالكم الذائعة الصيت. » (ص ١٧٥ – ١٧٦).

ولكن غضبه على آل روتشيلد لا ينسيه غضبه على منافسهم هيرش . كتب إليه في ٢٧ – ٧ – ١٨٩٥ ، بعد أن رفض هيرش عرضه للإتفاق معه :

« إن الاسطورة التي يتناقلها الناس عنك خطأ واضح . أنت تتلهى بقضية اليهود ، وكما تنزل خيولك للسباق تبعث باليهود إلى الهجرة ، وهذا ما أثور عليه بشدة ، ليس اليهودي لعبة تتلهى بها . » (ص ٢١٨) .

وقد لخص هرتزل اختلافه عن هيرش بهذه الكلمات، كتب الفقرة الأولى منها قبل وفاة هيرش ، وكتب الفقرة الثانية أثر وفاته في ٢٢ ــ ٤ ــ ١٨٩٦ :

« هذا الرجل المسن الذي يعيش على التبرعات القليلة ، فتح محفظته وأراني ما يملك ولكنه رفض تبرعي ، وهذا هو الفرق الاساسي في التأثير على اليهود بيني وبين البارون هيرش . إنهم يشحذون منه ولكنهم لا يحبونه ، أما أنا فيحبني الفقراء ولهذا فأنا أقوى منه . » (ص ٣١٩) .

« كتبت صحيفة صباحية في فينه اليوم تقول في ذكر وفاة هيرش : لم يستطع هيرش أن يساعد الفقراء لأنه غني . هذه هي الفكرة السائدة وهي صحيحة ، أنا أقوم بالعمل بطريقة أخرى ، بطريقة أظنها أحسن وأكثر تأثيراً لاني لا أستخدم المال ولكن أعمل بفكرة . » (ص ٣٢٧) .

خلاف هرتزل المتواصل مع أثرياء اليهود ، أمثال روتشيلد وهيرش ، ليس إلا جانباً واحداً ، ولعله الجانب الأقل أهمية ، من علاقات هرتزل مع اليهود في عصره بشكل عام ، كجماعة وكأفراد ، وكصهيونيين وغير صهيونيين . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنه ما من رجل حكم على اليهود ، في مذكراته ، حكماً أعاب اليهود وفضحهم وكشف عن حقيقتهم مثلما فعل هرتزل نفسه .

كان هرتزل،وهو يحلم بالدولة اليهودية ويضع نظامها وقوانينها وبرامجها، يفكر في الوقت نفسه في وجوب حماية نفسه ودولته من بعض العناصر اليهودية نفسها . لذلك وضع القوانين لمعاقبتهم :

« ويل للمختلسين اذا ما حاولوا أن يزيدوا ثرواتهم على القضية اليهودية ، سوف نعاقبهم أقسى عقاب يشمل حرمانهم من الحقوق المدنية ومن حق التملك» (ص ٣٢) .

« سيتعرضون إلى احكام تأديبية ، مثل تنقيص في الرواتب ، أو نقل ،

الخ. اذا أهملوا الشكاوي القانونية أو لم يحكموا بالعدل ...

كل مقاول يحاول ربحاً غير مشروع يعزل ، والعزل لا يكون فقط بخسارة وظيفة جيدة ، انما بخسارة حقوق مدنية لمدد من الزمن متراوحة . » (ص ٤٩) .

« ستتكفل الشركة بما قد يخلفه مهاجرونا من أعمال غير شريفة عندما يتركون ، فقط ما يمكن التأكد به منه . سنعوض عنه من هناك . هكذا هو النظام الرجولي . » (ص ٤٢) .

هذا ما كتبه في ٦ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ وفي ٩ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ ، أي قبل أن يبدأ مساعيه الرسمية لتأسيس الدولة بوقت طويل . أما سبب هذا الخوف من اليهود فيعود ، في الدرجة الأولى ، الى عدم ثقة هرتزل ببني شعبه ـ إلى رأيه السيء جداً باليهود ، كما سيبدو لنا من قراءة المقتبسات التالية التي كتبها في شهر حزيران يونيو (١٨٩٥) .

« سيصعب جمع كل اليهود تحت امرة رجل واحد ، مع ان ، أو بالاحرى لأن ، كلاً منهم يعتبر نفسه رئيساً . » (ص ٤٢) .

« معظم شعبنا مثل هؤلاء ، ترى هل سيفهمون نداء الحرية ويصبحون مخلوقات بشرية .

عندما تركتهم كنت في حالة انقباض ، وبدت لي خطتي حمقاء ثانية . » (ص ٤٦) .

« نحن جنود سيئون ، لانه ليس لنا شرف ، ولاننا لا نؤمن بأن لنا شيئاً بعد الموت ، ولكننا لا نعدم افراداً يعرفون كيف يموتون ميتة حسنة وكذلك لا نقدر أن نصبح قواداً وهنا أرى أن الدول على حق وإلا لكان منا قواد مناطق في كل مكان خلال جيلين . لا سيما وان الحرب قد أصبحت قضية عقلية ومن الطبيعي أن لا تسمح الامم بالهزيمة عن طريق تعيين أشخاص لم يمتزجوا

ولا يمتزجون ، قواداً لجيوشهم . » (ص ٧١) .

« اننا معشر اليهود شعب محب للظهور ، نستطيع أن نزود المجتمع «الفاضل» بأكبر عدد من المتعاظمين . ان الطفيلي الارستقراطي يستطيع أن يحصل على ما يريد من أصحاب البنوك إن هو تعشى في بيوتهم التي قد يراه فيها الآخرون ». (ص ٩٧) .

« سيمر وقت طويل قبل أن أهز اليهود واوقظهم من الكسل الذي هو سجن حياتهم . » (ص ١٠١) .

« لن يكون من السهل إثارة اهتمام اليهود به [أي بمشروعه] » (ص ١٠٢) .

« أن أصعب معركة أُجابهها هي محاربة استهزاء اليهود بانفسهم . هذا الميل إلى الاستهزاء هو محاولة السجناء الضعيفة ليظهروا كأنهم أحرار ، مثل هذه السخرية تؤثر فيّ كثيراً . » (ص ١٠٦) .

« ليس هناك مجال لمساعدة اليهود اليوم ، لو أراد أحد أن يريهم أرض الميعاد سيهزأون منه ، لأنهم ذوو عزيمة مُفْسَدَةٍ واهنة . » (ص ١١٥) .

« يقف في وجهي حائط ، هو فساد أخلاق اليهود ، وأنا أعرف أن في إختراقه الوصول إلى الحرية والعظمة . ولكني لا استطيع أن أُحطم هـــذا الحائط برأسي أنا وحدي ، كذلك فأنا أتنازل عنه . » (ص ١١٦) .

بعد أن نقرأ هذه الآراء لهرتزل باليهود نفهم حقيقة الصراع الذي قام بينه وبينهم في أول عهده بالحركة الصهيونية ، الذي دعاه يقول في ذلك الشهر نفسه :

« أمام صراع مرير ، مع فرعون متردد ومع أعداء وخاصة مع أنفسنا . العجل الذهبي ! » . (ص ٣٣) .

« ليبقى الجبناء والمتوطنون والمتعمدون من اليهود . ستكون لهم حتى هم ، منا فائدة – سوف يفتخرون بقرابتهم لنا بعد أن كانوا يخجلون بنا . سنصبح نحن اليهود الأوفياء عظاماً مرة ثانية . » (ص ٣٦) .

« إني مستعد لأي شيء ؛ البكاء لمجابهة مراتع اللهو في مصر ، والرقص حول العجل المذهب – وأيضاً نكران الجميل عند من هم مدينون لنا . » (ص ٣٩) .

وفي ٤ – ٧ – ١٨٩٥ وصلته رسالة من هيرش أغضبته وجعلته يرد عليها رداً ضم الكثير من غضبه على اليهود عموماً الذين يقول انه يأس منهم وانه لم يبق له أمل إلا في قيصر ألمانيه ، دون أن يسميه :

« لقد استلمت رسالتك أمس ولذلك أريدك أن تطلع على ما أنا مزمع عليه . سأظل أجرب عمل شيء من أجل اليهود ولكن بدون مساعدتهم . كنت أظن أنك استطعت أن تفهم آرائي ، ونواياي ، ومن غيرك لا أنتظر إلا الأقل . إن تدهور شعبنا الذي كان يوماً قوياً راجع إلى سياستنا الخاملة . سيسخر مني الناس ويتهموني بأنني أعمل لمصلحتي الخاصة ، وساضطر أن أخوض أوحالاً من القرف – وأنا لستُ مستعداً لمثل هذه التضحية من أجل اليهود . انهم لا يستطيعون أن يصدقوا أن الانسان يعمل لقضايا غير كسب المال وأنه قد يرفض أن يشترى بالمال من غير أن يكون ثورياً . لذلك سأضطر أن أقوم بالخطوة الاخيرة التي هي ربما الانجح وهي أن أعرض القضية أمام الشخصية الكبيرة التي أخبرتك عنها . يقال ان هذا الرجل لا سامي ، ولكن هذا لا يهمني . لقد وجدت من سيوصلني اليه ، شخص سيقدم له مذكرتي . فاذا طلبني بعد هذا فسوف يكون حديثنا شيّقاً . اذا لم يشدد هو على سرّية الاجتماع ، واذا كان في الحديث ما يمكن نشره ، سأخبرك به اذا جمعتنا الظروف ثانية . لن يكون ذلك في باريس ، لأنني مللت منها وقد أقنعت ناشري جريدتي أن ينقلوني إلى فينه . لن يكون للحديث بيننا أي فائدة غير متعة مبادلة الآراء ، أنت تتشبّث

بوجهة نظرك وأنا أتشبث بوجهة نظري بالعناد نفسه . أنت تؤمن بأنك تستطيع أن تصدر اليهود الفقراء كما تفعل الآن ، وأنا أقول لك بانك بهذا تخلق اسواقاً جديدة للاساميّة ، ولن يفهم أحدنا الآخر أبداً . » (ص ١٩٤) .

وكتب في رسالة أُخرى إلى يهودي آخر ، جودمان ، في ١٥ – ٩ –١٨٩٥.

« ان جماعة المنحطين من اليهود والجبناء وهؤلاء المغرورين باموالهم هم الذين يُكرهوني بمثل هذه القضية النبيلة ، ولكننا يجب أن نفكر باليهود الفقراء وأصحاب الخلق الحسن منهم ، لان هؤلاء هم الأكثرية . لسنا شعباً مختاراً ولكننا في الوقت نفسه لسنا شعباً حقيراً ، لهذا فأنا متمسك بالقضية . » (ص ٢٠٢) .

بدأ هرتزل ييأس من اليهود قبل أن يبدأ بالعمل رسمياً ، فقد ثقته بنوردو ، الكاتب المشهور ، منذ ١٥ – ٩ – ١٨٩٥ (ص ٢٠٢ – ٢٠٣) . وتوالت خيبات أمله بسرعة حتى كتب في ٢ – ٨ – ١٨٩٥ :

« إن أكثر ما يثبط عزيمتي هو حمق اليهود وجبنهم وحقارتهم . » (ص ٢٢١) .

لذلك قرر أن يتبع إسلوباً جديداً في علاقاته مع اليهود . وضع الخطة في ١٤ – ٨ – ١٨٩٥ ، بالإجتماع بعدد محدود من أوائل الصهيونيين في ميونخ :

« ساخبرهم عن غايتي مقدماً ، وأشرح لهم الخطأ الذي وقعت فيه مع هيرش . عندما قدمت له الامر بدأت بالحديث عن الدولة ، ولم أكد أقول الكثير لاني توقفت في الوقت المناسب ، ذلك أنني لاحظت أنه لم يكن يستمع . أما لهؤلاء الرجال فساقدم القضية كمعاملة رسمية – يجب ألا يخطئوا فهم ما أُريد ويأخذوه على عكس ما هو ويظنوني مقاولاً . » (ص ٢٢٩) .

جرى الإجتماع في ١٨ – ٨ – ١٨٩٥ . ولكن هرتزل ، منذ أن رأى كبير هؤلاء الصهيونيين ، ماير كوهن ، حتى بدأ يتضايق منه .

« عرفت منذ اللحظة الاولى أنه ليس الرجل الذي أريد ». (ص ٢٣٠).

وقد اتخذ المؤتمرون قراراً بمقاطعة آل روتشيلد :

« لقد اتفقنا على أن لا يصل الخطاب إلى آل روتشيلد ، لانهم حقيرون ، اذلاء محبّون لأنفسهم . يجب أن ننقل الفكرة إلى الناس مباشرة وبشكل رواية » (ص ٢٣٣) .

لكن الإسلوب الجديد لم يحل له مشاكله . ظل معظم اليهود الذين اتصل بهم يعارضون أحلامه ومشاريعه . هذا ما كتبه : مثلاً ، عن كاهن يهودي هو فليسيج وعن مفكر يهودي هو ليفن :

« لقد افهمت ذات يوم أحد الحاخاميين المسنين بحججي . ان ذلك الشيخ الذي يلبس البنطلون مدخلاً في جزمته والثوب الطويل الذي هو قفطان خزي له يحمل عقلية ضيقة محتالة متأخرة . مثل هذا اليهودي يقوم داخل نطـاق قفص مخيلته برحلات الوف الاميال رحلات سنجاب يدور على عجلتـــه . » (ص ٢٤٠) .

« وسرعان ما عرفت نوع « ليفن » من الرجال ، مزاج هادىء لا يمكن اثارته بسرعة ، ولكنه مخلص في نواياه . يكره كل أمر جديد وقلما يستطيع أن يغير وجهات نظره اويقتنع بما يسمعه من جديد . وهنا يتكرر اختباري لهيرش ثانية . ان هؤلاء الذين جربوا التعامل مع اليهود أو مع صهيون أو غيرهم لا يمكن أن يبدّلوا بسهولة . » (ص ٢٤٢) .

حتى جريدته التي عمل لها وأحبها وخدمها وخدمته واعترف بفضلها عليه عشرات المرات ، هي أيضاً نشب فيها نزاع بينه وبين مديريها لأنهم رفضوا السماح له بتحويلها إلى مؤسسة صهيونية في تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٥ .

« لقد بدأت معركة اليهود بالفعل ، وهي معركة بيني وبين اليهود الاقوياء. ظننت أولاً انني ساجابه آل روتشيلد بالإختيار ، ولكني سأضطر بأن أُجابـه

معركة مع الجريدة الحرة الجديدة ». (ص ٢٥٢) .

وفي أواسط تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥ قام صراع بينه وبين يهود فرنسه الذين كانوا قد عرفوا هرتزل عن كثب خلال إقامته بينهم من قبل لما كان مراسلاً لجريدته في باريس :

« يظهر أن الفرنسيين لا يريدون ، في الوقت الحاضر ، أن تكون لهم أية علاقة بالأمر . ما يزالون بعد أغنياء . » (ص ٢٧٣) .

« ان موقف اليهود الفرنسيين موقف عدائي ، ولم أتوقع أنا غير هذا ، ان حالتهم المادية هنا حسنة لذلك فهم لا يفكرون بالتغيير . » (ص ٢٧٤) .

لذلك كتب في ١٧ – ١١ – ١٨٩٥ يهدد يهود فرنسه بأنه سيحطم الجمعيات اليهودية الخيرية التي تعارض مشاريعه :

« لا بد للجمعيات المستعمرة التي تقوم الآن ، أن تخضع لقضيتنا . سنقضي على كل معارضة تجابهنا اينما كانت . » (ص ٢٧٤) .

« قلت لصادوق « كل هذا يدخل في مخططي ، إن العوائل الغنية ستكون آخر من يأتي معنا ، على أنه يجب أن يحذروا من أمور ثلاثة : أولاً أن لا يعرف اليهود في سائر أنحاء العالم رغد عيش اليهود في فرنسه فيؤدي هذا إلى تسرّب جماهير الاسرائيليين إلى فرنسه . ثانياً ، أن يمتنعوا من أن يصبحوا فرنسيين لامعين ويتقدموا كثيراً إلى درجة تصبح لهم مراكز مادية وسياسية قوية . وأخيراً ، ليدعوا اهتمامهم الزائد بيهود سائر البلاد لئلا يكشف مثل هذا الإهتمام عن تعاونهم مع المسيحيين ، لأن هذه التجارب في خلق المستعمرات اليهودية لها جانبها الضار مثل ما لها جانب حسن . إنها تحاول منع تسرب اليهود إلى فرنسه . ومهما يكن فان من لا يريد أن ينتمي إلى اليهود المهاجرين ، لا حق له في تقرير المكان الذي سينزلون فيه . لهذا فنحن لا نعتبر الاسرائيليين الفرنسيين – اذا كان يمكن أن يكونوا هذا – لا نعتبرهم يهوداً وليس لهم أن يتدخلوا

في شؤوننا . » (ص ٢٧٤) .

ثم حكم على يهود فرنسه هذا الحكم القاطع :

« في الحقيقة إنني لا أرجو شيئاً من اليهود الفرنسيين » . (ص ٢٨٥) .

وهدّد الجمعيات اليهودية الخيرية في بريطانيه وروسيه أيضاً أثناء زيارته لندن ، في ٢٣ ـ ١١ ـ ١٨٩٥ .

« قدم السيد جوزيف ، وهو مهندس معماري، شيخ لطيف ، انجليزي الطباع ، بطيء التفكير ، ذو أسلوب مطوّل في الحديث ، قدّم الإعتراضات المعهودة ، لا يصلح اليهود لمثل هذا المشروع ، فلقد انتهت تجربة جمعيات الهجرة الانجلو روسية بنتائج فاشلة . إنهم لا يريدون أن يعملوا ، الخ .. حاولت ان اشرح له سبب الفشل بأنه راجع إلى سوء التجارب التي كانت حتى الآن ، التجربة كانت سيئة وليس اليهود أنفسهم. وقلت : إنه الاحسان الأحمق هو المسؤول عن كل شيء. يجب أن يتوقف الإحسان ، حتى يختفي الشحاذون ، يجب أن تخضع جمعيات الإغاثة اليهودية القائمة الآن لنا ، أو تحلّ . » (ص ٢٧٩) .

ونحن نفهم من يوميات هرتزل أن يهوداً كثيرين ، مشهورين ، وقفوا آنذاك ضد مشاريعه مثل ادلر رئيس الكهنة في ٢٧ ـ ١ ـ ١٨٩٦ :

« كتب رئيس الكهنة أدْلَرْ أنه يجد المشروع غير عملي وخطيراً في الوقت نفسه . إن لرئيس الكهنة هذا مركزاً جيّداً لذلك فلن يوافقه المشروع . » (ص ٢٨٧) .

ومثل الكسندر شارف الذي قال عن هرتزل في ٦ ـ ٢ ـ ١٨٩٦ :

« انه المسيح الثاني الذي سيؤذي اليهود أكبر أذية ... لو لم أعرف انه لا يمكن شراؤك ولو كنت روتشيلد لكنت قدمت لك خمسة ملايين لأقضي على الكرّاس ، أو أقتلك ، لأنك تضر اليهود ضرراً كبيراً . » (ص ٢٩٥) .

ما هؤلاء إلا القليلون ممن وقفوا ضد هرتزل ، حتى إنه كتب في ٧ ـ ٢ ـ ١٨٩٦ يائساً :

« هذا ، مثل كل شيء آخر ، يدل ثانية على أنه ليس لي أي نصير وأنه يجب أن أقوم بكل شيء وحدي . » (ص ٢٩٦) .

« وهذا أيضا يدل على أنه ليس هناك من يساعدني بل على العكس ، الكل يعمل ضدي – حتى هؤلاء الذين سيدعون بدون شك ، اذا ما كتب للمشروع النجاح ، أنهم كانوا يعملون معي .

أما هؤلاء الذين يرجعون خوفاً على ما يملكون – شارْف يملك بيوتاً كثيرة في فينّه – سأقول لهم : اذا كنتم تحبون أن تجنبوا أنفسكم خسارة ما تملكون ، يمكنكم أن تشتروا أسهماً في الشركة اليهودية ،ما ستخسرونه هنا من المستأجرين اليهود المنتقلين من بيوتكم ستربحونه منهم عندما ينقلون إلى بيوتكم هناك . الانبوب المعقوف ، ما ينخفض هنا يرتفع هناك ، وبعد فانتم تستطيعون ان تملكوا البيوت نفسها في الجانب الآخر . ستبنيها لكم الشركة . » (ص ٢٩٨) .

وقال في ١٥ ـ ٢ ـ ١٨٩٦ ، بكلام واضح :

« لا يقف إلى جانبي في هذه المرحلة إلا أبي ، كل الذين تكلمت معهم في الموضوع ما يزالون مترددين خائفين ينتظرون الاحداث ويستمهلون . ليس معي أحد إلا أبي العزيز . » (ص ٣٠٠) .

في ذلك الشهر نفسه ، شباط (فبراير) ١٨٩٦ ، أصدر كتيبه « الدولة اليهودية » . فازداد معارضوه :

« لا شك أن بيرنبوم يغار مني ، فكثيراً ما يلمح هذا الرجل المهذب المثقف بما يعبر عنه العامة من اليهود بكلام بذيء وباستهزاء وهو أني أقوم بهذا المشروع لكسب شخصي . أخبرني هيرمن باهر بان اليهود في الاوساط المثقفة العالية ، هؤلاء الذين يؤلفون مجالس الادب ، مستاءون مني . هذا منتظر . »

(ص ٣٠٧ – ٣٠٨) .

نلاحظ من هذه الكلمات ، ومن غيرها ، أن هرتزل عصي عليه فهم سبب نفور يهود كثيرين من مشاريعه فحاول تعليلها بحسد اليهود منه ، كما يبدو من الفقرات السابقة ، وبنميمتهم بعضهم ضد بعض ، وبضعتهم ، وبمحافظتهم ، وبأنانيتهم ، وانشقاقهم :

« غريب : دسور أيضاً قال : يمكنك الاعتماد علي ، ولكن أشك في ان تتمكنّ من ايجاد غيري في فينّه . ومع هذا فان كلامي يفهمه كل مـــن أخبره به . » (ص ٢٤٦) .

« جاء إلى المكتب مستشار الجالية ستيرن ومعه آخرون وجميعهم ممـــن يؤمنون بان الخلاص سيأتي من الحكومة ويتذللون أمام الوزراء . كـــانوا سيصدقوني لو أصبحت اليد اليمنى الصحفية لباديني ، ولكني الآن لن أحصل على مساندتهم . » (ص ٢٦٦) .

« التقليد من جانب اليهود . هذا التقليد هو الذي أفقدنا خصالنا الجيدة ، لأن التقليد في القومية يؤدي إلى مواطنين سيئين . » (ص ٢٨٥) .

« وكتب لي لاندو أيضاً أن بيرنبوم يريد أن يصبح الزعيم الاشتراكي في فلسطين . مع أننا لم نحصل بعد على البلاد فإنهم يريدون أن يقسموها أجزاء » . (ص ٣٠٩) .

« لم يستطع الدكتور بيك أن يفهم لماذا أهتم بقضية اليهود إلى هذا الحد ، كذلك قال إنه لا يستطيع فهم هذا سائر اليهود الذين يعرفهم. » (ص ٣١٦).

« لقد بدأ الشقاق بين الصهيونيين الشباب . وبدأت أشعر بما كنت أتوقعه من نكران الجميل . زارني طالب وأخبرني عن الخصومات القائمة بين المنظمات القومية اليهودية ثم أخبرني بتلميحات مبطنة ولكن واضحة أنه هو وربما آخرون يرون تلطفي وتوددي من الشباب هو تمثيل .

لقد ثرت حالاً لكرامتي وأجبته على ذلك ، وقلت له ، اذا كانوا لا يقدرون مجهودي فسوف أتخلى عنهم ، واذا لاحظت نكرانا للجميل ، ليس فقط من جانب أفراد لا أهمية لهم ، بل من جماهير الشعب فسوف أنسحب من العمل كلياً .

وكذلك ، كما كان مع الطلاب ، بدأ الكبار من الصهيونيين يبدون عدم رضاهم بالنتائج . » (ص ٣٥٨) .

بالرغم من غضب هرتزل على معارضيه من اليهود ، وكانوا هم أغلبية اليهود الساحقة في الواقع ، كان يدرك أن لا مجال له لتحقيق الأطماع الصهيونية في فلسطين بدون مساعدة اليهود ، وخاصة الأثرياء منهم أمثال آل روتشيلد ، له ولمشاريعه ، لتمويلها مباشرة ، ولشراء رضى السلطات التركية والحكومات الأوروبية على مشاريعه . لذلك نجد هرتزل يبلغ تهديداته لآل روتشيلد مرةً بعد أخرى ، فيتصل بهم ويشحذ منهم العطف ثم يغضب عليهم ويهددهم ثم يعود للتودد من جديد.

في ١٦ ــ ٥ ــ ١٨٩٦ أرسل مندوباً عنه إلى باريس لمقابلة كبير آل روتشيلد هناك . لكنه فشل .

« لا يريد روتشيلد أن يسمع بهذا المشروع أبداً ، انه لا يؤمن أن هناك فائدة ترجى من السلطان ، ولا يريد أن يتعاون ، ويعتبر ما أنا قائم به خطراً لأنني في نظره أعرض وطنية اليهود للشك ومؤذياً لمستعمراته الفلسطينية . لذلك فنحن سنتركه إلى غيره من الاعمال . » (ص ٣٥٢) .

فكر هرتزل أن يؤلب فقراء اليهود على كبار الأثرياء :

« اذا لم استطع إلانة القوى العليا ، فسوف اثير العالم السفلي . » (ص ٤١٢) .

وشدد على عزمه على إتباع هذه السياسة حينما زار لندن في تموز (يوليو) ١٨٩٦ :

« أنا لا أُريد للحركة أبداً أن تكون دهماوية ، ولكن اذا ساء الأمر ووجدت أن الارستقراطيين ارستقراطيون أكثر من اللازم فسوف أحث الجماهير على العمل . » (ص ٤١٦) .

وفي أول اجتماع له مع إدموند روتشيلد ١٩ ـ ٧ ـ ١٨٩٦ هدده بالشعب :

« سأقوم بتهييج شعبي ، وبهذه الطريقة سيكون من الصعب جداً التحكم بالجماهير . » (ص ٤٢٨) .

كما شكاه إلى صديقه صادوق خان في رسالة بتاريخ ٢٦ ـ ٧ ـ ١٨٩٦ :

« اني خصم لبيت روتشيلد لاني أعتبره مصيبة قومية على اليهود . » (ص ٤٤٢) .

ووصف هرتزل ، في الرسالة نفسها ، وقوعه بين اليهود وبين أعداء اليهود :

« حتى الآن اليهود المحرومون هم السندان واللاساميون هم المطرقة . ويل لمن يقع بين المطرقة والسندان . » (ص ٤٤٣) .

وفي ١٦ ـ ٩ ـ ١٨٩٦ كتب إلى صادوق خان رسالة أخرى يشكو فيها من تصرفات مدير أعمال روتشيلد في فلسطين :

« علمت مؤخرا أن السيد شيد يعمل ضدي . وأرى من رسالتك ان ذلك صحيح . اني أسأل نفسي ماذا دعا السيد المذكور ليسلك هذا السبيل . قد لا تكون الحركة التي بدأت بها تحظى بتأييد اليهود كلهم ، لكني لا أفهم كيف يحاربني أولئك الذين لهم علاقة بالاستعمار . » (ص ٤٦٦) .

وأخذ يهتم بفضائح مدير أعمال روتشيلد هذا ، ويسجلها ويذيعها . كتب

في ١٠ – ١١ – ١٨٩٦ :

« جاء لفن – ابستاين ، مدير ادارة مستعمرة رحوفوث في فلسطين ، لزيارتي. أخبرني أن شيد يحاول ابقاء المستعمرات عالة مالية في كل الظروف . وقال انه يوجد عائلة موظف مقابل كل عائلة مهاجرة تقريبا في رشون صهيون . ولذلك فان الازدهار مستحيل تماماً . وهو يعتقد أن شيد اشاع هذه الشائعات ليقدم للبارون عذراً لفشل المستعمرة في حوران التي ابتيعت بالبخشيش . ويقال ان دفلث ، الارمني ، هو الذي قام بدفع البخشيش في القسطنطينية . » (ص ٤٩٥) .

وكتب في ٢٩ – ٣ – ١٨٩٧ ضد مدير أعمال روتشيلد :

« هناك شخص يعمل من وراء الستار لن أُنافسه ولن أُقاتله . ستعرف اسمه في الرسالة المرفقة ... منذ وقت طويل وهو يتآمر عليَّ . اعتقدت في البدء انه يخاف على وظيفته ولذلك لم أشعر نحوه الا بالشفقة . لكن الشكاوي أخذت تصل إلي باستمرار من مصادر متنوعة . وقد أصبحت الآن أفهم كل شيء . سيحاول سلوك كل السبل لتجميد المؤتمر . سيخترع أعقد الحجج ليبقي لجنة باريس بعيدة عن ميونخ . سيثير الاهتمام بصفته« رجل يعرف المشرق » ، الخ .. الخ ... وسوف يقول ان الدعاوة تخسّر مساعينا . وهو غير صحيح . تحدثت مع رجال السياسة الاتراك بكل صراحة ولم يجدوا في حديثي تهجماً . أنهم لن يعطونا فلسطين كدولة مستقلة ولا بأي ثمن ، لكننا نستطيع أن نحصل على أرض ابائنا بوقت قصير جداً كدولة تابعة ، ربما مثلما هي مصر . كنا قد حصلنا عليها اليوم لو ان المقترحات التي قدمتها في لندن وباريس قُبلت في تموز الماضي . » (ص ٥٣٢) .

لم يكن روتشيلد ومدير أعماله هما الوحيدان بين اليهود اللذان لم يتفق هرتزل معهما . لقد اختلف مع كل اليهود الذين اتصل بهم تقريباً . في لندن ، في أول اجتماع رسمي له مع جمعية« أحبة صهيون »التي أمل أن تدعمه قبل أية

مؤسسة أُخرى ، في ١٤ – ٧ – ١٨٩٦ ، طرد من الإجتماع تقريباً :

« ثم أعلنت انني لن أتخلى عن موقفي بخصوص التسرب حتى لو خسرّني ذلك مساندة كل جمعيات أحبة صهيون التي هي الآن تابعة لمنظمة مركزية . وهنا حلّ رئيس المجلس الجلسة وقال بلهجة جافة « مع السلامة يا مستر هرتزل » . (ص ٤٢٠) .

بعد اسبوع من تلك الحادثة كان عميله في تركيه ، نيولنسكي ، يخبره أن يهود تركيه يقفون ضده . فعلق هرتزل على ذلك بقوله :

« أخبرته ، بدوري ، عن رحلتي . وقلت اني كنت أبدو أمام نفسي كضابط يذهب إلى المعركة بمجندين جدد وعليه أن يقف وراءهم ومعه بندقية يمنعهم بها من الهرب . فقال نيولنسكي ان هذه الاخبار تخفف من تشجيعه لاول مرة في هذه المسألة . لم يكن يعلم أن قواتي على هذه الدرجة من الرداءة . » (ص ٤٣٥) .

وقرر هرتزل أن يشكو اولئك اليهود إلى السلطان :

« قررنا ، لمجابهة التآمر اليهودي في قصر يلدز ، أن نتبع الطريقة التالية : يكتب نيولنسكي إلى عزت بان اليهود المتآمرين عليّ قد لا تكون لهم مصالح خاصة لكنهم يشعرون بهاجسين : أولهما الخوف من أن تقوى اللاسامية في أماكن اقامتهم الحاضرة اذا صدرت الدعوة لليهود بالمهاجرة . ثانيهما الخوف من أن نهجّر جماعات كبيرة من اليهود المفلسين إلى فلسطين .

لهذين السببين يحاول دعاة هذه المؤامرات ، اليهود ، نسف مشروعنا من أوله . الاّ أن عزت يجب الا يسمح له بان يسلبوه ثقته فيّ . » (ص ٤٣٨) .

حتى أقرب الناس إليه في مورافيه أخذوا يتخلون عنه كما كتب في ٢٥ – ٩ – ١٨٩٦ :

« جاء شنايرر وكوكش لرؤيتي . اشتكيا من أن الدكتور كوهن الصغير

« يريد الانفلات » . وقالا أنه يقوم بالدعاوة من تلقاء نفسه في مورافيه وغيرها ويجب اجراء تدبير « سياسي داخلي » . واتهماه بأنه وصولي لا يبغي غير الحصول على مركز لنفسه . وقال شنايرر أنه سينسحب . أما كوكش فيريد أعادة كوهن إلى الحظيرة بواسطة الامتيازات . » (ص ٤٧٢) .

وقامت مشاكل عديدة بينه وبين أصحاب الجريدة اليهودية التي فتحت له صدرها ، « الجريدة الحرة الجديدة » ، في ١٠ – ١٠ – ١٨٩٦ ، يتوسع بوصفها في ص ٤٧٦ – ٤٧٨ ؛ وأخذ أصدقاؤه في الجريدة يسخرون منه :

« في الجريدة الحرة الجديدة استطلاع حول «هل يوجد سكان في المريخ ؟» وكانوا في المكتب يتحدثون عن المريخ . فقال باشر لي بلهجة متعالية : « قد تتمكن من تأسيس دولتك اليهودية في المريخ . »

ويضحك الشبان اللامعون . » (ص ٥١٢) .

واختلف مع مونتفيوري ، كبير يهود بريطانيه . فأخذ هرتزل يتآمر عليه في ١٥ – ٣ – ١٨٩٧ .

« كتبت إلى دهاس بان يلهب الامور قليلا بخبر صغير في صحيفة « العالم اليهودي » . يجب أن يفهم مونتفيوري وشركاه أننا سنثير الجماهير عليهم اذا دعت الحاجة . » (ص ٥٢٤) .

كان التهديد اسلوباً مألوفاً عند هرتزل يسلكه لكسب اليهود إلى صفه . وقد اعترف هو بنفسه بذلك . كتب في ٢٢ – ٣ – ١٨٩٧ ما يلي :

« عدت للبيت من المكتب مع بينيدكت . كالعادة ، أتجهت بالحديث نحو المسألة اليهودية . اني استعمل أُسلوب اخافته ، لاني لاحظت أنه يخاف بسهولة . وبالطبع ، لا أستطيع أن أُخيفه الا بتهديدات مقنعة . الا أنني أصبحت أُدرك أن يهود فينه سيتأخرون عن مماشاة مخططي . وسيخسرون حق العمل السياسي ، وربما حرية الانتقال للاشخاص وللمتلكات وحق الذهاب إلى صهيون أو النظر

اليها . قلت له : « ستكون النتيجة المباشرة للاسامية حرباً يهودية ضد اليهود . ستثور طبقة اليهود المضطهدة والمهدّدة على اليهود الكبار الذين يشترون رضى الحكومات بالمال والخدمات . » ففهم كلامي وقال « فقط لو لا يتحول ذلك إلى حرب ضد الاثرياء عموماً . » فاجبت : « ما ان ينشب القتال حتى يستحيل وضع حد له . على الذين عجزوا عن فهم الرموز واشاحوا باذانهم عن سماع صراخ البؤس الا يلوموا أحدا الا أنفسهم . » (ص ٥٢٩) .

وأكثر ما استعمل اسلوب التهديد هذا مع أصحاب المشاريع الخيرية الذين لم يوافقوا على تبني مشاريعه هو . كتب في ٢٩ – ٣ – ١٨٩٧ :

« لقد انتظرت طويلا ، سيكون ، في آب قد مضى سنتان منذ أن خطوت الخطوات العملية الاولى في سبيل القضية اليهودية . وقد أردت أن أعمل ، دون أن أثير الجماهير ، بواسطة التوجيهات من فوق ، بالاتفاق مع الذين سبق أن لعبوا دورا رئيسيا في الصهيونية لكنهم لم يفهموني ولم يساعدوني. كان علي أن أمضي لوحدي . وفي مؤتمر ميونخ سادعو الجماهير إلى الاعتماد على نفسها ما دام لا يوجد من يريد مساعدتها . » (ص ٥٣٢) .

وفي ذلك النهار عينه كان قد لجأ إلى التشهير كوسيلة لمحاربة أصحاب تلك المشاريع الخيرية :

« وصلت رسالتان من مستعمرة في رشون صهيون اسمها هلن بابيرمستر ترسم صورة فظيعة لاختلاسات شيد ، مدير أعمال روتشيلد ، وسوء ادارته . سأرسل الاتهامات إلى بنتوتش ليحقق فيها في « حجه » إلى فلسطين . وكتبت للسيدة بابيرمستر بان ترفع شكاويها من شيد إلى مؤتمر ميونخ بشكل رسمي . سيتحول المؤتمر إلى ندوة للضحايا المساكين لمحسنينا وتوظيفهم . » (ص ٥٣١)

وكتب في ذلك النهار أيضاً ، ٢٩ – ٣ – ١٨٩٧ ، يهدد أصحاب المشاريع والأموال ويشيد بحسنات التخلي عنهم والإعتماد على الجماهير :

« أعتقد أنك تخطىء اذا كنت لا تتوقع وجود قوة مالية لدى الجماهــير . على كل رجل أن يقدم على نصيحة صغيرة فقط ، مع هذا تصبح الكميــة لمجموعة ضخمة . هذه هي مهمة الدعاوة العالمية التي ستنطلق من مؤتمر ميونخ . واذ انها مسألة مالية لن تكون من شأني . سيكون في ميونخ خبراء ماليــون يعنون بهذا القسم من العمل ... الا انه اذا حصل انقسام بين رجال الاموال اليهود الكبار وبيننا فلسنا نحن الذين سنخسر كثيراً بل هم . سيقف في الجانب الآخر عدد قليل من حقائب الاموال مع شحاذيهم واتباعهم . أما في جانبنــا فسيقف كل العناصر الشريفة والشجاعة والذكية والراقية من شعبنا . » (ص ٥٣٣ ــ ٥٣٤) .

مثل روتشيلد ومونتفيوري وهيرش وسائر المتمولين اليهود، قاسى الكثيرون من هجمات هرتزل عليهم . بين هؤلاء بعض أعز أصحابه . وهذه بعض الأمثلة

كان هرتزل قد تعرف في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٥ على الكولونيل جولد سمد ، الضابط اليهودي البريطاني . فأعجب به كثيراً وقال عنه « لقد أصبح مقرباً إلي كأخ » (ص ٢٨٣) . لكنه بعد تسعة أشهر كان يقرر مقاطعته تماماً . كتب في ١٩ ــ ٧ ــ ١٨٩٦ :

« ما كان يجب أن انتظر هذا من جولد سمد . إذا كان ضدي ، لمــاذا لم يخبرني ذلك بصراحته العسكرية ، ولماذا أكد لي في ليلة احبة صهيون أنــه يؤمن بما أقوم به وسيكون إلى جانبي شرط أن لا أُضلّل في القسطنطينية . لن أعتمد على الكولونيل جولد سمد بعد الآن . » (ص ٤٢٧) .

وفي ١١ ــ ٣ ــ ١٨٩٧ أخذ يسخر من جولد سمد هذا ويتهمه بإثارة المشاكل (ص ٥٢٢) . وفي ٢٩ــ٣ــ ١٨٩٧ علم أن جولد سمد يحاربه فكتب في يومياته يسخر منه :

« رسالة كئيبة من دهاس في لندن . يقول أن الكولونيل جولد سمــد استدعاه وتوسل اليه أن يبتعد عن المؤتمر حتى لا يحصل « انشقاق » في صفوف

« أحبة صهيون » ... انشقاق كم هو سيء . لكني قد شبعت من هذه النوادي والقيادات . » (ص ٥٣١) .

وجودمان مثال آخر . كان هذا الرجل منذ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ قد اتبع هرتزل حتى أن هرتزل أعده ليكون كبير معاونيه . في أذار (مارس) ١٨٩٧ كان لا يزال يجهل ما هي الصهيونية !

« قال [جودمان] : « اشرح الصهيونية لي . اني لا أفهمها . »

قلت : « كلا . ان كل كلمة معك تذهب هباء . »

ان لديه أراء غريبة . يفضّل أن يموت على أبواب الكنيس على أن يستسلم للاساميين . و « لن يهرب » وكل السخافات الاخرى . وتكلم أيضا عن « رسالة اليهود » التي تتضمن الانتشار في العالم . ان الذين يتكلمون عن هذه الرسالة هم فقط الناجحون في أماكن اقامتهم الحاضرة . » (ص ٥٢٥) .

وحينما قرر هرتزل ، في أيار (مايو) ١٨٩٧ أن يصدر جريدة يسميها دي ولت (وقد صدرت في ١ – ٦ – ١٨٩٧) كشف بعض أصحابه القناع عن طمعهم به أو معارضتهم له . فكتب يقول :

« جاء لاندو ، وفجأة أخذ يرفع مطاليبه حينما رأى أن الجريدة التي توسل إلي من أجلها قبل سنة ونصف السنة كادت تصبح حقيقة . قال انه مضطر أن يطالب بالوقت الضائع ، وبالمدخول الضائع ، وغير ذلك . فطلبت منه أن يقدم مطاليبه كتابياً . » (ص ٥٤٦) .

« بالمناسبة ، ومن الغرابة ، أن تيارا معارضا للجريدة يبدو أنه أخذ بالانتشار بين السادة . أحسست بوجوده دون أن يُعبرّ عنه علناً . » (ص ٥٤٧).

« أشرت إلى أنني اقترحت ، قبل أشهر ، بأن نسير قدماً وأن نجمع المتبرعين ، حتى نتأكد من ايجاد أساس لمنظمة الحركة التي يريدها الجميع .

لكن اقتراحي لم ينفذ بأكثر مما نفذت به اقتراحاتي الاخرى ، ما لم أقم أنـا نفسي بالتنفيذ . ولذلك قررت أن أؤسس الجريدة بنفسي ، بمالي الخاص وبجهدي الخاص . عندئذ أخذ السادة ، الذين كانوا إلى وقت قريب لا يتوقعون إلا القليل ، يتوقعون الكثير . وقال كلنر أن عليّ أن أقدم عملي للجريدة مجاناً بينما يعمل الاخرون بالاجر . بعد ذاك طلبت من السادة ان نملك الجريدة معا بأن يقدموا لها المال أو العمل . لكن لم يكن أي واحد منهم مستعدا أن يقدم مالاً . » (٥٤٧) .

« مرت أيام قاسية مشوشة فيها الكثير من القرف والالم . أجريت معاملات مع اناس « عمليين » من عالمي السياسة والمال ، وغالباً ما ندمت على اني تركت عالم الادب إلى هذه الضجة والضوضاء . » (ص ٤٧٢) .

وقد كشفت له الجريدة أن لا أحد يعمل له مجاناً ولا أحد يرضى بالقليل :

« يتوقع ويتمان منا أن نؤمّن مستقبله مقابل خدماته لنا . وهو يستحق ذلك . سوف أعده بذلك في رسالة سيكرّمها الشاكرون من اليهود يوما ما . الا انني لا أستطيع أن أعده بمبلغ من المال بأكثر مما استطيع أن أعد نيولنسكي . لكن كليهما سينال شكر اليهود بقدر ما سيعملان لهم . » (ص ٥٤٩) .

وكشفت له أنه وحيد في الميدان :

« أعمل في اعداد الجريدة الجديدة إلى حد الارهاق والانهيار .

لم يصلنا إلا أشتراكان . وثلاثة فقط ، من بين المئات الذين أُعلموا بالجريدة ، أجابوا حتى الآن . ان أصدقائي الحزبيين الحميمين يعتقدون ان الجريدة ستكون فاشلة . » (ص ٥٥٤) .

« وهكذا فان الجريدة كلها تقوم على قدميّ أنا . » (ص ٥٥٦) .

« لا يوجد فيها اعلانات . وفي أخر لحظة أتصلت بكريمنزكي وطلبت منه اعلاناً مجانياً . لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك . » (ص ٥٥٦) .

لم يكن هرتزل يكتم خيبة أمله باليهود بسبب هذه المواقف . كان دائماً يشكو من وقوفه في ميدان العمل لوحده ، لأن ليس لليهود الصفات التي تجعلهم يشاركونه أتعابه . هذه مقتطفات كتبها هرتزل بين صيف ١٨٩٧ وصيف ١٨٩٨ :

« وبناء على ذلك ، وكما كان في السابق ، سيترك عمل كل شيء علي وحدي ...

وفيما أنا جالس في منصة مسرح العمال يوم الأحد ، مرت بي مشاعر غريبة . رأيت وسمعت أسطورتي تولد . ان الناس عاطفيون ولذا لا يستطيعون أن يروا بوضوح ، وأنا أعتقد أنهم حتى الآن لا يستطيعون أن يكونوا صورة واضحة لي . إن ضباباً خفيفاً قد بدأ ينتشر حولي وربما تحول إلى سحابة أسير فيها . على أنهم وان لم يروا ملامحي واضحة فانهم لا بد أن يشعروا بحدسهم انني أريد لهم الخير وانني رجل صغار الناس . طبعاً يمكن أن يظهروا المحبة نفسها التي يظهرونها لي أنا المخلص لقضيتهم لدجال يخدعهم . » (ص ٤٢١) .

« فكرة تتردد على خاطري باستمرار : ما أقل الامتنان الذي سيعبر اليهود عنه تجاهي للاعمال الجبارة التي أقوم بها من أجلهم . اذا تخليت عن المشروع الآن لا بد أن يظل المشروع بلا تنفيذ عدة عقود من السنوات ، وحتى انذاك لن ينفذ الا بواسطة استثمار أفكاري . » (ص ٤٣٩) .

« ما لا أفعله بنفسي لا يفعله أحد . » (ص ٤٤٨) .

« هذا هو فقر الصهيونيين حالياً ــ الصهيونيون الذين قد أرتفع بهم سريعاً ، ثم ينسون ما فعلت من أجلهم . » (ص ٤٥١) .

« لا أحد يساعدني » (ص ٤٦٠) .

« هناك أمر واضح منذ الآن : سنقوم ، بامبس وأنا ، بكل العمل ، أما الاخرون فسيكتفون بالمراقبة . » (ص ٥٢٠) .

« لا بد أن تزداد الحالة سوءاً. وبالتأكيد سينجو أصحاب الملايين بأنفسهم. ان يهود فينه ، شأن معظم يهودنا ، مـــن يهود « الجيتو » الذين يسرهم أن يخرجوا من الاحداث بكدمات بسيطة على أعينهم . » (ص ٥٣٠) .

« قال بلوخ انه قصد من مراجعة كتيب جودمان أن يجرني إلى الرد عليه . وهذا هو ما دعاه أن يطلب إلى كاتب المراجعة ، فيلبوجن ، أن يشدد عـــلى وجوب تسمية الفصل الرابع « الدكتور جودمان ضد الدكتور هرتزل . » وبالطبع لم اصدقه . بل أعتقد أن فيلبوجن اراد الايقاع بي وان بلوخ يريد أن يقف مع الأقوى بعد أن رأى سير الامور لصالحي . أما اذا هزُمت في المعركة المقبلة فانه لا بد أن يتخلى عني . » (ص ٥٣٩) .

ولعل خير ما نختم به هذه السلسلة من أقوال هرتزل في معاصريه من اليهود هو أن ننقل مقتطفات من رسالة بعث بها نيولنسكي إلى هرتزل أثارت إعجاب هرتزل ووصفها بأنها « رسالة رائعة » واحتفظ بها « كتذكار» كما قال (ص ٤٥٢) :

« أردت أن أُخبرك بذلك لاعوّض لك عن الخيبة والاهانة التي تواجهها من الآخرين . لا تدعهم يحطمونك . تذكر كلماتي : انك ستلاقي ، بين أبناء ملتك ، أحط المؤامرات والحماقات وفقدان القيم ونكران الجميل . لكن الله سيكون بعونك . وأنا كذلك . » (ص ٤٥٢) .

يذكرنا هذا بما كان باشر قد قاله لهرتزل مرة ، ساخراً :

« سيكون اليهود أكثر تبرما عند الاستماع اليك من غيرهم . ستحمـــل لقب شرف من اللاساميين . » (ص ٢٦٦) .

هكذا كان واقع الحال ، وهكذا كانت أراء هرتزل وأحاسيسه ، عندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل في ٢٩ ــ ٨ ــ ١٨٩٧ . ان هذا المؤتمر الذي انبثقت عنه الحركة الصهيونية التي قامت بالتمهيد لسلب فلسطين من

شعبها بعد خمسين سنة تقريباً ، أكثر ما يكشف عن نوعية اليهود ، صهيونيين وغير صهيونيين ، الذين جندهم هرتزل للقيام بعملية السلب هذه . لقد وجد هرتزل معارضة في المؤتمر منذ أن بدأ يعمل ويدعو لعقده ، أي منذ ربيع ١٨٩٧. بدأ اليهود ، صهيونيين وغير صهيونيين ، يعارضونه ، وبدأ هو يتهجم عليهم . كتب في ١٢ ـ ٤ ـ ١٨٩٧ :

« أرسل دهاس لي رسالة من الحاخام كامينكا ، من براج ، يعارض مؤتمر ميونخ . ان كامينكا هذا مثل دلاّلة الطقس : تتجه يوما نحو هذه الجهة ويوما نحو تلك . الاّ أن همّه الرئيسي هو ما اذا كان عظام الناس ـ أي الاثرياء ـ سيحضرون . يجب تدوين أخبار هذا الكاهن في يومياتي . » (ص ٥٣٥) .

« نشر الدكتور جودمان كتيباً معارضاً بعنوان « القومية اليهودية » وكما يبدو باشارة من « سراة اليهود » المحليين . أنه يحصر نفسه في تعميمات مبهمة وجبانة ، لكن غايته الواضحة هي تزويد المحاربين الاشجع منه بالذخيرة . وسوف أرد عليه رداً مدمراً على الطريقة المكيافيلية . » (ص ٥٣٦) .

قرر في أول الأمر ، أن ينعقد المؤتمر في ميونخ . لكن يهود تلك المدينة قاموا ضده ورفضوا أن تتحول مدينتهم إلى قاعدة للصهيونية. كتب في ٢٤ ـ ٤ ـ ١٨٩٧ يشكو من ذلك :

« حجة بامبس أن يهود ميونخ يعارضون عقد المؤتمر في ميونخ ... في الوقت نفسه كتبت إلى بودنهايمر ـ كولون أطلعه على المؤامرة وأسأله عن منطقته . اذا دعت الحاجة فان كولون هي التي تصبح قاعدة للصهيونية الالمانية . اذا اتعبونا في ميونخ سانقل المؤتمر إلى زوريخ . » (ص ٥٣٨) .

وجارى يهود برلين يهود ميونخ :

« ان أهالي برلين يتبرأون من المؤتمر. أخشى أن يكون وراء ذلك مؤامرة من شيد . وقد تنصل بامبس وهلد شايمر في صحف برلين اليهودية من تصريحي

عن المؤتمر . » (ص ٥٤٣) .

وعم ذعر اليهود من المؤتمر بعد ان نشر خبر النية على عقده بعض الصحف في الاسبوع الأول من أيار (مايو) ١٨٩٧ :

« برلين ، في الخامس من أيار . نشر الدكتور تيودور هرتزل ، منذ أسابيع ، تصريحاً مبدئياً في فينه بان مؤتمراً صهيونياً سينعقد في الخامس والعشرين من آب في مدينة في جنوب المانيه . وجاء بين أسماء الخطباء الذين سيقدمون تقارير اسم ناشر هذه الجريدة الذي جاء في البرنامج أنه سيتكلم عن « واجب البر اليهودي في فلسطين » . وقد نقلت صحيفة يهودية محلية الخبر ، لكنها نشرت في العدد التالي هذه الرسالة من السيد بامبس ، وهو عضو في اللجنة التي عهد اليها بالتحضير للمؤتمر العتيد : في الواقع أن الاجراءات تؤخذ حالياً لعقد المؤتمر الكبير الذي سيُعنى بالمسائل اليهودية العمومية ، مثل هجرة اليهود الروس ، وغيرها . أما اذا كان المؤتمر سيكون صهيونيا ، حسب مقترحات الدكتور هرتزل ، أو سيكون اجتماعاً للجمعيات الفلسطينية حسب مقترحات أشخاص آخرين ، أو سيكون بشكل آخر ، فأنه أمر لم يتقرر بعد ، لأنه لا يزال في مراحله المبدئية . هذا يبطل كل الاستنتاجات التي قامت عن خطة الدكتور هرتزل . » (ص ٥٤٣) .

في الشهر التالي رفضت جمعية أحبة صهيون ، التي كان جولد سمد يتولى رئاستها في بريطانيه ، الإشتراك في المؤتمر العتيد :

« تبرأت رئاسة « أحبة صهيون » الانجليزية من مؤتمر ميونخ تماماً وأعلنت ذلك في بيان جاف وخبيث . » (ص ٥٥٨) .

واستمر يهود ميونخ على معارضتهم للمؤتمر حتى قرر هرتزل أن يتخلى عن المدينة ويفكر بمكان آخر :

« الجالية اليهودية في ميونخ تحتج على اجتماع المؤتمر . » (ص ٥٦٤) .

« سننقل المؤتمر من ميونخ ، غير المناسبة ، إلى زوريخ ، المناسبة . » (ص ٥٦٤) .

« قررنا في لجنة العمل اليوم نقل المؤتمر إلى بازل ، وربما إلى زوريخ ، ما دامت الجالية اليهودية في ميونخ تحتج على عقد المؤتمر . » (ص ٥٦٥) .

وهكذا تقرر عقد المؤتمر في بازل السويسرية .

يشكو هرتزل من أنه هو وحده الذي قام بكل العمل في المؤتمر :

« امتعض الدكتور كوكش كثيراً لأن برنامج الاجتماع (الذي وضعته أنا) للمؤتمر (الذي أعقده أنا) للصهيونيين (الذين أعدّهم أنا) لم يحتوِ على تبديل اقترحته لجنة التدبيرات (التي لا تعمل شيئاً) . وقال « لسنا مجرد مجلس البلاط في دولة ملكية مطلقة . » (ص ٥٧٣) .

وهذا ما كتبه هرتزل في ٢٣ – ٨ – ١٨٩٧ ، وهو على أبواب المؤتمر الشهير :

« الحقيقة التي أخفيها عن كل الناس هي انه لا يوجد لدي الا جيش من الشحاذين . اني لا أقود الا الاطفال والشحاذين والاغرار . بعضهم يستغلّني . وبعضهم يحسدني أو يخونني . وفريق ثالث يتخلى عني في اللحظة التي يجد فيها مستقبلا أحسن . القليلون فقط هم متحمسون بدون أنانية . » (ص ٥٧٧) .

« لقد وصل هكلر . وسيصل نيولنسكي ، وكل الذين ساعدوا في خلق هذه الحركة الشعبية باشرافي . وسيكون من مهماتي منع اجتماعهم مع بعضهم بعضا كثيرا ، لانهم قد يفقدون ايمانهم بالقضية وبي اذا رأوا الوسائل الوضيعة التي استعملتها في بناء الصرح الحالي . ان الامر كله حيلة من الحيل التي تبدو طبيعية بعد حصولها بقدر ما كانت تبدو مستحيلة قبل حصولها .

نيولنسكي أحد همومي – ما سيقوله هو عن رجالي وما سيقوله رجالي عنه . عليّ أن اجتهد في عزله . فان من المعقول أن يكبُر آل بامبس ، وآل

كوهن الصغار ، أو حتى الدكتور لاندو ، ممن خلقت لهم المراكز وممن لاحظت فيهم نكران الجميل والخيانة من قبل ، نيولنسكي هذا وان يُسقطوني . لذلك سوف أطلب من نيولنسكي ولاءً مطلقاً ، وسأشرح له أن عليه أن لا يعرف أحداً غيري . عليه الا يتعامل مع أحد غيري ، ولن أدعوه إلى اجتماعات اللجنة الداخلية الا اذا كانت الفرصة مناسبة . » (ص ٥٧٨) .

« رقصة بيض بين بيضات غير مرئية :

١ — بيضة الجريدة الحرة الجديدة التي علي الا أتساهل معها والا أعطيها الحجة للتخلص مني .
٢ — بيضة الارثوذكسيين .
٣ — بيضة العصريين .
٤ — بيضة الوطنية النمساوية .
٥ — بيضة تركيه والسلطان .
٦ — بيضة الحكومة الروسية ...
٧ — بيضة الطوائف المسيحية بسبب الاماكن المقدسة .

انها ، باختصار ، تكثيف لكل المصاعب التي جابهتها منذ البدء . يضاف اليها بيضات أُخرى في رقصة البيض : بيضة ادموند روتشيلد . بيضة « أحبة صهيون » في روسيه . بيضة المستعمرين . ثم هناك بيضات الخلافات الشخصية : بيضة الحسد وبيضة الحقد .

علي أن أسير بالحركة بدون أدنى ذاتية ، وفي الوقت نفسه دون أن أسمح للرسن بان ينفلت من بين يديّ . أنه عمل من أعمال هرقل (ولا أُبالغ) لم أعد أستسيغه . » (ص ٥٧٨) .

عقدت الجلسة الاولى للمؤتمر في ٢٩ — ٨ — ١٨٩٧ . ومن اللحظة الاولى نشب خلاف على الرئاسة :

« غضب نوردو في المؤتمر التمهيدي لعدم انتخابه رئيساً . » (ص ٥٨٠) .

« حرصت في الايام الثلاثة حرصا شديدا على أن أجعل نوردو ينسى انه يؤدي دورا ثانويا في المؤتمر ، وهو أمر قاسي منه بشكل ظاهر . كنت في كل مناسبة أُشدد على اني أترأس الاجتماع لاسباب فنية فقط ، بسبب معرفتي للناس ولتفاصيل الامور ، وأنه في كل الحالات له حق التقدم علي . فحسّن ذلك مزاجه ، ولحسن الحظ كان خطابه أنجح من خطابي السياسي الصرف . ورحت في كل مكان أصف خطابه بأنه أحسن ما القي في المؤتمر . كذلك اضطررت إلى تهدئة بعض الحساسيات الاخرى : لم ينتخب ستينر في اللجان فخرج شاعراً بالمذلة . فاسرعت وعينته رئيساً للاحتفالات وللجنة التنظيم ، فجلس على منضدة الخطباء ومنع الخطباء من الجلوس معه . اضطرهم إلى التكلم من القاعة نفسها بينما جلس هو على كرسي على المنصة . وكان بين الذين شعروا بأنهم أُهينوا منتز واخرون ممن خاطبتهم بفظاظة لأنهم جلسوا على طاولة الرئاسة يحلمون أحلاماً نهارية ولا يتحركون بدل أن يسجلوا الوقائع ويساعدوني في ادارة الجلسات .

كان كل شيء ملقى على كاهلي . » (ص ٥٨١) .

وهذه عينة من بعض المشاكل التي نشبت في المؤتمر :

« أقترفت في اليوم الاول عدداً من الاخطاء . أما في اليوم الثاني فكنت قد أصبحت في مستوى الوضع . مرت لحظات حرجة : مثلاً عندما نهض شخص يدعى مندلكيرن وأقترح التصويت على شكرٍ يرفعه المؤتمر إلى البارون أدموند روتشيلد . فاعترضت على الاقتراح لان لا حق لنا بالتصويت بهذا الشكل على مسألة مبدأ فقط . وسحقت مندلكيرن بقولي انه كان يضع المؤتمر بمركز حرج اذ يخيره بين جحود مشروع خيري وبين التخلي عن مبادئه.فهتف المؤتمر لي .

لحظة حرجة أُخرى . حينما حصلت فضيحة بيرنبوم . ظهر بيرنبوم هذا ، الذي كان قد تخلى عن الصهيونية واعتنق الاشتراكية قبل ثلاث سنوات قبل

أن أظهر على المسرح ، وكأنه هو سلفي . أنه يصوّر نفسه في رسائله المستعطية التي أرسلها اليّ وإلى غيري ، بأنه هو مكتشف الصهيونية ومؤسسها ، لأنه كان قد كتب كتيباً ، مثل كثيرين غيره ، منذ بنسكر (الذي لم أقرأه بعد هو أيضا) والآن جعل عدداً من الشبان يقترحون أن ينتخب السكرتير العام للجنة الاعمال انتخابا مباشراً وأن يأخذ راتبه من المؤتمر . وكان لهذا المخلوق ، الذي لم يكن ليفكر في المؤتمر الوطني الاول لليهود بشيء غير الحصول على اعانة ، الجرأة على مقارنة نفسه بي . وكما في رسائله المستعطية ، جمع هنا أيضا الوقاحة مع الشحذة . انه يريد أن يتساوى السكرتير العام ، كممثل للمؤتمر موثوق به ، مع أعضاء لجنة الاعمال الاثنين وعشرين الاخرين . فأعلنت اني لا أستطيع أن أتصوّر كيف يقبل أي انسان مقعدا في اللجنة ما دامت الظروف كذلك . ففشل الاقتراح فشلاً ذريعاً » (ص ٥٨٤) .

« لأني لم أكن موجوداً في القاعة عند مناقشة الاستعمار ، تسلل بامبس إلى المنصة ودخل احدى اللجان . سمحت لابن الزانية بالذهاب ، كما سمحت للوغد شيد سالماً ، لأن المؤتمر كان في تلك الاثناء قد اتجه نحو العظمة لدرجة اني لم أشأ أن أُفسد الانطباع بهذه المضايقات . ليذهبوا وليشنقوا أنفسهم في مكان اخر » (ص ٥٨٥) .

« كل واحد تقدم الي يطلب معلومات عن كل شيء ، المهم منها وغير المهم . كان أربعة أو خمسة أشخاص يتحدثون الي في الوقت نفسه دائماً . وهو ارهاق عقلي هائل ، لأنه يجب الاجابة على كل واحد منهم بجواب محدد حاسم. احسست كأني مضطر أن العب أثنتين وثلاثين لعبة شطرنج في آن واحد . » (ص ٥٨٦) .

« برهن نيولنسكي أنه وغد تجاهي أيضاً . فبالامس ، حينما زرته لابحث معه نتائج مؤتمر بازل والخطوات التالية التي يجب القيام بها في تركيه ، أخبرني أنه تكلم مع أدموند روتشيلد في باريس . فذهلت . لأنه لم يذهب إلى روتشيلد

الا كخائن . ولا بد أنه استعمل رسائلي السرية كوسيلة للوصول اليه ، وهي الرسائل التي وضعت فيها مخططي للمؤتمر ... سأكون حذراً ، من الآن وصاعداً ، من هذا اللئيم ، الا أنني لن أقطع علاقاتي معه ، لأنه يستطيع أذيتي كثيراً في القسطنطينية ـ أذية أكثر من الخير الذي كان يمكنه أن يفعله لي هنا . بل اني لم أجرؤ أن أُخبره بشعوري نحو خديعته الحقيرة . بل اني قلت له ، وكأني أصدّق أخلاصه ، انه أحسن بالالتحاق بي ، ما دمت الآن قد اصبحت أُسيطر على الحركة كلها » (ص ٥٨٧) .

« يلعب بيرنبوم ، الذي يزداد وقاحة واستعطاء ، أوراقه كلها ليصبح سكرتيرا عاما . حتى الآن لا يوجد قرش واحد ومع هذا بدأ يطلب من اللجنة تسديد ديونه واعطاءه وظيفة (وظيفة لمدى الحياة على ما يبدو) راتبها الفا وثمانمئة جيلدر سنوياً . مقابل ماذا ؟ مقابل كتيب ظل مجهولاً وبعض المقالات . لما ظهرت على المسرح كان قد ترك الصهيونية منذ ثلاثة أعوام ، وتحول إلى الاشتراكية . وبالرغم من هذا أشاع في بازل أنه لولاه لما أمكن قيام هرتزل ومؤتمر بازل . تصفيق حاد » (ص ٥٨٩) .

لذلك لم يكن غريباً أن يقرف هرتزل من رئاسة الحركة الصهيونية ويعرضها على غيره ، على نوردو ، في ٢٤ ـ ٢ ـ ١٨٩٨ :

« ولكني لست بعد متأكدا من أنه الشخص الملائم لهذا المنصب . لن يقدّر الناس قيمتي إلا بعد أن يستلم زعيم غيري العمل الذي أقوم به . كنت مواظباً في أيام الضيق وهادئا في أيام اليسر . ليس من الهيّن أن يصمت الانسان وهو يعرف أن كلمة واحدة تلهب الحماس ، ولا هو سهل أن يحُافظ الانسان على شجاعة الناس عندما يفقد هو نفسه الشجاعة ، وان يحافظ دوماً على ابتسامة وأن يتعامل مع الأخساء ، وأن يلاحقه الشحاذون ، وأن يستهين به ويرفضه الأجلاف ، لأن هؤلاء الشحاذين يصبحون أجلافاً اذا ما حصلوا على المال ، وفوق كل هذا فهناك الحسد ، والخديعة والمكر وعدم التقدير ـ لأني بالطبع

أفعل كل هذا عن عجب وخيلاء ! ترى هل يتحمل نوردو كل هذا ، ام يتغلب عليه الغضب ويخرب كل ما عملت ؟» (ص ٦١٦) .

كتب في ١١ – ٤ – ١٨٩٨ يشكو من أنه هو وحده الذي يعمل للحركة الصهيونية ، ولا أحد يؤازره ، لا في الحركة ولا في الجريدة :

« الامور تجري في الخفاء داخل « لجنة الاعمال » . إن البعض مستاءون لأنهم « لا يعرفون » بشيء .

أمس افهمت شنارير لماذا أعمل أنا وحدي ، كما هو الأمر دائماً . إن اللجنة أداة غير خدومة ، تقوم فقط بأعمال خرقاء ، ولاسباب مختلفة لا يستطيع أحد أن يقدم أي مساعدة » (ص ٦٢٦) .

« هناك مئة وثمانون مشتركاً في الولت في فينه – وبما ان الدعاوة الحزبية قد تغلبت عليّ فقد قررت من الآن فصاعداً أن أدعم الولت كجريدة عادية بواسطة الاعلانات . أما العجز القائم حتى الآن فسأتولى أنا نفسي أمره ، ولأن النقد الموجرد – من ٢٤٠٠ مشترك في جميع البلدان – لا يكفي مصاريف الجريدة » (ص ٦٢٨) .

يمكننا أن نأخذ المؤتمر الصهيوني الثاني ، الذي انعقد في بازل في ٢٩ – ٨ – ١٨٩٨ ، مثالاً على الهوة التي كانت تقوم بين هرتزل وغيره من الصهيونيين . إن المقتطفات التالية مما كتبه هرتزل في تلك الفترة تعطي فكرة واضحة عن ذلك :

« كان شعور معظم الناس ضد عقد المؤتمر الثاني ، ولكني أقنعتهم أنه يجب أن يكون وإلا تندثر الحركة ، ولأنه يجب أن نعطيها دستوراً جديداً ، إذ أن الدستور الحالي يبدو وكأنه دستور منظمة دولية ، والحركة ليست هكذا. إن السيئة الوحيدة التي عندنا هي هذه « الدولية » الظاهرة ، وكل خطوة نقوم بها هي معرضة لامكان اظهار الحركة بشكل غير شرعي . وكل عمل لئيم ضد الصهيونية يسيء الينا .

اه فكرتي التي بينت تفاصيلها في المؤتمر التمهيدي هي ان أؤسس مكتباً مركزياً في بازل .

لن يكون هناك رابط اتصال بين اللجان ، ستكون لجنة واحدة – بالطبع لجنة فينه – هي النموذج ، وما تفعله هذه اللجنة يعمل به الآخرون عن رضى وبدون أوامر ، حسب ما تسمح به قوانين البلد وحاجاتها المحلية .

أما جوهر المفاوضات فكان مسألة البنك الذي قدمت له اقتراحاتي وهي بدء الاشتراك المؤقت بجنيه واحدة مع دفع رصيد من ١٠ ٪ » (ص ٦٣٠) .

« إن ايجاد جريدة يومية كبيرة هي المشكلة التي لا تحل الآن.لا يمكننا جمع المال اللازم لذلك . نستطيع أن نتسلط على الجريدة الحرة الجديدة بمبلغ مليوني جيلدر . وبذلك يكون لنا الاداة اللازمة . يا للعيب ، اننا لا نستطيع أن نجمع هذا المبلغ الزهيد جداً بالنسبة للقضية . ما نزال مثل جيش الثورة الفرنسية : نذهب إلى الميدان بدون أحذية ولا جوارب » (ص ٦٣١) .

« صعوبات في لجنة الأعمال . إنهم يتذمرون لأني لا أُعطيهم إلا القليل من المعلومات . ولكن حينما أُصدر نداء للعمل، لا يلبي أحد هذا النداء . يقول شنايرر ان ليس لديه الوقت ، ويرفض منتز لاني أعمل مع الموموركيين الذين هم أعداؤه . عندما طلبت من منتز أن يتولى أمر التحضير الصحفي للمؤتمر الثاني ، طلب أن أمهله حتى يفكر في الأمر لأنه لم يكن بعد متأكداً من أنه سيحضر المؤتمر الثاني » (ص ٦٣٢) .

« كان أمس اجتماع لجنة الأعمال التابعة للبنك . جمع واحد منهم ، الدكتور كاهن ، ٣٥٠ سهماً ، اما البقية فلم يجمعوا شيئاً . أما كوكش فقد دوّن اسماء عدد ليعملوا في الجمع . هذا كل شيء . ولقد أبديت عدم رضاي للموجودين ببضع كلمات . هكذا كان الأمر قبل المؤتمر الأول أيضاً .

ولفسن صاحب نية طيّبة ، انما هو غير نشيط ، هو يطلب أن لا

يذكر شيء بعد عن رحلاته في « الولت » . يقول انه لا يريد أن يصبح موضع هزء الاخرين . كل هؤلاء لا يفهمُون اني أجعلهم عظماء . وهذا شيء عادي في كل يهودي كبير . أرسل ولفسن ان سليجمان (فرانكفورت) رفض أن يكون مستودعاً للاسهم الاولية لذلك عمد ولفسن إلى شافهاوزن ، المؤسسة المصرفية في كولون (وهي غير يهودية) التي أعلنت حالاً انه لا مانع لديها من ذلك » . (ص ٦٣٦) .

« كتبت اليوم لكوهين (هامبورج) اللطيف ، الذي لا يستطيع أن يعمل شيئاً في هامبورج (من أجل البنك) لأن القروض تعطى للأغنياء فقط . كتبت له قائلاً : « ان معنى البنك بالنسبة لنا هو أننا بقفزة واحدة نريد أن نخرج من هذه الحلقة الشريرة التي تدور حول رفض أصحاب البنوك الإنضمام إلينا حتى ينضم إلينا أصحاب البنوك . إنهم يثقلون علينا عبء الحياة ، لذلك يتوجب على حركتنا هذه أن تتخطى هذا أو تموت . إن الأمر في رأيي أخطر من أن يكون لعباً . وبالنسبة للعقول الجديدة ، كان الأمر حتى الآن مجرد لعب » . (ص ٦٣٧) .

« لقد وصلني خبر من لودز ، ان تاجراً سأل صموئيل مونتاجو في لندن ما اذا كان سيشترك في البنك . إذا انتقمنا يوما ما من هؤلاء الكبار من أصحاب البنوك فسوف نكون على حق ...

جاستر هنا . أخبرته بالحقائق هذه التي ذكرتها قبل قليل وأُريد أن اتحدث معه بخصوص الحملة التي سنشنها ضد أصحاب البنوك الكبار .

ان الأغنياء « والعظماء في اسرائيل » يتحملون مسؤولية مخيفة بتخليهم عني . إني اداة عاملة في ارجاع اليهود — انهم يرهقوني بالأعمال المتعبة التي لا تثمر . ربما مت قبل أن أؤمن نجاح المشروع وعندها فسوف يضيع » (ص٦٣٨) .

« أبرق ولفسن يخبرني أن سليجمان وماركس صاحبي البنوك اللذين كان منتظراً أن يأتيا إلى كولون لحضور مؤتمر البنك قد سحبا قبولهما . هذه الحيلة

الوسخة تستوجب اعادة النظر في كل شيء . سأبدأ مشروع البنك في المؤتمر ، وهذا سيخلصنا من الاعتماد على أصحاب البنوك أبناء الحرام » (ص ٦٤٧) .

« يقول ولفسن في تقريره ان المبلغ الذي تجمع من اشتراكات البنك هو مئة الف جنيه فقط . سنظل نعتمد على الاسابيع القادمة إلى ما قبل انعقـــاد المؤتمر لعل الاشتراكات ترتفع . أما إذا لم تتحسن الحال حتى وقت المؤتمر فانه سيحتم علينا أن نعمل جهدنا في المؤتمر على تحسين الموقف وهذا أمر صعب جداً . إن هؤلاء الأغنياء يريدوننا أن نتجمد . سيكون إنتقامي منهم فظيعا . قد أُعلن المقاطعة في هذا المؤتمر » (ص ٦٤٩) .

ووصف هرتزل المؤتمر المذكور ، الثاني ، خلال انعقاده بالكلمات التالية :

« كانت المباحثات أمس تدعو لليأس ... بدأ الكلام الفـــارغ حـــالاً . كان جاستر الذي ترأس الاجتماع حازماً . أما أوسكار مرمورك فقد خيب ظني عندما مدح لجنة الأعمال لأنها انجزت الكثير بوسائل قليلة. وجلس نيولنسكي في المقصورة ، وكنت قد أرسلت اليه لكي يحضر هو وزوجته وأولاده حتى يقدم تقريراً للسلطان عن قوة حركتنا .. بعد ذلك أُعطي كوهن دور الخطيب فمدحنا لأننا قمنا بكل هذا بدون مال ، وبدون موارد ثروة ، فبعثت اليـــه خبراً أن إخرس وإلا تركت الاجتماع حالاً ، ولكنه استمر في الهذر بدون انقطاع ولمح ست مرات أُخرى إلى فقرنا حتى قاطعت الاجتماع لأفسح المجال لانعقاد اجتماع لجنة التمويل .

أراد معظم المتكلمين أن نوافيهم بتفاصيل وبأخبار لا نستطيع أن نعطيهم إياها لأنها قليلة . إن الحركة هذه السنة (حسب رقم شنايرر) أكبر مما كانت عليه العام الماضي بتسع مرّات — ولكنها كانت السنة الماضية صغيرة إلى حـــد مضحك . وهذا أمر كان علينا ان نتخطاه . ولحسن الحظ فان حساباتنا التي قدمناها للجنة التمويل كانت في غاية التنظيم ، وقد استطعنا أن نبينّ فائضـــاً بمبلغ واحد وستين الف فرنك » (ص ٦٥٢) .

ثم كتب ، بعد إنتهائه في ٢–٩– ١٨٩٨ ، يصف الجلسات الأخيرة بمايلي :

« تلاشى المعارضون في المؤتمر بجلبة كبيرة . وكان لاندو بمعارضته مدعاة

للسخرية . لم أحتج لان أدمرهم . وقد أوقف بامبس شرّه .. لقد فزت على أبناء العواهر الجالاسيين ، كوهن (الصغير) ، لاندو ، سالز ومالز . كان لاندو أكثرهم صياحاً . واحمقهم . صحيح أنني أسكتهم ولكن لو لم أكن متعباً من ترؤس جلسة دامت احدى وعشرين ساعة لكنت سحقتهم سحقاً ، تحضرني الكلمات التي كان يجب أن أقولها لهم عند ترؤس الاجتماع : كان يجب أن أقول : هناك محاولة ثانية من الجانب نفسه لوسم مؤتمرنا بشارة العار الصفراء . كان يجب أن أسمّر كوهن مثل الوطواط لما وقف على المنبر يتكلم وأقول له : أأنت صهيوني ؟ ويجب ان أظهر سُخطي أيضاً من تصرف شنايرر وكوكش ومنتز . الحقيقة ان هؤلاء أرادوا أن يتخلوا عني عندما لاحظوا الاستياء الذي ساد المؤتمر لأننا لم نعط الشعب توضيحاً للحالة المالية . وقد تركت منتز أن يذهب لأنه كان من الاتباع المقلقين طيلة العام ، أما الآخران فاقنعتهما أن يبقيا . منتز جبان متهرب بطبيعته وقد سبب لي من الاحراج ما فيه الكفاية . شنايرر وكوكش أحسن منه عنصراً ، مع أنهما خافا كثيراً . انهما يعيشان ضمن أُفق ضيق جداً . انهما لا يفهمان مثلاً لماذا سمحت بان يصرف نيولنسكي خمسمئة فرنك حساب فندق في بازل كما انهما قبلا باعانته الشهرية بشيء من الشك والندم . هذه هي المواد التي أعمل معها . لقد كانت سكينا من الورق والخشب في ذلك المؤتمر الصاخب ». (ص ٦٥٣) .

انعكس نفوره من المؤتمر الصهيوني الثاني ومن رجالاته في آرائه بأفراد المؤتمر وفي علاقاته بهم بعد المؤتمر . فإننا نجده دائم الإنتقاد لهم والتشهير بهم والإختلاف معهم . كتب في ٢ ـ ٩ ـ ١٨٩٨ عن هكلر ، القس المسيحي الذي خدمه أكثر من أي إنسان آخر :

« لا بأس بهكلر في البداية ، ولكن بعد ذلك يصبح وجوده مدعاة للسخرية» (ص ٦٥٥) .

وكتب عن كبار معاونيه من اليهود البريطانيين :

« أراني نوردو رسالة من جاستر يرجوه فيها أن يذهب إلى لندن بما انه لا يمكن اقناعي أنا بالعدول عن ذلك.انه لتصرف غريب من بنتوتش وجاستر اللذين دعواني في بازل أن أذهب إلى لندن في أوائل تشرين الاول وهما الآن ضد ذلك . عندي تفسير واحد لرسالة جاستر : إنه يريد أن يتغلب على مظهري بمظهر نوردو . سوف لا يقام المهرجان لرجل واحد . يظن جاستر الذي تهمه السيادة ان رجلين أكثر من رجل واحد . هذا ونوردو لا يريد أن يقوم بدور المساعد ، وهو لن يذهب إلى لندن » (ص ٦٧٣) .

وكتب عن اليهود بشكل عام :

« كم من معارك مظلمة لا توصف ، كان علي أن أخوضها من أجل كل خطوة ، هذه كلها لن يعرفها اليهود ولن يقدروها ، وسوف ينقلبون علي أعداء حالما يتم النجاح ». (ص ٦٧٧) .

وقد تجلت معارضة اليهود له في زيارته إلى لندن في مطلع تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٩٨ . لاقى معارضة من الأثرياء بشكل خاص :

« وأخيراً قام رجل قبيح يدعى هرمان لاندو ، وأخذ ينتقم لصديقه مونتاجو الذي هاجمته ، وأحدث ضجة في الاجتماع ، وبعد أن انتهى دوره في الكلام أخذ يصيح قائلاً ، أننا نسلب أموال الفقراء لننشىء بنكاً لأنفسنا » (ص ٦٧٩) .

لقد عارضه اولئك الأثرياء ورفضوا مشروعه لإنشاء بنك فرجع من بريطانيه خائباً غاضباً :

« ان السافلين من أمثال هرمان لاندو لا يزالون يسيئون الينا بامر من سافلين آخرين أمثال مونتاجو والحاخام ادلر » (ص ٦٨٥) .

ويمكن تلخيص سخطه على اليهود بما كتبه عن الكونت إويلنبرج غير اليهودي ، بأن غير اليهود لهم حق التعالي على اليهود لسوء تصرف اليهود :

« وبما أنه من عنصر يعتبره أنبل من عنصري فانه يشعر بتفوقه علـي ، ولكن كيف لي أن أرفض شعوره هذا وأنا أُفكر بالطريقة السيئة التي عامل بها اليهود الأعلى مستوى – وهم الذين يعرفهم – قضيتنا ؟ » (ص ٦٨٨) .

ذلك أن هرتزل لم يكن يجهل قط معارضة اليهود له في كل مكان . وأكثر ما لمس ذلك في زيارته إلى السلطنة العثمانية في تشرين الأول(اكتوبر)١٨٩٨. ففي القسطنطينية لفت بولو ، كبير مرافقي القيصر الألماني ،نظر هرتزل إلى أن يهود العالم لا يتفقون مع آرائه ، وذلك خلال مقابلة الزعيم الصهيوني مع القيصر للمرة الاولى ، في ١٨ – ١٠ – ١٨٩٨ .

« ولفت انتباهي إلى أن اليهود الاغنياء لا يناصرون فكرتي . « والجرائد الكبيرة ليست معك أيضاً ، خاصة جريدتك . يجب أن تسعى إلى حمل جريدة مثل هذه الجريدة الكبيرة لكي تكون في جانبك . »

قلت : صاحب السعادة ، ان هذه مسألة تعتمد على المال فقط ، وأنـا ككاتب يؤسفني أن أقول هذا ». (ص ٧٢٩) .

وفي فلسطين ، حيث ذهب من تركيه ، هاجم مستعمرات روتشيلد وطريقة العمل فيها ، وعبر بملاحظاته عن اتساع الهوة بينه وبين روتشيلد :

« استقبلنا المدير بشيء من الخوف ، ولم يبدُ لنا لطيفاً ولا غير لطيف ، الخوف من السيد « البارون » يخيم على كل شيء . إن المستعمرين المساكين قد استبدلوا خوفاً بخوف . أخذونا إلى أقبية النبيذ بحفاوة كبيرة . ولكني لم أشك يوماً في أنه بالمال يمكن للانسان أن يقيم المؤسسات الصناعية اينما أراد . كان من الممكن أن تستعـمل الملايين التي صُبّت هنا وبذرت وسرقت في مشاريع تعود بنتائج غير هذه التي تُوّصل اليها ...

ثم تفحصت بيتاً لأحد أصحاب المستعمرات الذي يبدو أنه توصل إلى شيء من النجاح . غرف كبيرة صالحة للسكنى على كل حال ، انما الوجوه مكمدة . وبعد هذا رأيت بيوت بعض العمّال ، سرر خشبية فقيرة . وأخيراً تكلمت مع طبيب المستعمرة ، الدكتور ميزي،وقد أخبرني بالصعوبات رأساً ، قال ان جميع المستعمرات تعاني من الحمى . وأنه يجب أن تقوم هناك حملات تجفيف كبيرة وسريعة للمستنقعات حتى تصبح البلاد صالحة للسكن .

هذا هو رأيي وقصدي أنا أيضاً . » (ص ٧٤٠) .

ولم تكن علاقات هرتزل بيهود فلسطين أحسن من علاقاته مع روتشيلد :

« إن اليهود هنا كبقية اليهود . وقد تبيّن لي ان الرجل الذي جاءني بما ظننته دعوة منهم كان كذابا . بعد أن تركني عاد إلى رؤسائه ليقول انني أحب أن أنتظر القيصر تحت قبة النصر المعدّة لهم ، وعلى هذا أجاب الرؤساء انه لم يعد هناك لي مكان معهم .

أمس كان الحاخام مير مع الزوار الذين أتوا لرؤيتي في بيت ماركس . وشرح لي موقف الحاخامين الكبار في البلد . قال انهم لا يريدون ان يسببوا أي اغضاب للحكومة التركية .

قلت بشيء من الاستهزاء : سالغي زيارتي لهؤلاء السادة لكي لا اسبب لهم أي ارتباك .. ذهبنا لزيارة حائط المبكى . لم أشعر بأية عاطفة عميقة ، لأني شعرت بأن المكان جميعه قد شملته مسحة من الاختصار بالشحاذة . على الاقل هكذا كان المكان عندما كنا فيه هناك ...

زرنا مستشفى يهودياً اليوم ، كله بؤس وقذارة ، ومع هذا فقد كان عليّ من أجل التظاهر فقط أن أشهد بنظافته في سجل الزوّار . هكذا تخلق الاكاذيب ».(ص ٧٤٦ — ٧٤٧) .

وقد بلغ نفور يهود فلسطين منه أن اتهموه بالعمالة لبريطانيه :

« كان من سوء حظنا أننا اضطررنا إلى المبيت في يافا ، حيث أزعجني محبو الاستطلاع والاصحاب والاعداء . وبالأخص شخص اسمه الدكتور ميزي من راشون الذي أُخبرت بأنه يذيع اني أُريد أن أجعل اليهود يعتنقون البروتستانتية . وأنني آلة بيد الجمعيات التبشيرية الانجليزية بين اليهود ، وغير هذا ...

يجب أن أذكر أيضاً أن مستر نيجو ، مدير مكفه اسرائيل، طلب مني أن لا أعود إلى هناك ثانية ، وكنت قد قبلت دعوة مدام نيجو من قبيل اللياقة ؛ قال ان الاوساط التركية سوف تسيء فهم ذلك . هذا هو تأثير هذر موظفي روتشيلد ، الذي تنبأت به بعد المقابلة في مكفه ». (ص٧٥٩) .

«كان اليوم الأخير في يافا سيئا جداً. تجمع عندنا كل أنواع الشحاذين والجواسيس . وقد ترك طبيب روتشيلد ميزي أثراً سيئاً أيضاً وذلك لأنه دخل علينا بدون اذن وعلمنا بأنه يتهمني بأني آلة بيد البعثة الانجليزية للتبشير بين اليهود .

لهذا ذهبت صباح أمس – وبدون سابق انذار – مع ولفسن إلى الميناء حيث أوصلنا قارب صغير إلى مركب الشحن « دندي » (الذي حمولته ٣٥٠ طناً فقط) . ولما عرفت أن هناك مجالاً لسفر خمسة أشخاص ، وإن يكن بصعوبة، دفعت أُجرة السفر وأرسلت ولفسن ليعود بالجماعة وكل أمتعتهم في خلال ساعة .

أما أنا فبقيت على ظهر السفينة ، لأكون بعيداً عن أصحاب كريمر وأصحاب ميزي ، الذين كان من المحتمل أن يسببوا لي متاعب مع الحكومة التركية إما وهم يقصدون أن يعملوا لخلاص اليهودية المعذبة ، أو ليكسبوا الثلاثين من الفضة ، أو لينالوا حظوة عند آل روتشيلد أو عند أحد الباشوات». (ص ٧٦١) .

وما أن عاد من فلسطين حتى أخذ اليهود في اوروبه يهاجمونه على ما حصل في رحلته :

« إن اللهجة التي تستعملها الصحف اللاصهيونية وخاصة الجويش كرونكل وجريدة بلوخ وشنسترفت ، قد فاقت في بذائتها كل ما جاء من قبل . لا استطيع أن أُجيب عليها لاني لا أُريد أن أدخل في معركة قذرة ». (ص ٧٧٢) .

وكان نوردو ، زميله ، على رأس معارضيه ، إذ أخذ ينوء بسياسة التودد إلى القيصر الالماني ، حتى كاد هرتزل ييأس من جدوى الرحلة :

« أرسل إلي نوردو مقالة غير واضحة أبداً ، كتبها لتقويم أشيساف لتنشر في جريدة ولت فيها يتبسط في الرأي التالي وهو أن الحديث الذي يدور عن الصهيونية بين زعمائها وبين السياسيين وغيرهم ، لا أهمية له فهو مثل الحديث عن مسرحية أو سباق — طالما أن الصهيونيين ليسوا بعد متحدين في مؤسسة واحدة يتكلم باسمها زعماؤهم .

هذا خطأ من الاساس ، لاننا لا نستطيع إلا أن نعمل على أساس العمل بقضاء شأن لحساب شخص دون أن نكلف بذلك وليس بطريقة الانتداب الذي ما يزال غير مقبول به قانونياً . هذا ويجب الأخذ بعين الاعتبار ان هذه المقالة — التي كتبت في حزيران الماضي — يمكن أن تعتبر مخالفة تقريباً لحديثي مع القيصر .

أجبته بأنه اذا كنت أنا رئيس المؤتمر والزعيم الذي يعترف به جميع الصهيونيين — بدون تفاخر — أتكلم مع السياسيين ، لا يمكن ان يعتبر حديثي هذا حديث رجل خاص يتكلم في مواضيع الصالونات . ولا يمكن لأحد أن يتهمني بالطيش أو الإجرام ان أنا تكلمت بلسان الشعب اليهودي — واستطيع ان أتخذ من نوردو نفسه شاهداً ، لانه بعد المؤتمر الأول كتب إلي يقول : إعتبر نفسك أنت الحكومة ». (ص ٧٧٩) .

« إن حالة قضيتنا الآن سيئة تدعو إلى اليأس ، لا استطيع أن أخدع نفسي في هذا .

بعد نجاح رحلة فلسطين ، تجابهنا كارثة : هي عدم وجود عدد الممولين الكافي للبنك ونقص القوة المالية . ولو سكرتير البنك ، ينذر بأنه على وشك ان يصبح بدون المال الكافي لسد النفقات اليومية » . (ص ٧٨٠) .

واستمر خلافه مع نوردو في اتساع . كتب في ٦ – ٢ – ١٨٩٩ :

« قلت ان المعركة الحازمة هي معركة الاشتراك في البنك . أما نوردو فله رأي يختلف . والحقيقة هي أنني أهتم بالهجرة وبالبناء ، أما هو فيكتفي بالمناقشات والتظاهرات . وخطاب نوردو في فينه – الذي أعاده كلمة كلمة في برلين وفي كولون – كان سخيفاً ، خاطئاً ، لا حكمة فيه . لقد هدم الكثير مما بنيته أنا بالصبر والمثابرة . كان كلامه شيقاً كالعادة ولكنه لم يأتِ بفائدة . كان نجاحه لنفسه فقط : أما القضية فقد آذاها ، فقد عمل على الدعوة إلى الاشتراكية بدون ضرورة ، وأظهر الكثير من ضعفنا ، وعجزنا الخ .. كان استيائي منه كبيراً ولم أُخفِ ذلك عليه ». (ص ٧٨٥) .

وكان رد فعل ذلك في نفس هرتزل عميقاً :

« أيام يائسة ، إن تيار الحركة يضعف ، إن الشعارات تهترىء شيئاً فشيئا والافكار أصبحت عرضة للحماس ولكن هذا الحماس يفقد حدته .

أنا الآن أُجابه مسألة الاشتراكات في البنك خائفاً . يقول ولفسن أن ليس هناك من بنك محترم يرضى بان يتوكل مسألة الاشتراكات ».(ص ٧٨٦) .

وشعر أن أصحابه يلقون الحمل عليه ، لوحده ، كما كتب في ٣ – ٣ – ١٨٩٩ :

« قبل أن أذهب لمقابلة الدوق الكبير ثانية ، أخبرني كان وولفسن أن أحاول جهدي لأخذ توصية للبنك الالماني في برلين ، لأنهما بعد لم يوفقا إلى

العثور على بنك يقبل الاشتراك في بنك الاستعمار اليهودي . علي أن أعمل كل شيء . كل شيء ». (ص ٧٨٩) .

في ٢٨ – ٣ – ١٨٩٩ اسس الصندوق الاستعماري اليهودي كمصرف للحركة الصهيونية . ووضع عليه آمالاً كبيرة . « ان كل مستقبل الحركة يتوقف على نجاح الاشتراك » (في البنك) كما كتب (ص ٨٠٤) . ومع هذا لم يجد تعاوناً من الصهيونيين الانجليز الذين امل منهم خيراً :

« عاد كوكش من لندن اليوم . لقد تمّ العمل الشرعي الانجليزي . يجب أن يتم تثبيت توكيل المدراء والاعضاء في اللجنة . أما هؤلاء الذين لم يتم تثبيتهم والذين حصلنا عليهم بالجهد الجهيد فهو ليس كافياً . تضييع آخر للوقت. غير أن وقت الاشتراكات الذي يعتمد عليه كل شيء يقترب . لقد أعطيت الأوامر اليوم بعدم التأخير ليبدأ الإشتراك في البنك اليهودي للمستعمرات في لندن نفسها . هذا هو آخر ذخائرنا الحربية ، وإني لخائف من الفشل ، انما لن يغيرّ الخوف ولا الأمل ما سيكون .

إن البنك هو أصعب ما في العمل حتى الآن . اذا نجح فيما بعد فلن يعرف أحد ما هي الصعوبات التي مررنا بها ولا الجهد الذي كلفنا نجاحه . ان كبار أصحاب البنوك يقاطعوننا ، لو تمكنت يوماً منهم لعرفت كيف أنتقم منهم». (ص ٧٩٦) .

« وصلتني برقيات عديدة من لجنة البنك . جاستر وبنتوتش يسببان التشويش ، اني لا أستطيع أن أفهم ما يريده جاستر الذي ليست له سلطة إلا أن يوقع عنا .

« وصلني في المساء خبر من هيمن يقول إن بنتوتش يطلب مئة وخمسين جنيها استرلينيا ليضع اسمه على البيان ، اذا كان هذا صحيحاً فسوف أطرده وأهينه وأُخرجه من الحزب ...

برقية سيئة وصلتني اليوم من لندن . يقولون إن جاستر الذي بيده جميع التوكيلات الرسمية ، يرفض أن يوقع على التسجيلات .

أرسلت لجاستر برقية كنت حازماً فيها قلت له انه لا يستطيع شيئاً إلا ان يخسرنا ثلاثمئة وثلاثة جيلدرات ، وخسارة في الوقت الغالي . لأنه إن لزم الأمر فسيكون كوكش هناك صباح الاثنين ويوقع لأن التوكيل كان له ولجاستر معاً . ونتيجة لهذا أخبرني ولفسن في المساء أن جاستر أذعن لما هو مطلوب منه » . (ص ٨٠٢) .

« لقد وصل ضعف مكتب البنك في لندن حداً لا يوصف . هل السبب عدم اهتمام أم كسل ؟ اليوم فقط وفي آخر يوم من الاشتراك أعطوني وكالات الاشتراك في روسيه لادرجها في الولت التي ظهرت أمس.متأخر جداً . أما الاشتراكات من رومانيه فلا تزال ناقصة ».(ص ٨٢٧) .

وقد استمرت مشاكل المصرف في لندن مدة طويلة مما اضطره إلى الذهاب اليها في أواخر حزيران (يونيو) ١٨٩٩ :

« قدّم هيمن ، الجنوب افريقي الذي أدّى لنا خدمات قيمة كمدير في العمل التمهيدي للبنك ، استقالته . يريد جاستر وبنتوتش ، بعد أن أعجزاه ، ان يستوليا على ادارة البنك لمصلحتهما . وقد ناشدت هيمن أن يبقى ، لكنه تمسك بقراره بعد الكثير من الأخذ والعطاء . فاقترح جاستر مديرا اخر ، موالياً له ، محل هيمن . فرفضته . ولذلك لا يوجد حالياً في لندن مدير ، ولا مدير أعمال . ومتاعبنا في ازدياد . فرشحني ولفسن وكان ، كعضوي مجلس الامناء ، ورشحا معي نوردو ومندلستم . فأعلن بنتوتش ، أنذاك ، أنه سينسحب — بنتوتش نفسه الذي جعلته محامي البنك لانه صهيوني . ان جماعة جاستر — بنتوتش تريد جاستر أو مونتفيوري كأمين ، لان معارضة أمين واحد فقط تمنع أي اجراء . الاّ أننا أصبحنا حذرين بعد خبرتنا مع جاستر». (ص ٨٥٤) .

« ان جاستر يعاند كالبغل لاني أريد أن ألجم شهوته للسلطة في البنك . وجوابا على رسائلي الودية التي لفت فيها نظره إلى عواقب المتاعب الـتي يُحدثها يرمي الاجراءات التي قام بها حتى الآن في وجهي ويرمي بوظيفتـه عند قدميّ ». (ص ٨٥٥) .

ولم يكن وضع هرتزل بين صهيونيي فرنسه ويهودها باحسن منه في لندن. فقد عقد فيها مؤتمر ضده باشراف روتشيلد في ١٩-٣-١٨٩٩ . وقد بلغ هجوم المؤتمرين عليه من الحدّة ان تراجع هرتزل وأخذ يتصل بهم :

« لقد حدد يوم ١٩ الشهر الحالي لمؤتمر الوفود المدعوة من قبل اللجنـة المركزية لاتحادات الصهيونية . وقد وصلت الوفود من انجلتره والمانيه والنمسه وغيرها من البلدان التي ينتظر أن ترسل وفودها . وسيتمثل الاجتماع باستعراض الادمغة والعضلات ودفاتر الحساب المالية . من هنا تبدأ حملة تشجيع وسند الاستعمار في فلسطين ». (ص ٨٠٦) .

« نتيجة المحادثات صفر . سلّم ليفن بكل شيء. ستسير جمعية الاستعمار اليهودي معنا فقط حينما نحصل على « الميثاق » . وعلينا الآن نذكر جمعيـة الاستعمار اليهودي ، ولكن ما أن نحصل على « الميثاق » حتى يقفوا معنا ».(ص ٨٥٢) .

وهذا بعض ما سجل هرتزل عن متاعبه في تلك الفترة (اواسط ١٨٩٩) مع زملائه الصهيونيين :

« أخبرت كان وهيمن أن يلحقا بي عند ولفسن في كولون ، لنتباحث في امكانات الاشتراك في الصندوق اليهودي الاستعماري ، الذي ينتهي في الثامن والعشرين من الشهر .

اجتمعنا أمس الاول في كولون . وتباحثنا ، لمدة أربع وعشرين ساعـة بدون انقطاع الا للنوم ، في كل المسائل التي تهم البنك . وحسب تقديرنا لن

يزيد الاشتراك على مئتي الف سهم ، يقع ثلثا الكمية في روسيه . والسؤال هو ما اذا كان بامكاننا ان نمضي في الاشتراك في ظروف مثل هذه . وقد أخبرت الرجال ، بخشونة ، انهم الآن سوف يبرهنون ما اذا كانوا زملاء عمل مناسبين . وللحال قال كان : « لا » .

وأمس فاجأنا هيمن باعلانه انه يجب أن يستقيل من منصبه كمدير لانــه سوف يتغيب ثلاثة أشهر في جنوب افريقيه . وهو ينوي استئناف عمله في منصبه بعد عودته ... وبعد الكثير من الاخذ والعطاء المعقد الذي لا معنى له ، ظهر أن الرجل سيمضي في الاشتراك على أي حال . وسوف تشترك بالاسهم التي يحتاج لها للوصول إلى رقم مئتين وخمسين الفا مؤسسة يكوّنها ولفســن .

وكفاصل استراحة ، قدّمته كأنه أمر منفصل تماماً عن الصندوق اليهودي الاستعماري وعن الحركة ، وصفت للرجال الثلاثة خطة لامتلاك جريدة . يتطلب ذلك صندوقاً حربياً فيه خمس مئة الف جيلدر . بهذا المال وباعلان الرغبة بتأسيس جريدة منافسة ، يمكننا ، حسب ما أعتقد ، أن نشتري أغلبية أسهم الجريدة على أساس عشرة في المئة كرأسمال . نظر هيمن ، الذي لديه مال لذلك ، باحتقار واعتذر . أما كان وولفسن فلا مال لديهما . وحتى نجمع المال لا بد من أن نثق برجال البنوك . وعمل هذا سوف يفضح الامر ويجعله مستحيلاً . لا شيء ، اذن. لم يحصل قط أن عولجت مهمةأصعب من مهمتنا بوسائل أقل صلاحية من وسائلنا . وسأعود بائساً جداً ». (ص ٨٣١) .

« هناك اجراءات جديدة عقبات ، خاصة بسبب الصندوق اليهودي الاستعماري القاصر . غير اني لا أعتقد أن الآخرين اذكى واحذق من رجالنا في هذا الصندوق . ان اجتماعات مجلس المديرين في لندن وغيرها لا تنتهي بنتائج ابداً ، ويمضي حضراتهم عادة وكأن لم يحصل شيء ».(ص ٨٣٧) .

ولم يخل مؤتمر بازل الثالث ، اب (اغسطس) ١٨٩٩، من المتاعب :

« جاء جاستر وحرّض ضدي في الاروقة وفي اللجان قائلاً انا وصلنا على مفترق طريقين لا يلتقيان . فعُقد ما يشبه محكمة عدل قدّم لها شكاويه مني . فأجبت مظهراً خطأه ، وتصافحنا . ولم تطب نفسه لدرجة انه أثار المشاعر ضدي بطريقة مبهمة ، وخاصة عندما كان يترأس الجلسات». (ص ٨٦١) .

وما أن سمع ، في ٢٥ ـ ٩ ـ ١٨٩٩ ، أن روتشيلد سافر إلى تركيه حتى خاف على مشاريعه :

« كتب برنستاين كوهان ان سكرتير جمعية الاستعمار اليهودي ، ميرسن ، وادموند روتشيلد موجودان في القسطنطينية . وهو لا يعلم غاية وجودهما هناك . هل للبصق في حسائنا ، ولاخذ الرياح من اشرعتنا ، أم لاستغلال أفكارنا وتعطيلها ؟ على أي حال ، اذا كان أدموند روتشيلد في القسطنطينية فاني أتوقع الشر الروتشلدي المألوف ». (ص ٨٧٦) .

وقد اضافت جريدته « الولت » مشاكل جديدة على مشاكله القديمة :

« لو ان « الولت » عرضت عليّ معونة مالية لكان كل شيء أفضل واسرع . لكني كان علي أن أُعلن ، مسبقا ، اني سأعيد كل ربح إلى الحركة . وعلى العكس ، دفعتني الحركة جانباً وخسرت حتى الآن خمسة وعشرين الف جيلدر على « الولت » . وكأن هذا لا يكفي . انهم يجندون حاليا ضد هذه الجريدة التي ندين لها بتقدمنا في السنوات الماضية الثلاث ، وبالمؤتمر وبالبنك . كلهم غير راضٍ عن المقالات . كلهم يريد أن يتدخل ، ولكن لما تصبح المسألة مسألة دفع يُطلقون يدي . انه درس جيد لي . ربما كانت الامور تسوء أكثر لو اني حُطّمت تحطيما كاملا بالفعل .

« لا تضع ثقتك بالامراء الذين يتأرجحون كالمراجيح من جانب إلى اخر ». استطيع ان أقول ذلك بخصوص « مساعدة » القيصر الالماني . ولكن لما أفكّر بمؤيديّ ، الذين يثورون عند أي تهييج ، استطيع أن اخذ الحكمة من هذا القول « الذين يصيحون اليوم أوصنّا هم الذين يقولون غداً فليصلب » . والحقيقة اني

لا أثق بالامراء ولا بالشعب ، لا أثق الا بنفسي . » (ص ٨٨٥) .

« التفكير الشائع عني بين الناس هو انها [الحركة] تكوّم لي المال ، أو اني اقوم بالعمل عن بُطْلٍ . أما اذا سقطت فان الناس سيغمرونني بالركلات. سيضحك الناس عليّ ولن يكونوا شاكرين . لذلك : اياك ان تسقط ! ». (ص ٨٧٥) .

لكن اصعب المشاكل جاء من البنك الذي أسسه ١٨٩٩ :

« لا يزال البنك يسبب لي قلقا كبيرا . كان شكس ، يعطي أوامر معاكسة. يجادل في صلاحية اجتماع مجلس الادارة في فينه ، لانه لم يكن فيه . وباختصار انه يقوم بدور رئيس البنك لانه يعلم أن ليس لدينا شخص اخر ... مهمتي الآن أن أجد مدير أعمال لا يعتمد الا علي . » (ص ٩١٤) .

« متاعب جمة في البنك . اناس غير اكفاء أو يسعون وراء مصالحهم الخاصة . كل شيء راكد . يفتعل لوري و كان المصاعب لاني لم اسمح لهما بتحويل البنك إلى مؤسسة خاصة لهما ». (ص ٩٦٠) .

لذلك لم يكن غريباً أن يسجل هرتزل في يومياته الاقوال التالية التي تعبر تعبيراً صحيحا عن قرفه من بني قومه :

« كان الامر اسهل على موسى » . (ص ٩١٦) .

« فكرّت بقول جيد يحفر على قبري : كان رأيه باليهود أحسن من اللزوم» (ص ٩٤٢) .

« الفرق بيني وبين ساباتاي زيفي ، كما أتصوّره ، بالاضافة إلى الفرق بين الوسائل الفنية الموجودة في الزمانين المختلفين ، انما هو أن ساباتاي جعل نفسه عظيما ليتساوى مع عظمة العالم . أما أنا فأرى العظماء صغارا ، صغاراً مثلي». (ص ٩٦٠) .

في ١٤ – ٨ – ١٩٠٠ انعقد المؤتمر الصهيوني الرابع ، في لندن . وهذا وصف هرتزل للمؤتمر :

« كان خليطا من الضجيج والعرق وقرع الطبول . وبالطبع لم يكن فيه عمل . مع هذا كانت النتائج ممتازة . لقد قمنا بتظاهرة أمام العالم الانجليزي . وقد لاحظوا التظاهرة . وعلى العموم ، نشرت الصحف الانجليزية من التقارير ما يمكننا الافادة منه ، وما سنظل نستفيد منه .

يعتقد زملاؤنا الانجليز انه من المحتمل ان ينحاز « غلاة اليهود » الينا في السنة القادمة ، حينما نجتمع ثانية في تموز في عزّ الفصل . وقد أعلن المصرفي سليجمان في حفل انه يشعر انه قريب جدا منا . ويبدو انه ينتظر فقط نجاحنا حتّى ينضم الينا . وأخبرني فرانسس مونتفيوري أمس اني يجب ان احذر من آل روتشيلد . قد ينضمون الينا ليسيطروا على الدولة اليهودية . بالطبع لسنا قريبين جداً من ذلك ، ويبدو أن السير فرانسس الطيب يشعر بالمتاعب قبل حينها » (ص ٩٧٦) .

وخارج المؤتمر كانت العلاقات تتأزم دائما بين هرتزل وكبار الصهيونيين . إلا أن هرتزل كان يبلع كرامته أحيانا ويتودد إلى خصومه حينما يحتاج لهم . كما حصل له مع كان بعد خلافهما مدة طويلة ، في ٦ – ١١ – ١٩٠٠ :

« كتبت إلى ولفسن بأن يذهب إلى لاهاي ليرى كان ويسأله اذا كان يستطيع تأمين السبعمئة الف جنيه من المصارف الهولندية . وكمكافأة ، سوف أسمح له بالعودة إلى الصندوق . » (ص ٩٨٩) .

« أبرق ولفسن لي من لاهاي بان كان مستعد لتولي الاجراءات للقرض التركي فقط اذا استلم أمراً مباشراً بذلك . وهذا لا يناسبني لاني أنا الذي يجب أن يكون صاحب الفضل به . المبلغ النقدي فقط يجب أن يكون من نصيب كان وشركاه . لذلك ساكتب إلى ولفسن بان على كان أن يؤمن النقود أولاً ، ومن ثم سوف يستلم الاوامر بواسطتي » . (ص ٩٩٠) .

وقضية حقد هرتزل على لاندو مثال معبّر لسوء علاقة هرتزل بزعماء اليهود . بلغ حقد هرتزل ان شكا لاندو للامير اويلنبرج وحذره منه في مطلع ١٩٠١ :

« أعطيته رأيي بقضية لاندو – جراف : انهم لا يطلبون رأسي بل رأسكم أنتم ، الحكومة الالمانية . فالواقع أن الكشف عن العلاقات السابقة بين جلالته وبيني لا يمكن أن يكون مزعجاً لي . ومن الجهة الاخرى ، قد يصبح ازعاجاً للحكومة الالمانية اذا أكتشف العالم يوما انها كانت تنوي التوجه نحو فلسطين ثم توقفت بسبب عقبات طارئة . لذلك أعتقد ان المسألة بداية تشهير ضدكم . واضح ان ما نشر انما قام على كثرة كلام هكلر . انهم يحاولون استغلال حرج مزعوم للحكومة الالمانية ، لأنهم لا يعرفون ان القيصر يستطيع أن يعتمد اعتمادا كليا على صمتي » . (ص ١٠٣٠) .

وفي شباط (فبراير) ١٩٠١ ذهب إلى انجلتره . وحاول الاتصال بادمون روتشيلد إلا أن الثري اليهودي الكبير رفض استقباله . فكتب هرتزل في يومياته :

« انتهيت تماماً ، الآن ، من أية علاقة بآل روتشيلد ... اليهود شعب متنازع منقسم . في الايست اند [بلندن] أصلحت بين جماعتين منهم. تمكنت من ذلك لأنهم يعتبرونني فوق الاحزاب . وهناك نزاع في الوست اند أيضا . أشتكت اللايدي باترسي من خطب السير فرانسس في المؤتمر . اذن فعائلة روتشيلد تتذكر هذه الخطب . كما أرسل السير فرانسس مونتفيوري إليّ اليوم كتاباً ينال من آل روتشيلد بقلم ريفس ، وضع فيه علامة خاصة على فقرة عن خلاف آل روتشيلد مع اسرة بريري . وكان أمس ، عندما تناول الغذاء معي ، قد نصحني بان انشيء حلفاً مع آل بريري ضد آل روتشيلد ، بسبب الخلاف العائلي القديم بينهما » . (ص ١٠٦٦) .

وفي منتصف اذار (مارس) ١٩٠١ اثيرت قضية ثري يهودي اخر ،

جورج توبن ، الروسي . يقول هرتزل ان توبن اراد قبل موته ان يترك امواله له ، إلا أنه (أي هرتزل) رفض ذلك . ولما مات استولى فوجل ، المليونير اليهودي ، على أمواله . فلخص هرتزل اراء الناس بهذه الحادثة بالكلمات التالية :

« بعض الناس يعجبون بي لأن المئتي الف جيلدر لم تبهرني . يفسّر آخرون الامر لانفسهم بأني لم أتصوّر أن توبن غني لهذه الدرجة . هذا هو رأي سنجر في جريدته . وغريب كيف يتجمع أعيان اليهود دائماً معاً . اليهود المتمولون غاضبون علي سرّاً لاني أعطيت مثلاً للتمنع أمام اغراء المال ، أولاً ، ولانه أصبح واضحاً اني أختلف عنهم ، ثانياً » . (ص ١٠٧٢) .

ثم نشب، في شهر نيسان (ابريل) ١٩٠١ ، خلاف حاد اخر مع شخصيات يهودية بارزة أخرى وعلى رأسها اوسيشكن :

« اوسيشكن ، وبرنستاين — كوهان ، وغيرهما ، ممن دعوتهم للمجيء يوم الخامس من أيار لاقناعهم بعقد المؤتمر في لندن في تموز ، لا ينوون الوصول قبل السادس عشر من أيار ولا يريدون عقد المؤتمر في ذلك الوقت وليس في لندن ، ولكن في مكان آخر في تشرين الاول . ان هذه المتاعب ترهقني . انها نفسية « أحبة صهيون » العملية القديمة التي تؤدي بهم دائما إلى الخسائر . انهم يبذرون وقتهم هباء على اجتماع جمعية الاستعمار اليهودي وعلى قضية العمال الفلسطينيين ، بدل العمل من أجل المؤتمر والبنك » . (ص ١٠٨٨)

« يومي يوم سيء وغير مشجع ، اتلقى تقارير الازمات من مساعديّ من الشرق والغرب . الروس يتذمرون ولا يريدون مؤتمراً تافها آخر في لندن مثل مؤتمر السنة الماضية . ولا يريدون الذهاب إلى لندن في تموز . ومؤتمر في اواخر الخريف في بازل لن يضم أكثر من ثمانين مشتركا ويكون برهانا على انحدار الحركة . الاّ انه لن يكون هناك « شيكل » [اشتراكات أعضاء المؤتمر] ولا أموال للعمل بدون مؤتمر .

ودهاس ، أيضا ، يعطي صورة قاتمة للوضع في انجلتره . لم يستعد البنك بعد ».(ص ١٠٩١)

وفي شهر ايار (مايو) ١٩٠١ عاد من مقابلة السلطان فرحاً . إلا أن زملاءه وقفوا ضده وعارضوه واعتبروا رحلته فاشلة :

« ما ان وصلت حتى اتصلت مع ريتلنجر وطلبت منه الحضور . أخبرته بكل شيء ورجوته أن يعلمني في الغد على أبعد حد اذا كان يستطيع تأمين مليونا ونصف المليون جنيه للميثاق . وأخبرته اني سأحاول مع الصندوق الاستعماري اليهودي للتأكد من ذلك ، الا اني لا أشك بحسد هؤلاء الناس » .(ص١١٥١)٠

« تلقى الروس في « أحبة صهيون » ، الذين هم في الوقت نفسه أعضاء في لجنة العمل ، الاخبار ببرودة شديدة . والواقع أن كوكش كان قد أخبرني في فينه أن تشلنو واوسيشكن وبرنستاين — كوهان وبارباش قد لامونا على سحب أموال البنك من أجل هذا القرض ، مع ان السحب كان مجرد اقتراض وعلى مسؤوليتنا الشخصية . هم ضد المؤتمر لان ليس لدينا ما نقدمه ولانهم لا يعتبرون المفاوضات مع السلطان تستحق كل هذا المال . هذا في الوقت الذي جلبت عليهم زيارتهم المهينة للصندوق الاستعماري اليهودي وللبارون ادموند روتشيلد اقصى خيبة . هؤلاء هم « المساعدون » الذين علي ان أعمل معهم » . (ص ١١٥١) .

« يجب اعتبار اجراءات ريتلنجر قد تحطمت . انه يائس من اشتراك أغنياء اليهود بالمسألة . لذلك أعرض عليه الاقتراح التالي : بما اني أعتقد ان محاولة كسب موافقة أغنياء اليهود للصهيونية إضاعة للوقت ، عليه أن يحاول انشاء وكالة تبدأ بجمع الاشتراكات لتؤمن الخمسين الف جنيه لتمكين البنك من العمل . مقابل ذلك تُمنح الوكالة المجال في الاسهم المليون ونصف المليون الباقية ، تُستثمر بعد أن يحصل الصندوق الاستعماري على الميثاق . يضاف إلى ذلك ان الوكالة تأخذ حصة من خمسة وعشرين إلى ثلاثين في المئة من كل الاعمال التي يلتزمها الصندوق الاستعماري من الحكومة التركية ».(ص١١٥٢).

وقد تزعم نوردو معارضته . فكتب عنه :

« من الطريف مراقبة نوردو ، الغريب ، في هذه الايام . انه يتمنى الخير لي – ولا شك عندي بذلك – لكنه يبذل جهداً ليتحمل نجاحي . ولو كان الامر بالعكس لما كنت اتصرف أحسن منه ، ولعلني كنت أكثر حسداً منه . انــه يحسّ بذلك الاذلال الشائع بين الاقارب حينما ينجح مشروع قريب لهــم . وهو يُعبر عنه بالانتقاد البارد الذي يثبط عزيمتي ، وبرغبة بالنظر إلى المسألة وكأني أسأت التمثيل أمام السلطان ».(ص ١١٥٢)

« يرسم نوردو لي صورة لكل ما يضمر لي من ازعاجات . ويقول ان الصحف المعادية قريبا ما ستقول اني بارون هيرش جديد يريد عقد صفقات تجارية مع تركيه على ظهر الشعب اليهودي – وأشياء أخرى جميلة ».(ص ١١٥٥) .

« انتقد نوردو أمام الكس ، في غيابي ، طريقة عملي حتى الآن . وهو يعتقد اني كنت غير مخلص ومتذللاً في معاملاتي مع الامراء ومع الشعــب اليهودي . أظن أنه يوما ما سيذيع هذه الانتقادات علنا ويحقّر نفسه ويحقرني ويحقرنا كلنا . ومهما يكن من أمر فان سلوكه هذا في الوقت الحاضر يثبــط العزائم . واذا ساءت الامور فيما بعد تنصل منها . أما اذا استمرت تتحســن وتتقدم فسيتصرف وكأنه أخطأ ويريدنا ان ننسى الخطأ ».(ص ١١٥٦) .

واستمرت مضايقة آل روتشيلد لهــرتزل . فكتب إلى صديقه فرانسس مونتفيوري يهاجم الاسرة المذكورة في ٤ – ٦ – ١٩٠١ :

« لقد نفذ صبري . سوف أشنّ حملة ضخمة جداً ضد هؤلاء الناس . لكنها لن تكون بالخطب والدعاوة لوحدها . يجب انشاء تجمّع مالي لمناوأتهم . وقد حان الوقت الآن ، ما دمت عدت من القسطنطينية بنجاح هائل في جيبي (وهو ما علي الاّ اذيع سره الآن) . لا ازال أذكر حديثنا الاخير في جرين بارك . قلت ان علي أن أكسب آل بريري إلى صفنا . حسنا . سافعل المطلوب

مني ». (ص ١١٥٤) .

ووصل عداء روتشيلد لهرتزل إلى اسطنبول ، حيث اخذ ممثل روتشيلد يدعو السلطات لعدم السماع لهرتزل ، كما سجل هرتزل في مذكراته في ٢٦ – ٧ – ١٩٠١ (ص ١١٦٩) . فلجأ هرتزل، يائساً من يهود اوروبه ، إلى اثرياء أميركه يطلب مساعدتهم .

« اقترح الكس مرموركك ونوردو ، يأسا من امكان استمالة أثرياء اليهود في باريس وفي أي مكان اخر ، الاتصال بالمحسن الاميركي كارنيجي وطلب المال منه . وأبدى نوردو استعداده للذهاب لرؤيته ، بتوصية من السفير الاميركي بورتر . الا أن بورتر لم يكن في باريس . وفي الليلة التي سبقت سفري خطر لي ان هكلر أفضل منه لهذا الغرض ». (ص ١١٥٨) .

وينعكس سوء ظن هرتزل بزملائه بما كتبه عنهم اثر انعقاد المؤتمر الخامس للحركة الصهيونية ، في بازل ، في الاسبوع الاخير من العام ١٩٠١ ، خاصة حينما لم يهتموا كثيراً بالبرقية التي اجاب السلطان العثماني بها على برقية أرسلها هرتزل له معلنا فيها ولاء اليهود للسلطنة :

« لم تقدّر شلّة المؤتمر البرقية بقيمتها الصحيحة . فهم لا يفقهون شيئا . يبالغون في تقدير الامور التافهة ويستخفّون بالامور العظيمة ...

ما أحقر وأعيب موقف الجالية اليهودية في بازل ». (ص ١١٩٠) .

وهذا رأي اخر لهرتزل باليهود كتبه في ١١ – ١ – ١٩٠٢ .

« هذه الحركة ، التي سجلت نموا لا مثيل له في ستة أعوام ، تصرخ عبثا طلبا للمال . لماذا ؟ لان كبار ماليي اليهود يقفون ضدنا . فهم جبناء ، ولا خيال لهم . ولا يقرضون المال الا بتعهدات ميتة ». (ص ١١٩٢) .

ولم يكن رأي اليهود به باحسن من رأيه هو بهم . كتب هرتزل هذين

الخبرين اثر المؤتمر :

« نشر برنارد لازار في مجلة « مع ارمينيه » الدعاوية في باريس مقـالا وضيعا ولئيما ضدي بسبب تبادلي البرقيات مع السلطان . ربما كان هذا غير بعيد عن جمعية الاستعمار اليهودي ، التي يترأسها ميرسن صديق الكاتب الحميم . فأي مصلحة له في الدفاع عن الارمن بغير ايعاز من ذلك ؟ » (ص ١٢٠١) .

« نشرت كل من « الاسرائيلي » في ماينز والجويش كرونكل رسالــة ذم متماثلة ضد البنك ، بقلم ذلك الصعلوك ولي بامبس من برلين . انها فرحة العيد . فالقدح فيها صريح لدرجة اني أستطيع ان اجرهما إلى محاكم ما ينــز ولندن وأن أبرهن على الطريقة الشريفة التي يعمل فيها بنكنا ».(ص ١٢٦٢) .

ينطق القسم الأكبر من يوميات هرتزل بكرهه للورد روتشيلد . لم يكن هرتزل يثق به مطلقا . كتب اليه رسالة في ٩ ـ ٤ ـ ١٩٠٢ يطلب موعــدا . لكن خوفاً من أن يستغل اللورد الرسالة ضد هرتزل وضعها هرتزل بشكــل عدائي ، وكتب عنها :

« كتبت له رسالة محتاطاً للأمر تشهر به ان هو فكر يوماً باستخدامها ضدي» (ص ١٢٧٣) .

وقد اجتمع الرجلان لأول مرة في لندن في ٣ ـ ٧ ـ ١٩٠٢ . اعلــن روتشيلد لهرتزل بصراحة أنه ضد الصهيونية .

« قال إنه ليس بصهيوني واننا لن نحصل على فلسطين وغير ذلك .. كان انجليزيا ويريد أن يبقى انجليزياً . قلت : ليس صحيحاً أن القوى الكبيرة تقف ضد الذهاب إلى فلسطين . في الواقع انني جعلت المانيه وروسيه تعطفان عــلى قضيتنا . وأظن أن أنجلتره لن تعارض . أما السلطان فأنا مقرب اليه .

أجاب : نعم ، طبعاً ، السلطان معك لأنك الدكتور هرتزل الذي يكتب في الجريدة الحرة الجديدة .

فصحت به : هذا خطأ.إن الجريدة الحرة الجديدة لا علاقة لها ابداً بخطتي .

إن كلمة الصهيونية لم ترد في الجريدة هذه أبداً حتى اليوم . ومفاوضاتي مع السلطان لم يكن لها أي علاقة بالجريدة .

هنا حاول الاهبل أن يحرجني ». (ص ١٢٩١) .

وكان هرتزل قد ذهب إلى لندن بدعوة من لجنة بريطانية يهودية لسماع وجهة نظره . ولم يعجب روتشيلد ان ينطق هرتزل باسم اليهود امام اللجنة . وحاول عرقلة اجتماعه بهم . وقبيل الاجتماع حاول تبديل عقله وحاول الاستفهام منه عما سيقوله ، كما كتب هرتزل :

« فصرخ ميلورد : [سيدي] « أو يريد أن يخبر البعثة هذا » !

« أكون حقيراً لو أنني قلت فقط ما يؤدي إلى الحدّ من الهجرة ، ولكني سأكون واحداً من اشخاص محتقرين يجب أن يقيم له اليهود الانجليز تمثالاً ، اعترافاً بفضله عليهم ، لانني نجيتهم من تدفق اليهود من شرق أوروبه وربما بهذا خلصتهم من اللاساميّة . على كل لدي خطة لانقاذ الموقف وسوف أعرضها على البعثة . (ص ١٢٩٣) .

ورأي هرتزل به انه غبي . إلا أنه ، على كل حال ، « اذكى » اخوانه ورفاقه ! (ص ١٢٩٣) .

ولا بد ان علاقة تقوم بين عداء هرتزل لروتشيلد خاصة وعدائه للرأسماليين من اليهود عموماً . لدرجة ان هرتزل قال مرة ، في ٢ ـ ٨ ـ ١٩٠٢ ، انه يفضل ان يكون تحت رحمة السلطان من أن يكون تحت رحمة الرأسماليين اليهود (ص ١٣٣٨) .

ونشب خلاف حاد بين هرتزل وأحد زعماء الحركة الصهيونية انذاك ، جرينبرج ، مندوبه في بريطانيه ومصر مدة طويلة . كان هرتزل يخشاه ويخشى

ان يقوى على حسابه . وقد اشتد الخلاف بينهما في ١٦ - ٣ - ١٩٠٣ حينما عمل جرينبرج مندوبا لهرتزل في مصر .

« جرينبرج هنا ، لا يستطيع أن يعطيني شرحاً شفهياً أفضل مما كان قد أعطاني قبلا . عندي شعور بأنه يحاول أن يقوى عليّ ويأخذ زمام الامور هو . إن سبب عودته السريعة إلى لندن هو لأنه لا يريد أن يظهر لا في القاهرة ولا في لندن بمظهر من عليه أن يستشيرني أو يهتم بي . أراد أن يتكلم فقط مع لورد روتشيلد غير أن احساسي بذلك جعلني أبرق اليه مراراً بأن يمتنع عن اعطاء أية معلومات لروتشيلد ، مما أجبره على أن يختار بين أن يلزم حده أو أن يثور علانية .

كان حديثي معه متعباً ، لانني لا أثق به وأظل أتنبه إلى ما يمكن أن يكون وراء حججه . يقول إنه من المستحيل أن يقوم كسلر وجولدسمد باتمام المفاوضات ، ولن يسمح بذلك حتى لو دفع حياته ثمناً لذلك ، ولكنه من ناحية ثانية يرفض أن يرجع إلى القاهرة حالاً ، لأن الرحلة ليست بسيطة ، وأنه يرفض كل طلب لا يسير حسب رأيه . وحجته الاولى أنه يعرف مصر ونحن لا نعرفها ، يقول إنه يجب أن نعمل حسب ما يريد ، أي ندعه يعمل في الوقت الذي يختاره والمكان الذي يريده وحسب ما يراه مناسباً .

لا يريد أن يذهب الآن إلى القاهرة ولكنه يريد أن ينتظر رجوع البعثة من إنجلتره ، يريد أن يقدم له ستفنس تقريراً الخ . على أني لا أرى ما يخبيء وراء هذا ، لأن حججه لا تقنعني واراها ناقصة . إنه لا يستطيع أن يجابهني بصراحة وجهاً لوجه . وبالإختصار إن شعوري تجاهه سيء ولا أدري بالضبط لماذا ؟ لهذا قررت أن أذهب أنا نفسي للقاهرة على ما في هذه الرحلة من صعوبة علي .

لقد أوعزت لمرمورك وكريمنزكي (اللذين يظنهما جرينبرج إلى جانبه) أن يطلبا إليّ - في اجتماع لجنة العمل الذي يعقد اليوم - أمامه أن أذهب ، فأنا لا أريد في الوقت الحاضر أن يشعر أنني لا أثق به بعد .

« لقد بدأت الامور تظهر في الصحف اليهودية . قام الدكتور جوف في يافا بحماقات.انزلت جريدة اليهودي في لندن وصوت الشعب في برنو أخباراً عن الحملة ».(ص ١٤٣٦) .

بلغ الخلاف بين هرتزل وجرينبرج ان لم يعد هرتزل يأمن لرجله ابداً . كتب هرتزل في احداث ٢٨ ــ ٣ ــ ١٩٠٣ :

« أرسلت جولدسمد اليوم ليرى بويل ، رجع بعد ساعتين ليقول انــه قضى الوقت كله مع كرومر الذي بعث يطلبه حالاً . تكلم معه كرومر باللهجة نفسها التي تكلم معي بها ، ولكن لمدة أطول . هذا يدل أن كرومر يرغب في التداول مع رجال انجليز ، لذلك فقد قررت أن أعهد باتمام المفاوضات إلى جولدسمد وكسلر طالما اني لا أريد أن يشتغل جرينبرج هنا وحده بعد الآن .

إن برقية جرينبرج (وصلت من برنديزي) التي يوصي فيها أن لا يُقدّم التقرير إلى كرومر ولكن إلى لانسدون تحمل شيئاً من عدم الاخلاص . كلهم يقولون لي ــ كسلر وجولدسمد وغيرهما ــ إن عدم تقديم التقرير لكرومر أولا ، عمل مناف للعادات الانجليزية . لذلك ليس هناك إلا تفسيرين لنصيحة جرينبرج هذه : إما إنه يريد أن يطيل الأمور لكسب الوقت ، أو إنه يريد ان يرمي العداوة بيني وبين كرومر .

أخبر كرومر جولدسمد أنه يجب أن يظل واحد منا هنا ــ رهن الطلب ــ حتى يتمكن من الاتصال به في أي وقت أراد . هذا يبرهن على اني كنــت محقاً عندما طلبت من جرينبرج أن يبقى هنا حتى رجوع البعثة .

إن أسباب تركه تزداد غموضاً .

بعث إلي لفنتن يقول بأن جرينبرج سحب مبلغ مئة الجنيه المخصصة لمصاريف السفر مع أنه لم يقم بالرحلة . سنرى ما إذا كان سيرجعها ، ولكني لن أهتم اذا أبقاها . ».(ص ١٤٥٠) .

بل ان هرتزل اخذ يتهم جرينبرج بالسرقة . كتب في أوائل ايار (مايو) ١٩٠٣ ، حينما كانت مفاوضات رجاله في مصر حول مشروع العريش قد قاربت الفشل :

« وفوق جميع المصاعب ، هناك جرينبرج الذي يريد شيئاً – ربما كان يريد مالاً – لنفسه . علمت من ولسفن ان ج أخذ اعتماداً غير رسمي بمبلغ ٥٠٠ – ١٠٠٠ جنيه من صندوق الجمعية اليهودية وحينما دقق ولفسن وكون في حسابات جرينبرج وجدا أنه واقع في دين كبير ، ما يقارب ١٠,٠٠٠ جنيه لا يستطيع أن يدفعها . انه يتعلق بمخططاتنا تعلق الغريق بخشبة . وأنا لا أستطيع أن أعتمد على ما يقول ». (ص ١٤٨٤) .

والواقع أن هرتزل اختلف ، وهو في مصر ، مع معظم رجال البعثة . فوجد جولدسمد يطمع بماله ووجد فريدمان يطمع بمركزه :

« يطلب جولدسمد بواسطة كسلر مبلغ مئة وخمسين جنيهاً ثانية ليرسل لزوجته ومكتوباً لحساب جارٍ ، إن هو بقي هنا . إن طلبه غالٍ .

إن أُمور البروتوكول مهمة أكثر مما يمكن للانسان أن يتصور . في أول يوم لرجوع الحملة ، قام الدكتور فريدمان ، الذي هو لبق في الغالب ، بخطأ الجلوس في المقعد على رأس الطاولة الذي هو من حقي . ولاعاقبه على ذلك أجلست ، في المدة التي تلت تلك الحادثة ، جولدسمد في رأس الطاولة . ولكن جولدسمد ظن هذا له دائماً ، وهو الآن يعتبر نفسه الرجل الأول ويطلب الكثير من أجل البقاء هنا ». (ص ١٤٥٧) .

وما أن عاد هرتزل إلى اوروبه ، من مصر ، ووصل باريس في ١٦ – ٤ ١٩٠٣ حتى اخذ يشن حملة على رجال البعثة ، الذين خلفهم وراءه في مصر ، وخاصة جرينبرج ، الذي كان قد سبقه في العودة .

« لقد انبّته بلطف ، وقصرت لومي له على عدم تقيده بتعليماتي». (ص ١٤٦٧).

بل انه قرر طرده :

«سأتصرف كأني لا أعلم بشيء . عندما ينجح المشروع ندفع له تعويضه ونبعده». (ص ١٤٧١) .

وجاء دور جولد سمد بعد جرينبرج ، كبير رجاله فيما مضى . فقد فشل جولد سمد في مهمته . فاتّهمه هرتزل بأنه هو سبب الفشل :

« كذلك فاني بدأت أشك في تصرفات جولدسمد لأنه يعتبر نفسه صاحب الأمر . لمست ذلك في الاقتراح الذي قدّمه بأن يكون القائم على أُمور الإدارة في المستعمرة (وهو يعني نفسه) هو أيضا الذي تنتخبه الحكومة حاكماً . وفي التقرير الذي وصل اليوم ، برهان آخر على هذا ! ذلك بأنه كتب إلى سير إلدُن جورست أن عليه أن يجمع معلومات يرد بها على رسائل لاسلكية من لندن وفينه . من لندن ؟ من أرسل له برقية من هناك ! هذا كله فقط ليضفي على نفسه صفة الأهمية ».(ص ١٤٨٨) .

وبالرغم من اتفاقه مع روتشيلد ظل قليل الثقة به . طلب هرتزل منه ، اواخر تموز (يوليو) ١٩٠٣ رسالة توصية إلى وزير المالية في روسيه . ووصل هرتزل بطرسبرج في ٧ ــ ٨ ــ ١٩٠٣ ولم تكن الرسالة قد وصلت بعد . فغضب وقال عنه بسخرية (عن عدم وضعه الرسالة المطلوبة) :

« إن سيادته يعزو ذلك إلى « الظروف الحاضرة » . هل هذا استغلال منه أم جبن ؟ أو أنه خائف ان يراني أُصبح عظيماً ؟ علينا ان نستمر في العمل بدونه ».(ص ١٥٠٩) .

وما ينطبق على الافراد ينطبق على الجماعات . انه يبدي شكّه من الصهيونيين كجماعة . قال ، مثلاً ، عن مجلس ادارة جمعية الاستعمار اليهودية في نيسان (ابريل) ١٩٠٣ (مع أن المجلس كان انذاك يؤيدّه في مشروع العريش) :

« ان مجلس الإدارة في جمعية الإستعمار اليهودية مملوء بالاعاجيب . مع

هذا عليه يعتمد مصير شعب مسكين » (ص ١٤٧٨) .

كذلك كان متضايقا من موقف لجنة العمل . كتب عن المؤتمر الصهيوني السادس ، في بازل ، في ٢٢ ـ ٨ ـ ١٩٠٣ :

« قدمت أمس إلى لجنة العمل الكبرى التقرير الذي كنت قد قدمته لانجلتره وروسيه . ولم يفكر أحد منهم ولو لحظة بانني أستحق كلمة أو ابتسامة شكر على هذه الانجازات التي هي أعظم ما قمت به . وبدلاً من الشكر إنتقدني السادة جاكوبسن وبلكوفسكي وتشلنو عدة مرات » . (ص ١٥٤٧) .

« لم استطع أن أُقدم اقتراحي بأن تؤخذ تكاليف الحملة من بنكنا . إن هؤلاء الأغبياء لا يستطيعون أن يروا أن قيمة الاسهم في البنك ستتضاعف عدة مرات اذا صار اليه أمر التنازل الضخم ، وان هذا سيعطينا وفي صفقة واحدة حصتنا من رأس المال جميعها مع أرباح فرق العملة الكبيرة.مثل هؤلاء هم الاشخاص هم الذين أتعامل معهم ! » (ص ١٥٥٠) .

وقد تحدث عن متاعبه انذاك مع لجنة العمل في رسالة كتبها في ٣١ ـ ١٢ ـ ١٩٠٣ إلى صديق له : و« ماندل » وزارة الخارجية البريطانية و« سامسون » مشروع استعمار شرق افريقيه :

« لا تخرجني عن صوابي ، يكفيني ما عندي من متاعب . فزملائي في لجنة العمل يريدون أن يعلنوا فشل مشروع شرق افريقيه ، ونوردو أيضاً يريد هذا . بينما هناك آخرون يريدون أن نكمل المفاوضات . ولكن ما نفع ذلك . لن يتخلى ماندل عن سامسون ، لقد حزرت هذا منذ تشرين الأول ، أرجوك أن تقرأ الرسالة التي كتبتها لك في ١٤ تشرين الأول . ألم يكن من الأفضل والاحكم لو وافقت لجنتكم الثلاثية في لندن على ما أردتُ وعملت بنصيحتي ، ولكنكم ظننتم أنني لا أرى الامور على صحتها . واليوم يتبينّ اني كنت على حق . عندما أكدّ لي جرينبرج ان ماندل سيتمسك بقوله ، قلت له بانني لن أتخلى عن ذلك عن طيب خاطر ، ولكن منذ ثلاثة أسابيع أخبرني

جرينبرج عندما كان هنا أن ماندل قد تخلّى عن سامسون . وكل ما أمكن عمله عندئذ كان محاولة تخليص ما يمكن تخليصه من الأمر !

يجب الا تنسى صعوبة موقفي . لن أستسلم لتهديدات جماعة خاركوف ، ولكن حتى هؤلاء المخلصين للمؤتمر قد يؤنبوني بشدة إذا انا خبّأت مثل هذه الأخبار المهمّة مدة أسابيع .

ليس عندي معلومات كافية من جرينبرج ، وأنا لا أعرف تماماً أين نقف الآن ومع هذا فهناك ضغط علي من جميع الجهات لكي أتخذ قرارات .

وصلتني برقية من جرينبرج منذ أربعة أيام وكان في برمنغهام عند براون يقول فيها « المقابلة مرضية » ولا شيء غير هذا . فكيف استطيع أن أقرر شيئاً على أساس هذا . ما يجده جرينبرج مرضياً قد لا أجده أنا كذلك .

وبالاختصار ، إن المصاعب تزداد ، ويأتي أعز أصحابي (مثل جسو) ليزيد عليها برسالة مضطربة .

طبعاً ، يكون من الأفضل أن أجعل مكتبي الرئيسي في لندن ، ولكن لا يمكنني أن أفعل هذا إلا اذا كان عملي الذي أعيش منه هناك أيضاً ، ولن أسمح يوماً بان أعيش على حساب حركتنا ، أولاً لانه ليس لي الخلق الذي يمكن أن يقبل بمثل هذا ، وحتى لو كان لي ذلك الخلق فليحمني الله من عمل مثل هذا ».(ص ١٥٨٦) .

تحفل اليوميات بعشرات الحوادث التي تدل على ان هرتزل لم يثق باحد من رجاله . يتحدث عن يهودي عينه في منصب كبير في ٢٣ ـ ٩ ـ ١٩٠٣ بهذه الكلمات (اسمه ستينر) :

« لقد مهدت له طريق الوصول إلى مستقبل ماديّ عظيم وقد أعطيته منذ البدء مركزاً ذا راتب ضخم . وأنا انتظر لأرى ما إذا كان سينكر الجميل » (ص ١٥٦٦) .

وبالطبع ، لم يكن هرتزل يخفي نفور الكثيرين من اليهود من حركته الصهيونية . يتحدث في اواخر الكتاب عن موقف واحد منهم ، في رومه :

« زرت أول أمس السناتور مالفانو ، يهودي ، وهو الرئيس الحقيقي لوزارة الخارجية مع أنه ليس الوزير.لم يستطع أن يرفض مقابلتي لأني سبق وقابلت الملك . ولكنه أخبر رافينا الطبيب انه يريد ان يتحدث معي فقط في مواضيع فنية وعلمية لأنه ضد الصهيونية .

رجل صغير قذر ، ذو رائحة فم كريهة . كان يتكلم بسرعة وبدون توقف عن كل شيء ، المعاهدات التجارية ، ذكريات عن فيكتور عمانوئيل الثاني ، توحيد ايطاليه ، الدخول إلى رومه ، وإلى غرفة المجلس هذه التي نجلس فيها ، التي كانت قبل بضع ساعات فقط من الدخول تعج بالكاردينالات والحرس البابوي . وقد تظاهر بأنه مجرد موظف متواضع ، حتى يبعدني من أن أطلب منه شيئا — وهو كذلك ، هو مجرد كاتب في ايطاليه التي هي أشبه بمؤسسة تعمل بالجملة . وهو معروف بقلة الكلام ولا بد أن الخوف من الصهيونية جعله يثرثر كثيراً ».(ص ١٦٠٥).

بل انه كان يشكو اليهود الى غير اليهود ، وكان يستعدي غير اليهود على اليهود . وفيما يلي فقرة من حديث بينه وبين وزير خارجية النمسه ، في ٣٠ ـ ٤ ـ ١٩٠٤ ، عن صاحب جريدته «الجريدة الحرة الجديدة» اليهودي :

« ثم تكلمت باختصار واستهزاء عن موقف أصحاب المراكز العالية في في النمسه . هنا في النمسه ، قضيتنا ليست معروفة ، وسبب ذلك راجع إلى صمت الجريدة الحرة الجديدة عن الموضوع : بينيدكت ينفي وجود شعب يهودي وأنا أقر ذلك ، والبرهان هو اني أنا واحد من هذا الشعب .

وسأل جولوتشوسكي : وماذا هو ؟ بروتستانتي ؟

قلت : لا إنه من جنس لم أره أنا أبداً : هو نمساوي . أنا أعرف الألمان

والبولنديين والتشيكيين ولكني لم أر نمساوياً أبداً . فابتسم وزير الخارجية النمساوية موافقاً . » (ص ١٦٢٦) .

ولعله ليس من الصدف ان تنتهي يوميات هرتزل بهذه الرسالة التي بعث بها إلى الثري اليهودي الاميركي ، شيف ، في ١٦ – ٥ – ١٩٠٤ ، وفيها هجوم عنيف على كبار الصهيونيين من اتباعه :

« من الطبيعي أن يكون هناك بعض الأعضاء الممتازين في جمعية الاستعمار اليهودية ولكنهم كمجموعة كانوا حتى الآن يقفون ضدنا كلما اقترحنا أساليب عظيمة نجابه بها حاجة عظيمة . ولا أدري لماذا يحب هؤلاء السادة ان يبذروا أموال هيرش في أمور صغيرة عديمة الفائدة ، لا تمت للتوطين بصلة . لولا أن الشعب يموت جوعاً بينما يبقى المال غير مستفاد منه لاستطعنا أن نتسلى بالتفكير في مثل هذا التصرف كأن نقول مثلاً : إن أكبر عدو للوصية هو الشخص الذي ينفذها أو نقول : يستطيع أقارب هيرش أن يطمئنوا الآن إلى أن اليهود الفقراء لا يأخذون شيئاً من ماله . في الحقيقة اني توقفت منذ زمن عن التفكير بجمعية الاستعمار اليهودية وأخطائها . سيجري وراؤنا هؤلاء السادة عندما لا تبقى لهم حاجة ».(ص ١٦٣١) .

تبين الصفحات السابقة سوء ظن ، وسوء رأي ، هرتزل باليهود بشكل عام وبزملائه ومساعديه ، واتباعه من الصهيونيين بشكل خاص . وللمقارنة مع ذلك يحسن بنا ان نبحث عن رأي هرتزل بنفسه . اول ما يطالعنا هرتزل به عن نفسه ، وفي مقدمة الكتاب ، يشبّه نفسه بالمكتشف الأميركي ستانلي ، ويتباهى :

« اهتم العالم بالكتاب الذي وضعه ستانلي عن رحلته «كيف وجدت ليفنجستون» . وكذلك أدهش ستانلي العالم – العالم المتمدن كله – عندما أختط طريقه في القارة السوداء . ومع هذا فما أصغر مغانمه بالنسبة لمغانمي ».(ص٤).

ليس غريبا ان يعتبر نفسه اعظم من اعظم مكتشفي القرن التاسع عشر .

لقد كان هرتزل يرى نفسه زعيما لليهود منذ أن بدأ يفكّر بالحركة الصهيونية ويخطط لها ، وبالذات منذ لقائه الاول مع هيرش ، وهو اول رجل يباحثه بمشروعه مباحثة رسمية ، وذلك في ٢ – ٦ – ١٨٩٥ . والواقع ان هرتزل كان يعتبر عدم وجود زعامة سياسية قوية لليهود ، قبله ، هو السبب الاساسي للمشكلة اليهودية . قال لهيرش في اجتماعهما الاول :

« لقد كنا طيلة الفي سنة من التشرد بدون قيادة سياسية موحدة ، وأنا أعدّ هذا أصل نكبتنا ، وقد سبب لنا من الاضرار أكثر من أضرار اضطهادنا ، ولهذا انغلقنا على أنفسنا نفتت ونخرب ، اذ لم يكن هناك من يدربنا لنكــون رجالاً ، حتى ولو كان ذلك لغاية الانتفاع من استعمارنا . كان الأمر على عكس ذلك ، كنا نزج في الاشغال الوضيعة ، وقد أُغلق علينا في معسكرات جعلتنا نؤثر بعضنا على بعض تأثيرا سيئاً فنسير إلى التأخر بدل أن نتقدم ، ولما افرج عنا ، أخذوا ينتظرون منا أن تكون لنا فجأة كل الصفات التي تكون لمن اعتاد الحرية ». (ص ١٩) .

والواقع ان تلك المقابلة تصلح مثالاً للعنجهية عند هرتزل . فهو يتباهى بمعرفته وذكائه (ص ٢٠) ، وبقوة قلمه (ص ٢٦) ، وبكبر روحه (ص ٢٦) وببراعته بالرغم من صغر سنه (ص ٢٧) . وقد لخص طموحه بقوله :

« أُريد أن أُحارب المعارضة ، وأُحرك اللامبالاة ، وأُساعد البائسين ، أُلهم شعباً مغلوبا على أمره منحط المعنويات . أُريد أن أختلط بالاسياد في العــالم». (ص ٢٧) .

هذا الطموح جعله يحلم سلسلة من الاحلام النهارية . فهو سيقود اليهود بنفسه إلى « ارض الموعد » (ص ٢٧) . وهو يعين هذا الرجل او ذاك في هذا المنصب او ذاك . فهيرش هو « الرجل الاول » . (ص ١٩) . و « الزعـيم سيكون من آل روتشيلد» (ص ٣٩) . وابوه « اول رئيس لمجلس الاعيان » (ص ٤٢) . اما هو فسيكتفي بتمثال فني وجميل يقيمه اليهود له في حدائق

التويليري (في باريس) ، امام تمثال جامبته ، (ص ٤٠) . سيغنيه التمثال عن المال . كتب في ٩ – ٦ – ١٨٩٥ .

« كنت أستطيع أن اجمع ثروة لنفسي أثناء ادارتي لهذا المشروع العظيم تماما كما جمعت أصحاب الملايين ». (ص ٥٤) .

كتب هذا قبل أن يكون قد جمع مليونيرا واحدا حوله ، وحينما كان كل أغنياء اليهود ضده .

وهناك وجه آخر للتناقض . كتب في ٨ – ٦ – ١٨٩٥ يخشى على نفسه جنون العظمة والتعالي على سائر اليهود :

« عليَّ الاهتمام بنفسي حتى لا يستحوذ عليها شدة الاعجاب والتيه وجنون العظمة اذا نجح المشروع . وإن لم ينجح فالكتابة هي مجال التنفيس لي ».(ص ٤٣) .

لكن يظهر انه لم يحم نفسه من هذه الشرور . ففي اليوم نفسه كتب أنه يجب أن يعهد إلى « بوليس سري قدير » بحمايته ! (ص ٤٨) .

وسينال شكر قيصر المانيه الذي سيقول له « اني مدين لك » . (ص ٤٢).

وسيكون قائد شعبه إلى « أرض الميعاد . » (ص ٦٤) .

وسيصنع البشر :

« أختار اناسا فقراء في ثياب مهلهلة ومن الشوارع والبسهم الاثواب العظيمة وأجعلهم يقدمون للعالم رواية جميلة من تأليفي ».(ص ٦٧) .

وسيشرب اليهود نخبه مرارا كثيرة . وسيقبل ذلك لكنه سيقول للناس الذين سيفعلون ذلك ، بتواضع :

« أُحب أن أراكم تكرمون زعيما لان ذلك ضروري لعمله اذ هو يكشف له عن ثقة الجماهير به ، الا اذا كان في ذلك حب للظهور ، غير أن الاكثار

منه قد يضرّه . أنا أُحب أن أُكرم ولكن لا أحب أن يتملقني أحد » . (ص ٦٨) .

ولماذا لا يشرب اليهود نخبه وهو الذي يمثل لهم « انتصار العقل على المادة » (ص ٨٠) .

ولم يكتف هرتزل بالتخطيط لحمل أهله معه في السفينة إلى « أرض الموعد» (وأهله هم ، إلى جانب « والدي وزوجتي وأولادي ... كل أقاربنا ، حتى البعيدين منهم ») (ص ٦٨) ، ولم يكتف بان يرسل مع أهله ممثلاً معينا « ليسليهم أثناء الرحلة » (ص ٩٣) قبل أن يجعله مديرا للمسرح الوطني ، بل كتب ، منذ ٩ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ ، أنه سيتوج ابنه أميراً على البلاد :

« قد أضع تاجا على رأس هانز يوما وأُنصّبه حاكماً ثم أُخاطبه في الهيكل أمام كبار رجال البلاد بيا صاحب السمو ، ابني الحبيب » . (ص ٥٧) .

ثم أخذ يصف كيف سيسير الموكب ، بالتفصيل (ص ٥٧) .

وهو الزعيم ، لذلك لن يسمح بان ينُتقد :

« لا أُريد أحداً أن يمدحني ، وذلك لان لا أحد يستطيع أن يلومني ، لاني الزعيم ، أنا لا أقول هذا فقط لحفظ النظام وانما ليبقى عقلي صافياً هادئاً ليقوم بما عليه . سأعرف من مدى طاعتكم وحماسكم إلى أي حد أستطيع أن أعتمد عليكم » (ص ٩٨) .

وجاء في تصوراته لنفسه ، في ما بين ١٤ و ١٦ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« إنه لمن حسن حظي ، ومما سيفرح والدي في كبرهما ويشرف أحفادي ، أنني فكرت بهذا المشروع العظيم ». (ص ١٠٢).

« أنا اليوم رجل وحيد منزو ، ولكن ربما أصبحت غداً الزعيم المفكر لعشرات الألوف وعلى أي حال فأنا المكتشف والمعلن لفكرة عظيمة». (ص١٠٣).

« سأترك بعدي تراثاً روحياً . لمن ؟ لجميع الناس . وأظن أني ساذكر مع أعاظم الذين أسدوا خيراً للبشرية » . (ص ١٠٤) .

« ستكون الدولة اليهودية شيئاً عظيماً . إن البلد الذي سيعمل سبع ساعات في اليوم ، لن يكون بلداً نموذجياً للتجربة الاشتراكية ومتحفا لكنوز الفن ، فحسب ، بل سيكون البلد الاعجوبة للمدنية باسرها . سيكون قبلة العالم المتمدن يزوروننا كما يزورون لورد ومكّه وسدجوره. هل تفهموني الآن ؟ لكن سأكون في أوج قوتي عند المرحلة الثالثة ، عندها سيكون العالم باسره إلى جانبي – اليهود والمسيحيون ، العامة ، والطبقة الوسطى والطبقة الارستقراطية ، والكهنة جميع الفرق ، والملوك والاباطرة ». (ص ١٠٥).

« إن الدولة اليهودية ضرورة عالمية . سيُصَلّون من أجلي في المجامع اليهودية وكذلك في الكنائس المسيحية ». (ص ١٠٦) .

وروى في ١٦ – ٦ – ١٨٩٥ هذه الحادثة :

« كان شيف هنا اليوم ومازحني قائلاً انني أبدو وكأنني قد اخترعت منطاد الهواء .

– وفكرت في نفسي ، ربما اني قد فعلت ذلك ولكني بقيت صامتاً » (ص ١٠٨) .

واذا كانت هذه هي مشاعر هرتزل حينما كان لا يزال باول الطريق نستطيع ان نتصور كيف تطورت ونمت حينما قطع شوطا من الطريق الذي رسمه لليهود بعد سنوات من شروعه بالعمل . فهو ، مثلاً ، يعتبر يومياته

التاريخ الرسمي « للدولة اليهودية » (ص ٥٦٠) . وكتب في ٣٠ ـ ٩ ـ ١٨٩٨

« إذا أشرت باصبعي إلى مكان وقلت : لتقم هنا مدينة ، ستقوم هناك مدينة . » (ص ٦٧٤) .

وكتب في ٢٤ ـ ١ ـ ١٩٠٢ :

« اعتقد أن تأثيري كزعيم يعود إلى أني ، أنا الذي عمل وله أخطاء كثيرة ككاتب وكانسان ، دائماً نقي القلب ومتفان في القضية الصهيونية ».(ص١٢٠٢).

وكتب في ١ ـ ٨ ـ ١٩٠٢ :

« سيفرح الديبلوماسيون المتسلون ، لأني كنت شوكة في أجسادهم . أنا اليوم واحد من خمسمئة رجل معروف في العالم ، ومع هذا فإن سفير بلجيكه ينظر إلي كشخص مغمور . أنا في أعين جماعة الديبلوماسيين ، ولاعبي التنس والشرهين والكسالى ، أنا في نظر هؤلاء رجل مغامر ».(ص ١٣٣٥).

وحينما تجاهله قنصل النمسه في مصر ولم يزره ، عندما قام هرتزل برحلته إلى مصر ربيع ١٩٠٣ ، كتب في مذكراته معلقا ، في ٢ ـ ٤ ـ ١٩٠٣ :

« إن ديبلوماسيي بلادي لا يشعرون بوجودي أبداً كأنني هباء . لن يشعر أحد بهؤلاء الأغبياء حينما يشع إسمي كالنجم على مر الأجيال ». (ص ١٤٦١).

الفصل الرابع

هرتزل والاشتراكية

حينما كان هرتزل يحلم بالدولة اليهودية التي سيقيمها في مكان ما من العالم، ويسجل احلامه وافكاره تسجيلا عفويا ، في العام ١٨٩٥ ، كان يتخيل دولته هذه دولة ارستقراطية . كتب في ٩ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« يا مجلس العائلة : إني أختار الأرستقراطية لأني بحاجة إلى شكل مرن من الحكم في المستقبل . إن الملكية تؤدي إلى الثورة . أما الجمهورية فليس لها الفضيلة الكافية » . (ص ٦١) .

وكتب في اليوم التالي أنه يريد تأسيس :

« مجلس شيوخ للأرستقراطيين » . (ص ٦٥) .

ودعامته الثانية في حكومته ، بعد الأرستقراطيين ، هم رجال الدين . كتب في ١٥ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ :

« سيكون الحاخامون اسساً في منظمتي وسوف أُكرمهم . إنهم سينشطون الناس ، ويعلمونهم أثناء الرحلة ويهدونهم في الجانب الآخر . ومكافأة لهم سيكون لهم سلطة كهنوتية معززة » . (ص ١٠٤) .

وكتب في اليوم التالي :

«مما يدل على أنني لا أعمل لغير صالح الدين أنني أُريد أن أتعامل مع الحاخامين ،

جميع الحاخامين » . (ص ١٠٩) .

فهو يضع املاً كبيراً على الكهنة في حركته :

« سنقوم بنداءات خاصة لاشتراك الكهنة . يذهب مع كل جماعة حاخامها ، وبهذا تسير هذه الجماعات سيراً طبيعياً . فيكون الحاخام نواة الجماعة ، وسيكون هناك جماعات بقدر عدد الحاخامين . سيفهم قضيتنا الحاخامون أولاً ويتحمسون لها وهم بدورهم ينقلون هذا الحماس للآخرين من على منابرهم» (ص ١٥٠) .

« وبعد ، فان رجال كهنتنا سيكونون أول من يفهمنا ويذهب معنا .» (ص ١٥٥) .

كان هرتزل محافظاً بقدر ما كان يعارض الاشتراكية ويتهجم عليها ، نظرياً وفعلياً . كتب في ٧ – ٦ – ١٨٩٥ ، في رسالته إلى آل روتشيلد في عرض سياسته العامة :

« أنا أرى أن الإشتراكية هي مسألة تكنيكية صرفة ، ستمحى عند توزيع قوى الطبيعة بواسطة الكهرباء ، في أثناء ذلك ستكون دولتنا المثالية قد برزت للوجود . » (ص ٤٥) .

واعتبر الصهيونية بديلاً لليهود من الاشتراكية ، كما كتب في ١٤ – ٦ – ١٨٩٥ :

« كل شبابنا ، كل الذين بين العشرين والثلاثين من العمر ، سيتركون ما تعلموه من الآراء الإشتراكية المبهمة ويقبلون علي . سيصبحون وعاظاً متجولين بين عائلاتهم وفي أنحاء العالم ، بدون أن أحثهم أنا على ذلك . لأن البلاد ستكون لهم .» (ص ١٠٢) .

وذلك لأن :

« إن الحل الذي أقدمه هو علمي للغاية . وهذا يجب ألا تعتبروه اشتراكية

اكاديمية » . (ص ١١١) .

وقد حاول أن يتاجر بذلك : كان يعد سياسي اوروبه ، المحافظين ، بأنه سيساعدهم ، بحركته الصهيونية ، ضد اخصامهم من الاشتراكيين . وقد كتب ذلك لاول مرة في رسالته إلى بسمارك في ١٩ – ٦ – ١٨٩٥ ، يهدده بأنه اذا لم تلبَّ طلباته فان اليهود يتحولون إلى الاشتراكية :

« ما هي النتائج لذلك . سوف يسرع جميع اليهود ، وليس الفقراء منهم فقط كما هي الحال حتى الآن ، بل الأغنياء أيضاً ، إلى الإنضمام إلى الحزب الإشتراكي مع جميع مواردهم » . (ص ١٢١) .

ووقف هرتزل ضد الديموقراطية وقوفه ضد الاشتراكية ، فهي ، كالاشتراكية، نقيض النظام الارستقراطي الذي يدعوله . كتب في مذكراته في ٢٠ – ٦ – ١٨٩٥ :

« أخطاء الديموقراطية : من سيئاتها كثرة الإلحاح على الإعلان ، وهذا النوع من الإعلان يفقد الإحترام الذي هو ضروري للحكومة . يتبين للعالم بأسره أن الحكام هم مخلوقات بشرية أيضاً وفي كثير من الأحيان عرضة للضحك أشخاص ضيقون . هكذا خسرت إحترامي في باريس » . (ص ١٢٤) .

« الديمقراطية هذر سياسي يصل إليه ويقرره غوغاء الناس في حمأة الثورة » (ص ١٢٥) .

« وفوق هذا ، فالأضواء التي تقدمها الديمقراطية كاذبة وخيالية . كثيراً ما يختبيء وراء شعاعها أمور لا تلبث أن تؤدي إلى فضائح مثل قضية بناما وما شابهها .» (ص ١٢٦) .

وكان قبل خمسة أيام قد كتب في رسالته إلى روتشيلد يؤكد ان دولته العتيدة لن تكون ديموقراطية :

« كيف يكون دستورنا ؟ لن يكون ملكياً ولا ديموقراطياً ، أنا من مؤيدي

الملكية ، لأنها تعمل لسياسة ثابتة وتحفظ مصالح عائلة اشتهرت تاريخياً وتهيأت لأن تحكم ، وترعى مصالح يعتمد عليها حماية الدولة . ولكن تاريخنا المتقطع كثيراً لا يسمح لنا أن نحاول متابعة الملكية .

وأنا ضد الديمقراطية لأنها متطرفة فيما ترضى عنه وفيما لا ترضى عنه ، وتشجع الهذي البرلماني وتخلق طبقة من الرجال هم طبقة السياسيين المحترفين . إن أمم الوقت الحاضر لا تلائمها الديمقراطية في الحكم وأنا أعتقد أنها ستزداد عدم ملائمة لها يوماً بعد يوم . لأن الديمقراطية تحتاج إلى بساطة في الأخلاق وأخلاقنا تزداد تعقداً مع تقدم التجارة والمدنية ، ولقد قال مونتسكيو الحكيم : إن الفضيلة هي هم الديمقراطية . وأين لك أن تجد الفضيلة — الفضيلة السياسية ؟ ليس لي ثقة بفضيلة سياسية لشعبنا ، لأننا لا نختلف على الإنسان العصري ، ولأن الحرية ستسيء إلينا في البدء وتثير غرورنا . لا أؤمن بالحكومة التي تأتي بالإستفتاء ، لأنه ليس في السياسة ما يمكن الإجابة عليه ببساطة وبمجرد نعم أو لا . إن الجماهير تتأثر أكثر من البرلمانات بالدعايات المضللة وتستمع لكل هراءات المشاغبين . وأنتم تعلمون أن الشعب السويسري الذي اشتهر بحبه للحرية والذي يعتمد الآن على المدخول السياحي له ، كان أول من وضع القوانين الخاصة ضد اليهود .

لا يمكن أبداً تكوين أي سياسة داخلية أو خارجية في مجلس شعبي . لم استطع أبداً أن أوضح للناس ضريبة حماية التجارة الحرة ، فكيف أفهمهم مسألة العملات والمعاهدات وخاصة سياسة التعليم الشعبي ، الذي يجب أن يكون اهتمامنا الأول . يجب أن تبدأ السياسة من الأعلى ثم تسير انخفاضاً ... لذلك فانا أفكر في خلق « جمهورية ارستقراطية » كما سماها مونتسكيو . هذا يلائم نفسية شعبنا الطموحة التي تدهورت الآن إلى ما هو غرور أحمق . لقد فكرت في كل المؤسسات التي كانت في البندقية ، ولكننا سنبتعد عن كل مظهر أدى إلى خراب تلك المدينة . سنعتبر بأخطاء غيرنا وبأخطائنا ، وسيقبل شعبنا الذي

نحن مقدمون له بلاداً جديدة سيقبل بامتنان الدستور الذي نضعه . ولكننا سنقمع كل معارضة بالإقناع الحبي أو بالقوة إن لزم الأمر . » (ص ١٦٨–١٧٠) .

روى في ٢٨ – ٦ – ١٨٩٥ قصة محادثة له مع اليهودي ليو فرانكل عن نظام الحكم في دولته العتيدة :

« وضحت له لماذا أنا ضد الديمقراطية .

قال : إذن أنت من تلاميذ نيتشه .

قلت : أبداً ، إن نيتشه رجل مجنون ، ولكن الحكم لا يكون إلا عن طريق ارستقراطي . في المجتمعات الصغيرة أنا أشجع الحكم الذاتي . إن أحاديث السياسة التي تكون عندنا مضحخة ماء الأبرشية تصلح للأبرشية فقط وهي الأفضل لها غير أن الدولة وحاجاتها لا يمكن أن يتفهمها الشعب . فقال فرانكل : وكيف ستقوم بتأسيس هذه الحكومة الأرستقراطية ؟ أجبته : هناك طرق عديدة، هذا مثل لا ضرورة أن تتخذ منه تعميماً : إن الأكاديمية الفرنسية تقوم على طبقة ارستقراطية مختارة » . (ص ١٩١) .

وروى في ١٥ – ٧ – ١٨٩٥ قصة محادثته مع يهودي آخر ، شيف ، اشتراكي الميول :

« كان شيف هنا. سألته عن رأيه في أعمال الشغب التي قامت خارج «لانرهول» في فينه . أجاب بعناد باد : يجب أن يصبح اليهود اشتراكيين . وعبثاً حاولت أن أقنعه بأن هذا الأمر لا يصلح للنمسه كما قد يصلح لألمانيه . انه يؤمن أن هنغاريه التي هي متحررة السياسة مع اليهود ستمنع من قيام حركة لا يهودية في النمسه . هو مخطىء جداً ، ففي هنغاريه يرتكب اليهود خطأ شراء أراضي المتملكين ولا بد لهؤلاء « الأعيان » الذين يطردون عن أرضهم أن يصبحوا بين عشية وضحاها قادة الشعب ويثورون على اليهود . أما حكومة الأحرار فإنها تملك سلطة غير عميقة الجذور بفضل أموال اليهود التي تبذل من أجل

الإنتخابات . إن حزب المحافظين الوطني والجيش من ورائه سيقوم بقلب الأوضاع بين يوم وآخر . » (ص ٢٠٢) .

ثم روى ، في رسالة في ٢٥ – ٧ – ١٨٩٥ ، قصة نقاش ثالث مع صديق له :

« لم يفهمني صديقي . ترى هل كان ذلك لأني أخطأت ؟ لما سألته بعد أن استمعت إلى انتقاده ، « ما هو إذن الحل في نظرك » ؟ أجاب « يجب أن ينتمي اليهود إلى الحركة الإشتراكية » . وأنا أرى أن هذا حمق بقدر ما هي الإشتراكية حمقاء » . (ص ٢١٤) .

وفي الاجتماع الاول بين هرتزل ومابر كوهن ، الذي امل هرتزل ان يجعله من رواد الحركة الصهيونية ، في ميونخ في ١٨ – ٨ – ١٨٩٥ ، اختلفا بسبب ايمان هرتزل بالارستقراطية وإيمان ماير كوهن بالبرلمانية (ص ٢٣٠ – ٢٣٥) . فقد صرح هرتزل بالاراء التي كان يقول بها من قبل ، من نوع :

« استقلال ذاتي في سياسة المجتمعات الصغيرة ، دع الثرثارين يتسلون ويسرون بحكم ذاتي.ويكفي الحكومة أن تتولى مراقبة مجلس نواب واحد لا يستطيع أن يقلب الحكومة وإن استطاع فقط أن يمنع عنها بعض الموارد . يعين الحاكم ثلث المجلس بتوصية من الحكومة (أما التعيين مدى الحياة فيكون فقط للنبلاء وتكون الملكية له بالوراثة) . ويعين الثلث الثاني المؤسسات العلمية والجامعات والمدارس الفنية وغرف التجارة وجمعياتها . وأما الثلث الأخير فيكون بانتخاب المجالس المختلفة (ويجب أن تكون هناك لجنة انتخابية لتفحص المرخصين) ، أو ربما بانتخاب المقاطعات بعد دراسة ممحصة لقوائم الإنتخابات. يعين الحاكم الحكومة . ويبقى أن أمر مراقبة الحاكم نفسه لئلا يكون مستبداً في رأيه ، لأنه طالما لا يستطيع المجلس إقالة الحكومة يستطيع أن يحيط نفسه برجال مأجورين ولعل هذا التنظيم الثلاثي للمجلس يمنع مساوىء قصر بوربون ، ويعطى المجلس حق إقالة الحكومة » . (ص ٢١١) .

لذلك لم يكن غريباً أن يقبل هرتزل عرض رئيس الحكومة النمساوية ، باديني ، بأن يرأس تحرير صحيفة نوت حكومته اليمينية المتطرفة ان تصدرها للدفاع عن نفسها ، في ٣٠ ــ ١٠ ــ ١٨٩٥ ، مع أن هرتزل كان إلى ذلك الحين يعمل في جريدة كان المتحررون والثوريون في اوروبه يعتبرونها جريدتهم . قال هرتزل لباديني :

« أظن بأنني سأكون من أنصار سياستك الحاضرة ، يا صاحب السعادة ، وإذا كنت معك فسوف أظل إلى جانبك بحزم وإخلاص . على أنه قد يأتي وقت لا أتمكن فيه من مساندتك إلى الآخر ، لكني عند ذلك سوف أخبرك بصراحة قبل أن أتحول إلى طريقي الخاص . ولكن إن بقيت معك حتى نهاية مدة حكومتك ــ التي آمل أن تطول ــ لن أتركك بعد ذلك ». (ص ٢٥٥) .

وقد علق هرتزل على تعاقده مع رئيس الحكومة الرجعي :

« ليس ما أنا متممه اليوم عقد استئجار شبه رسمي ، الأمر الذي لسوء الحظ يظنه الكثيرون ــ ولكنه حلف» . (ص ٢٥٥) .

ونقل هرتزل خصومته للاشتراكيين إلى حيز التآمر عليهم . فمنع رجاله من التصويت للقوانين الاشتراكية في انتخابات الرايخستاج في اذار (مارس) ١٨٩٧ . وعاب على احد المرشحين الصهيونيين أنه اتصل بالاشتراكيين في ١٠ ــ ٣ ــ ١٨٩٧ (ص ٥١٩) . وأخذ في اجتماعاته يندد بالاشتراكيين ويتخاصم معهم .

« تكلم بعض الإشتراكيين بمعارضة الصهيونية ، واستعملوا الحجج القديمة. لم ينجح القرار الصهيوني ضدهم إلا بخمسين صوتاً . وعندها أنشد الإشتراكيون « نشيد العمل » . فرد رجالنا «بنشيد العهد» الذي تأثر له الجميع» . (ص ٥٢٤).

ومع هذا لما صوّت بعض اليهود مع الاشتراكيين حاول هرتزل ان يستغل ذلك لصالح حركته :

«ربما كان ميل اليهود الى الديمقراطيين الإشتراكيين في انتخابات فينه في التاسع من أذار قد أثر في الحاكمين في كل مكان . » (ص ٥٢٢) .

وقد استمر هرتزل في متاجرته ، مع سياسيي اوروبه ، على حساب الاشتراكية . كتب إلى دوق بادن الكبير في ٢٤ – ٤ – ١٨٩٦ ، اثر اجتماعه به ، ان قيام دولة الصهيونيين سيكون خدمة لاوروبه عن طريق اضعاف الحركة الاشتراكية :

« سيكون لحركتنا نتيجتان – وهذا أمر نوهت به قليلاً في كرّاسي الذي قصدت أن أجعله مادة للنقاش بين الناس ، وأنا أُريد أن أُوجه انتباه سموكم إلى هذين الأمرين : اضعافنا للأحزاب الثورية ، وتفتيتنا للقوى الإقتصادية الدولية.إذا وجدنا المساندة فلن يكون كلامي هذا غروراً .» (ص ٣٤٤) .

وهاجم الاشتراكية أمام الملحق العسكري الالماني في فينه ، بولو ، في ١٨ – ٩ – ١٨٩٨ :

« وتطرق بنا الحديث إلى الإشتراكية ، فأوضحت له رأيي وهو أنه من الحمق أن ينتمي اليهود إلى الحركة الإشتراكية ، التي لن تلبث أن تتخلص منهم ، وبعد فإن اليهود ليسوا اشتراكيين بطبيعتهم ، وذكرت له شيئاً قرأته مؤخراً وهو أن مصر ما قبل موسى كانت اشتراكية ولكن موسى خلق بالوصايا العشر نمطاً فردياً في المجتمع واليهود فرديون وسيظلون فرديين .

وأعجبه ذلك أيضاً مستشهداً بهايني الذي تحدث عن حماقات المؤمنين بالمساواة ، وقال ان اليهود لن يقبلوا بمبدأ المساواة وأضاف أنه تحدث مرة مع زعيم اشتراكي عن حالة الدولة الإشتراكية في المستقبل ووصل إلى أن شبهها بحقل اقحوان يقطع فيه رأس كل زهرة تكون أطول من البقية . مثل هذه الدولة تكون مملة وخالية من المواهب » . (ص ٦٦٧) .

« أما بالنسبة للناحية الإشتراكية في القضية فقد اتفقنا. وقد أعجبه ما ذكرت

عن أننا أبعدنا الطلاب عن الإشتراكية في جامعة فينه . قد يظن البعض أنهم يستطيعون أن يقيموا دولة اشتراكية في المستقبل « هناك » ؛ ولكن لا أظن ذلك . قد نستطيع أن ننظم الامور بطريقة أفضل مما كانت عليه في المجتمع القديم ، ولكن على العموم ، ستبقى الأمور على ما كانت عليه . إذا كنت أعتقد أن شيئاً غير هذا سيكون فسوف أكون مثالياً أكثر من اللازم .

وابتسم ثانية ابتسامته الرائعة وقال نعم ستكون مدينة أفلاطون الفاضلة » . (ص ٦٦٨) .

وكان دائما يستغل عداءه للاشتراكية لكسب رضى سلطات اوروبه . كتب في ١٢ – ١ – ١٩٠٠ :

« كتب مندلستم ، بهلع ، أن مديرشرطة روسيه هدد الدكتور اوينوفسكي ، من أوديسه ، بأنه سوف « يغلق الدكان الصهيوني » . إلا أن الإشارة إلى موقفنا ضد الإشتراكيين جعل الرجل في مزاج الطف » . (ص ٩٠١) .

وهذا دليل آخر على متاجرته بموقفه من الاشتراكية . في ٥ – ٢ – ١٩٠٠ ضغطت حكومة النمسه على الحركة الصهيونية قليلا . فاتخذ هرتزل القرار التهديدي التالي :

« إذا كانت الحكومة تهدد الصهيونية فإن الصهيونيين كلهم سيتحولون إلى الإشتراكيين الديمقراطيين » . (ص ٩٠٣) .

وأخذ يحمّل رئيس الحكومة النمساوية ، كويربر ، جميلة لان الصهيونية ضد الاشتراكية ، في ١٦ – ٢ – ١٩٠٠ :

« قلت ان الصهيونية تستحق أن تشجع لا أن تُضعف على يد الحكومة ، لأنها هي السبيل الوحيد إلى الخلاص من المسألة اليهودية الخطيرة . وإلا فإن اليهود المضطهدين سيصبحون أعداء للمجتمع .

لا شك أن للحركة الصهيونية أثرا نافعاً في الدول ذات الطبقة العاملة

اليهودية الواسعة . حتى أوساط الحكومة الروسية تعترف بهذه الحقيقة . فما لم تره الجماهير (التي تضغط عليها اللاسامية بقسوة) في الصهيونية حلاً ممكناً لعذاباتها لا بد أنها تنضم إلى الأحزاب المتطرفة الثورية . ولهذا يجدر بحركتنا أن تساعد لا أن تعرقل .

إذا نفذ هذا العرض الجديد بالطريقة التي طلبتها لابد أن يقوم شيء نافع ما . يوماً ما ستحتدم المسألة اليهودية بشكل فظيع في بلادنا ، وخاصة في جلسيه . يسمع المرء ملاحظات لا سامية كثيرة جداً ضد اليهود وقلما يسمع ملاحظات عن حالة هذه الجماهير التعيسة اليائسة .

إني ، بكل تواضع ، أعتقد أن الحكومة الامبراطورية التي تترأسونها لن تؤذي الملكية إذا أخذت على عاتقها أمر تعهد الحركة الصهيونية ، بدل عرقلة أعمالها . لا يسعى القائمون على هذه الحركة إلى مراكز سياسية ، ولا مصلحة مادية لهم فيها قط . » (ص ٩٠٥ — ٩٠٨) .

وقد عاد هرتزل إلى الموضوع في حديث آخر مع كويربر نفسه بعد حوالي الشهرين :

« قلت : في جلسيه عدد كبير من اليهود ممن يمكن التأثير عليهم .

سألني : نعم ، لكنهم أليسوا اشتراكيين ؟

قلت ، دون أن أذكر الصهيونية : يستطيع المرء أن يدق اسفيناً . قد استطيع أن أخدمكم في هذه القضية يا صاحب السعادة » . (ص ٩٢٧) .

وقد تطورت علاقة هرتزل مع الرئيس النمساوي فيما بعد . فتفاوض معه ومع بعض أعضاء حكومته ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٠١ ، لاصدار جريدة يموها كويربر والرجعية والرأسمالية والنمساوية ضد الحركات الاشتراكية ويحررها هرتزل نفسه.لكن المفاوضات تعثرت وفشلت بالرغم من مساعي هرتزل الحثيثة لكسب ود كويربر ومن التودد له بشكل مفضوح . مثلاً ،

كتب هرتزل في ١٠ ـ ١ ـ ١٩٠١ .

«إذا لم أسمع شيئاً قبل السبت سأطلب موعداً مع كويربر وساحاول مرة ثانية كسبه إلى جانبنا . ساخبره إني سأظل دائماً « زلمة كويربر » ، حتى بعد سقوطه عن الحكم . وحتى في يوم سقوطه كنت أنوي أن أكتب رسالة أؤكد له فيها ولائي له » . (ص ١٠٣٨) .

فلان قلب كويربر . واصدر هرتزل جريدة له وللصناعيين والرأسماليين النمساويين اسمها « الجريدة الجديدة » . وكانت جريدة الرأسمالية النمساوية باعتراف أحد مموليها ، كروب :

« اننا ، نحن الصناعيين ، بحاجة إلى جريدة لاعلام الجمهور . اننا لا نملك حالياً أي تمثيل صحافي . مثلاً : قناة الدانوب ـ أودر ضرورة ماسة . لكن « الجريدة الحرة الجديدة » لا تريد الكلام في الموضوع . ربما كانت قد قبضت مالاً ، من أجل ذلك ، من روتشيلد وشركة سكة حديد الشمال » .

عند هذه النقطة تحددت المقارنة ، بوضوح رائع ، بين رجال البنوك الكبار ، الذين يعادونني منذ سنوات بسبب صهيونيتي ، وهذا الجمع من رجال الصناعة الذين سعوا إليّ » . (ص ١٠٤٣) .

إلا أن المشروع عاد ففشل وماتت الجريدة وهي في المهد . والسبب هو أن هرتزل طلب مالا كثيرا ، اكثر مما كان الرأسماليون النمساويون على استعداد لأعطائه . وقد اعترف هرتزل بذلك وكتب بندم :

« يبدو أنهم قد تخلوا عن المشروع . إني ألوم نفسي كثيراً لأني طالبت بمطاليب باهظة ربما كانت هي التي حطمت المشروع . إني مستعد الآن أن أرضى بالقليل » . (ص ١٠٥٣) .

وبسبب ندمه أعاد هرتزل المحاولات مع كويربر في ١٧ ـ ٤ ـ ١٩٠١ إلى ان أفهم تماما ، في ٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٠١ ، ان لا أمل له منه . لكن الحديث

في الموضوع بعث من جديد بعد اربعة أشهر ، ليموت هو أيضا في المهـــد :

« كان سكرتير البلاط سوننشين ، من وزارة المواصلات ، هنا لمدة ساعة يوم السبت وعرض علي أن اصدر جريدة للصناعيين . لم أرفض ولكني كنت متحفظاً . انه ينوي أن يتكلم مع كويربر أولاً » . (ص ١١٧٦ » .

« إنني أتألم من فرصة الحصول على جريدة في فينه ، مع أن سكرتير البلاط سوننشين الذي أثار اهتمامي بالموضوع لم يبلغني شيئاً عنه اخر ثلاثة أسابيع ، مما يحتمل أن يكون الأمر خيبة جديدة . الا أني أستطيع أن أفعل الأعاجيب بجريدة كبيرة » . (ص ١١٧٩) .

لقد تجمع لدى هرتزل سببان رئيسيان للوقوف إلى جانب الرجعية في العالم ضد القوة التقدمية الثورية : اولها انسجاما مع تفكيره الرجعي وثانيهما استزلاماً للسلطات الرجعية . وقد بلغ من اقتناعه بالمبادىء الرجعية أن اتهم كل اشتراكي بأنه لا يمكن أن يكون يهوديا ــ كتب في ٢٩ ــ ٩ ــ ١٨٩٨ :

« من الواضح أنه لا يمكن مساعدة اليهود الفرنسيين ، انهم يحرقون فرْشهم. يطلبون الحماية عند الإشتراكيين ومهدّمي النظام المدني الحاضر ...

اليهود الفرنسيون ليسوا معنا ، هم في الحقيقة ليسوا يهوداً وكذلك فإنهم ليسوا فرنسيين ، من المحتمل أن يصبحوا زعماء الحركة الفوضوية في أوروبه ». (ص ٦٧٢ ــ ٦٧٣) .

وبلغ من استزلامه للرجعية أن لم يأبه في الايام الاخيرة من ١٩٠١ لغضب أحرار العالم عليه حينما ابرق إلى السلطان يحيّيه ويمجّده ويتزلف له . كان رده على غضب احرار العالم :

« عندما أذاعت الصحف خبر جواب السلطان البرقي استلمت برقيات من اجتماعات طلابية من كل القوميات ، في جنيف ولوزان ، وخاصة من الأرمن والبلجاريين والمسدونيين والروس والبولنديين ، وغيرهم يبدون فيها ازدراءهم

من برقيتي إلى « السلطان الأحمر » وسخطهم عليها . غير أن هذا لا بد أن يخدمني عند السلطان ... ستضعني تظاهرة الإحتجاج التي قام بها الطلاب الأرمن وغيرهم من الطلاب الصاخبين في موضع جيد » . (ص ١١٩٢ — ١١٩٣) .

لكن تزلف هرتزل للرجعية الاوروبية بلغ ذروته في اتصالاته مع بليفيه، وزير داخلية روسيه الذي اضطهد اليهود كثيراً وعرفوه كجلاد لهم . فان هرتزل لم يكتف بالاتصال به ، بل انه أخذ يستعديه ضد الاشتراكيين ، اليهود وغير اليهود ، ويعده بمساعدته . كتب اليه في ١٩ — ٥ — ١٩٠٣ :

« إن الشباب قد بدأوا يتأثرون بتعاليم الثورة ، شباب في سن الخامسة والسادسة عشرة الذين لا يفهمون معنى الجنون الثوري الذي يُبشرون به ، أخذوا يتأثرون بمبادىء العنف .

كان هدف الحركة الصهيونية في السنين التي مضت أن تقدم لهؤلاء المساكين هدفاً أسمى يخفف عنهم آلامهم ويعيد إلى نفوسهم الثقة ، ولا أظنك يا صاحب السعادة لم تلاحظ هذا . والآن أخبرني أناس مخلصون أن هناك طريقة سريعة لتهدئة مشاعر هؤلاء اليائسين ، وهي الحصول لي على مقابلة مع صاحب الجلالة قيصر روسيه . هذه الطريقة فقط هي كفيلة بالتخفيف عن المشاعر ، حتى لو لم يعرف فيما بعد أي شيء عن هذه المقابلة . وأنا متعود على تأكيد مثل هذه الثقة ، والبرهان على هذا أنه لم يتسرب إلى الشعب أي كلمة من محادثاتي الكثيرة مع صاحب الجلالة قيصر المانيه ومع السلطان .

وإذا أتيحت لي فرصة مقابلة القيصر فسوف أقدم لحكومة صاحب الجلالة ، قيصر روسيه كل ما يلزم من معلومات عن حركتنا وأطلب مساعدتها في المستقبل » . (ص ١٤٩٣) .

« إن الوقت خطير الآن ، وأنا أظن أني أستطيع أن أجعل الحكومة الروسية تقوم بواسطتي بدور في إخماد المشاعر الثائرة ولذلك أطلب من السلطات

الرسمية أن ترتب لي مقابلة مع القيصر» . (ص ١٤٩٤) .

وحينما اجتمع هرتزل والوزير (في مقابلتهما الاولى في ٨ – ٨ – ١٩٠٣) قال الوزير بليفيه :

« لقد ساءت الحالة في الآونة الأخيرة ، ذلك أن اليهود بدأوا ينضمون إلى الأحزاب الثورية . كنا نعطف على حركتكم عندما كانت تعمل للهجرة . لا داعي أن تدافع عن الحركة ذلك لأني مؤمن بها ، لكنا بدأنا نلاحظ – منذ مؤتمر مينسك – تغيرات كبيرة أساسية. لقد قل الكلام عن الصهيونية الفلسطينية وأخذ التكلم يزداد عن الامور الثقافية والتنظيم ، والقومية اليهودية . هذا لا يوافقني . بدأنا نلاحظ أن زعماءكم في روسيه – وهم جميعاً شخصيات مرموقة في أوساطهم – لا يطيعون لجنتكم في فينه . ولم يبق معكم في روسيه إلا اوسيشكين » . (ص ١٥٢٥) .

وقال هرتزل :

« أما معارضة هؤلاء السادة لي فهذه ظاهرة تعود عليها كولومبس . عندما كان البحارة يتذمرون من انقضاء اسبوع بعد اسبوع بدون أن يروا اليابسة ، قائلين : إن ما تراه فينا هو ثورة البحارة ضد قائدهم . كان يجيب ساعدوني لأصل إلى اليابسة بسرعة حتى تنتهي الثورة . وهذا أيضاً هو جوابي للإشتراكيين » . (ص ١٥٢٦) .

وقد نتج عن الاجتماع موافقة الوزير على مطاليب هرتزل الثلاثة . وقابل هرتزل ، في اليوم التالي ، ٩ – ٨ – ١٩٠٣ ، وزير المال الروسي ، وت . شكا الوزير من ثورية اليهود . قال لهرتزل :

« وقد أضيف في الآونة الأخيرة عامل مهم آخر : هو اشتراك اليهود في الحركات الثورية . فمع أن عدد اليهود هو سبعة ملايين من أصل مئة وستة

وثلاثين مليوناً من السكان فإن نسبة من ينتسب منهم إلى الأحزاب الثورية هي خمسون بالمئة » . (ص ١٥٣٠) .

لكن هرتزل طمأنه بان الصهيونية ستقضي على الدعوة الثورية بين اليهود. وعلى هذا الاساس اتفق الرجلان (ص ١٥٣١) . ولما لم ينفذ الروس وعودهم له ، استمر هرتزل يحرض المسؤولين منهم ضد الثوريين . كتب ال هارتويك سكرتير وزارة الخارجية الروسية في ١١ – ٩ – ١٩٠٣ ، مفلسفاً علاقة الصهيونية بالثورية :

« إن اليهودي بطبعه محافظ إلى أقصى حد ، هو كذلك بخلقه وبنظرته الدينية . وهو أفضل من يطيع القانون ، ولكن هل يدهشنا إذا كان قد تحول بسبب عدم تشجيعه وفقدان كل أمل له في تحسين حالته أو حتى في العيش ، أن يتجاوب مع الأفكار التقدمية . وحتى إذا كان الاحترام للقانون يقف في وجه عروض اليأس الشريرة ، إن شبح حوالي ستة ملايين ، يزدادون يوماً بعد يوم ، يصلون إلى أدنى مراتب البؤس يمكن أن يؤذي حكومة تدّعي التمسك بالمبادىء الخلقية والإنسانية . » (ص ١٥٥٤) .

وكان هرتزل يعلم ان الاشتراكيين ضده بسبب صلاته مع الرجعية الاوروبية . وكان يستغل هذا الوضع . ففي رسالته إلى الأمير فيليب اويلنبرج ، في ١١ – ٩ – ١٩٠٣ ، يخبره بوقوف أحد أعضاء مؤتمر بازل ضده لأنه يؤيد امبراطور المانيه (ص ١٥٥٧) . كما قال الامر نفسه إلى دوق بادن الكبير في رسالة كتبها في ١٢ – ٩ – ١٩٠٣ . بل ان موضوع اتخاذ الصهيونية بديلا للثورية بين يهود اوروبه كان من اخر المواضيع التي تحدث هرتزل بها مع مسؤولي اوروبه وسجلها في يومياته . فقد جاء ذكر ذلك الموضوع في حديثه مع وزير الخارجية النمساوية في ٣٠ – ٤ – ١٩٠٤ :

« أخبرني عن بؤس اليهود في جاليسيه ، وقد عرفها لأنه ملاك من جاليسيه ، « إنهم يموتون فقراً وجوعاً » .

قلت : « ولكنهم قبل أن يموتوا سينضمون إلى الأحزاب الثورية . »
فوافق على كلامي قائلاً : لقد إنضموا .
وهكذا انه مع الحل الذي أقدمه » . (ص ١٦٢٥) .

ملحق

بالاشخاص والمؤسسات

التي تكرر ورودها في يوميات هرتزل

ابراهيم بك (ثم باشا) (١٨٥٢ – ؟). موظف في بلاط السلطان العثماني. عين في مطلع القرن الحالي سكرتيراً للمراسلات الرسمية الخارجية في القصر .

اجلياردي ، انطونيو (١٨٣٢ – ١٩١٥) . القاصد البابوي الرسولي في ميونخ ١٨٨٩ وفينّه ١٨٩٢ .ايد الحزب المسيحي الاشتراكي في النمسه ضد البلاط وضد الرأسماليين اليهود في النمسه . اصبح كاردينالاً ١٨٩٦ ونائب عميد الكنيسة الكاثوليكية ١٩٠٣ .

« احبة صهيون » مؤسسة يهودية أُنشئت اول الامر في روسيه ١٨٨٢ وانشىء مؤسسات مشابهة لها في عدد من المدن الاوروبية . وقد اخذت تعمل على انشاء المستعمرات في فلسطين وتهجير اليهود اليها . ومع انها اعترضت على صهيونية هرتزل السياسية بادىء الامر انضم معظم افرادها الى المنظمة الصهيونية العالمية .

ادلر ، الحاخام إلكان ناثان (١٨٦١ – ١٩٤٦) . كاتب ومحام يهودي بريطاني . احد واضعي دستور جمعية « احبة صهيون » البريطانية (١٨٩١) . زار المستعمرات اليهودية في فلسطين ، وزار مصر ، ثلاث مرات ، في السنوات العشر الاخيرة من قرن ١٩ .

ادلر ، الدكتور ايمانويل (١٨٧٣ – ١٩٣٠) . محام وخبير مالي يهودي نمساوي. كان من عمد جامعة براغ،وتجول في تركيه، ثم استقر في فينّه ١٩٠٢ . عمل في وزارة الشؤون الاجتماعية ١٩٠٨ – ١٩٢١ ، ثم في بنك منذ ١٩٢١ .

ادلر ، سايرس (١٨٦٣ – ١٩٤٠) . مربٍ ومستشرق يهودي اميركي . اسس جمعية النشر اليهودية في اميركه ١٨٨٨ . ترأس تحرير الكتاب اليهودي السنوي الاميركي ١٨٨٩ – ١٩٠٥ . اسس الجمعية اليهودية التاريخية الاميركية ١٨٩٢ وترأسها الى ١٩٢٢ . ترأس كلية يهودية . ترأس تحرير المجلة الفصلية اليهودية ١٩١٠ – ١٩٤٠ . ترأس الكنيس المتحد الاميركي ١٩١٤ – ١٩١٨ . ترأس المعهد اللاهوتي اليهودي في اميركه ، والجالية اليهودية في اميركه منذ ١٩١٦ والوكالة اليهودية لفلسطين ١٩٢٩ .

ادوارد السابع ، الملك (١٨٤١ – ١٩١٠) . ملـك بريطانيـه . خلف والدته ، الملكة فكتوريه ، ١٩٠١ .

ارتين باشا ، ددیان (١٨٢٨ – ١٩٠١) . سياسي عثماني . ارمني الاصـل . سكرتير السفارة العثمانية في باريس ١٨٦٢ . عضو مجلس الدولة وسكرتير وزارة المالية . ثم ١٨٧٥ سكرتير عام وزارة الخارجية . وفي ١٨٨٨ اصبح برتبة وزير ونال الباشوية .

ارجل ، دوق : جورج جون دوچلس، دوق ارجـل الثامن (١٨٢٣–١٩٠٠). سياسي بريطاني . وزير الهند ١٨٦٨ – ١٨٧٤ ، ولورد الخاصة الملكية عـدة مرات . تزوج ابنه ابنة الملكة فكتوريه .

« الارض القديمة الجديدة » رواية نشرها هرتزل ١٩٠٢ في المانيــه عن المجتمع اليهودي الذي تخيل هرتزل انه سيتكوّن في فلسطين في مدى عشرين سنة .

أش كشور ، افرايم (١٨٦٣ – ١٩٤٥) . كاتب وصحافي يهودي . سـاعد هرتزل بتأسيس اول جمعية صهيونية في لندن . عاش في الولايات المتحدة ثم في فلسطين .

اغاخان : اغـا سلطان سير محمد شاه ، الاغاخان الثالث (١٨٧٧ – ١٩٥٧). تولى رئاسة طائفة اسماعيلية معظم افرادها في الهند وشرق افريقيه ١٨٨٥–١٩٥٧ .

افلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق. م.) الفيلسوف الاغريقي الشهير .

« الاليانس » الاسرائيلي العالمي مؤسسة يهودية انشئت في باريس ١٨٦٠ لمساعدة اليهود وتحسين احوالهم ، وخاصة بتأسيس المدارس . كان لها فروع كثيرة .

أنتوبولس باشا ، كوستاكي (١٨٣٤ – ١٩٠٢) . سياسي عثماني . قـاضٍ في المحكمة التجارية ١٨٦٨ وفي محكمة الامتيازات الاجنبية ١٨٧٦ . اصبح عضواً في مجلس الاعيان ١٨٧٧ ومدعياً عاماً لمحكمة الامتيازات ١٨٧٩ . حاكم كريت

العام برتبة وزير وباشا ١٨٨٧ . سفير بلندن ١٨٩٥ .

اندروكليس والاسد قصة عبد روماني اسمه اندروكليس سحب لاسد شوكة من قدمه فحفظ له الاسد المعروف وانقذه بعد مدة .

اهرلش ، سجموند (١٨٥٣ — ١٩٣٢) . صحافي يهودي نمساوي ، ترأس القسم الاقتصادي في الجريدة الحرة الجديدة ١٨٩٠ — ١٨٩٨ ، ثم ترأس جمعية الكتاب والصحافيين في فينه ١٨٩٩ — ١٩١٩ .

إهرنبرايس ، ماركوس (١٨٦٩ — ١٩٥١) . حاخام وكاتب يهودي . من اول اتباع هرتزل . عمل حاخاماً في يوغوسلافيه وبلغاريه والسويد .

اوبنهايمر ، البارون لودفيغ فون (١٨٤٣ — ١٩٠٩) سياسي نمساوي . عضو مجلس النواب ١٨٧٣ — ١٨٩٥ ، وعضو مجلس الاعيان ١٨٩٥ — ١٩٠٩ .

اوتولنغي ، ايمانويل (؟) يهودي كان واحداً من المندوبين الستة الذين اشتركوا في المجلس اليهودي الاعلى الذي انشأه نابوليون ١٨٠٦ . وليس مويس اوتولنغي كما ذكر هرتزل وملك ايطاليه خطأ في حديثهما ١٩٠٤/١/٢٣ .

اوتولنغي ، جويسيب (١٨٣٨ — ١٩٠٤). سياسي وقائد يهودي ايطالي . وصل رتبة جنرال . وزير الحربية ١٩٠٢ — ١٩٠٣ .

أورليانز ، دوق: لويس فليب روبرت ، دوق اورليانز (١٨٦٩ — ١٩٢٦). نفي مع والده « كونت باريس » عن فرنسه ١٨٨٦ وخدم في الجيش البريطاني في الهند . عاد الى فرنسه ١٨٩٠ للمطالبة بالعرش ونفي من جديد . فاخذ يتجول في آسيه ١٨٩٠ — ١٨٩٥ وقاد حملة استكشافية الى جرينلانده ١٩٠٥ والى بحر قاره ١٩٠٧ .

اوستن ، السير الفرد (١٨٣٥ — ١٩١٣) . شاعر وصحافي انجليزي .

اوسيشكين ، مناحيم مندل (١٨٦٣ — ١٩٤١) . مهندس روسي يهودي .

تزعم حركة « احبة صهيون » وكان من اول اتبـاع هرتزل . حضر المؤتمرات الصهيونية الاولى . تزعم المعارضة لمشروع اوغنده . رئيس البعثة الصهيونية الى فلسطين ١٩١٩ ، وعضو اللجنة التنفيذية للصهيونية ١٩٢٠ – ١٩٢٣ ، ورئيس الصندوق القومي اليهودي ١٩٢٢ – ١٩٤١ .

اويردوف (؟) . زعيم الارمن في تفليس .

اويلنبرج ، الكونت اوغسطزو (١٨٣٨ – ١٩٢١) . ديبلوماسي ورجـل بلاط بروسي . عين ١٨٩٠ وزير بلاط القيصر وليم الثاني .

اويلنبرج ، الامير فليب (١٨٤٧ – ١٩٢١) . ديبلوماسي المـاني صديق للقيصر وليم الثاني . سفير المانيه في النمسه ١٨٩٤ – ١٩٠٢ . عين اميراً وعضواً وراثياً في مجلس الاعيان الالماني ١٩٠٠ . طعن بسوء اخلاقه ١٩٠٩ واعـتزل العمل السياسي .

اوينوفيسكي ، الدكتور فيبوش (١٨٧٠ – ١٩١٩) . طبيب يهودي روسي . من اوائل الصهيونيين ومناصر لهرتزل .

بابيرمستر ، هلن (؟) زوجة مهندس مزارع يهودي ناجح في مستعمرة ريشون صهيون من اخصام ادارة روتشيلد في فلسطين .

باترسي ، لورد سيرل فلور (١٨٤٣ – ١٩٠٧) . سياسي وموظف بريطاني . وزير المالية ١٨٩٢ . عضو البرلمان مدة طويلة . تزوج ابنة السير انطوني روتشيلد ، كونستانس (١٨٤٣ – ١٩٣١) في ١٨٧٧ ، اصبحت الليـدي باترسي ١٨٩٢ عندما اصبح هو لورداً .

باديني ، الكونت كازيميرز فلكس (١٨٤٦ – ١٩٠٩) . سياسي نمساوي . عيّن حاكماً على جالسيه ١٨٩٥ وترأس حكومة النمسه ١٨٩٧ .

باراتي ، الكونت دوم ميجيل الكسيو أنطونيو (١٨٥٠ – ١٩٣٢) . ديبلوماسي برتغالي . بدأ سكرتيراً في المفوضيـات البرتغالية في الارجنتـين

والفاتيكان وروما وبرلين ، ثم قائماً بالاعمال في اسبانيه والارجنتين ، ثم وزيراً في النمسه . استقال ١٩١٠ من الخدمة عند اعلان النظام الجمهوري في البرتغال .

بارباش ، صموئيل (١٨٥٠ – ١٩٢٢) مصرفي يهودي روسي . من رواد الصهيونية في روسيه . عضو لجنة اوديسه الصهيونية ، وعضو « احبة صهيون ». حضر عدة مؤتمرات صهيونية . تبرع بالكثير لشراء المستعمرات قرب القدس . عضو لجنتي الاستعمار والمصارف الصهيونيتين . من مدراء صندوق الاستعمار اليهودي . صادرت الدولة الشيوعية امواله .

بارتلت ، السير الس اشمد (١٨٤٩ – ١٩٠٢) . محامٍ بريطاني . عضو مجلس العموم منذ ١٨٨٠ . نال لقب سير ١٨٩٢ . عيّن « اللورد المدني » للبحرية الملكية ١٨٨٥ – ١٨٩٢ .

بارينجتون ، السير اريك (١٨٤٧ – ١٩١٨) . موظف وسياسي بريطاني. السكرتير الخاص للورد سولزبري ١٨٩٥ – ١٩٠٠ وللورد لانسدون ١٩٠٠ – ١٩٠٥ . اصبح فيما بعد وكيل وزارة الخارجية .

باشر ، ادوارد (١٨٤٦ – ١٩٠٨) . يهودي من فينّه. ترأس تحرير (منذ ١٨٧٩) واشترك في نشر (منذ ١٨٨١) الجريدة الحرة الجديدة في فينّه .

بامبس ، ويلي (١٨٦٢ – ١٩٠٤) سياسي يهودي الماني . تزعم جمعية « احبة صهيون » في برلين . عمل على تحويل اهتمام جمعية الاستعمار اليهودي من الارجنتين الى فلسطين . اشترك في المؤتمر الصهيوني الاول في بازل ودعا الى هجرة واستعمار جماعيين لفلسطين . عيّن ١٩٠١ الامين العام لجمعية المساعدة اليهودية الالمانية .

باهر ، هيرمن (١٨٦٣–١٩٣٤) شاعر وروائي وناقد نمساوي . كان صديقاً لهرتزل ثم اختلف معه وقاومه .

براملي مور ، المطران وليم (؟) رجل دين انجليكاني بريطاني . ألّف عدة كتب دينية .

براون ، السير روبرت هانبري (؟) ضابط (ماجور) في الجيش البريطاني . وخبير بشؤون الري . مفتش عام الري في مصر ١٨٩٤ – ١٩٠٣ . وضع عدة دراسات مشهورة في الموضوع .

برس (؟) . معلم فرنسي اقام في فينّه .

بروبات ، السير وليم ادون (١٨٦٧ – ١٩٤٣) . محام انجليزي . عمل في الخدمة المدنية في مصر اثناء الاحتلال البريطاني كمستشار قضائي للخديوي ١٨٩٨ – ١٩١٤ وللسلطان ١٩١٤ – ١٩١٦ . اخطأ هرتزل بتهجئة الاسم فذكره « بروبانت » .

بريري ، آل اسرة اصحاب مصارف ، يهودية ، فرنسية انجليزية ، أسسها جاكوب بريري (١٨٠٠ – ١٨٧٥) واسحق بريري (١٨٠٦ – ١٨٨٠) . جنوا ثروتهم من بناء سكك الحديد في فرنسه والسفن بين فرنسه والولايات المتحدة . تشبه اسرة روتشيلد على نطاق اصغر .

بسمارك ، الامير اوتو فون (١٨١٥ – ١٨٩٨) . سياسي الماني ، وحّد دول المانيه في الرايخ الالماني . ترأس الحكومة الالمانية مدة طويلة .

بسمارك ، الامير هربرت (١٨٤٩ – ١٩٠٤) ابن اوتو فون بسمارك . ورث لقب ابيه ١٨٩٨ .

بلانكينهورن ، ماكس لودفيغ بول (١٨٦١ – ١٩٤٧). جيولوجي الماني. درس جيولوجية مصر جيداً خاصة ١٨٩٧ – ١٨٩٩ وألف كتاباً ممتازاً فيها .

بلكوفسكي ، ز في (١٨٦٥ – ١٩٤٨). محام واستاذ جامعي يهودي روسي. تزعم الحركة الصهيونية في بلغاريه ثم في روسيه. ألّف عدة كتب عن الصهيونية. رئيس المركز الصهيوني السري في روسيه ١٩٢٢ – ١٩٢٤ . نفي عن روسيه ١٩٢٤ فهاجر الى فلسطين حيث عمل قاضياً في تل ابيب .

بلوخ ، جوزف صموئيل (١٨٥٠ – ١٩٢٣) . سياسي وصحافي يهودي نمساوي . عضو البرلمان النمساوي . ترأس تحرير مجلة يهودية واسعة الانتشار .

ألّف عدة كتب في الادب والتاريخ اليهوديين .

بلوخ ، جين دي (١٨٣٦ — ١٩٠٢) . مصرفي يهودي روسي من اصل بولندي تنصّر واصبح اسمه ايڤان بليوخ . من مستشاري قيصر روسيه . كان وراء عقد مؤتمر السلام الدولي في لاهاي ١٨٩٩ .

بليفيه ، فياشسلاف (١٨٤٦ — ١٩٠٤) . سياسي روسي . وكيل وزير الداخلية ١٨٨٨ — ١٩٠٢ ، ثم وزير الداخلية ١٩٠٢ — ١٩٠٤ .

بنتوتش ، هربرت (١٨٥٦ — ١٩٣٢) محام يهودي بريطاني . زعيم «احبة صهيون » في بريطانيه . نظم (١٨٩٧) « محجة » الى فلسطين لمنظمة المكابيين القدماء ، الصهيونية البريطانية ، التي ترأسها ١٩٠١ — ١٩١٤ . ساعد وايزمن في الحصول على وعد بلفور .

بنسكر ، الدكتور ليو ، (١٨٢١ — ١٨٩١) طبيب روسي يهودي . دعا منذ ١٨٨١ الى تأسيس دولة لليهود ، يفضل ان تكون في فلسطين ، وخاصة في كتيب بعنوان « التحرر الذاتي » نشره ١٨٨٢ . وبعد ذلك الحين تزعم حركة « أحبة صهيون» .

بن يهوذا ، العازر (١٨٥٨—١٩٢٢) من اول الذين أحيوا اللغة العبرية ونشروا العبرية الحديثة . لم يكن يتكلم ويكتب الا بها . هاجر الى القدس ١٨٨١ وحرّر عدة صحف . ثم سافر الى الولايات المتحدة ١٩١٥ — ١٩١٩ . وضع معجماً موسوعياً بالعبرية .

بهاء بك ، الدكتور (؟) سكرتير ممدوح باشا، وزير الداخلية التركية، ١٩٠٣ .

بواسدفر ، راؤول فرنسوا شارلز (١٨٣٩ — ١٩١٩) . جنرال فرنسي . رئيس اركان حرب الجيش الفرنسي ١٨٩٣ . استقال ١٨٩٦ بسبب تطورات قضية دريفوس .

بوبورسكي ، الدكتور لويس (؟) طبيب يهودي نمساوي رافق نيولنسكي في

رحلته الى القسطنطينية ١٨٩٨ .

بوبيدونوستيف ، قنسطنطين بتروفتش (١٨٢٧ - ١٩٠٧) . محام وسياسي روسي نال حظوة في عهد القيصرين الكسندر الثالث ونقولا الثاني . اتهمه اليهود باللاسامية .

بودنهايمر ، ماكس ازدور (١٨٦٥ - ١٩٤٠) . محام وزعيم صهيوني الماني . من رجال « أحبة صهيون » ومن اوائل اتباع هرتزل . رافقه في زيارته الى فلسطين١٨٩٨ .عضو في المجلس العام للمنظمة الصهيونية العالمية ١٨٩٧-١٩٢١ . وضع ميثاق الصندوق القومي اليهودي ، وترأسه ١٩٠٨ - ١٩١٤ . هاجر الى فلسطين ١٩٣٥ .

بورتر ، هوراس (١٨٣٧ - ١٩٢١) ديبلوماسي اميركي . سفير في فرنسه ١٨٩٧ - ١٩٠٥ .

بوزنافسكي ، اسرائيل ك .(١٨٣٣- ١٩٠٠) صاحب مصانع اقمشة يهودي بولندي الاصل اقام في روسيه . وعرف بانه اغنى يهودي في روسيه في عصره ، وكانت مصانعه اكبر مصانع اقمشة في روسيه .

بولاكو ، صموئيل (١٨٣٧-١٨٨٨) صناعي يهودي روسي . أسس مؤسسة لاشغال اليهود في روسيه .

بولو ، الامير برنارد فون (١٨٤٩ - ١٩٢٩) سياسي الماني . وزير مفوض في رومانيه ١٨٨٨ ، وسفير في ايطاليه ١٨٩٤ ، ووزير الخارجية ١٨٩٧ ورئيس الوزارة ١٩٠٠ .

بولو ، كارل اورلخ فون (١٨٦٢-١٩١٤) . ضابط الماني من عائلة ارستقراطية . الملحق العسكري في النمسه ١٨٩٨ - ١٩٠٦ . قتل في مطلع الحرب العالمية الاولى ، وكان قد اصبح مايجور جنرال ، قائداً لفرقة الفرسان التاسعة .

بونتي ، المنسنيور اوغسطو (١٨٣١ - ١٩٠٤) . رجل دين ايطالي . عين

١٨٨٧ القاصد الرسولي الى الشرق وراعي لاتين العاصمة التركية .

بويل ، هاري (١٨٦٣ - ١٩٣٧). موظف انجليزي . كان السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية في القاهرة عند مباحثات هرتزل مع اللورد كرومر في مصر ١٩٠٣ .

بير ، صموئيل فردريك (١٨٤٦ - ١٩١٢) . نحات يهودي الماني عاش في باريس منذ ١٨٧٥ .

بيرنبوم ، الدكتور ناثان (١٨٦٤ - ١٩٣٧) . كاتب يهودي نمساوي . اسس ١٨٨٣ جمعية كاديمه للطلبة اليهود ، وترأس تحرير عدد من الصحف اليهودية الصهيونية . تبع هرتزل فترة ثم انحاز الى الاحزاب اليمينية الارثوذكسية في الحركة الصهيونية .

بيرهوفمان ، رتشرد (١٨٦٦ - ١٩٤٥) . شاعر وكاتب نمساوي يهودي ، استوحى التراث اليهودي في اشعاره ورواياته .

بيك ،الدكتور كان في فينّه في ١٨٩٦ عدة اطباء بهذا الاسم ،كان احدهم طبيب اسرة هرتزل الذي ذكره في مذكراته . منهم جوليوس ، وبرنارد ، وفردناند ، واجناز ، وجوستاف بيك .

بيكر ، السير بنجامين (١٨٤٠ - ١٩٠٧) . مهندس بريطاني . اشرف على وضع تصاميم بناء سد اسوان ،وعلى بناء عدد من الانفاق والجسور الشهيرة في العالم.

بينيدكت ، مورتز (١٨٤٩ - ١٩٢٠) . يهودي من فينّه ، احد رئيسي تحرير الجريدة الحرة الجديدة في فينّه .

بيوس العاشر ، البابا (١٨٣٥ - ١٩١٤) . خلف البابا ليو الثالث عشر في ١٩٠٣ . اسمه الاصلي جيوسب سارتو . ايطالي .

تارناسي ، فرانسسكو (١٨٥٠ - ١٩٠٢) . رجل دين ايطالي . القاصد

الرسولي في هولنده ولوكسمبرج ١٨٩٦ – ١٨٩٩ .

تالياني، المنسنيور اجيديوس (١٨٣٤ – ١٩٠٧).رجل دين كاثوليكي ايطالي. القاصد الرسولي في فينه ١٨٩٦ . اصبح كاردينالاً ١٩٠٣ .

تاليراند ، شارلز موريس دي (١٧٥٤ – ١٨٣٦) . سياسي وديبلوماسي فرنسي . بدأ رجل دين. عضو المجلس الوطني ١٧٩٠ . وزير الخارجية ١٧٩٧ – ١٧٩٩ . وعمل لنابوليون ١٨٠١ – ١٨٠٧ ، ثم عمل ضده وآزر الملكية ، وعين نفسه رئيساً للحكومة المؤقتة ١٨١٤ ، وعينه لويس فليب سفيراً في لندن ١٨٣٠ – ١٨٣٥ .

تايلور ، الليدي جان (١٨٣٠ – ١٩٢٠) . سيدة ارستقراطية بريطانية . ابنة مركيز تويدال الثامن وزوجة السير رتشرد شامبر تايلور منذ ١٨٦٣ .

تحسين بك (ثم باشا) (حوالي ١٨٦٠ – حوالي ١٩٣٥) . سياسي تركي . مدير مراسلات وزارة الداخلية ثم البحرية . ثم اصبح السكرتير الاول للسلطان عبد الحميد في ١٨٩٥ . واصبح وزيراً (وباشا) ١٩٠٢ . استمر نفوذه يتسع الى ان تغلب عليه منافسه عزت باشا . نفي عن تركيه ١٩٠٨ . ثم سمح له بالعودة وعاش آخر ايامه فقيراً .

تريتش ، دافس (١٨٧٠ – ١٩٣٥) . كاتب يهودي صهيوني الماني . عارض صهيونية هرتزل السياسية ودعا الى استعمار عاجل في « فلسطين كبرى » تشمل قبرص وسيناء . اسس عدة صحف وترأس تحريرها . وألف عدة كتب .

تشارلز عمانونيل الثاني (١٦٣٤ – ١٦٧٥). دوق سافوي منذ ١٦٣٨ تحت وصاية امه الى ١٦٦٣ ثم مستقلاً .

تشلنو ، الدكتور يحيل (١٨٦٤ – ١٩١٨) . زعيم صهيوني روسي . تزعم مقاومي مشروع اوجنده ١٩٠٤ . عضو لجنة العمل الداخلية ١٩١٣ – ١٩١٨ .

تشمبرلين ، جوزف (١٨٣٦ – ١٩١٤) . سياسي بريطاني . استوزر لأول

مرة ١٨٨٠ كرئيس لمجلس التجارة. تزعم ١٨٩١ « الاتحاديين الاحرار» في مجلس العموم . وزير المستعمرات ١٨٩٥ – ١٩٠٦ .

توبن ، جورج (؟ – ١٩٠٠) . صهيوني روسي مات في فينّه واوصى بكل ثروته لهرتزل. لكن فوجل، اليهودي الثري، رفع دعوى يطالب بالورثة لنفسه.

توسج ، ثيودور ريترفون (١٨٤٨ – ١٩٠٩). مالي يهودي نمساوي . مدير احد اكبر مصارف فينّه منذ ١٨٧٤،ومستشار الامبراطور فرانز جوزف الاول المالي . غضب اليهود عليه ، بالرغم من خدماته لهم ، لأنه سعى لمنح الحكومة الروسية قرضاً من النمسه في وقت كان اليهود في روسيه يلقون فيـــه بعض المضايقات من الحكومة (١٩٠٤ – ١٩٠٥).

توفيق باشا ، احمد (١٨٤٥ – ١٩٣٦) . سياسي تركي . آخر رجل يتولى منصب الصدر الاعظم . كان سكرتير السفارة التركية في فلورنسه ثم فينّه ثم برلين ثم اثينه ، ثم عين قائماً بالاعمال في سانت بيترزبرج فوزيراً في اثينه فسفيراً في برلين . اصبح وزيراً للخارجية ١٨٩٥ – ١٩٠٩ . عين صدراً اعظم ١٩٠٩ ثم سفيراً في لندن ١٩٠٩ – ١٩١٤ ثم صدراً اعظم ١٩١٨ – ١٩٢٢ .

تيتوني ، توماسو (١٨٥٥ – ١٩٣١) . سياسي وديبلوماسي ايطالي . عضو مجلس النواب ١٨٨٦ – ١٨٩٧ ومجلس الاعيان ١٩٠٢ . وزير الخارجية ١٩٠٣ . سفير في لندن ١٩٠٦ . وزير للخارجية ثانية ١٩٠٦ . سفير في باريس ١٩١٠ – ١٩١٦ . وزير للخارجية ١٩١٩ . ثم رئيس لمجلس الاعيان .

جاستر ، موسس (١٨٥٦ – ١٩٣٩) . حاخام اليهود السفارديين في انجلتره ١٨٨٧ – ١٩١٨ . صهيوني تزعم «احبة صهيون». اشترك في المباحثات للحصول على وعد بلفور ١٩١٧ .

جاستون ، السير وليام ادموند (١٨٤٩ – ١٩٢٥). مهندس بريطاني. عمل مفتشاً عاماً للري في مصر ، ثم وكيلاً لوزارة الاشغال العامة في مصر ، ١٨٩٢ .

في ١٩٠٤ اصبح مستشاراً لوزارة الاشغال العامة في مصر . وفي ١٩٠٧ اصبح المدير العام لشركة قنال السويس .

جاكوبسن ، فكتور (١٨٦٩ — ١٩٢٤) . مصرفي يهودي روسي . عضو لجنة العمل الكبرى . مدير مكتب « الشركة الانجليزية الفلسطينية » في بيروت ١٩٠٦ — ١٩٠٨ ، ثم مدير البنك الصهيوني في الاستانة ١٩٠٨ — ١٩١١ ، حيث اشرف على عدد من الصحف الصهيونية . ادار، في سنوات الحرب الاولى، مكتب الحركة الصهيونية في اسكندنافيه .

جاويد بك ، ابراهيم (١٨٦٦ — ١٨٩٩) . موظف تركي . ابن خليل رفعت باشا الصدر الاعظم . عين ١٨٩٥ عضواً في مجلس الدولة . وكان صاحب نفوذ . اغتاله رجل الباني ١٨٩٩ .

جراف ، جوزف (١٨٤١ — ١٩٠٨) . صحافي يهودي نمساوي . اصدر ١٨٩٦ — ١٩٠٨ نشرة انباء للسفارات والمؤسسات .

جرنفلد ، الدكتور جوزف (؟ — ١٩١٠) . استاذ جامعي ومؤلف يهودي نمساوي . رئيس اتحاد يهود النمسه ١٨٨٦ — ١٨٩٧ . رئيس جمعية مساعدة الطلاب اليهود في فينّه ١٩٠٠ — ١٩٠٧ .

« الجريدة الحرة الجديدة » جريدة يومية في فينّه . صدرت ١٨٦٤ . اصحابها يهود . كانت ذات نفوذ سياسي كبير . آزرت « الحزب الحر » النمساوي .

جرينبرج ، ليبولد جاكوب (١٨٦١ — ١٩٣١) . يهودي بريطاني خدم هرتزل وكان وكيله في بريطانيه . اجرى مفاوضات مع الحكومة البريطانية بخصوص مشروع اوجنده ١٩٠٣ — ١٩٠٥ . عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية ١٩٠٥ — ١٩٠٧ . اشترك في المباحثات التي انتهت بصدور وعد بلفور. اسس ١٨٩٦ «الكتاب السنوي اليهودي». ترأس تحرير الجويش كرونكل منذ١٩٠٧ .

جلادستون ، وليم ايوارت (١٨٠٩ — ١٨٩٨) . سياسي بريطاني . ترأس

الحكومة ١٨٦٨ — ١٨٧٣ و ١٨٨٠ — ١٨٨٥ و ١٨٨٦ — ١٨٩٤ .

جلاسر ، ادوارد (١٨٥٥ — ١٩٠٨) . مكتشف يهودي بوهيمي ، تجول في الوطن العربي وخاصة في اليمن ١٨٨٣ — ١٨٩٤ واكتشف آثاراً ومخطوطات عربية قديمة. وقف ضد الصهيونية واتهمها انها اداة بيد بريطانيه لتقسيم السلطنة العثمانية ولانشاء دولة عازلة في فلسطين لحماية مصالح بريطانيه في الشرق .

جلال باشا ، محمد (١٨٥٢ — ١٩٣٣) . قانوني وسياسي عثماني . ترأس ١٨٩٨ محكمة الاستئناف العليا . عين ١٩٠٢ وزيراً للمعارف ، و ١٩٠٣ للبحرية (مع لقب باشا) ، وعضواً في مجلس الدولة ١٩٠٦ .

جليشن — روسورم ، البارون كارل الكسندر فون (١٨٦٥ — ١٩٤٧) . مؤلف الماني . كتب عدة دراسات عن شلر وعدة مسرحيات ، ودراسة تاريخية شهيرة .

«جمعية الاستعمار اليهودية» شركة اسسها البارون هيرش ١٨٩١ لتهجير اليهود واسكانهم في مستعمرات زراعية في اميركه الجنوبية وفلسطين . وبعد وفاته استمرت في العمل بعد ان اوكل البارون روتشيلد اليهـا امر الاشراف على المستعمرات التي اسسها هو في فلسطين . وصل رأسمالها مطلع قرن ٢٠ الى ٧ ملايين جنيه .

جنثر ، الاميرارنست (١٨٦٣ — ١٩٢١) . امير شلسويج — هولستين . تزوجت اخته القيصر وليم الثاني الالماني .

جنينج — براملي ، ج. و. (١٨٧٧ — ١٩٦٠) . موظف بريطـاني في المستعمرات . خدم حكومته في مصر والسودان طيلة النصف الاول من هـذا القرن تقريباً منذ ان عين ١٨٩٧ مديراً للجمارك المصرية .ثم عين حاكماً لسيناء .

جوتمان ، وليام فون (١٨٢٦ — ١٨٩٥) . صناعي ورأسمالي يهودي نمساوي . اثرى من تعدين الفحم وتجارته، ومن صناعة الحديد والسكر . اصبح ، مع اخيه

وشريكه دافد ، من الطبقة الارستقراطية حينما منحا لقب فون ، واصبح ابنه ماكس عضواً في مجلس الاعيان النمساوي .

جوتهايل ، رتشرد جيمس هوراشيو (١٨٦٢ – ١٩٣٦). مستشرق يهودي اميركي . استاذ للغات السامية في جامعة كولمبيه ثم في جامعة ستراسبورج. اول رئيس لاتحاد صهيونيي اميركه ١٨٩٨ . عضو لجنة العمل للمنظمة الصهيونية العالمية .

جودت بك ، الدكتور عبدالله (١٨٦٩ – ١٩٣٢) . طبيب وكاتب ومفكر تركي. عارض السلطان عبدالحميد فنفاه ١٨٩٢ واخذ من١٨٩٧يتجول في اوروبه ويكتب فيها ضد السلطان . الا ان السلطان عاد فعينه طبيباً للسفارة التركية في النمسه ١٩٠١ – ١٩٠٤ . ١٩٠٥ اقام في مصر الى ١٩٠٨ حينما عاد الى تركيه بعد اعلان الدستور. له عدة آثار فكرية وادبية وتاريخية.

جودمان ، مورتز (١٨٣٥ – ١٩١٨) . كبير حاخامي فينّه منذ ١٨٩٠ . له مؤلفات دينية وتاريخية كثيرة عن اليهود .

جورست ، السير جون الدن (١٨٣٥ – ١٩١٦) . سياسي بريطاني . عضو مجلس العموم ١٨٦٦ – ١٨٦٨، ١٨٧٥ – ١٩٠٦ .وكيل وزارة الهند ١٨٨٦ – ١٨٩١ ، والمال ١٨٩١ – ١٨٩٢ . وخدم مدة في مصر ، في مطلع القرن ٢٠ .

جوزيف ، ناثان سولومون (١٨٣٤ – ١٩٠٩) . مهندس معماري يهودي بريطاني . اشترك بجمعيات يهودية تجمع الاموال لفقراء اليهود .

جوف ، الدكتور هلل (١٨٦٤ – ١٩٣٦) . طبيب يهودي روسي . سكن فيفلسطين منذ ١٨٩١ .عمل في مكافحة الملاريه والتفوئيد بين سكان المستعمرات اليهودية الاولى.

جولتز ، جولمار فيهرر فون در (١٨٤٣ – ١٩١٦) . ضابط الماني . عهد اليه السلطان عبد الحميد بان يكون مرافقاً له ورئيساً للنظام التربوي في الجيش

العثماني ١٨٨٣ – ١٨٩٥ ، حيث وصل الى رتبة فيلد مارشال . عاد الى المانيه ١٨٩٨ ووصل رتبة فيلد مارشال فيها ايضاً . وعاد الى العمل في تركيه مرتين ، ١٩٠٩ – ١٩١٠ و ١٩١٥ – ١٩١٦ .

جولدرايخ ، صموئيل (١٨٦١ – ١٩٢١) . زعيم يهودي جنوب افريقي. رئيس الاتحاد الصهيوني في جنوب افريقيه . مات منتحراً .

جولدسمد ، الكولونيل البرت ادوارد وليامسن (١٨٤٦ – ١٩٠٤) . عسكري بريطاني ابن يهودي تنصر . اعتنق اليهودية من جديد ١٨٧٠ . ادار مستعمرات البارون هيرش في الارجنتين ١٨٩٢ – ١٨٩٣ . اسس « فرقة الشبان اليهود » ١٨٩٥ . ترأس «احبة صهيون» البريطانية ونظمها على اساس عسكري .

جواوتشوسكي، الكونت اجينور فون (١٨٤٩ – ١٩٢١).سياسي نمساوي. وزير الخارجية ١٨٩٥ – ١٩٠٦ .

جونستون ، السير هاري هاملتون (١٨٥٨ – ١٩٢٩) . رحالة بريطاني خبير بافريقيه . ألف عدة كتب عن مجاهل افريقيه .

جونو ، فون (؟) . ديبلوماسي روسي. ممثل روسيه الديبلوسي في سويسره ١٨٩٧ – ١٩٠٢ .

جيمس اوف هيرفورد ، اللورد (١٨٢٨–١٩١١). محام وسياسي بريطاني. عضو مجلس العموم ١٨٦٩ . المدعي العام ١٨٧٣ . اصبح لوردا ١٨٩٥ . ترأس اللجنة الملكية لشؤون هجرة الاغراب .

جيمسن ، السير ليندرستار (١٨٥٣ – ١٩١٧).سياسي استعماري بريطاني قام بحملة على جوهانسبرج في دولة البوير اخر ١٨٩٥ . انتخب ١٩٠٠ في برلمان مستعمرة الكاب ، وخلف سيسل رودس ١٩٠٢ بتزعم الحزب التقدمي في

المستعمرة واصبح رئيس وزارتها ١٩٠٢ – ١٩٠٨ . اصبح بارونا ١٩١١ بعد ان نجح ١٩٠٩ بالتوفيق بين البوير والبريطانيين .

حاخام باشي : اللقب الرسمي لكبير حاخامي اليهود في السلطنة العثمانية . حمل اللقب في عهد هرتزل موسس هاليفي (١٨٢٦ – ١٩١٠) في فترة ١٨٧٤ الى ١٩٠٨ .

حسن باشا : لم يكن في تركيه وزيراً للحربية باسم حسن باشا كما يذكر هرتزل. انما كان فيها آنذاك مارشالان اسمهما حسن باشا : احدهما المسؤول عن الاستعراضات العسكرية ، والآخر عن الحسابات العسكرية .

حقي بك ، اسماعيل (؟ – ١٩١٠) . قائد عثماني . صديق شخصي للسلطان عبد الحميد . عيّن في الحرب العالمية الاولى حاكماً على لبنان .

خان ، صادوق (١٨٣٩ – ١٩٠٥) . كبير حاخامي باريس في ١٨٦٨ وفرنسه منذ ١٨٨٩ . عضو « الاليانس الاسرائيلي العالمي » منذ ١٨٧٢ ورئيسها الفخري منذ ١٨٩٠ . عضو مجلس ادارة جمعية الاستعمار اليهودي منذ ١٨٩٦ . خدم جهود كل من هيرش وروتشيلد الاستعمارية وايّد انشاء المستعمرات اليهودية في فلسطين ودعا للتبرع لها .

دأربيلا ، الدكتور اسحق :اسمه الاصلي جرجوري امسلفسكي(١٨٤٧–١٩١٠). طبيب يهودي روسي الاصل هاجر الى فلسطين ١٨٨٧ وهناك ادار مستشفى روتشيلد في القدس . مات في تونس .

داماد باشا ، محمود (١٨٥٣ – ١٩٠٣) . سياسي عثماني . صهر السلطان عبد الحميد. وكان صديقه ووزير العدل، وباشا، ١٨٧٨ . ثم غضب السلطان عليه وهرب ١٨٩٩ الى اوروبه . حكم السلطان عليه بالموت غيابياً .

داود افندي : اسمه الاصلي دافد ملحو باشا (١٨٤٥ – ؟)موظف يهودي تركي .

مدير « الشؤون الخطيرة » في الحكومة التركية ١٨٧٨ . كبير مساعدي مترجم القصر ١٨٨٠ .

درمون ، ادوارد ادولف (١٨٤٤ – ١٩١٧) . صحافي ومؤلف فرنسي . اتهم بالعداء للساميين لانه فضح سيطرة اليهود في فرنسه على اقتصاديات البلاد وسياستها . وأسس جريدة لفضح هذه السيطرة ١٨٩٢ .

دريفوس ، الفريد (١٨٥٩ – ١٩٣٥) . ضابط يهودي فرنسي اتهم ١٨٩٤ بالتجسس لالمانيه وحوكم وحكم عليه بالسجن مدى الحياة . أثار اليهود قضيته على نطاق واسع واعتبروها دليلاً على المشاعر اللاسامية في فرنسه ضدهم ، بعد ان نشروا وثائق تقول ببراءته . أُعيدت محاكمته وبرىء تماماً ١٩٠٦ .

دسور ، ادولف (١٨٤٩ – ١٩١٦) . مصرفي يهودي نمساوي . مدير « مصرف الاستيداع الالماني » في فينّه منذ ١٨٩٢ .

دفلث (؟) . رجل ارمني كان يقيم في القسطنطينية .

دهاس ، جاكوب (١٨٧٢ – ١٩٣٧) . زعيم ومؤلف وصحافي صهيوني . من اول اتباع هرتزل . سافر الى الولايات المتحدة١٩٠٢ لنشر الدعوة الصهيونية فيها . ترأس تحرير « العالم اليهودي » في لندن ١٨٩٦ – ١٩٠٠ .

دوق بادن الكبير :فريدريك الاول ، دوق بادن الكبير (١٨٢٦ – ١٩٠٧) . كان وصياً على عرش ولاية بادن الالمانية الى ١٨٥٦ ثم اصبح اميرها . زوجته ابنة وليم الاول ملك بروسيه وعمة وليم الثاني امبراطور المانيه . هو الذي اعلن تنصيب وليم الاول قيصراً على المانيه في فرساي ١٨٧١ . كان صديقاً حميماً لهرتزل .

دوق هس الكبير : ارنست لودفيغ ، دوق هس الكبير (١٨٦٨ – ؟) اصبح اميراً على ولاية هس الالمانية (حيث كان يسكن ٢٥ الف يهودي) ١٨٩٢ وعزل ١٩١٨ .

دوكلو ، بيير اميل (١٨٤٠ — ١٩٠٤) . عالم فرنسي واستاذ جامعي . عيّن ١٨٩٥ مديراً لمعهد باستور في باريس .

« الدولة اليهودية » عنوان كتيب وضعه هرتزل ١٨٩٥ ونشره في الالمانية ١٨٩٦ . اعلن فيه وجوب انشاء حركة يهودية قومية وصهيونية سياسية . نشر الكتيب بالانجليزية في السنة ذاتها ، في انجلتره .

دي بالزو ، كارلو (١٨٥٣ — ١٩٠٨) . سياسي وصحافي وكاتب ومحام ايطالي . عضو مجلس النواب . صادق الحركة الصهيونية وهاجم السلطنة لعدم سماحها للصهيونيين بالعمل .

ديرسزتي ، البارون لادسلاوس (؟) . تاجر هنجاري يهودي . القنصل الفخري لتركيه في فينّه . اصبح باروناً ١٩٠٥ .

دي سولا ، كلارنس (١٨٥٥ — ١٩٢٠) . مهندس ورجل اعمال يهودي كندي . اول رئيس للاتحاد الصهيوني الكندي ، ١٨٩٨ .

ديلكاسي ، ثيوفيل (١٨٥٢ — ١٩٢٣) . سياسي فرنسي . وكيل وزارة المستعمرات ١٨٩٣ . وزير المستعمرات ١٨٩٤ والخارجية ١٨٩٨ — ١٩٠٥ والبحرية ١٩١١ — ١٩١٣ . سفير فرنسه في روسيه ١٩١٣ . وزير الخارجية ١٩١٤ .

رابوبورت ، الدكتور ارنولد (١٨٤٠ — ١٩١٦) . محام يهودي نمساوي . كان من «نبلاء» النمسه وارتفعت رتبته كثيراً ١٨٩٠ .

رافاييل (١٤٨٣ — ١٥٢٠) . رسام ايطالي . في قاعات الفاتيكان اعمال كثيرة من روائعه .

رافينا ، فلس (١٨٧٠ — ١٩٣٧) . محام يهودي ايطالي . من اول الصهيونيين في ايطاليه . ترأس الاتحاد اليهودي في ايطاليه ١٩٣٣ .

رامبولا ، الكردينال ماريانو (١٨٤٣ – ١٩١٣) . وزير الدولة عنـد البابا ١٨٨٧ – ١٩٠٣ . عرف بصداقته لفرنسه وعدائه للنمسه والمانيه . فشل في ان يخلف البابا ١٩٠٣ .

ربون ، مطران : وليم بويد كاربنتر (١٨٤١ – ١٩١٨) . رجل دين بريطاني . مطران ربون ١٨٨٤ – ١٩١١ ثم عميد وستمنستر . مؤلف عدة ابحاث لاهوتية.

رفعت باشا ، خليل (١٨٢٧ – ١٩٠١) . سياسي تركي . عيّن حاكماً على عدة ولايات في السلطنة ١٨٧٦–١٨٩١ . وزير الداخلية ١٨٩١،والصدرالاعظم ١٨٩٥ – ١٩٠١ .

روانيه ، غوستاف ارماند (١٨٥٥ – ١٩٢٧). سياسي وصحافي اشتراكي فرنسي . عضو مجلس النواب ١٨٩٣ – ١٩١٤ . دافع عن الارمن في مذابحهم في تركيه .

روتشيلد ، البارون ادموند دي (١٨٤٥ – ١٩٣٤) . رئيس القسم المصرفي الفرنسي في عائلة روتشيلد . تبنى اوائل المستعمرات اليهـودية في فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وعددها حوالي الاربعين . وجمع لها حوالي ثلاثين مليون دولار من اسرته . تنازل ١٩٠٠ عن ادارة المستعمرات الى «جمعية الاستعمار اليهودي » انما ظل يتبرع لهـا . في ١٩٢٥ أسس « جمعية الاستعمار الفلسطيني اليهودي » لتشرف على المستعمرات . وخلفه ابنه جيمس في الاشراف على الجمعية . انتخب ١٩٢٩ رئيساً فخرياً للوكالة اليهودية . ظـل ضد المفهوم الهرتزلي للصهيونية السياسية الى ان اعلنت الحرب العالمية الاولى .

روتشيلد ، البارون الفونس دي : ماير الفونس جيمس ، البارون الفونس دي روتشيلد (١٨٢٧ – ١٩٠٥) . ترأس الفرع الفرنسي في عائلة روتشيلد سنة ١٨٥٤ . الاخ الاكبر لادموند روتشيلد .

روتشيلد ، اللورد نثنائيل ماير (١٨٤٠ – ١٩١٥) . رئيس القسم المصرفي

البريطاني في عائلة روثشيلد . مدير « بنك انجلتره » الشهير. اول لورد يهودي . اصبح بارونا ١٨٨٥ . تبرع كثيراً لاستعمار فلسطين واهتم به .

روتي ، سعيد (١٨٦٩ – ؟) . ابوه الماني وامه ابنة سلطان زنجبار (السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١ – ١٨٥٦) . ولد في المانيه .

روثفلد ، صموئيل (١٨٥٧ – ؟) . كاتب وصحافي يهودي هنجاري . ترأس تحرير عدة صحف وألف عدة روايات .

رودس ، السير سيسل (١٨٥٣ – ١٩٠٢). استعماري وسياسي ورجل اعمال بريطاني . اهتم بافريقيه وعمل على توسيع ممتلكات بريطانيه فيها واضاف اليها مستعمرات جديدة . كان يملك مناجم الماس واسعة في جنوب افريقيه .

روزبري ، اللورد ارشبالد فليب برمروز (١٨٤٧ – ١٩٢٩) . سياسي ومؤلف بريطاني . عميد جامعات ابردين ١٨٧٨ – ١٨٨١ وادنبره ١٨٨٢ – ١٨٨٣ وجلاسكو ١٨٩٩ . وكيل وزارة الداخلية ١٨٨١–١٨٨٣ . وزير الخارجية ١٨٨٦ . رئيس مجلس بلدية لندن ١٨٨٨ – ١٨٩٠ . رئيس الوزارة ١٨٩٤ – ١٨٩٥ وزعيم المعارضة ١٨٩٥–١٨٩٦ . زوجته حنه ابنة البارون ماير روثشيلد.

روزفلت ، ثيودور (١٨٥٨ – ١٩١٩) . رئيس الولايات المتحدة ١٩٠٥–١٩٠٨ .

روزنر ، الدكتور اغناز (؟) . موظف يهودي نمساوي . عين ١٨٩٧ وكيلاً لوزارة المعارف في النمسه .

روزنفيلد ، ديونس (١٨٥٦ – ؟) . صحافي يهودي تنصّر . اصدر وترأس تحرير جريدة « البريد العثماني الحر » .

روستكوفسكي (؟ – ١٩٠٣). ديبلوماسي روسي. قنصل روسيه في موناستر (في تركيه) . اثار اغتياله في تركيه ١٩٠٣ ازمة بين البلدين .

روفيير ، بييرموريس (١٨٤٢ – ١٩١١). سياسي فرنسي . عضو الجمعية الوطنية ١٨٧١ وعضو مجلس النواب ١٨٧٦ – ١٩٠٢ وعضو مجلس الشيوخ ١٩٠٣ – ١٩٠٥ . وزير المستعمرات والتجارة ١٨٨١ – ١٨٨٢ و ١٨٨٣ – ١٨٨٥ ورئيس الوزارة ١٨٨٧ و ١٩٠٥ – ١٩٠٦ .

روكاسيرا ، شارلز دي (؟) . مستشار الخديوي للشؤون القانونية . خدم مطولاً في الحكومة المصرية .

ريتلنجر ، بنو (؟) . مصرفي يهودي فرنسي .

ريشتهوفن ، البارون اوزوالد فون (١٨٤٧ – ١٩٠٦) . موظف الماني . وكيل وزارة الخارجية ١٩٠٠ – ١٩٠٥ .

ريفس ، جون (؟) . مؤلف كتاب « آل روتشيلد حكام الدول الماليون » الذي نشر ١٨٨٧ في لندن وشيكاغو .

ريناخ ، سلومون (١٨٥٨ – ١٩٣٢) . مؤرخ وعالم آثار يهودي فرنسي . له العشرات من المؤلفات التاريخية .

زاكوسكي (؟) . روسي كان يعمل لمصلحة القضية الارمنية في لندن .

زانجويل ، اسرائيل (١٨٦٤ – ١٩٢٦). كاتب يهودي بريطاني . وضع عدة مؤلفات مشهورة تصور الحياة في الحارات اليهودية في اوروبه . اشترك في المؤتمر الصهيوني الاول. اختلف مع الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل واسس « المنظمة اليهودية الاقليمية » ١٩٠٥ ثم عاد الى الحركة بعد ١٩١٧ .

زورن ، فليب كارل لودفيغ (١٨٥٠ – ١٩٢٨) . استاذ العلوم السياسية في جامعة بون بالمانيه. كان عضو الوفد الالماني الى مؤتمر السلام الدولي في لاهاي ١٨٩٩ .

زياد باشا = يوسف ضيا باشا (١٨٤٩ – ١٩٢٩) . سياسي عثماني . سكرتير ثانٍ في السفارة العثمانية في برلين ثم في فينّه ١٨٦٩ . سكرتير اول في المفوضية

في اثينه ١٨٧٢ . وفي بطرسبرج ١٨٧٤ . وزير في بلغراد ١٨٨٥ وروما ١٨٨٩ وفينّه ١٨٩١ . اصبح وزيراً وباشا ١٨٩١ . سفير في باريس ١٨٩٤ . عضو مجلس الدولة١٨٩٧ . وزير السجلات الملكيةفي ارض التاج ١٩٠١ . وزير التجارة ثم السجلات ثم التعليم ١٩٠٨ – ١٩٠٩ . سفير في الولايات المتحدة ١٩١٠ . وزير التعليم ١٩١٩ .

زيشيني باشا ، الكونت اودون (١٨٣٩ – ١٩٢٢) . مغامر هنغاري (ابن سياسي هنغاري كبير) اقام في القسطنطينية منذ ١٨٧٤ واسس فرقة مطافىء وأُعجب به السلطان وجعله ياوراً له. [اورد هرتزل اسمه احياناً خطأً : زيشن].

ساباتاي زيفي (١٦٢٦ – ١٦٧٦) . يهودي ادعى انه المسيح المنتظر والتف حوله اليهود ، وخاصة في تركيه ، الى ان سجنته السلطات العثمانية واعلن اسلامه ١٦٦٦ . اصبح اتباعه يعرفون بطائفة الدونمه في تركيه – وهم يهود يدعون الاسلام .

ساخس ، شلومو يهودا (؟ – ١٩٠٢) . تاجر يهودي روسي ثري . من رواد حركة « احبة صهيون » . تبرع بالكثير لبناء المستعمرات في فلسطين قرن ١٩ . اشترك في مؤتمر بازل الاول . عضو لجنة الصندوق الاستعماري اليهودي سنة ١٨٩٩ .

ساسون ، السير ادوارد البرت (١٨٥٦ – ١٩١٢) . نائب رئيس الجمعية اليهودية الانجليزية . تزوج ١٨٨٧ ابنة البارون جوستاف روتشيلد . عضو مجلس العموم البريطاني ١٩٠٠ عن حزب المحافظين . صديق شخصي الملك ادورد السابع . رئيس اليهود السفارديين في لندن منذ ١٩٠٢ .

سالز ، الدكتور ابراهام (١٨٦٦ – ١٩٤٢). محام وكاتب يهودي من جاليسيه . حضر المؤتمر الصهيوني الاول . عضو لجنة العمل. اسس مستعمرة مناحايم في الجليل ١٨٩٩ .

ساندرسون ، السير (ثم اللورد) توماس هنري (١٨٤١ – ١٩٢٣) . موظف بريطاني . وكيل وزارة الخارجية ١٨٩٤ – ١٩٠٦ ، رئيس لجنة الهجرة الهندية الى مستعمرات التاج ١٩٠٩ – ١٩١٠ . رئيس مجلس الجمعية الملكية للفنون ١٩١١ – ١٩١٣ .

سايدنر ، جوزف (١٨٦٠ – ١٩٤٢) . مهندس يهودي روسي . عمل في فلسطين لشراء اراضٍ لحساب جمعية « احبة صهيون » في ١٨٩١ . ثم استقر في فينـّه حيث اسس شركة للهندسة الى ١٩٢٠ حينما هاجر الى فلسطين. عضو المؤتمر الصهيوني الاول . عضو لجنة العمل الداخلية ١٨٩٧ – ١٩٠٥ .

ستانلي ، هنري مورتون (١٨٤١ – ١٩٠٤). صحافي ورحالة اميركي اشتهر ١٨٧٢ حينما نشر قصة عثوره على الدكتور ليفنجستون .

ستاهل ، البارون جورج فردريك دي (١٨٢٢ – ١٩٠٧) . ديبلوماسي روسي . سفير في المانيه .

ستراوس ، اوسكار سولومون (١٨٥٠ – ١٩٢٦) . ديبلوماسي يهودي اميركي . وزير الولايات المتحدة في تركيه ١٨٨٧ – ١٨٩٨ و ١٨٩٨ – ١٩٠٠ . عضو المحكمة الدائمة للصلح الدولي في لاهاي . اصبح في ١٩٠٦ ناظر التجارة والعمل .

ستفنس ، جورج هنري (؟ – ١٩٢٧) . مهندس انجليزي . عمل في بناء الطرق وقنوات الري وسكك الحديد والموانىء في الهند وانجلتره وغرب افريقيه وجزر الهند الغربية ١٨٧٩–١٨٩٧ .اشرف على خزان اسيوط ١٨٩٨–١٩٠٣ .

ستنر ، البارونه برتا فون (١٨٤٣ – ١٩١٤). كونتس من براغ في الاصل . تزوجت البارون ارثر فون ستنر . اشتركت مع زوجها بتأسيس « جمعية مكافحة اللاسامية في فينـّه » ووضعت عدة كتب في السلام العالمي . ترأست « جمعية

السلام العالمي ». ونالت جائزة نوبل في ١٩٠٥ . كانت صديقة لهرتزل وساعدته في اتصالاته السياسية .

ستوردزه ، الامير دمتري (١٨٣٣ – ١٩١٤) . سياسي روماني . رئيس الحكومة ١٨٩٥ – ١٨٩٦ ، ١٨٩٧ – ١٨٩٩ ، ١٩٠١ .

ستيد ، وليم توماس (١٨٤٩ – ١٩١٢) . صحافي انجليزي دعا الى حركة السلام . حرر عدداً من المجلات والمنشورات ، اشهرها مجلة بول مول (١٨٨٣). ألف عدة كتب تاريخية وروحية .

ستيرن ، الدكتور الفرد (١٨٣٠ – ١٩١٨) . محام يهودي نمساوي . عضو مجلس بلدية فينـّه . رئيس مجلس يهود فينـّه . عارض الصهيونية .

سرسق: اسرة لبنانية (ارثوذكسية) حصل افراد منها في ١٨٧٢ على مساحات واسعة من ارض فلسطين بسعر زهيد من السلطات العثمانية . بدأت منذ مطلع القرن ٢٠ الاتصالات بينهم وبين الصهيونيين وسماسرة الاراضي لبيع ممتلكاتهم التي بلغت حوالي ربع مليون دونم في مرج ابن عامر لوحده . وقد جرى البيع بالفعل في عهد الانتداب البريطاني .

سف ، الحاخام جوزف (١٨٧٣ – ١٩٢٩) . عضو المؤتمر الصهيوني الاول. هاجر الى الولايات المتحدة ومات فيها .

سفيلد ، اللورد شارلز هاربورد (١٨٣٠ – ١٩١٤) . ضابط ورجل بلاط بريطاني . مرافق الملكة فكتوريه ١٨٦٨ – ١٨٧٢ وامير ويلز ١٨٧٢–١٩٠١ وكبير لوردات القصر منذ ١٩٠١ .

سليجمان ، اسحق (١٨٣٤ – ١٩٢٨) . مصرفي يهودي بريطاني من اصل الماني . كان امين صندوق الجمعية اليهودية الانجليزية ١٩٠٣ – ١٩٢٧ .

سنجر، سيمون (١٨٤٨–١٩٠٦). حاخام كنيس الطرف الغربي الجديد في لندن ١٨٧٩ – ١٩٠٦ . اسهم في دعوة السلطان عبد الحميد في السماح لليهود باستعمار شرق الاردن ١٨٩٢ .

سنجر ، وليام (١٨٤٧ – ١٩١٧) . صحافي يهودي نمساوي . عمل في عدة صحف . مراسل « الجريدة الحرة الجديدة » في باريس ١٨٨٠ – ١٨٩١ .

سولز برجر ، ماير (١٨٤٣ – ١٩٢٣) . قاضٍ يهودي اميركي . تبرع بالكثير للجمعيات اليهودية .

سولزبري ، المركيز : روبرت ارثر تالبوت جاسكوين سيسل، مركيزسولزبري الثالث (١٨٣٠ – ١٩٠٣) . سياسي بريطاني. رئيس الحكومة ١٨٨٥–١٨٩٢، ١٨٩٥ – ١٩٠٢ .

سوننشين ، سجموند (١٨٦١ – ١٩٥٩). موظف يهودي نمساوي . عمل مدة وكيلاً لوزارة المواصلات . مُنح فيما بعد القاباً عالية ، وحرّر مجلة خاصة بالمواصلات .

سيمنز ، جوهان جورج فون (١٨٣٩ – ١٩٠١) . رجل اعمال الماني . مدير « البنك الالماني » في برلين ١٨٧٠ . منذ ١٨٧٤ عضو مجلس النواب البروسي والرايخستاج الالماني .

سينوفيف ، ج . ا . (؟) . سياسي روسي . سفير روسيه في القسطنطينية ١٨٩٨ – ١٩٠٩ .

سييس ، عمانويل جوزف (١٧٨٤ – ١٨٣٦) . سياسي فرنسي اشترك في الثورة الفرنسية . أحد القناصل الثلاثة بعد الثورة .

شارف ، الكسندر (؟). أسس مجلة اسبوعية في فينّه .

شالت ، ليون (؟). تاجر يهودي في ريجـــه . حضر مؤتمر بازل الاول ١٨٩٧ وشارك في النشاط الصهيوني .

شبياجن ، د . س . (؟) . سياسي روسي . وزير الداخلية ١٨٩٩ – ١٩٠٢ . مات اغتيالاً .

شكري باشا (١٨٧٥ – ؟) . سياسي وديبلوماسي عثماني . ابن وزير الحربية . عيّن ١٩٠٣ ملحقاً عسكرياً في فينـّه برتبة جنرال .

شنايرر ، الدكتور موسس (١٨٦١ – ١٩٤٠) . طبيب يهودي من فينـّه . من مؤسسي جمعية « كاديمه » وجمعية «صهيون» ، ونائب رئيس لجنـة العمل الداخلية الصهيونية . رافق هرتزل في زيارته لفلسطين ١٨٩٨ .

شونبورن ، الكاردينال فرانز فون (١٨٤٤ – ١٨٩٩) . كبير اساقفة براغ (١٨٨٥) . اصبح كاردينالاً ١٨٨٩ . من عائلة ارستقراطية .

شونرر ، جورج رتر فون (١٨٤٢ – ١٩٢١) . سياسي الماني تزعم حركة قومية ضد الكثلكة واليهود . عضو مجلس النواب الالمـاني ١٨٧٣ ثم في ١٨٩٧ – ١٩٠٧ .

شيد ، ايلي (١٨٤١ – ١٩٢٢) . يهودي فرنسي . مدير مستعمرات روتشيلد في فلسطين ١٨٨٣ – ١٩٠٠ .

شيف ، جاكوب هنري (١٨٤٧ – ١٩٢٠) مصرفي يهودي اميركي من اصـل الماني . تبرع بمبالغ كبيرة من المال للجمعيات والمؤسسات الصهيونية خاصة بعد ان اصبح صهيونياً بعد صدور وعد بلفور .

شيف ، فردريك (؟) . صحافي يهودي . مراسل وكالة انباء ولف في باريس .

الصندوق الاستعماري اليهودي : مؤسسة انشأها هرتزل ١٨٩٩ كأداة ماليـة للحركة الصهيونية . بدأت العمل رسمياً ١٩٠١ . مع ان رأسمالها عند تأسيسها كان ثلث مليون جنيه ، انشأت مؤسسات مهمة (مثل الشركة الانجليزية الفلسطينية) ولعبت دوراً كبيراً في الاستعمار اليهودي لفلسطين منذ ١٩٠٣ .

الصندوق القومي اليهودي: بالعبرية «كايرن هاكيمت » . مؤسسة انشأها المؤتمر الصهيوني الخامس ١٩٠١ لشراء اراضي فلسطين وانشاء المستعمرات بهـا . لهـا

حالياً حوالي مليون فدان من ارض فلسطين يعمل فيها نصف مليون يهودي.

العابد، عزت باشا (؟ – ١٩٢٤) . سياسي عربي (من دمشق) لمع نجمه ايام السلطان عبد الحميد . كان « عزت بك » سكرتيراً للسلطان الى ان نال الباشوية ١٩٠٢ واصبح وزيراً . كان قوي النفوذ وصاحب سطوة على السلطان . عُرف بالفساد والرشوة . هرب من تركيه ١٩٠٨ .

عادل بك (؟) . مدع عام القسطنطينية ، من اصل يهودي .

عارف بك، محمد (١٨٦٧ – ١٩٢٢) . موظف في بلاط السلطان عبد الحميد. كاتم اسرار السلطان منذ حوالي ١٨٩٠ .غضب السلطان عليه ١٩٠٦ واقصاه عنه .

عباس الثاني، الخديوي : هو عباس حلمي باشا(١٨٧٤ – ١٩٤٢) . خديوي مصر من ١٨٩٢ الى ١٩١٤ .

عبد الحميد، السلطان : عبد الحميد الثاني (١٨٤٢ – ١٩١٨) . تولى السلطنة العثمانية ١٨٧٦ . عُرف بقسوته وبرداءة بطانته وفساد الادارة في عهده.تقلصت الامبراطورية في مناطق كثيرة وثارت القوميات المختلفة.عزل عن العرش ١٩٠٩ .

عبد الرحمن باشا، نور الدين (١٨٣٦ – ١٩١٢) . سياسي عثماني . اصبح وزيراً وباشا ١٨٨٢ . عُين حاكماً عاماً على عدد من المقاطعات . وزير العدل ١٨٩٥ – ١٩٠٨ .

غالب بك (ثم باشا)، محمد (١٨٦١ – ؟) . موظف في بلاط السلطان عبد الحميد منذ ١٨٨٢ : مدير المراسيم الى ١٩٠٦ ، ثم وزير المراسيم الى ١٩٠٨ .

غالي باشا، بطرس (١٨٤٦ – ١٩١٠) . سياسي مصري ، قبطي . وزير المالية ١٨٩٣ . وزير الخارجية ١٨٩٤ . رئيس الوزراء ١٩٠٨ . عرف بموالاته للاحتلال البريطاني .

فاركهار، جلبرت (١٨٥٠ – ١٩٢٠) . ممثل بريطاني . [اخطأ هرتزل فقال انه لورد مع انه لم يكن لورداً] .

فامبري ، ارمينيوس (١٨٣٢-١٩١٣). مستشرق ورحالة يهودي هنچاري. عمل في الاستانة سكرتيراً لفؤاد باشا واسلم منذ ١٨٥٧ . تجول في اواسط آسيه ١٨٦١ – ١٨٦٤ . ثم ذهب الى بودابست وتنصر وعين استاذاً للغات الشرقية في جامعتها الى ان تقاعد ١٩٠٥ . صديق شخصي للسلطان عبد الحميد والملك ادورد السابع .

فائق بك (؟). موظف تركي. كان سكرتيراً خاصاً لممدوح باشا وزير الداخلية .

فرانكل ، ليو (١٨٤٤ – ١٨٩٦) . سياسي يهودي يساري هنچاري الاصل عاش معظم حياته في فرنسه حيث انتخب نائباً في « كوميون » باريس ١٨٧١ وعين عضواً في اللجنة التنفيذية وفي لجنتي المال والصحة العامة . وعند سقوط الحكومة هرب الى لندن وحكم عليه في باريس بالاعدام غيابياً .

فردناند الاول ، الامير : مكسمليان كارل ليبولد ماريه (١٨٦١–١٩٤٨) . اصبح اميراً على بلغاريه ١٨٨٧ . واصبح ملكها ١٩٠٨ . تنازل عن العرش١٩١٨ .

فريد باشا ، محمد (١٨٥١ – ١٩١٤) . سياسي عثماني . عضو مجلس الدولة ١٨٨٤ – ١٨٩٨، حاكم قونيه ١٨٩٨ – ١٩٠٢،رئيس الوزراء ١٩٠٢–١٩٠٨ ، وزير الداخلية ١٩٠٩ ، رئيس مجلس الاعيان ١٩١٢ .

فريدمان ، الدكتور ادولف (١٨٧١ – ١٩٣٢).مؤلف يهودي الماني صهيوني. رافق هرتزل في رحلته الى مصر. عضو لجنة العمل الكبرى ومجلس ادارة الصندوق الاستعماري اليهودي ، ١٩٠٢ – ١٩٢٠ . وضع عدة كتب عن الصهيونية .

فريسينت ، شارلز لويس دي سولسس دي (١٨٢٨ – ١٩٢٣) . سياسي فرنسي عمل وزيراً ورئيساً للوزراء . وكان عضواً في مجلس الاعيان وفي الاكاديمية الفرنسية .

فكتور عمانوئيل الثاني ، الملك (١٨٢٠ – ١٨٧٨).ملك سردينيه ١٨٤٩ – ١٨٦١ وملك ايطاليه ١٨٦١ – ١٨٧٨ .

فكتور عمانوئيل الثالث ، الملك (١٨٦٩ – ١٩٤٧) . ملك ايطاليه .خلف والده ، امبرتو ، ١٩٠٠ وتنازل عن العرش لابنه امبرتو ١٩٤٦ .

فلاديمير ، الدوق الكبير (١٨٤٧ – ١٩٠٩) . جنرال وحاكم في روسيه. دوق روسيه الكبير .

فليسيج (؟) . حاخام يهودي في فينّه .

فوجل (؟). صاحب بنك ، يهودي نمساوي . تنافس مع هرتزل على كسب ثروة يهودي توفي ١٩٠٠ ، جورج توبن .

فورث ، مارتن (؟).سكرتير البارون هيرش،يهودي تنصر واصبح سكرتير الامير فردناند البلغاري .

فيلبوجن ، سجموند (١٨٥٨ – ١٩٢١) . استاذ جامعي ورجل قانون نمساوي . وضع عدة دراسات في القانون والاقتصاد .

فيليبسون ، فرانز (١٨٥١ – ١٩٢٩) . مصرفي يهودي بلجيكي . صاحب بنك في بروكسل كان يحمل اسمه . تزعم يهود بلجيكه مدة طويلة . كما ترأس جمعية الاستعمار اليهودي في بروكسل .

قنسطنطين الكبير ، الدوق (١٨٥٨ – ١٩١٥).رئيس الاكاديميات العسكرية في روسيه . شاعر ومؤلف مسرحي ومترجم ادبي .

كابنست،الكونت بيتر الكسيفتش (١٨٣٩ – ١٩٠٤) .ديبلوماسي روسي.وزير في لاهاي ١٨٨٤ – ١٨٩٢ ، سفير في فينّه ١٨٩٥ – ١٩٠٤ .

كاتزنلسون ، الدكتور نيسان (١٨٦٢ – ١٩٢٣) . طبيب ومصرفي يهودي روسي . صديق لهرتزل ومن زعماء الحركة الصهيونية في روسيه . عضو مجلس ادارة الصندوق الاستعماري اليهودي وعضو اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية . عضو الدومه الروسي ١٩٠٦ .

كاديمه : اول منظمة طلابية يهودية ، تأسست ١٨٨٢ ، في فينـّه . غايتها منـع الاندماج ، واستعمار فلسطين . وكانت اول منظمة تبعت هرتزل .

كارتون دي فيارت ، ليون كونستانت (١٨٥٤ – ١٩١٥) . محام بريطاني من اصل بلجيكي . عمل في حكومة مصر ايام الاحتلال البريطاني منـذ ١٨٨٣ وكان محامياً مشهوراً في المحاكم المختلطة ومؤيداً للاحتلال .

كارنيجي ، اندرو (١٨٣٥ – ١٩١٩) .رجل اعمال ومحسن اميركي مشهور . تحصى الاموال التي تبرع بها في حياته باكثر من مئة مليون جنيه .

كالس ، الكونت هنريخ (١٨٣١ – ١٩١٢) . دبلوماسي نمساوي . نائب قنصل في القسطنطينية ١٨٥٧ . قنصل في لفربول ١٨٦٤ . وزير مقيم في الصين واليابان وسيام ١٨٧١ . ثم وزير مفوض فسفير في القسطنطينية ١٨٧٦ و ١٨٨٠ . عين كونتاً ١٩٠٦ .

كامبهوفنر ، لويس فون (١٨٤٣ – ١٩٢٧) . ضابط الماني . تزوج اميرة المانية ١٨٧٧ . اصبح جنرالاً في المانيه وماريشالاً في السلطنة حيث خدم منذ ١٨٩٥ واخذ الباشوية .

كامل ، مصطفى (١٨٧٤ – ١٩٠٨) . زعـيم الحزب الوطني واحد رواد النهضة القوميةفيمصر . تجول في اوروبه في مطلع القرن للدعوة للقضية المصرية والمطالبة بجلاء البريطانيين عنها .

كاميسو ، ادالبرت فون (١٧٨١ – ١٨٣٨) . كاتب وشاعر وباحث طبيعي الماني من اصل فرنسي . ترجمت مؤلفاته الى عدة لغات .

كامينكا ، الحاخام ارماند (١٨٦٦ – ١٩٤٩) . حاخام يهودي عمل في براغ ، ثم في فينـّه منذ ١٩٠١ الى ١٩٣٨ حينما هاجر في فلسطين . وضع عدة دراسات في التاريخ والدين اليهوديين .

كاهن ، الدكتور ليبولد (١٨٥٩ – ١٩٠٩) . محام يهودي نمساوي اصبح من رواد الحركة الصهيونية . عضو لجنة العمل الداخليسة ١٨٩٨ – ١٩٠٤ . وضع عدة دراسات صهيونية .

كرساندر ، فردريك (١٨٢٦ – ١٩٠١) . مؤرخ موسيقي الماني . صديق لبسمارك وخدمه مدة كسكرتير خاص له .

كرسبي ، ادوارد (؟).وكيل هرتزل في القسطنطينية .

كروب ، ارثر (١٨٥٦ – ١٩٣٨) . صناعي نمساوي كبير ، قريب لصناعيي المانيه المشهورين من اسرة كروب . كان يملك مناجم ومصانع حديد في جنوب النمسه .

كرومر ، اللورد : افلين بارنج (١٨٤١ – ١٩١٧) . سياسي بريطاني خدم حكومته في الحقل الاستعماري في الهند ١٨٧٢ – ١٨٧٦ وفي مصر منذ ١٨٧٧ حينما عيّن مندوب بريطانيه في مكتب الدين العام المصري . في ١٨٨٣ عيّن المعتمد البريطاني في مصر ، والقنصل العام ، وظل في هذا المنصب الى ١٩٠٧ . وكان هو الحاكم الفعلي لمصر طيلة تلك الفترة. عيّن باروناً ١٨٩٢ ، وفايكونتاً ١٨٩٨ ، وايرلاً ١٩٠١ .

كريمر ، ماندل (؟) . جاسوس يهودي تركي عمل في فلسطين .

كريمزكي ، جوهان (١٨٥٠ – ١٩٣٤) . مهندس يهودي نمساوي . أسس في فينّه مؤسسة لصناعة المصابيح الكهربائية . عضو لجنة العمل الداخلية ١٨٩٧ – ١٩٠٥ ومدير الصندوق القومي اليهودي ١٩٠٥ – ١٩٠٧ .

كسلر ، ليبولد (١٨٦٤ – ١٩٤٤) . مهندس يهودي جنوب افريقي . ترأس الجمعية الصهيونية في الترانسفال ١٨٩٩–١٩٠١ . انتقل الى لندن ١٩٠١ . وفي ١٩٠٢ ترأس البعثة الصهيونية الى العريش. أشرف على مجلة الجويش كرونكل

١٩٠٧ واتجه بها نحو الحركة الصهيونية . ترأس الاتحاد الصهيوني في انجلتره ١٩١٢ واشترك في اللجنة السياسية التي ألفها وايزمن لاصدار وعد بلفور ١٩١٧ .

كلاتشكو ، سيمون لفوفش (؟ – ١٩١٤) . صحافي يهودي روسي . هاجر الى فينـّـه . ترجم « الدولة اليهودية » الى الروسية ، وساعد هرتزل في مفاوضاته مع الارمن .

كلنر ، ليون (١٨٥٩ – ١٩٢٨) . مؤرخ وناقد يهودي نمساوي . من اوائل اتباع هرتزل . له عدة مؤلفات .

كوباي ، ج . ارباد (١٨٥٧ – ١٩٢٧) . رسام كاثوليكي هنچاري . عاش مدة في ميونخ ثم في فينـّه . اشتهر برسم الاشخاص وبينهم بعض المشهورين عالمياً .

كورفن – بياتروفسكا ، مدام بولينه (؟) . مؤلفة بولونيــة (وخاصة في الاحصاءات الصناعية) . صديقة للحركة الصهيونية . خدمت هرتزل في روسيه .

كوزميان ، البارون الدكتور ستانسلو (١٨٣٦ – ١٩٢٢) . سياسي وكاتب وصحافي ومخرج مسرحي من اصل بولندي – نمساوي . ترأس تحرير جريدة محافظة كبرى ، ودخل البرلمان النمساوي ، واصبح في ١٨٩٥ المساعد الاول لباديني رئيس حكومة النمسه . أيـّد دعوة هرتزل منذ ١٨٩٦ .

كوكش ، الدكتور اوسير (١٨٥٥ – ١٩٠٥) . محام يهودي نمساوي . اشترك بتأسيس عدة جمعيات صهيونية . من اوائل مساعدي هرتزل . عضو لجنة العمل الداخلية في الحركة الصهيونية .

كولومبس ، كرستوفر (١٤٥٠ – ١٥٠٦) . مكتشف اميركه الشهير .

كون ، جوزف (١٨٦٨ – ١٩٣٢) . رجل اعمال يهودي بريطاني . حضر المؤتمر الصهيوني الاول ١٨٩٧ . ساعد هرتزل كثيراً في انجلتره . عضو مجلس حكام الصندوق الاستعماري اليهودي ، ورئيسه منذ ١٩١٩ . رافق هرتزل الى القسطنطينية ١٩٠٢ ، واشترك مع وايزمن في المباحثات من اجل وعد بلفور

١٩١٧ وفي البعثة الصهيونية الى فلسطين ١٩١٨ . كان عضواً في اللجنة التنفيذية الصهيونية ١٩٢١ – ١٩٢٥ . ترأس الاتحاد الصهيوني الانجليزي عدة سنوات .

كونستان ، جين انطوان ارنست (١٨٣٣ – ١٩١٣) . سياسي فرنسي . عضو مجلس النواب ١٨٧٦ و ١٨٧٧ . وكيل وزارة الداخلية ١٨٧٩ ووزير الداخلية ١٨٨٠ .وزير مفوض فيالصين ١٨٨٦ . حاكم عام الهندالصينية ١٨٨٨ . وزير الداخلية ١٨٨٩ – ١٨٩٢ . سفير في تركيه ١٨٩٨ – ١٩٠٧ .

كوهان – برنستاين، الدكتور جاكوب (١٨٥٩ – ١٩٢٩).طبيب يهوديروسي صهيوني . عضو لجنة العمل ١٨٩٧ – ١٩٠٥ ، ولجنة العمل الداخلية ١٩٠٥– ١٩٠٧ . مدير دائرة الصحافة فيالمنظمة الصهيونية في روسيه ١٨٩٧ – ١٩٠١ .

كوهن ،الدكتور جاكوب (؟) . محام يهودي نمساوي تزعم عدداً من الجمعيات اليهودية المرتبطة « باحبة صهيون » . حضر المؤتمر الصهيوني الثاني .

كوهين ، ارثر (١٨٣٠ – ١٩١٤) . محام يهودي بريطاني . مستشار للملكة ١٨٧٤ وعضو مجلس الملك الاستشاري الخاص ١٩٠٥ .

كوهين ، الفرد ل . (١٨٣٦ – ١٩٠٣) . يهودي بريطاني عمل بين الجالية اليهودية في بريطانيه . مستشار « جمعية الاستعمار اليهودي » .

كوهين ، جوستاف جبريل (١٨٣٠ – ١٩٠٦) . تاجر ومصرفي يهوديالماني. من اوائل الصهيونيين قبل هرتزل، وصديق له .

كوربر، ارنست فون (١٨٥٠ – ١٩١٩) . سياسي نمساوي . وزير التجارة ١٨٩٧ والداخلية ١٨٩٩ . رئيس الوزارة ١٩٠٠–١٩٠٤ . وزير المالية١٩١٥ . ورئيس الوزارة ثانية ١٩١٦ .

كيريف ، الجنرال الكسندر الكسفتش (١٨٣٣ – ١٩١٠). موظف في بلاط قيصر روسيه ومرافق له ثم رئيس لديوانه . من دعاة الحركة البان سلافية .

لازار ، برنارد (١٨٥٦ – ١٩٠٣) . كاتب اشتراكي صهيوني فرنسي يهودي . هاجم اللاسامية وكتب ضدها مقالات وكتباً . حضر المؤتمر الصهيوني الثاني، ثم عارض صهيونية هرتزل السياسية .

لاستراس ، دون ديجو (?) . موظف اسباني . عمل ١٨٩٨ ترجماناً للسفارة الاسبانية في فينته . اصبح ١٩١٦ مستشاراً قنصلياً فخرياً .

لامسدورف ، الكونت فلاديمير نقولافش (١٨٤٥–١٩٠٧) . سياسي روسي . وزير الخارجية ١٩٠١ .

لاندو ، شاول رفايل (١٨٧٠ – ١٩٤٣) . مؤلف ومحام وصحافي يهودي نمساوي . ترأس تحرير جريدة الولت ١٨٩٧ – ١٨٩٨ ثم حرر عدة صحف ضد هرتزل ، منها « العامل الصهيوني » و « الصحيفة القومية الجديدة » .

لاندو ، الدكتور ليبولد (١٨٤٨ – ١٩٢٠) . طبيب يهودي نمساوي . درّس الطب في عدد من الجامعات ، خاصة في برلين ، حيث عمل في الحركة الصهيونية .

لاندو ، هرمان (١٨٤٤ – ١٩٢١) . مؤلف يهودي بولندي عاش في انجلتره سنة ١٨٦٤ . عضو مجلس الاتحاد اليهودي الانجليزي ورئيس « المأوى اليهودي المؤقت » .

لانسدون ، المركيز: اسمه الاصلي هنري شارلز كيث بتي فتزمورس (١٨٤٥ – ١٩٢٧) . سياسي بريطاني . حاكم كنده العام ١٨٨٣ – ١٨٨٨ . نائب الملك في الهند ١٨٨٨–١٨٩٣ . وزير الحربية ١٨٩٥–١٩٠٠ . وزير الخارجية ١٩٠٠– ١٩٠٥ . كان وزيراً بلا حقيبة خاصة في الحرب العالمية الاولى ودعا الى العطف على المانيه .

لبتون ، السير توماس جونستون (١٨٥٠ – ١٩٣١) . تاجر ورجل اعمال

بريطاني . أسس ١٨٩٨ شركة لبتون لتجارة الشاي والقهوة والكاكاو ، ولها مزارع واسعة في الهند وسيلان وفروع في بريطانيه والولايات المتحدة .

«لجنة العمل» : لجنة كان كل مؤتمر صهيوني عالمي ينتخبها (من ٢٠–٣٥ عضواً) للقيام بالاعمال الصهيونية الى حين انعقاد المؤتمر التالي . اللجنة بمجموعها هي « لجنة العمل الكبرى » . اما اللجنة الداخلية فهي من خمسة اعضاء ينتخبهم اعضاء اللجنة الكبرى كهيئة تنفيذية .

لسبس ، فردناند ماري دي (١٨٠٥ – ١٨٩٤) . ديبلوماسي فرنسي باني قنال السويس . رئيس شركة قنال بنامه .

لطفي آغا [ورد اسمه في المذكرات «لفطي آغا» خطأ] (؟) . موظف في بلاط السلطان عبد الحميد ، وياور السلطان .

لفن – ابستاين ، الياهو زيف (؟) . يهودي بولندي . نشط في جمعية «أحبة صهيون » في وارسو . اشترك في وفد بولندي الى فلسطين لشراء اراضٍ لتأسيس مستعمرات ، وفي تأسيس مستعمرة رحفوت . عاش آخر ايامه في نيويورك حيث اشرف على جمع الاموال ليهود فلسطين .

لفنتن ، زالمان دافد (١٨٥٦ – ١٩٤٠) . يهودي روسي من مؤسسي «احبة صهيون » . هاجر الى فلسطين وأسهم في بناء مستعمرة ريشون صهيون١٨٨٢ . مدير صندوق الاستعمار اليهودي ١٩٠١ ، ومدير بنك انجلو فلسطين في يافا ١٩٠٣ – ١٩٢٤ .

لفيسون ، ارثر (١٨٤١ – ١٩٠٨) . صحافي يهودي الماني .

لو ، جيمس هنري (١٨٥٥ – ١٩٤٤) . مؤلف يهودي بريطاني . سكرتير الصندوق الاستعماري اليهودي . صاحب دار نشر يهودية .

لوراندو و توبيني : رجلا اعمال فرنسيان كان لهما نشاط تجاري في السلطنة ، أدانا الحكومة العثمانية ١٨٦٨ – ١٨٨٠ ما يزيد على ١٥٠ الف جنيه تركي .

ورفضت الحكومات العثمانية المتوالية تسديد الدين مما حدا بالحكومة الفرنسية الى قطع العلاقات مع السلطنة وارسال اسطولها الى الشواطىء التركية للتهديد ١٩٠١ .

لوري ، جريجوري (١٨٦١ – ١٩١٧) . صهيوني روسي . من مؤسسي الصندوق الاستعماري اليهودي وعضو مجلس ادارته . عضو لجنة المصارف الصهيونية . حضر المؤتمرات الصهيونية الخمسة الاولى والمؤتمر الحادي عشر .

لورينت ، اميل جسلان (١٨٦١ – ١٩٠٤) . عالم طبيعي بلجيكي . قام بابحاث مهمة في حقلي الزراعة والعلوم الطبيعية ، في بلجكه وفي معهد باستور ، وقاد بعثات علمية فيالكونجو. اشترك فيبعثة العريش التي ارسلها هرتزل ١٩٠٣ .

لوزاتي ، لويجي (١٨٤١ – ١٩٢٧) . سياسي وعالم واستاذ جامعي يهودي ايطالي . عمل سكرتيراً لوزارة الزراعة والتجارة والصناعة ١٨٦٩ – ١٨٧٣ ، وعضواً في مجلس النواب ١٨٧٠ – ١٩٢١ ، ووزيراً للمالية خمس مرات ، ثم وزيراً للزراعة والداخلية ورئيساً للوزارة ١٩١٠ .

لوسادا ، هربرت جورج (؟) . يهودي انجليزي واسع الثراء . عضو الجمعية اليهودية الانجليزية ، ومن مدراء جمعية الاستعمار اليهودي .

لومبروزو ، سيزار (١٨٣٦ – ١٩٠٩). طبيب نفسي وعالم جرائم يهودي ايطالي .

لويجير ، كارل (١٨٤٤ – ١٩١٠) . سياسي نمساوي تزعم الحزب المسيحي الاشتراكي ، اللاسامي . انتخب ١٨٩٥ رئيساً لبلدية فينّه .

لوينستاين،الاميرة: الليدي آن سفيل (١٨٦٤–١٩٢٧). ابنة ايرل مكسبوره. تزوجت ١٨٩٧ الامير لودفيغ زو لوينستاين (١٨٦٤ – ١٨٩٩) .

ليباي ، برثولد دومينيك (١٨٦٤ – ١٩٢٠) . رسام نمساوي . كان مقرباً من البابا بيوس العاشر الذي عيّنه كونتاً .

ليستر ، اللورد جيمس (١٨٢٧ – ١٩١٢). طبيب وجراح بريطاني واستاذ جامعي لعلم الجراحة . من مؤسسي المعهد البريطاني للطب الوقائي . ترأس الجمعية الملكية ١٨٩٤ – ١٩٠٠ . اصبح بارونا ١٨٩٣ ثم لورداً ١٨٩٧ .

ليشتنستاين ، الامير الويس (١٨٤٦ – ١٩٢٠) . سياسي نمساوي . عضو البرلمان . من رجال الحزب المسيحي الاشتراكي . ضد الصهيونية .

ليفن ، نارسيس (١٨٣٣ – ١٩١٥) . محام يهودي فرنسي . احد مؤسسي « الاليانس الاسرائيلي العالمي » ومن كبار العاملين فيه . ترأس جمعية الاستعمار اليهودي في باريس ١٨٩٦ .

ليفنجستون ، دافد (١٨١٣ – ١٨٧٣). مبشر ورحالة اسكتلندي اكتشف مناطق واسعة من افريقيه في الربع الثالث من قرن ١٩ .

ليوبولد الثاني ، الملك (١٨٣٥ – ١٩٠٩) . ملك بلجيكه . ارتقى العرش ١٨٦٥ . اصبح ملك الكونجو في ١٨٨٥ .

مارشال ، البارون ادولف هرمان فون (١٨٤٢ – ١٩١١) . ديبلوماسي الماني . سفير المانيه في القسطنطينية ١٨٩٧ – ١٩١١ ، ثم سفيرها في لندن .

ماركس ، الدكتور دافد (؟) . حاخام الاستانة منذ ١٩٠١ . اسس عدداً من المدارس اليهودية في المدينة .

مالز ، الدكتور دافد (١٨٦٢ – ١٩٣٦) . محام صهيوني من جاليسيه . من اول الكتاب الصهيونيين (من قبل هرتزل) . حضر عدة مؤتمرات صهيونية عالمية . عضو لجنة العمل الكبرى . وحرّر في عدة صحف .

مالفانو ، جياكومو (١٨٤١ – ١٩٢٢) . سياسي ايطالي يهودي . اصبح سكرتير عام وزارة الخارجية ١٨٨٩ – ١٨٩٣ ، وعضو مجلس الشيوخ ١٨٩٦ – ١٩٠٧ .

ماير ، الكابتن (؟ –١٨٩٢). ضابط يهودي فرنسي واستاذ في كلية البولتكنيك. قتل في مبارزة.

ماير – كوهن ، الدكتور هنريخ (١٨٥٥ – ١٩٠٥). مصرفي يهودي الماني. عضو « احبة صهيون » . تبرع باموال ليهود فلسطين لبناء المستعمرات .

مايرز ، ارثر ايزاك (١٨٤٨ – ١٩٠٢) . انضم الى اسرة تحرير الجويش كرونكل ١٨٦٩ ، وترأس تحريرها ١٨٧٨ .

مايكل ، جوهانس فون (١٨٢٨ – ١٩٠١) . سياسي ومحام بروسي . عضو الرايخستاج الالماني ١٨٦٧ – ١٨٧٧ و ١٨٨٧ – ١٨٩٠ . وزير المالية ١٨٩٠ – ١٩٠١ .

مدحت ، احمد (١٨٤٤ – ١٩١٩) . كاتب ومفكر تركي. نال حظوة السلطان عبد الحميد فعينه مديراً للجريدة الرسمية ومطبعة الحكومة . ثم اصدر جريدة لمدح السلطان وألّف عدة كتب . انصرف الى الحياة الجامعية بعد سقوط عبد الحميد .

مرمورك ، ازدور (١٨٦٥ – ١٩٢٤) . محام يهودي من فينّه . حضر المؤتمر الصهيوني الثالث . اخ اوسكار والكسندر مرمورك .

مرمورك ، الكسندر (١٨٦٥ – ١٩٢٣). عالم بكتيريولوجي وزعيم صهيوني. عمل مساعداً لباستور في مختبره بباريس . اكتشف دواءً ضد الحمى القرمزية والسل والبول السكري . كان صديقاً ومساعداً لهرتزل ، وعضواً في لجنة العمل الكبرى الصهيونية . دعا في المؤتمر الصهيوني العاشر الى الصهيونية السياسية ضد الصهيونية العملية .

مرمورك ، اوسكار (١٨٦٣ – ١٩٠٩) . مهندس يهودي من فينّه . عضو لجنة العمل الداخلية الصهيونية. حضر مؤتمر بازل الاول . تزعم صهيونيي فينّه مدة طويلة .

مكلريت ، السير مالكولم ١٨٦٥ – ١٩٤١) . محام انجليزي . عمل مستشارا قانونياً لحكومة مصر ١٨٩٨ – ١٩١٦ .

ملسفك ، الدكتور مهالو (١٨٦٤ – ١٩٠٨) . اداري صربي . كان سكرتير المفوضية الصربية في برلين ١٨٨٨ . واصبح سكرتير ملك الصرب ، الكسندر ، ١٨٨٩ – ١٨٩٩ . ثم وزيراً للصرب في لندن ١٨٩٩ – ١٩٠٠ ، وفي برلين ١٩٠٤ – ١٩٠٦ ، ثم في لندن ثانية ١٩٠٦ – ١٩٠٨ .

ممدوح باشا (١٨٢٩ – ١٩٢٣) . سياسي تركي . اصبح باشا ووزيراً للداخلية ١٨٩٥ – ١٩٠٨ .

ممدوح بك (؟) . موظف في البلاط العثماني . عمل منذ ١٩٠٢ ترجماناً للسلطان .

منتز ، الدكتور الكسندر (؟). محام يهودي نمساوي . عضو «احبة صهيون». حضر المؤتمر الصهيوني الاول . عضو لجنة العمل الداخلية ثم انسحب من الحركة الصهيونية واصبح نائب رئيس «الاتحاد الاسرائيلي» النمساوي المعارض للصهيونية .

مندلستم ، ماكس ايمانويل (١٨٣٩ – ١٩١٢). يهودي روسي . عضو لجنة العمل الصهيونية . صديق لبنسكر ثم لهرتزل ثم انسحب من المنظمة الصهيونية وانضم الى المنظمة اليهودية الاقليمية بزعامة زانجويل .

مندلكيرن ، الدكتور سولومون (١٨٤٦ – ١٩٠٢) . عالم يهودي . ألف عدة كتب . عاش في المانيه معظم حياته .

منسدورف – بونيلي – ديتريشنين ، الكونت (؟) . سياسي نمساوي . سفير النمسه في لندن .

مورافيف، الكونت ميشيل نكولايفيش (١٨٤٥–١٩٠٠) . سياسي روسي . كان وزيراً للخارجية ايام اتصالات هرتزل بالحكومة الروسية .

موريه ، المار كيز دي (؟) . فرنسي . قتل ١٨٩٢ الكابتن ماير اليهودي في مبارزة . اتهم منذ ذلك الحين باللاسامية .

موكاتا ، فريدريك دافد (١٨٢٨ — ١٩٠٢) . مالي وثري يهودي بريطاني تبرع باموال كثيرة للجمعيات اليهودية .

مولتكه ، الكونت هيلمث كارل برنارد فون (١٨٠٠ — ١٨٩١) . كان خادماً عند ملك الدانمرك منذ ١٨١٨ ، ولما وجد ان ملك بروسيه اكثر حظاً في النجاح التحق بالعمل عنده ١٨٢٢ حتى اصبح القائد العام لجيشه .

مونتاجو ، السير صموئيل (١٨٣٢ — ١٩١١) . مصرفي يهودي بريطاني . مؤسس شركة صموئيل مونتاجو وشركاه . عضو البرلمان (عن حزب الاحرار) وزعيم اليهود الارثوذكس وجمعية « أحبة صهيون » في بريطانيه . توسط ١٨٩٣ مع السلطان للسماح لليهود باستعمار شرق الاردن . قاوم الصندوق الاستعماري اليهودي ١٩٠٣ . اصبح اللورد سواشلنج ١٩٠٧ .

مونتسكيو (١٦٨٩ — ١٧٥٥) . مؤرخ وفيلسوف فرنسي اشتهر خاصة بكتابه « روح القوانين » (١٧٤٨) .

مونتفيوري ، السير فرانسس ابراهام (١٨٦٠ — ١٩٣٥) . حفيد اخ السير موسس مونتفيوري . محام بريطاني يهودي . رئيس مجلس نواب اليهود البريطانيين ، والرئيس الفخري للاتحاد الصهيوني الانجليزي ١٩٠٠ . ساعد هرتزل في مفاوضاته مع الحكومة البريطانية .

مونتفيوري ، كلود جوزف جولدسمد (١٨٥٨ — ١٩٣٨) . زعيم طائفة من يهود بريطانيه («اليهود المتحررين») ومؤلف عدد من الكتب . أسس ١٨٨٨ المجلة اليهودية الفصلية وترأس تحريرها وموّلها الى ١٩٠٨ . رئيس الجمعية اليهودية الانجليزية ١٨٩٥ — ١٩٢٠ . عارض الصهيونية وهاجم وعد بلفور ١٩١٧ .

مونز ، الدكتور سيجموند (١٨٥٩ — ١٩٣٤) . صحافي يهودي نمساوي .

عمل في « الجريدة الحرة الجديدة » . كان على صلات مع بعض احبار رومه .

مونسن ، السير ادموند جون (١٨٣٤ – ١٩٠٩) . ديبلوماسي بريطاني . كان سفيراً لبريطانيه في النمسه ١٨٩٣ وباريس ١٨٩٦ – ١٩٠٤ . اصبح باروناً ١٩٠٥ .

مير ، الحاخام جاكوب (١٨٥٦ – ١٩٣٩). حاخام سفاردي ولد في القدس. اصبح كبير حاخامي سولونيكه ١٩٠٧ – ١٩١٩ وفلسطين ١٩٢٠ – ١٩٣٠ للسفارديين .

ميرسن ، اميل (١٨٥٩ – ١٩٣٣) . صحافي وفيلسوف يهودي فرنسي . مدير وكالة انباء هافاس منذ ١٨٨٨ . مدير اتحاد الاستعمار اليهودي ١٩٠٠ – ١٩٢٣ . ومدير مستعمرات البارون روتشيلد الفلسطينية مدة طويلة . وضع كتاباً ضخماً عن احوال اليهود في روسيه ١٩٠٦ – ١٩٠٨ .

ميري دل فال ، رفايل (١٨٦٥ – ١٩٣٠) . رجل دين كاثوليكي . كان في ١٩٠٣ سكرتير مجمع الكرادلة، ثم عيّن في السنة نفسها وزير خارجية البابا .

ميزي ، الدكتور اهارون ماير (١٨٥٨ – ١٩٣٠) . طبيب يهودي روسي . هاجر الى فلسطين واقام في مستعمرة ريشون صهيون حيث عمل طبيباً لمستعمرات روتشيلد. ثم انتقل الى القدس ١٩٠٦ . ألـّف قاموساً طبياً بالعبرية.

ميلان ، الملك : اوبرينوفتش ، الملك ميلان الرابع والاول (١٨٥٤–١٩٠١). امير ، ثم ملك ، الصرب . حكم بلاد الصرب ١٨٧٢ ، ثم اعلن استقلالها واعلن نفسه ملكاً ١٨٨٢ . تنازل عن العرش ١٨٨٩ .

نابوليون « الاصغر » : الامير لويس جوزف جيروم (١٨٦٤ – ١٩٣٢) . حفيد أخ نابوليون الصغير ، جيروم . كان أحد المطالبين بعرش فرنسه . خدم قائداً في الجيش الروسي .

نابوليون بونابرت (١٧٦٩ – ١٨٢١) . امبراطور فرنسه ١٨٠٤ – ١٨١٤

و ١٨١٥ . جرت محاولات في عهده للتفاوض مع اليهود لتأسيس كيان سياسي لهم في فلسطين لخدمة الاستعمار الفرنسي في الشرق ولقطع طريق بريطانيه الى الهند .

ناصيف باشا ، احمد (١٨٤١ — ١٩٠٦) . مالي عثماني . عيّن ١٨٨٩ وكيلا لوزارة المالية . ثم وزيراً للمالية ١٨٩١ . نال الباشوية ١٨٩٣ . وزير الجمارك ١٨٩٨ ، والمالية ١٩٠٤ .

نافون ، جوزف بك (١٨٥٩ — ١٩٣٤) . رجل اعمال ومصرفي يهودي عاش في فلسطين وعمل في شراء الاراضي وبناء المشاريع لمصلحة اليهود والصهيونيين .

نديم باشا ، محمود (١٨٥٠ — ؟) . ديبلوماسي تركي . سكرتير المفوضية التركية في بلچراد ١٨٨٦ ، والوزير التركي في اثينه ١٨٩٠ ، والسفير في رومه ١٨٩١ ، وفي فينّه ١٨٩٦ — ١٩٠٨ . نال الباشوية ١٩٠٤ وكان من قبل محمود نديم بك .

نزار بك ، افتيس (؟). وطني ارمني . أسس ١٨٨٦ حزب الهنشاق (الحزب الارمني الثوري) وعاش عدة سنوات في المنفى في لندن حيث اصدر عدة كتب وصحف . دعا الى تأسيس ولاية ارمنية مستقلة عن تركيه تحت حكم مسيحي .

نقولا الثاني (١٨٦٨ — ١٩١٨) . قيصر روسيه . خلف والده ، الكسندر الثالث ، في ١٨٩٤ . تنازل عن العرش ١٩١٧ ، ثم اعدم ، هو وزوجته وابناؤه في تموز (يوليو) ١٩١٨ . زوجته هي الاميرة الس من هس . تزوجها ١٨٩٤ .

نكولادز (؟) . زعيم الارمن في لندن .

نوردو ، ماكس (١٨٤٩ — ١٩٢٣) . مؤلف وصحافي وطبيب يهودي . من اوائل الصهيونيين . قاوم هرتزل مدة . أيد مشروع اوغنده ١٩٠٣ .

نوري بك ، علي (١٨٦١ — ١٩٣٧) . اسمه الاصلي غوستاف نورنج .

سويدي عمل صحافياً في برلين ثم في القسطنطينية حيث استخدمته الحكومة التركية منذ ١٨٨١ واسلم واخذ الجنسية العثمانية . عيّن قنصلاً للسلطنة في روتردام الى ١٩٠٠ حينما غضب عليه السلطان وانضم الى معارضيه وحُكم عليه بالسجن المؤبد غيابياً .

نوري بك ، محمد (١٨٥٨ – ١٩٠٨) . موظف تركي . من أم شركسية وأب فرنسي . كان مدير عام وزارة الخارجية العثمانية ١٨٩٣ – ١٩٠٨ .

نيتشه ، فردريك وليام (١٨٤٤ – ١٩٠٠) . فيلسوف الماني مشهور هاجم المقاييس الاوروبية المعاصرة وقال ان الانسان الحقيقي ، الانسان السوبرمان ، يستطيع ان يرتفع عن الجماهير اذا هو طبّق على نفسه وعلى غيره مقاييس قوية وعزيزة وقاسية .

نيجو ، جوزف (١٨٣٦ – ١٩٤٦) . خبير زراعي يهودي عثماني . مدير المدرسة الزراعية في مستعمرة مكفه اسرائيل منذ ١٨٩١ .

نيولنسكي ، فليب مايكل دي (١٨٤١ – ١٨٩٩) . صحافي وعميل سياسي نمساوي من اصل بولوني . عمل مسؤولاً على الادارة السياسية في السفارة النمساوية في القسطنطينية . واصبح صديقاً للسلطان عبدالحميد . ترك العمل الديبلوسي ١٨٧٩ وأقام في باريس كصحافي . في ١٨٨٧ أسس وكالة انباء في فينّه واصدر نشرة « بريد الشرق » اليومية .

هارتويك ، فون نقولا دي (١٨٥٥ – ١٩١٤) . موظف روسي . مدير دائرة الشؤون الاسيوية في وزارة الخارجية . عيّن في ١٩٠٩ وزيراً مفوضاً في بلچراد .

هافكن ، والديمر (١٨٦٠ – ١٩٣٠) . عالم بكتيريولوجي يهودي بولندي . عمل في معهد باستور في باريس حيث اكتشف دواء ضد الكوليرا والطاعون . كافح هذين المرضين في الهند . اصبح عضواً في اللجنة المركزية « للاليانس الاسرائيلي العالمي » ١٩٢٠ .

هايني ، هنريخ :اسمه الاصلي حايم هاري (١٧٩٧–١٨٥٦) . شاعر ومؤلف الماني يهودي تنصّر . عاش في باريس منذ ١٨٣١ .

هرتزل : افراد الاسرة الذين يرد ذكرهم في اليوميات : **ثيودور** (١٨٦٠/٥/٢–١٩٠٤/٧/٣) . والده **جاكوب** (١٨٣٥ – ١٩٠٢) . والدته **جانيت ديامانت** (١٨٣٦ – ١٩١١) . زوجته **جولي ناشوير** (١٨٦٨ – ١٩٠٧ . تزوجته ١٨٨٩) . ابناؤه الثلاثة : **بولين** (١٨٩٠ – ١٩٣٠ . على اسم اخته التي ماتت ١٨٧٨) . و **هانز** (١٨٩١–١٩٣٠ .انتحر). و **مارجاريت** (١٨٩٣–١٩٤٣ . قتلها النازيون مع زوجها رتشرد نيومن) .

هس ، فون (؟) . ضابط وموظف في بلاط قيصر روسيه . كان ١٩٠٣ قائداً للحرس الامبراطوري ومرافقاً عسكرياً للقيصر الروسي .

هكلر ، وليم هـ . (١٨٤٥ – ١٩٣١) . قسيس بريطاني من اصل الماني ربّى ابن دوق بادن الكبير ، وصادق وليم الثاني قيصر المانيه . الّف ١٨٨٢ كتيباً بعنوان « عودة اليهود الى فلسطين حسب النبوءات » . عمل ١٨٨٥ – ١٩١٠ قسيساً للسفارة البريطانية في فينّه حيث خدم هرتزل كثيراً .

هل ، السير كليمنت لويد (١٨٤٥ – ١٩١٣) . موظف ونائب بريطاني . عين ١٨٩٤ رئيساً لدائرة افريقيه في وزارة الخارجية ، ثم مسؤولاً عن المحميات البريطانية في افريقيه ١٩٠٠ – ١٩٠٥ .

هلد شايمر ، هيرش (١٨٥٥ – ١٩١٠) . حاخام يهودي . علّم في عدد من المعاهد الدينية وحرّر بعض الصحف وترأس وأسس بعض الجمعيات ، وكلها مؤسسات يهودية محافظة . عارض نظرية هرتزل في الصهيونية السياسية وآزر الجمعيات اليهودية الخيرية التي انشأت مستعمرات في فلسطين .

همفريز ، توماس هنري (؟) . موظف بريطاني في حكومة مصر ايام الاحتلال ، الى ان استقال ١٩١٩ .

هنتر ، الكابتن ج. ج. (؟) . المدير العام لادارة حرس السواحل في مصر ، في مطلع هذا القرن .

هنريك ، الامير : الامير البرت وليم هنريك ، البروسي (١٨٦٢ — ١٩٢٩) . الاخ الاصغر للقيصر ولـيم الثاني الالمـاني . ادميرال في الاسطول الالمـاني الامبراطوري .

هوهنلو — شلنجسفورست ، الامير شلودفيغ فون (١٨١٩ — ١٩٠١) . مستشار امبراطوري الماني للقيصر ١٨٩٤ — ١٩٠٠ .

هيربنت كارل (؟) . موظف يهودي في حكومة بلچاريه — وزارة الاعمار والاسكان . ثم اصبح مدير الفرع البلچاري لشركة سيمنس وهلسك الالمانية . عمل لصندوق الاستعمار اليهودي في بلچاريه وحضر المؤتمر الصهيوني الاول .

هيرش ، البارون موريس دي (١٨٣١ — ١٨٩٦) . ثري ورجـل اعمـال يهودي .اسس «جمعية الاستعمار اليهودي» لبناء مستعمرات يهودية في الارجنتين وتبرع لها بحوالي عشرة ملايين جنيه استرليني. كان اول رجل اتصل هرتزل به لاقناعه بتبني مشاريعه الاستعمارية .

هيمن ، س. ل. (؟) . رجل اعمال يهودي من جنوب افريقيه. عضو مجلس ادارة الصندوق الاستعماري اليهودي.صاحب مجلة «العالم اليهودي»منذ١٨٩٧ .

واربرج ، اوتو (١٨٥٩ — ١٩٣٨) . عالم نبـات يهودي الماني وزعـيم صهيوني . استاذ في عدة جامعات المانية . حرر مجلة « التولاند » الصهيونيـة ١٩٠٤ — ١٩٠٦ . رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ١٩١١ — ١٩٢٠ .

وت ، الكونت سيرج يولبفتش (١٨٤٩ — ١٩١٥) . سياسي روسي . وزير المالية ١٨٩٣ — ١٩٠٣ . رئيس الوزراء ١٩٠٥ — ١٩٠٦ . دعا الى تحسين معاملة اليهود .

ودز ، السير هنري فلكس (١٨٤٣ — ١٩٢٩) . ادميرال بريطاني . خدم البحرية التركية منذ ١٨٧٠ واصبح باشا١٨٨٣ وكبير مرافقي السلطان ١٨٩٩ .

ورتمبيرج ، ملك : هو وليم الثاني (١٨٤٨ — ١٩٢١) . جلس على العرش

١٨٩١ وتنازل عنه ١٩١٨ . ازيلت المملكة ١٩١٨ واصبحت جزءاً من المانيه . كانت تقوم حوالي شتتجارت،قرب سويسره، كدوقية ثم كمملكة منذ١٨٠٦ .

وصفي بك (?) . موظف تركي . نال رتبة كابتن . كان سكرتير شكري باشا وزير الحربية .

ولت، دي : مجلة اسبوعية اسسها هرتزل ١٨٩٧ ناطقة باسم الحركة الصهيونية . توقفت ١٩١٤ .

ولش ، الدكتور (?) . طبيب نمساوي هنچاري . عمل مدة طويلة مديراً لدائرة الصحة في وزارة الداخلية التركية .

ولفسن ، دافد (١٨٥٦ — ١٩١٤). تاجر يهودي الماني . اسس جمعية « احبة صهيون» في كولون ١٨٩٣ .احد اوائل اصدقاء واتباع هرتزل في المانيه . عضو لجنة العمل الداخلية ١٨٩٧ — ١٩٠٤ .خلف هرتزل كرئيس للمنظمة الصهيونية العالمية ١٩٠٥ — ١٩١١ .

ولكنسن ، المطران: المطران الذي قابله هرتزل وذكره في يومياته هو واحد من هذين الرجلين البريطانيين : أ . جورج هوارد ولكنسن (١٨٣٣ — ١٩٠٧) . مطران ترورو ١٨٨٣ — ١٨٩١، ومطران سانت اندروز منذ ١٨٩٣،ثم رئيس الكنيسة الاسكتلندية الانجيليـة ١٩٠٤ — ١٩٠٧ . ب . توماس ادوارد ولكنسن (؟ — ١٩١٤) . مطران زولولاند ١٨٧٠ ، ومطران شمال واواسط اوروبه اللندني ١٨٨٦ — ١٩١١ . كان خبيراً بشؤون افريقيه .

ولكوكس ، السير وليام (١٨٥٢ — ١٩٣٢). خبير بالري .بريطاني. عمل في شؤون الري في العراق ومصر مدة طويلة ووضع دراسات مشهورةفيالموضوع.

وليم ، الامبراطور [القيصر] القيصر وليم الثـاني (١٨٥٩ — ١٩٤١) . امبراطور المانيه . خلف اباه ، فردريك الثالث ، ١٨٨٨ . تنازل عن العرش ١٩١٨ وعاش الى آخر ايامه في هولنده .

وليمبورج ، ليون (١٨٥٩ – ١٩٣٢). اقتصادي وسياسي يهودي ايطالي. اسس وترأس تحرير مجلة «التعاون الزراعي» الايطالية ١٨٨٥ – ١٩٠٤ . عضو مجلس النواب ١٨٩٢ – ١٩١٣ ثم مجلس الاعيان . وزير المال ١٩٠١ .

وولف ، لوسيان (١٨٥٧ – ١٩٣٠) . صحافي ومؤرخ يهودي انجليزي . ترأس تحرير الشؤون الخارجية في جريدة « الديلي چرافك » ١٨٩٠ – ١٩٠٩ ، وترأس تحرير « العالم اليهودي » ١٩٠٦ – ١٩٠٨ . كتب ضد السلطات الروسية ١٩١٢ – ١٩١٤ . اصبح ١٩١٧ سكرتيراً للجنة الخارجية المشتركة لكل من مجلس نواب اليهود البريطانيين والجمعية اليهودية الانجليزية . انتقد الصهيونية .

ويتمان ، سيدني (١٨٤٨ – ١٩٢٥) . صحافي وجوّاب انجليزي . مراسل « نيويورك هرالد » في لندن . ساح في اناضوليه ١٨٩٧ – ١٨٩٨ وصادق السلطان عبد الحميد . كتب كثيراً عن اوضاع السلطنة .

ويرنر ، الدكتور سيجموند (١٨٦٧ – ١٩٢٨) . طبيب وصحافي يهودي نمساوي . ترأس تحرير جريدة دي ولت ١٨٩٧ – ١٨٩٩ و ١٩٠٣ – ١٩٠٥ . كان طبيباً لهرتزل وصديقاً شخصياً .

ويلز ، أمير : اللقب الرسمي للابن الاكبر للعائلة المالكة في بريطانيه . حمل اللقب ، في عهد هرتزل ، البرت ادورد (١٨٤١ – ١٩١٠) الى ان اصبح ملكاً ١٩٠١ باسم ادورد السابع . فاخذ اللقب منه ابنه جورج (١٨٦٥ – ١٩٣٦) الى ١٩١٠ حينما اصبح ملكاً باسم جورج الخامس .

ياسينوفسكي (= جاسينوفسكي) ، اسرائيل (١٨٤٢ – ١٩١٧) . محام يهودي روسي . من زعماء « احبة صهيون » . تبع هرتزل ، وحضر المؤتمر الصهيوني الاول ، وتزعم صهيونيي روسيه الى المؤتمر الصهيوني السابع حينما تزعم فئة « الاقليميين » في الحركة الصهيونية العالمية .

يورك – ستينر ، هنريخ (١٨٥٩ – ١٩٣٥) . صحافي ومؤلف يهودي نمساوي . تبع هرتزل ونشط في الحركة الصهيونية منذ تأسيسها .

مطبعة الغريّب
بيروت ـ تلفون ٢٤٦١٨٥

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
٦٠٦ شارع السادات - بيروت

اسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

تصدر عنه

(١) سلسلة « اليوميات الفلسطينية »

(٢) سلسلة « حقائق وارقام »

(٣) سلسلة « ابحاث فلسطينية »

(٤) سلسلة « دراسات فلسطينية »

(٥) سلسلة « كتب فلسطينية »

(٦) خرائط فلسطينية

(٧) سلسلة « نشرات خاصة »



الثمن: ٨ ليرات لبنانية او ما يعادلها